

وقد غلبت علينا وما يذكر إلا أذن الألباب
بين الحكة من دقة ومن دقة من الحكة

المسحاة

١٣١٥

وقد غلبت علينا وما يذكر إلا أذن الألباب
بين الحكة من دقة ومن دقة من الحكة

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام موى « ومثارا » كتاب الطريق

مصر. سلع ربيع الاول ١٣٣٩ - ١٨ القوس (خ) سنة ١٢٩٩ هـ ١٠ اديس ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدتك، وجل
ثناؤك، ولا إله غيرك، لا نحمي ناء عليك، أنت كما أنذيت على نفسك،
فحمدك بما حمدت به نفسك في كتابك موئلي ونسلم على أنبيائك
ورسلك : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)، ونحماته
المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رسله محمد المصطفى، وآله المطهرين
وأصحابه الحننا، وعلى من اتبع هديهم واقتفى، (وهو الله لا إله إلا هو
له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدّرتَ فهديت ،
وانتمتَ فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا تنوط
مع رحمتك ولا يأس ، فاسألك من رحمتك العاة للعالمين ، ومن رحمتك
الخاصة للمسلمين ، ووفني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ،
النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمرأها ،
وقادتها وزعماءها ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور الفاض
من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شعاعه على الخلق بسنتك في سبيل
البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين ، مضية للدنيا والدين ،
وأن التزور بالدنيا مهلكة للمزورين ، وأن سنة الله تعالى في رد الفعل الى
سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفريط والافراط ، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَبِّحُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)
سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق
ما يتبين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا
لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وإيمان ، كما وفقت
لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لتكون كما كانوا من الأئمة
الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين
نوفل برفق فلا نفلو غلو المزورين ، واذا حكمتنا بين الناس نحكم بالعدل فلا
نملو غلو الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحلت لنا من الزينة والطيبات من
الرزق تصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أثرة المسرفين ،
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (يَتَرَفُّونَ زُيْمَةَ اللَّهِ فَمُمْ
يُنْكَرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أرىتنا آياتك ، فإن جسدنا أقوام فقد
عرفناها وما نحن لها بمجاهدين ، وعرفتنا نعمتك فإن يذكر بها الاكثرون
فانحن بها بكافرين ، وقد أثرت عقابك الحق بالباغين الجبارين ،
وبالمترفين المسرفين ، وبمن ذل لكبرياتهم ودان لطغيانهم . من الجاهلين
المفترطين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة ووعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل
السفهاء منا ، وارفع اللهم مقنك وغضبك عنا ، فقد آن أن يستدير الرمان ،
ويلجده اعجاز القرآن ، فيتوب القاسون ، ويوقن المرتابون ، ويؤمن
الجاحدون (الم) ، غلبت الروم في أذنى الأرض وهم من بعد غلبهم
يسخطيون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويتولى
يفرح المؤمنون . ينصر الله ينصر من يشاء . وهو العزيز الرحيم
وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَسِيكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَمْلِكُونَ .
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمِنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك . أرىتنا من جهل أعلم الناس بشؤون
خلقك ، ما أتت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد
غلبت الروس الذين كانوا يمدون الخطر الاكبر على الاسلام ، كما غلبت
الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب
الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من القنوز الحربية ، ثم
ظهر جهل أعلم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ،
وظهر جهل أعلم الامم بشؤون الادارة والاستعمار فكانوا من الخائضين (ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا يستزبون)
سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار ، مكور النهار على الليل .

ومكوب الليل على النّهار ، الكبرياء رداؤك ، والمظلمة إزارك ، من
للأهلك فيهما قصصته ، وقد صرفت عن آياتك الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق ، مفتقرين بما استدرجتهم به من شدة القوة وسعة الرزق ، فلم
يشعروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتمظوا بما أنزلت
من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ،
واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ،
وقهرك لإمام سلاما ورحمة لجميع العالمين ، يعلوها الحق على الباطل ، ويقضي
بها العدل على الظلم ، وخب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف
والاثرة والاستكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين ،
وطغيان الرؤساء الجبارين ، الذين طفوا في البلاد فاكثروا فيها
الفساد ، واستكبروا على المباد فاستعبدوا الجماعات والشعوب للانفراد ،
(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ؟ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا مَتًى وَهُمْ يُلْمِعُونَ ؟ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ؟ فَلَا
يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَوْ أَنشَأُ أَمْبِيَانَهُمَا بَيْنَهُم يَدْنُو يَوْمَهُمْ وَيُخْلِفُهُمْ
قَوْمٌ لَا يَسْمَعُونَ) ؟

لقد انذرنا أكار الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين ، أن ترك تنفيذ
قواعد العدل العام وحرية الامم لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا : إن
لا تفعلوه تمكن فتنة في الارض وفساد كبير ، وانقلاب باشفي شره مستطير ،
أو تعود الحرب جذعة ، بهذه السياسة الخدعة ، الخيانة الطلعة (والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور ، فلا

تَفَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَفَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقد صدقت الآيات ولم تكن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الأرض تضطرم بنيران الفتن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد، وإنما هو شر على. فهو ممي المال، ومستعبدى الانوام ومبذلي الاقيال، وقد يشقى ناس فيسعد بشقاؤهم آخرون، وتثل عروش قري عاتية فيرثها قوم آخرون، (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَا يَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا مُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ...)

أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويأبىها المثلون المترفون، و«الرأسماليون» الظالمون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان، وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل؛ ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط الماحق، وكان تنفيذه على المماندين، بمثل القوة التي كانوا يسومونها الضعفاء والمساكين؛ وان تبتم قبل أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تُتَطَلَّمُونَ. وَأَقْدَمَ عَلَيْكُمَا مَا حَوَّلَكُمْ مِنَ الدُّرَى وَصَرَفَا الْآيَاتِ لَهُ أَهْمٌ بِرَجْمُونَ) وأنت يا أيها الامة الامة، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

لهذا التفرق والانقسام ، بعد تلك السعادة بالوحدة والاعتصام ،
 وحتى تم تلذذين من الجحر الواحد مراراً عديدة وقد حُذِّرت من المرتين ،
 وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبر بالعينين واست العواقب باليدين ؟
 والى متى تغترين بالمظاهر والالقاء ، وتدعين الفرص تبرك من السحاب ،
 لتداهت عليك الامم كما أخبرك النذير ،
 اذ كان لهم منك أنبياء وظهر ، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
 قبيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، وابتغوا عندكم العزة والثروة
 فكانت كرتهم الخاسرة ، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة ، وذلك
 هو الخسران المبين ، وان كانوا غافلين (فَتَعَالَوْا أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا
 كُلٌّ حَرْزٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِمْلًا •
 أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ • نَسَارِعُ لَهُمْ فِي
 الظُّلُمَاتِ كُلِّ لَا يَشْعُرُونَ)

فيا قوم اني لكم ناصح أمين ، على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ،
 وأحوال الزمان ، أن لا تعبدوا الا الله ، ولا تياسوا من روح الله ، (وأن
 استغفرُوا ربكم ثم توبوا اليه يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا الى أجل مُّسَمًّى
 ويُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَان تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 اكْبَرُ) أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاولى ، قبل عذاب يوم القيامة
 الاخرى ، يوم الخزي والنكال ، بفقدانية الاستقلال ، فقابلوا إيلاء الشيطان ،
 بما أمركم به الرحمن ، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن ، ولا تفرنكم أيمان
 أنه ليس لهم إيمان ، ولا يصدقكم عن آيات الله سبب ولا نسب ؛ ولا
 دُفْعٌ ولا رهب ؛ ولا ورق ولا ذهب ، فقد برح الخلفاء وانكشفت الظلمة ،

فلا يكن أمركم عليكم شمة ، (قل يا قوم اعلموا على مكانتكم اني نازل فسوف تعلمون -- من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون)

والا اخص بالذكر قومي وعشيري ، بهذا التذكير العام لجميع شروب امتي ، بما يشد أزر الجماعة ويضع عنها إصرها ، ويحكم أواصر الجماعة ويرفع لها ذكرها ، وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب نخاذا ولا توراكلا ، وأنصفهم تعاونوا تكافلا ، وأكثروا نياغيا وتفاشلا ، وتماحكا وتماحلا بواظهم تحالفا وتناصر ، وتضافرا ونظاهرا ، بإحدى مسلمو مصر مع القبط فيما ينفذ في الدنيا ولا يضر بالدين ، وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر مسلمو الترك مع الروس اعدائهم الأولين ، ولكن تندر الاتفاق في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما تندر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ، ولولا أن هذه اذمة مرحومة لأبست بذوبها ، وهلكت بتفريطها في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ، وإن مسالك النجاة ما فتشت مرجوة لها ، فاعليها الا أن تأتي البيوت من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما وقعها في سابق غرورها ، والتواكل في أمورها ، والانتكال على أيمان مبيها . (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم . كذآب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين . إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم انفقوا عنهم في كل مرة وهم لا يتقون) فسدروا سائر الآيات - (وأنتم

لا تظلمون. هـذا بصائر للناس وهُدًى ورحمة لقوم يُوقنون)

استدار الزمان، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان،
وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد، وينطلق سائر المستبدين من مقاطر
الاستعباد، بفضل التضافر والتظاهر والاتحاد
وانما القتل
والهوان، والخزي والخذلان، والبغى والمدوان، على أهل النفاق والبهتان،
والمغترفين في المذاهب والاديان، والمتمادين في الزعامات والبلدان :
والمفرورين بالمهود والايان. والقوانين وحقوق الانسان، والمخدوعين بكلم
العدل والمدنية، والمساواة والحرية. والرحمة الانسانية. وانما المعاهدات، حجج
الاقوياء على الضعفاء، ولا وجود للعدل والمساواة، الا حيث المعجز عن الظلم
والمحاباة، ولا حق في الحرية، ولا في الرحمة الا لذوي الايد والجريمة،
والعاقل لا يظلم فكيف اذا كان أمة " على أن فاموس السياسة تكثفه اسماء
الاضداد، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد، ولا تضاد بين الحماية
والاستقلال. ولا تناقض بين الاسائة والاحسان، ولا تناقض بين الكفر
والايان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون •
كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وأولئك هم الممتدون)
تبا للنفاقين المتناقين . وسحقا لليائسين المستسلمين. وبمدا للناسقين
الظالمين . وطوبى للراجين الماملين . فرب خوف أعقب الرجاء. ورب عدا
اتبع بولاء (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون)
نشأ المنار ومحرره محمد رشيد رضا

فَتَسَاءَلُكَ الْمَلَكُ

فتسألك هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه وقبيلة وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وأتينا لذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لئلا نل هذا ، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

مأتم عاشوراء وافتحام الشيعة النار فيه

(س - ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

الى حضرة جناب الافخم العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا المحترم . دام اقباله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الاحرف ورقة قطعناها من
الجريدة الرسمية بزنجبار أجبنا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا
عشرية يوقدون في ليلة المأتم من المحرم في حفرة طويلة عريضة ناراً قوية ويمرون
فوقها ولا تحرقهم . وكنا قبل نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا
هذا العمل بطرقنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون
ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم . وقد كثر من اخواتنا الشيعة
بطرقنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله
روحه لكان أكثر الناس تشبوا . وقد عرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على
صفحات المار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الاجراء ومن خلقه الشكره
والسلام

من صفيحكم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل البنا الوصف الآتي للاعياد المحلية لعاشر المحرم ولعيد القراء : من المعلوم الذي لا شك فيه ان تذكرا استشهاد الحسين هو من أتم الاعياد الاسلامية لان أول مدح عظيم حدث في الاسلام كان بناء على هذا الحادث ، أعني مسابقة الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشاد الحسين بشعور انفعالي عظيم فهي تأثير شديد . ففي ليلة العاشر من المحرم يغرب المخلصون صدورهم ورودهم ويغوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنمة مؤثرة تبكي الساطرين ، بل تهرن صدور السنين ، وغيرهم من المتفرجين ، ولا ينساب أحد من المخلصين بغيره . ثم قد كرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ج) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكرى استشاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المتدين المم الطريقة الرفاعية وغيرها من طرق التصوفة . ومنهم من يحمي حديدية في النار حتى تحمر ثم يلحمها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها . وكثير من الناس المتدين الى اديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال فريية في نظرها غير الناس وهذه الاعمال الفريية التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة الشموذة التي يمجذها بالتعلم والتمرن وخفة الحركة أأناس كثيرون فيأتون من الاعمال ما يمجز عنه غيرهم وقد تحبل الى الناظر الشيء على غير صودته أو حقيقة كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويقتي لها به عليها . وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تنكفي للموق النار بالمتحم ، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها وقفا تلقا بثوب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بغوامس الاشياء . قسم الكيمياء والكهرباء وغيرها . وانما تكون غرائب عند الجاهل بأسبابها وكذلك النوع الاول انما

يراه غريباً من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتخيل .
(النوع الثالث) خرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وغيرها
من الخواص الروحانية كاستعدادها فلم يعض الأمور الراقصة أو المستقبلة من غير
طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتاً عظيماً بالاستعداد
الفطري وبالرياسة الروحية

والمستكملون يعلقون على كل ما جاء على خلاف المعروف المعروف مما لا يعرفه
سبب كلمة (خوارق الماديات) ويمدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسوله
عليهم السلام ويسمونهم المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيراً لان ما يتكرر
هو هادي لانه يمدد كما بدأ ، وكل ما كل من علم أو صناعة أو قوة نفسية تستخدمها
الارادة البشرية فهو من جنس المتأداة ويتكرر ، لان صاحبه يفعله بإرادته واختياره ،
وأنحصاره في أفراد وفئات من الناموس هو كالتحصار سائر الصناعات والعلوم في متعلميها
ومزاويلها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها لدلالة على صدقهم في دعوى
الرسالة عنه فليست مما تتعلق به قدرتهم وأرادتهم بحيث يأتونها متى شاؤا كسائر أفعالهم
الاختيارية ولا مما يتلقى بالتعليم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسله الذي أكل
دينه به ان يجيب من أقرحوا عليه الآيات بقوله (قل إنما الآيات عند الله)
بقوله (سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) ولكنها من شئونه تعالى بجزئها
على أيديهم متى شاء . أما بنير كذب منهم البينة كعجاز القرآن وعصا موسى وأما
مقاومة لكسب ما منهم يأتونه باذنه ليس له من التأثير في خرق المادة الا الصورة
كومي نينا (من) المشركين بقبضة من الرمل على البعد منهم أصابت أعينهم على
كثرتهم وعدمه عنه واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي ، وذلك قوله تعالى
له (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هذا القليل ابراهيم الاكبر والابرض
واحيا المولى لميدى (ع م) وإن جاز أن تكون قوة روحانيته الوهية هي المؤثرة
بإذن الله تعالى فيه . وكرامات الاولياء أكثر ما تكون من النوع الثالث للخرائب .
وأما السحر فليس من خوارق الماديات في شيء . وإنما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والتمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الفرائب المعتادة التي يقصد بها النكد والمكر والخداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)
وقل في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (بخيل اليه من سحرهم أنها تسمى) وذكر ان هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر يبايل ، وخوارق العادات لا تكون بالعلم كما تقدم وفاقا لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

إذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة النار هو مما ذكرنا من العادات المكروهة ، والشجرة التي زعموا أنها تقطر دماً في شهر المحرم لا وجود لها . فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها بعض أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وإيران والعراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في إيران ولا في العراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي مواطن الشيعة الامامية وأوى الملايين منهم وفيها معاهد المذنبية الكبرى فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا دخل فيه لعننة ولا خفة وأنه كرامة لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأني دخل في ذلك لمذهب الامامية ومقتضى ترك غيره البسه ؛ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المعروفة في اكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لما في مسائل قليلة كما يخالف بعضها بعضاً .
وجميع أصحاب المذاهب الاسلامية يحملون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ومحبتهم وبوالوفاء ويرون أنهم أهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبرزون من أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين ، وأسس الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الاول وكل ما وقع فيه اختلاف بين أئمة العلم والفتنة فهو من المسائل غير القلمية في الدين التي يختلف فيها الاجتهاد ، ولا ينحصر العرواب فيها بفرد من الأفراد ، وفي كل من المتنين الى المذاهب المنتشرة والمخالفين ما لم يوافقوا وإقرار وإقرار ، فإن أدعى أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجمها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها ، ولو كان حجة لاستغنى به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراد في شرح المسلمين والعيرة عام عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل مراراً ، وأنه ليجزئنا اننا لانزل في أحد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التنابر والتناظر في المذاهب الذي أضف الدين ، وفرق كلمة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح ممل وأحكم مؤدب ، وقد تواتت عليهم نذرها ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه النين ، (أولا يرون انهم يؤمنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يرون ولا يذكرون) بل قد رأى الاكثر من مالم يكونوا يرون ولكنهم لا يزالون يسمعون ، وقد أضاءوا أعظم الفرص ، ولا يزال لهم مجال للعمل ، فان أضاءوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكرى قتل الحسين وإقامة المآتم له مما يقصد به غلاة الساميين من الباطنية وإتياءهم زيادة التفريق بين المسلمين وتآريث الضعاف والاحقاد بينهم أسراراً لا مع تلك الدلائل المعبوية التي دست في الصدر الأول الكبد للدين الذين أزالوا ملك المجوس وساطتهم الديني وملكهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شيعه آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المتصبيين يقصد بمثل في بعض الاوقات تقوية العصية والتذكير بأخذ الثار من المعتدين الظالمين ، ولكن من هم اليوم ؟ وإعادة الحق الى الائمة الوارثين ؟ وأين هم اليوم ؟ فللعباسيون يني أمية قتلهم ، وفل العبيد يرون بالعباسيين قتلهم . وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها انظار منذ قرنين أو أكثر ، فأني استمداد انخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بماصح من ان مات وليس في عتقه يمة لامام مات مبته جاهلية ؟ لقد مزقوا نسج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ؟ ولقد صار هذا المآثم كاسارماً أحدثت المسودون المعتنق المذاهب من الاختلافات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاحى التي نجتمع الدار لسماح القصص التاريخية

والخيالية ، بل هي أقل فائدة وأكبر ضررا من تمثيل القصص المذكورة في الاسم الحية
لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجلد لجلسوا الاجتماع في عاشوراء لذكرى مولد
الامام الحسين (عليه رضوان الله وسلامه) وسيلة سياسية لاحياء المقصد العظيم الذي
بنل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الثالية في سبيله لاحداثا دينيا يزيد تفرق
الكلمة ولا لعبا بالسلاح والنار وندبا بالخطب والاشعار لا يثبت على اقامة حق ،
ولا تجديد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترتق
أمة من الامم الراقية في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهله يصح ان يسموا
حسينيين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل ذلك سلطان الظلمة المستبدين
بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها . ذلك هو الامام الاعظم لمن
تسميهم الامم المزيزة اليوم بالفتدائيين المنقذين لها ، فهل يوجد أحد من زعماء مآثم
عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها ؟

(شاهد تاويغي في مآثم عاشوراء)

كان الباطنية من ذنادقة الجورس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيعة آل
البيت ذريعة الى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفا وسبق لنا بيانه من قبل . وكان
جل كيدهم موجهها الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليكنوا من قتل بسيفه ، وقد
نجحوا بتأسيس الدولة العبديّة الفاطمية بمصر ؛ ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا
من ازالة الاسلام بها ، وهذه الدولة هي التي أحدثت مآثم عاشوراء في مصر للمقصد
الذي قامت به ، وانا نورد من تاريخ القريري الشهير صفة مآثم عاشوراء عندهم وهو :

(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب صيرة المرزدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث
وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة
ومعهم جماعة من فرسان المناربة ورجالهم بالناحية والبكاء على الحسين عليه السلام
وكسروا ألواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم
ونزلوا حتى بلنوا مسجد الرجب وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل لخرج أبو محمد
الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأخلق الدرب ومنع

الفرقيتين ورجع الجميع لحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعلمت الفتنة لان الناس قد أغفلوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفاس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كاثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون لارجل : من خالك ؟ فان قل معاوية أكرموه وان سكنت لقي المكره وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة وزولهم بمجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز ابن الزمان سائر المنشدين الذين يتكلمون بالنوح والنشيد وقل لهم لانهزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تنكبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فليله بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بمجموعهم - ثم ركبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من نسب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السعاط بمجلس السعاطيا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السعاط المختص بعاشوراء وهو يعي في قبر المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسعاط يعلموها من غير مرافق نحاس وجميع الزهادي أجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السعاط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السعاط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السعاط ثم رفع وقدمت صحنون جميعها غسل نخل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخدمته جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذنج يعني من القصر بعد
 قتل الأفضل وعود الاسطة الى القصر على كرسي جريد بغير عتدة متناهية وجميع
 حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن القاضي
 والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير متبادل مشون حفاة وعبي
 السباط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه غير الشمر والمواضر على ما كان في الايام
 الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكن أحدنا من جميع ولا قراءة
 مخرج الحسين وخرج الرسم المطلق للتصدير والقراءة الخاص والوعاظ والشعراء
 وغيرهم على ما جرت به عادتهم. قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخدمته
 اعتد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المعنى فيها الى التربة الجبوشية
 وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر اقبال وعوده الى داره
 واعتد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض مثلما يرى
 به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السباط بما جرت به العادة
 قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس
 فاذا تلا التهار زكب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم
 ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا اجلسوا
 فيه ومن معهم من قراء الحضرة والتصديرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا
 والقاضي والداعي من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة ونوبة وينشد قوم من الشعراء غير
 شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام ، فان كان الوزير والفضيا
 تداروا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون
 الى القصر بقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بتعديل صغير الى داره ويدخل القاضي
 القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهايز قد فرغت من اصحابها
 بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب ذلك لتلقي المصاطب
 لتفرش ويجدون صاحب الباب خالسا هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبيه والناس
 على اختلاف طبقهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها سباطا من
 مقدار ألف زبدية من المدس والملوحات والمخللات والالبان الساذجة

(المنار : ج ١) (٦) (المجلد الثاني والعشرون)

والاعمال النجل والقطير والحيز المتبر لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للأكل منه فدخل القاضي والداعي وبجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمدكوران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كنهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأطلق البياعون حوانينهم الى جواز العمر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اه ماجاه في تاريخ القريري عقب السلام على الشهيد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان اعياد القاطنين ومواسمهم ما نصه :

﴿ يوم عاشوراء ﴾ كانوا يتخذونه يوم حزن تتمطل فيه الاسواق ويمعل فيه السباط العظيم المسمى سباط الحزن وقد ذكر عند ذكر الشهيد الحسيني فانظروه وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن سروان ليرغموا بذلك آتاف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل القملين غير جيد والصواب ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد
أقسم بالفرء الملي الصمد ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضر للهناء في غد مكحل العينين مخضوب اليد

يرمض الشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء به هيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغناب وهو من أحسن ما سمعته في الترميض لله دره

باب المراسلة والمناظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيه اتفاقية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الأسبوع توالت الأعياد الثلاثة العيد المصري (عيد النبروز) والعيد المصري والعيد الهجري وتوالي هذه الأعياد يبشرنا بأن الحبر سيتوالى على مصر وأبنائها

الحوادث مرجع التاريخ

جرت عادة الأمم على أن تؤرخ بالحوادث فإذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الإسلام كانوا يرجعون إلى الحوادث في التاريخ فيقولون عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين اضطهدهم الرومان وأبوا إلا أن يموتوا ضحية دينهم وبدينهم فوائد الاحتفال بالأعياد

وفي الاحتفال بالأعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها أحياء ذكرى العامين وتخليد آثارهم لتقديهم في خلقهم وعلمهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطاً يجدد للامة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشعور والمواطفة على الاتحاد والتعاون فيشترك فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع معروف تأثيرها في النفوس والاعمال

ثم من الفوائد كذلك أن نحاسب الامة نفسها على ما عملته في الماضي وما تمده للمستقبل فننظر كما ينظر التاجر في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فان كان عندها ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى فاتها ثوب إلى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحرص من أن تقع في مثله في المستقبل وإن رأت انها لم تقصر وانها قوية متقدمة فاتها تشكر الله الذي وفقها ثم تستزيد من الاعمال الرابحة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وإن هجرة النبي حادثة عظيمة إذ كانت سببا في أحداث إصلاح عظيم
وفتحا لباب استقلال جديد وقبل أن آيين هجرته أذكر حكمة إرساله وإرسال من
سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة إرسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فاقضت حكمته وهو ولهم واليه يرجع أمرهم
أن يرهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطرهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار
منهم رسلا مربين لا تذلل نفوسهم لشهوة أو هوى ولا تضعف إرادتهم أمام سيطرة
أو استبداد بأرسلهم بالتماليم الهادية إلى سعادة الدنيا والآخرة

ولو وجعنا إلى ما كان يدعو إليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكان
يدعو إلى التوحيد (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وفي هذا امتنن العزة للنفس
إذ أنها لا تستعبد إلا لرهبها الذي يربها على نعمه ويواليها بفضلها واحسانه والله سبحانه
لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عباده إلا بقوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وأقبايل لتعارفوا) ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله
عالم خبير (فالأكرم عند الله من يتخلق بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا يتعص
من حريتهم والله تعالى قد أرسل الرسل تأييدا لهذا المبدأ مبدا الجبر بالناس إلى
الحرية وأخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تعدون حادثة موسى وإرساله الله لا نقاذ بني اسرائيل من استبداد فرعون قتل
الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور)
وما كانت الظلمات إلا السلطات الاستبدادية التي أماتت إرادة القوم وقضت
على حريتهم وإيمانهم وما النور إلا الاستقلال الذي فيه يحيا الشعوب وينمو الأيمان
تقوى الإرادة

آيات الله لرسوله محمد (كتاب أزمانه إليك لخرج الناس من الظلمات
إلى النور)

إبذاه المشركين إياه

إذا علمنا أن الله بث الرسل لهدم قواعد الاستبداد والظلم، ونشر مبادئ المساواة والعدل، فأننا نعلم السبب في الايذاء الذي كان يذلل بهم، والحقبات التي كانت توضع في طريقهم، وذلك أن المستبدين بالشعب المتحكمين في رقبته يخشون من كل مبدأ يزلزل استبدادهم، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المتلويين لهم، المقهورين بسلطتهم، فلذا تراهم عند ما يشعرون، صلح يأخذون في محاربهه ويستنفون في صدده عن سبيله بكل ما يستطيعون

الجيلولة ينشئ وبين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ فيجدهم يحرصون على أن يمحولوا بين هذا المصلح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد مهما جبن ومهما ضعفت ارادته فإنه باستمائه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تقيث فيه روح العمل لها فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصلح منه، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلا بالشعب يتلو آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون)

صبر النبي وقوة ارادته

واخبرنا تضايقوا منه ^(١) فرجموا الى عمه ابي طالب — وكانت ملكه به تعذيبه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك يرجع عما هو فيه والا نكون في حل مما نوقمه به. فلما عرض عليه عمه ذلك فحس وقيل : والله باعم لو وضوا الشمس في يميني والقمرة في يساري ما رجعت من دعوة ربي حتى أبليها أو أموت دونها

فتمت هذه الروح العالية وبغت هذه الميادي. التالية

سبب هجرته

لما مات عمه تأمر المحصور على قتله فأوحى الله اليه بأن يهاجر الى يثرب حيث يجد الانصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه فهاجر طوعا اربيه

(١) تدعى عادة بلادنا تضايق بمن ولم يرد في مساجم الله التي فيها يهدى

في الله والأوطان سعي هاجر
لم يرض يترك بعد مكة وطنها
ما زال فيها غاديا أو رانها
سلم الثبوة والمفاخر كلها
علمتنا حب البلاد عقيدة
لا يعلم إلايمان ما لم نعلم
ولقد هديت من الضلالة أمة
وأنت جانبا وصعب شكيبها
وأخذت من ميسورها ما ينقى
بقليله خبط القبر المدم
وعقدت في عنق القوي ضمانة
تفي الضيف عن الظبي والاسهم

كانت هجرته سببا في أنه قابل ناسا تمكن من نشر دهرته فيهم وتقوى بنصرتهم
وكان على الدرام بمن إلى دياره التي احتلها انحصوم وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من
الهجرة كي يزورها ويستقر فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه إليها . ولا قرب
منها أرسل العيون والجواسيس استطلع له حال الحصوم وتباينه مام فيه من الاستعداد
ولا شاور الرسول أصحابه قالوا ما جئنا مقاتلين فإن منونا قاتلناهم وابعده على ألا يفر منهم
أحد فتنهم انحصوم وحاصروهم ، وبدد مناوشات وصاربات وقمت بينهم رأى الرسول
أن جيشه لا يقوى على الجيش الذي أمامهم ^(١) ، وأن الصلح خير لهم فدارت المفاوضات
بين الطرفين على إبطال الحرب عشرينين ، وبياح للرسول أن يأتي بمكة في كل عام آمنًا حرًا

الحصم على الشروط ويضع القيود

وقد وضع الحصم شروطا وقيودا وأملاها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فانا لانعرف الرحمن من هو واكتب

١٤٥ المنار : الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجزم لذلك الصلح من ضيف بل
لا يثارة السلم على الحرب ، ووجهه في المنكس من تبليغ الدعوة بالحجة والبرهان

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا تكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله لا تقر بانك ربه الله ولو أقرنا لما منعناك فكتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من يأتي منا مسلماً لا ترده إلينا وأما من يأتي منكم إلينا فلا ترده فرضي وكتب ، قالوا لا تدخل مكة ، العام ولا بد أن ترجع إلينا عام آخر لا يتحدث العرب بأن قد ضط علينا فكتب ، ف إذا دخلت بعد هذا العام فتدخل بسلح الركب وتكون السيوف في القرب . ف الرسول كل هذه الشروط بعد تحفته من تثبيت الحصوم وسمكهم بها ، وكان الصمد ينتقدونها ويعترضون على كل شرط منها فيقنعهم الرسول بالقبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا إلى أن من جاء إليهم مسلماً يردونه ومن ذهب منهم لا يرد إليهم فقالوا كيف يرد من يأتي مسلماً ونحن ندعوا إلى الإسلام وكيف لا يرد إلينا من يذهب منا ؟ حتى المساواة في ذلك لا نحصل عليها ؟ فقال الرسول من ذهب منا فقد أبعد الله ومن جاءنا ورددناه فإله يحمل له فرجاً ومخرجاً (يعني هذا تحكيم التوي في الضمير وللضرورة أحكام)

هكذا أولى المشركون شروط الاتفاقية حسب إرادتهم وقبلها الرسول كلها على ما فيها من الاجحاف ليكون حراً في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط بالشعب ويثبت فيه ما يشاء من المبادئ والتعاليم ويتمكن من اعداد القوة التي يحفظ بها الحق وكان قبل هذا لا يمكن أحداً من المسلمين أن يجر بعقيدته خوفاً من المشركين وقتلهم وعذابهم وشدتهم ^(١)

حكم القرآن في الاتفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المبينة أنها فتح ونصر ومغناة قل تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لينفرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) ومغناة كثيرة أخذونها وكان الله عزيزاً حكيم . وعذكم الله

(١) يعني أنه لم يمس لأحد من المسلمين قبل صلح الحديبية أن يظهر إسلامه أو يترك المدينة وما يتبعها وناسيك بأخطاء المسلمين في مكة وما يتبعها

مفانم كثيرة: نأخذونها فنجعل لكم هذه) فنأمل قوله فنجعل لكم هذه يعني سيكون لهم مفانم كثيرة من وراء هذه المفانم التي كتبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب تلك المفانم الكثيرة وسيلة للوصول اليها . وقد كان ما وعد الله تعالى وتحقق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ تم لهم فتح مكة والاستيلاء على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام انى شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فلم مالتم ولموا فاجعل من دون ذلك فتحا قريبا) وقد أقض بعد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما نردون في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالأجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جذيرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي وانها لحادثة اعتراف العالم لها وتبجح عنها الانقلاب الكبير في عالم المدنية وستة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا محمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتديا أثره في الهجرة التي هاجرنا وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونل من أجلها كراما وأجرا ، قاله تعالى بوقته للاصلاح فيها يتفق عليه المصريون ونحرم مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا رهن لديك فلا تخافي واسلمي

مهما استعمل عليك جد عائر فله جارك من بئار ولم

فتني بأن الله بالسخ أمره والله خير حافظا من دمره

انتهت الخطبة

[المنار] ان هذه الخطبة قد روحت فيها المناسبة بين معنى العام المجري

وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثرت الخطبة حقائق وأقوالا ، ماني خطابية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقتضيه الوقت كالتأثير في أهالي اقاليم مختلفة وبعض ذكر من فوائد الاحتفال بالأعياد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لا يتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وإنما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الامم التي بث فيها الرسل كانت خاضعة سلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم ان الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يبلي الانفس ويرفها حتى لا تنزل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة ونقل عما قرأناه في الدرس وفي المزار والاسماء مقالات ذكرى المولد النبوي من انصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحري الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة . وجلة القول ان هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمتنفي الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالتقارنة المقصودة بها غير تامة . وما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرتة - والموضوع جله ديني - وهذا من تأثير السياسة والاحوال الاجنبية في الدين

مشيخة الجامع الازهر

محاربة البدع

أرسل الينا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه مثل عماسيه بعض أهل الطرق اسم الصدر فأجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها الينا لأجل نشرها « تعميماً للفائدة وارشاداً للأمة » وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابتناء هذا العصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه أه) يعتقدونه اسما من أسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر والجواب : أن هذا اللفظ المستول عنه « أه » يفتح الهزلة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وإن كان بالبد فهو إنما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من أسماء الذات مضافاً عن أن يكون اسماً من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعو بها كما قال تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا

يصلون) وقوله: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا مائدعو فلا الاسماء الحسنى) وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية (١) ولا يجوز لنا إطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التبعيد بشيء لم يرد الشرع بجواز التبعيد به،

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله لنا على يديه الدين، وأنتم لنا النعمة، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظ «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (٢) ومن تأمل قوله تعالى (وذرُوا الَّذِينَ يُلَعَّدُونَ فِيْ أَسْمَاءِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وتدير هذا الوعيد الشديد اقشعر جسمه أن يذكر الله أو أن يدعو به بعد ذلك بغير أسمائه التي سبى بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم. والالحاد في الاسماء هنا على ثلاثة معان — الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي؛ تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً، ادخال ما ليس منها فيها كوضوح السؤال وكما قل المنسرون هنا من علماء اللغة أن الملحق بالمعنى من الحق والمداخل فيه ما ليس منه

فتمسك بذلك بطلان حمل هؤلاء المعوام الذين انتشروا في المدن والقري يجمعون الناس ويمقدون الجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم (١) كالثار: إطلاق الحكم بالاجماع مناسبه وجمهور الاشاعرة قالوا بالتوقيف وجمهور المذلة بدمه وقد قال صاحب الجواهر

واختبر ان اسماء توقيفية كذا الصفات فأخطأ السببية
٢٤: لفظ مسلم أوله «أما بعد قل أحسن الحديث» الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في اللفاظ وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً بلفظ «ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها» وان ما يوصون ثلاث وما أنهم يجوزون وذكر الماخذ في شرحه له من اللحن ان أصحاب السنن أخرجه عنه مرفوعاً وان مسلماً أخرجه من حديث جابر مرفوعاً مع زيادة وليس شيء من ذلك على شرط البخاري

يتقربون بذلك الى الله، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسة سيئه فيهم، لانه تعبد بما لم يتعبدنا الله به، وتسمية لله بغير أسمائه، نمود بنه من فعل ربنا أو الامانة على أو السكوت عنه

ومعها قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا مشايخهم كذلك فليدع في ذلك برهان لهم في الدنيا ولا يخلص لهم عند الله يوم القيامة من عقابهم. كيف وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لا الولي غير معصوم. وورد مثل هذا القول أيضاً عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمجاهدة الأبد عرضه على الكتاب والسنة. وما يقولونه أيضاً من الاستدلال على بدعتهم هذا بقوله تعالى «ان إبراهيم وإسماعيل» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقوله الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (أه) كما يفعلون به معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقاً رحماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

شيخ الجامع الأزهر

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩

محمد أبو الفضل

وقد نشرت هذه الفتوي في الجرائد اليومية فرد عليها بعض المنتسبين، الطريقة الشاذلية، برسالة نشرت في جريدة الاهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أما بعد فأنا
تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلام واد
يم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل والشافعين
: قال الله تعالى « والله الاسماء الحسنی فادعوه بها واذروا الذين يلحدون في اسماء
سيحزون ما كانوا يعملون »

قال المفسرون . اسماء الله تعالى كلها حسنى لانها تدل على صفات الكمال الالهي
سواء وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والمحيم وسريع والا
فأحكم لها كنه وخير التاميلين وذو المرش وذو الطول وغير ذلك مما ورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تسماً وتسمين اسماً من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم — الحديث ، أو وردت به السنة وإن لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للدردر فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تقدمت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة . فليس المراد بالأسماء الحسنى خصوص التسع والتسمين والألزم عليه ممارسة الأحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل .

إذا علمت ذلك علمت أننا مأمرون أن ندعوا لله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد ثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذته السادة الشاذلية من ضمن أذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضاً كان يثن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيها بعضهم عن الأئين وأمره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه يثن فإنه يذكر اسماً من أسمائه تعالى » ونقل العلامة الحنفى في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطى عند الكلام على الاسم الأعظم قال إن اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى . وقال الامام القنبر الرازى في تفسيره في شرح البسطة : اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجح عندي أن (أه) هو اسم الله الأعظم لاشتغاله على سر الإشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة العزى في شرحه على الجامع الصغير أيضاً أن اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى لأميد عند تجليات الجلال . وقال الشيخ الأمير في حاشيته على متن (غرامى صحيح) أن (أه) من أسمائه تعالى وصح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لأنه سر من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجورى في حاشيته على جوهر التوحيد عند قول الناظم « حتى الأئين في المرض كما نقل » ينبغي للمريض أن يقول (أه) فإنه اسم من أسمائه تعالى ولا يقول أخ فإنه من أسماء

الشیطان - فقد ثبت بالدلیل الثقلي ان (أه) اسم عظیم من أسماء الله الحسنی امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فحينئذ لا الحاد ولا تحريف تعود به من ذلّه واذاً ليس اسم (أه) مهملًا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه منزّه عن الالهة جليل عند أهل الانصاف ولو تتبعنا الآثار والاخبار الواردة في الاستدلال صحة هذا الاسم لما وسعنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية ، لمن سطعت عليه أنوار الهداية ، ونسأل الله تعالى العناية وحسن الختام ، بحجاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

نشر هذا الرد في عدد الاحرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة الازهر رد عليه ، ولكن كتب الى الاحرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي صدر في ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الازهر الاعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤيدها الاحاديث الصحيحة المتن القوية الحجة المتعارضة مع روح الدين الناصع المنتشرة في بلادهم كعبة العلم وحجة المارفين في اللغة والعين بيري أحدهم وسطر في صحيفتكم الفراء كلمة لا ترى مندوحة من الرد عليها احتقافاً للحق الذي لا ينكره الا المكابرون ، وانا لا نلبي الشرح في هذا الباب وانما ورد الوجوه الآتية كي لا نضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من الامة فيدخلون في الدين ما هو براء منه

أولاً - ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه قال الرسول الكريم لمارضي الريفر على أيّنه (دعوه يثن) هذا العزو الى صحيح مسلم كذب محض . والا فليأتنا حضرة بال نص العزمج في صحيح - لم وهو كثير متداول بين الايدي كرر طبعه مراراً وتددت طبعاته وكما باخلون هذا الحديث فليفضل حضرة بذكر الصيغة التي تضمن هذا الحديث .

ثانياً - ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع الى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم يصححه احد من المحدثين

ثالثاً - لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فلا يدل على بدعتكم منه فان

الرسول انما أشفق على المريض وتركه يئن فان صحح أن لقطة (أه) اسم من أسماء الله تعالى فاسماه الله الحسنى معروفة ولا حاجة الى عدها في هذا المقام. وجبنا أن يكون ما أوردناه من اشفاقات على المرضى . فلا يجب أن يكون ساريا على الاصحاء . واقنع السذج منهم بأن لفظ (أه) اسم من أسماء الله . والله يرى هل تنسبونه اليه جلت أسماؤه
محمد فهدى بالاسكندرية

تمليق المنازل على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الإصلاح

إن فتوى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الإصلاح الاعظم فيه وإن كانت في بيان بطلان بدعة خامة قد ابتلي أهل الطرق بكثير من مثلها وما هو أهد عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنازل ، وهذه الأصول تنفي على جميع البدع فقيسة الفتوى أكبر وأعظم من اثباتها لتكون ما يسهونه اسم الصدر والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء .
ذلك الأساس الراسخ والأصل الثابت الذي هو جذر بتدبير المسلمين هو قول الشيخ أن العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بمحور التعبد به . فهذا الأصل ثان للإصل الأول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهو أنه لا يعبد الا الله وحده . وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الأصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبد الله تعالى الا بما شرعه ، ولا نزاع في ذلك وإنما فبهده ونكره لزيادة الايضاح والتفريب . وقد بين الشيخ أدام الله الفقه به دليل هذا الاجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله تعالى انا على يديه الدين وأتم لنا النعمة ، وذكر نص آية المائدة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم هرفة من حجة الوداع . والله انما قل « هل يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين قبله عن الله تعالى بالاسان لا يزيد أنه (ص) بين ما نزل الله عليه بالفضل والحكم والتنفيذ كما بلغه بالقول . وعبارته تدل على حصر هذا الاجمال به (ص) دون غيره من الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله ههنا ولا حاجة في الدين عند أجل السنة .

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفاضلهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس ببدع المتصوفة الاغترار بما كان عليه بعض شيوخهم من العرفان والصلاح وما ينقل عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف — كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الأساس الأعظم للدين ، وهو قولهم : كل عالم يستند إلى الكتاب والسنة من كشف وغيره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وإنما قل هذا القول عن علماء الصوفية لأن غير العلماء لا يبتدع بقولهم ولا قائلهم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من المتكلمين والفقهاء ، فالذين قد أكله الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد إجماع صحيح ولا قياس صحيح إلا وهو مستند إليهما ، وإنما كلام العلماء الذي يستند به هو بيان الأصابع وما استنبط منهما واستند إليهما من قياس وإجماع على ما في القياس والإجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدلل الشيخ أيد الله حاجته على ما ذكر من أساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدلل بالكتاب العزيز واكتفى بأشهر الأحاديث وأصحها في الموضوع — حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله » الخ وهو متفق عليه أيضاً ولزم بخرجه البخاري الأئمة موقوفة على عبد الله بن مسعود . ورواهما غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الأصول الأساسية في الدين أشار الشيخ في سياقه إلى بدعة ما يسمونه اسم الصدر إلى تسمي البدعة الذين أسسب الإمام الشافعي في الكلام عليها بكتابه الاختصاص وهما البدعة الحقيقية كذكر الصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجوداً في صدر الإسلام بل هو أحداث واستبداع محض ، والبدعة الإضافية وهي ما كان له أصل ولكن الأبداع فيه بالمرأى والصفات

كالهدد والتوقيت والاجتماع والصفة كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيها الامام النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ومن هذا القليل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به :

« فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويعقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين انهم يتقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اخلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يمتدنا الله به وتسمية لله بغير اسمائه ، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اهـ

وقد عبرنا من البدعة بالسنة السيئة باعتبار أنها تنجم وتجهل كال مشروع ويقتدي بعض الناس فيها ببعض ، وللإشارة الى حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم مرفوعاً : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » . ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١) وأخرجه الترمذي عنه بلفظ : « من سن سنة خير . . ومن سن سنة شر . . » فالمراد بالسنة هنا معناها القنوي وهو الطريقة المملوكة . اذ كان سبب الحديث ان قوماً من مصر جاؤا النبي (ص) حفاة عراة قتمر وجهه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصل بالناس ثم خطب فحث على التصديق من النقد والاثاب والطعام ، فثلث الناس حتى كان رجل من الانصار يداً بأن جاء بصرة كادت كفه تعجز عنها لكبرها بل هجرت ، ثم تابعه الناس فكان ما جاءوا به كمين من طعام وثياب ، حتى نهال وجه النبي (ص) وقال : « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعاً كفضل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداء وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الحياة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

اختراع دنيوي يذم الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه ويلزمه . وقد تضمن كلام الشيخ أفكار جميع البدع و بيان حظرها وحظر الاهانة عليها والسكوت عنها . كل ذلك محرم شرعا . والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزام الدين بل هما سياجه وحفاظه . ونحمد الله أننا قد جرينا على هذه الأصول والقواعد في المنار وما زال كثير من المصنفين الجاهلين أو الجاهدين ينكر علينا بناء الإصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وإنكار البدع كلها حقيقة كانت أو اضافية .

ونرجو من الشيخ وهو رئيس للمآخذ الدينية في هذا القطر كله أن يجعل العمل بهذا القوي مبدء إصلاح جديد في الأثر وسائر المآخذ الدينية قبل غيرها ، فإن البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عماد الدين - الصلاة - فقد صليت الجمعة من عهد قريش في الجامع الأزهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الأخضر وقشر البيض ماثورة في مواضع من المسجد ، ووجدت المجازين وغيرهم متحلقين في صفته يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويعمد بعضها عن بعض بمدا واسما ، وغير ذلك من المنكرات ، كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالفتي قانون المآخذ الحرمان من دروس العلم ، فإنه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسائرها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المعارض على الفتوى

أنبري أحد مشايخ الطريقة الشاذلية لرد على الفتوى وأثبت ما يسمونه اسم الصدر وكون التمسك به مشروعا فاستدل على الاسم بحديث عزاه الى صحيح مسلم وحديث عزاه الى الحاكم وبكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فله نص ببارته فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يثن في حفيضة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الابتن فقال رسول الله (ص) « دعوه يثن فإنه يذكر اسمي من أمانته تعالى » وقد كذب من رده عليه من الاسكندرانية به وهذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانته منه وذكر ان السيوطي عزاه في الجامع الصغير الى الرازي وأنه

لم يصححه أحد من المحدثين وأنه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه ، وهو معيب في هذه الأقوال كلها ولكن غير كافية في الرد عليه فنزيد عليه ما يأتي من الدلائل والفوائد (١) ان المعترض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وليس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عراه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الاكمال من كنز العمال وهو ان عائشة دخلت على رسول الله (ص) وعندنا حليل يشق قلنا له استكت فقل « دعوه يشق فان الاثنين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه العليل » والمعارض ذكر لحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقِل له عن بعض كتب الطريقة وليس هو المخترع له . ومن المروف عند العلماء ان الحديث كذب من العلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يمتد الا بما رووه ولا يحتاج بشيء مما رووه الا اذا صححوا شذذه أو حسنوه . وان كتب المتصوفة وكتب التاريخ والادب يكثر فيها الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز العمل بها لافي فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد امثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والسكلام (المقائد ولسانها) لان أكثر مصنفها من غير المحدثين . وهذا كتاب احياء العلوم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المشككين والمفتها . والتصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز أحد من الأئمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في ثبات اسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادته لا دليل لها سواها .

(٢) قال الشيخ محمد الموت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث «دعوه ينش » : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن واسماؤه تعالى توقيفية أه

(٣) ما يدل على أن هذا الحديث مصنوع ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدثين ولا فقهاء الحديث في الكتب التي لا يملكون فيها مثله ككتب لغة الحديث وشرحه وفتحه الحديث فهذا الحافظ ابن الاثير ! يذكر حجة لاثنين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مرددات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكلته على غايته باقتضاه ما تركه صاحب النهاية.

ولم يذكره حذو الحديث والفقهاء في بحث حكم الانين شرعا هل هو مكروه أم لا وقد اهتمد أعلم الفقهاء بالاحاديث كراهته ونظر بعضهم فيها ولو ثبت هذا الحديث هدم قائلوا انه مستحب او مستنون

٤) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث تنجم عائشة من وجع رأسها وقول النبي (ص) لها ذلك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعوك - وهو في كتاب الرضى من صحيح البخاري - مانعه :

قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب (لئلا : يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يقدح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقيق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والنفس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطيع تنبيرا عما جبت عليه وانما كاف البعد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله - يبل الى تركه كالمالفة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . ولما جرد الشكوى فليس مذموما حتى يحصل التخطي للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وشكواه انما هو ذكره للناس على - يبل التضجر والله اعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاوس انه قال : أنين المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجاعة من الشافعية أن انين المريض وتأوّهه مكروه . وثبت به النووي فقال هذا ضيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه شيء . قصروا هذا لما ثبت فيه ذلك ثم احتج بحدث عائشة في الباب ثم قل فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشمير بالتخطي للقضاء وتورث شتانة الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أو وليه عن حاله فلا بأس به اتفاقا . اهـ . وأورد الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانين لذكره النووي أو الحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لا أعرفه - فليس بهديث . لجودة حفظه لكتب السنة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحافظ والفقهاء في الجامع الأزهر تاتي بحث واستدلال وكذلك فقهاء الحنابلة جزءا وبكراهة الانين في المرض في كتبهم . قال القدي بن مفلح

في كتابه الفروع: (فصل) يكره الانين في المرض الخ ثم قال في فصل بعده: وكانوا يكرهون أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى. ثم ذكر عن عبد الله بن الامام أحمد انه نقل في أنين المريض: أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكا الى الله. اهـ وذكر ذلك السفاريني في أواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

« قلت - أنين المريض نارة يكون عن تعزم وتضجر فبكره ونارة يكون عن تسخط بالقدر فيحرم فيما يظهر، ونارة يكون لاجل ما يجد ويجد به نوع استراحة بقطع النظر عن التضجر والتبهم فيباح، ونارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار، وخضوع وانقمار، ومسكنة واحتقار، مع حسم مادة العون الا من باهه، والشقاء الا من عنده، والماوية الا من كرمه، فهذا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه. واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت « المريض أنينه تسبيح وصباحة تكبير، وقضه صدقة، ونومه عبادة، وقته من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله » قال الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم اهـ

فأنت ترى ان حديث عائشة الذي هزاه السيوطي الى الراضي أمثل ما يستدل به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلو كان له أصل لذكره ولو مع التصريح بمدح ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آنفا

(٥) وأما الحديث الثاني فقد أورده المتعرض بقوله: وروى الحاكم في مستدركه حديثا يذكر فيه أن (أه) من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه ممر من الاسرار التي لا يطلع عليها الا المتربون من المؤمنين

وتقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله: الظاهر أنه نقله عن بعض كتب أهل الطريق الذين لا يمتد بنقلهم، وهو لم يذكر لفظه ولا اسم الراوي له من الصحابة. ونحن لم نركلة « أه » في النهاية ولا مجمع البحار ولا تكملة ولا في غيرها من معاجم اللغة العامة الشائعة في الكتاب والسنة ولزبره من كلام العرب. ونزيد على ذلك ان هذه العبارة من الكلام المتألف عند الصوفية وابست من أساليب كلام الرسول (ص) ولا كلام العرب في عصره، وكيف يصح أن يكون سرا يعرف بالالهام ويختص بالمترين مع التصريح به، على انه لم يغير معروف الا عند غرضه المنتسبين

الى الطريق فلم يرد عن أحدهم أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الائمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء أو المتكلمين ، وأئمة الصوفية المارقين .

الاقوال في اسم الله الاعظم

(٦) ولما كانت الاقوال التي عزاها الى العلماء في اثبات اسم الصدر واردة في بيان كونه هو اسم الله الاعظم ننقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الاقوال في الاسم الاعظم عن يقول به فان بعض العلماء انكره كما قال الحافظ وهذا نص ما قاله في فتح الباري بعد أن أطال الكلام في أسماء الله الحسنى :

(تكميل) واذا قد جرى ذكر الاسم الاعظم في هذه المباحث فليقع اللام بشيء من الكلام عليه ، وقد انكره قوم كابني جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كابني حاتم ابن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الاسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لملك لكرهيته أن تبادر سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤخذ ذلك باعتقاد قصان المفضل عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالاعظم العظيم وإن أسماء الله كلها عظيمة . وهبارة أبي جعفر الطبري : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الاعظم والقدي عندي أن الاقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الاعظم ولا شيء أعظم منه ، فكانه يقول كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع الى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار إنما يراد بهامز يذثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القاري . وقيل المراد بالاسم الاعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا اليه به ربه مستغفرًا بحيث لا يكون في فكره حائلته غير الله تعالى ، فان من أتى له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما . وقال آخرون استأثر الله تعالى بلم الاسم الاعظم ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه . وأثبت آخرون معينا واضطر برا في ذلك وجعله ما وقعت عليه من ذلك أربع عشر قولاً

الاول - الاسم الاعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكنف

واحتج له بأن من أراد أن يسمي عن كلام معظم محضرته لم يقل له : أنت قلت كذا

وانما يقول : هو يقول . تأديا معه

الثاني - « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء المحسنى ومن ثم اضيفت اليه

الثالث - « الله الرحمن الرحيم » ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمها الاسم الاعظم فلم يفعل فصلى وهوت : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك المحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) وسنده ضعيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع - « الرحمن الرحيم المحي القيوم » لما أخرجه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد بن النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقائمة سورة آل عمران (الله لا اله الا هو المحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه وفيه نظر لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس - (المحي القيوم) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه « قال القاسم الراوي عن أبي أمامة ، انتمت منها فمرت انه « المحي القيوم » وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما

السادس - « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام المحي القيوم » ورد ذلك مجزئاً في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع - « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي وأتى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يريني الاسم الاعظم فأرثته فكتبوا في الكواكب في السماء

الثامن - « ذو الجلال والاكرام » أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال سمع النبي (ص) رجلاً يقول : يا ذا الجلال والاكرام - فقال « قد استعجب

« فقل » واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المنبئة في الألوية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع — (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر — (رب رب) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال العبد يارب يارب قال الله ليك عبيد ملء فمك . رواه مرفوعا وموقوفا

الحادي عشر — دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم من فضالة بن هيد رفته « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر — نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يسمه الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم »
الثالث عشر — هو مخفي في الاسماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت بعض الاسماء والاسماء الحسنى فقال لها (من) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر — كلمة التوحيد قلله عياض كما تقدم قبل هذا . ام ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عدة أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (أه) المدعى وسنقل ما قاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكره في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الاسماء الحسنى ان منها (أه) وبلغنا انها كلمة سرية وسنشر في الجزء التالي بقية الرد على المتعرض على فتوى شيخ الازهر مبدوا بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فنون الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من السنة نبيا للكتاب. ونورا يهتدي به أولوالباب ،
وبعث اليها من الحفاظ المتقين ، والرواة الصادقين ، والنقطة البصيرين ، من
قام بصديق خدمتها ، وحفظ عليها جلال حرمتها ، وتقي عنها تحريف الغالين ،
واتسحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، (١) وصانها من أفك المفتريين ، وهفل
الدجالين ، لحفظت على سر المصور ، من يد النور ، وصيقت — بمنابة الله — من
أرباب العجور . فله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده ،
وعلى صفيه وخليفه محمد بن عبد الله صلواته وسلامه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
باحسان الى يوم الدين

« وبعد » فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الخفيفة ،
والشريعة المحمدية ، وليس له من نور الهداية وصباح النبوة ما يهتدي به في دياجير
الضلمات ، وغلمات الترهات ، وان صدره لنقل من برد اليقين ، وعقله بمنزل من
اصابة الحق المبين ، وقلبه خلو من واعظ الايمان ، وخشية الديان . فالخير كل الخير
في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما ، والاعتراف من بحرهما الواسع بوجودهما
السابق ، ولا شيء أهدى للنفس وأجلب لسماتها ، وأرجى لطهارتها ، من تقم
هذين الصنوعين والمكوف على درسمهما ، وتدبر معانيهما ، والنفوذ الى مفزاهما ، فهناك
طمهارة القلب ، وصفاء العقل ، وكامل النفس

فكان خليقا بالعلماء ورواد الدين أن يجعلوا مقدمهم الاسمى وغايتهم القصوى
معرفة هذين الاصلين ، والاستقلال بظل هاتين الدوحتين ، والاحتيا بهما وابتناء
الهداية من سبيلهما . ولكن — وأأسف — صرفوا عنهما العناية وولوا وجوههم
نحو التروع وما اليها ، وتحكوا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا التروع

(١) رسالة الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة النهائية لدرسة القضاء الشرعي
(٢) روى البيهقي في المدخل من حديث ابراهيم بن عبد الرحمن الدوري مرسلا قال قال رسول
الله ﷺ « من يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين واتسحال المبطلين
وتأويل الجاهلين »

على الاصول، وقدموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول. ومذنب الاغماض لمقام الكتاب والسنة؛ وتقال في وضع الآراء مواضع الصوم، وانه خطأ - لو يعلمون - عظيم تنكره أسولهم، وتآباه عليهم - لو أنصفوا - عقولهم ومن عجيب أمرهم أن يعدوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به سرفصاحته وكال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم. وأعجب من ذلك أن يعدوا بخاري زمانه ومسلم أو انه من مر على صحيح البخاري مر السحاب دون أن يطلق لنفسه الننان في تفهم الاحاديث واستنباط الاحكام ومقارنة ذلك بأفهام المتقدمين وما استنبطوه منها. وابن صحيح البخاري من كتب الصحاح والتسايد والاجزاء التي يكاد يحطها العد ولا يضبطها الحساب؛ وان من المضحكات المبكيات أن نسال كثيراً من العلماء عن اسماء الكتب الستة فلا يجبر جواباً كأن ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير، فلا حول ولا قوة الى بالله

تنكرت معالم الدين، وطلب الجهل على المنتسبين اليه، وسادت الفروع وعبدت لها الاصول. وأنكر على المؤثر لها، المفتني هديها، فزال جلال الدين من النفوس وكاد رحل من دور القضاء، وبهاجر من أرض المعاملات فكل ذلك دعاني لان أجمل رسالتي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة الختامية، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تتمثل لك - أيها القاريء الكريم - صورة واضحة ترى فيها كتب السنة ماثلة، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة التي أداها للغة سلفنا الصالح، وتبصر في أساريها رفيع مقام السنة وناصع بياضها وجليل أمرها. واني وان لم أسبق الى هذا النجم من الكتابة - حسب ما أعلم - ولم عهد أحد قبلي صمايه فان أملني في الله عظيم ورجائي في واسع فضله كبير ان يسدد لي خطاي، ويوفقني لمساي، ويمدني بروح من عنده يهديني بها فصد السبيل، انه نعم المولى ونعم النصير

معنى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المسلوكة من سنتت الشيء بالسنن اذا أمرته عليه

حتى يؤثر فيه سناً أي طريقاً . وهي اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحسودة . وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لأمراءه أو بلفظه ممن يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الاذوار التي تقلبت فيها من لدن صدورها عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الهدايات وصلت اليها من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع لمندورها وتهذيب لكتبها وتقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لافاضها وتقدرواها — الى غير ذلك مما يعرفه القاعون على حفظها والعاملون ، على نشر رايها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها مختلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين . تخرجه الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه . :
وسنمق ذلك بخاتمة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نطرح في موضوعنا تقدم لك بين يديه فعالين فيه مكان السنة من الكتاب ومزلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان لسنة عمليين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأرسلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بمجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المصوم يفصل مجملها ويوضح مشكلها ويبين محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك مصلي اذا وقت الى ما نلتق به الكتاب فحسب ولم تخرج عن السنة فتعرف أوقاتها وعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطلها المسائر أحكامها وكثيراً ما ناعما

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة ؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قاله وحاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع . فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذا يقول : الكتاب أعرج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان الجعل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) : وقوله جل شأنه : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية . وكيف تكرر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن مديكرب قال قال رسول الله (من) « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فإ وجدنا فيه من حلال استحلناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » وقد حرمت السنة تكاح المراءم على عمها أو خالتها وحرمت الجر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وأوجبت رجم المحنن — الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الاوطار للحوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورفائق وعقائد وان كانت لا تبدو شرح الكتاب

وجهة القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين ، ومتمدن المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مدونة في بطون الكتب . وإنما كانت مسطورة على صفحات القلوب فكانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبع الحكم والاخلاق ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها : روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله (من)

«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليحجه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليقبوا مقعده من النار» قال كثير من العلماء: نهامهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. وهذا لا يتنافى جواز كتابته إذا أمن القبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه «اثنوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» وقوله عام الفتح «اكتبوا لابي شاه» واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم. ولما توفي النبي (ص) بادار الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسماوا ذلك «المصحف» واقتصروا على تجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكر رفوا مهم الى نفسه بطريق الرواية اما بنفس اللفاظ التي سمعوها منه «ص» ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤذي معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمعنى بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه بآخر ولو كان مرادفاً له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أن يقيد بالكتابة. وأما السنة فتقييدها مباح ما أمن الاختلاط فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد المعاد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي: وفي القصة ان رجلاً من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي (ص) «اكتبوا لابي شاه» يريد خطبته. فقيه دليل على كتابة العلم ونسخ النبي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من «كتب عني شيئاً غير القرآن فليحجه» وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه. وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يحطها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والأئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها وإلى القول بالنسخ أميل. ذلك ان القرآن وان كان بدءاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز. لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بيزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جد التوطن، ولا غفكت فيها فضل التمكن. فكان من الممكن أن يشبه على من دون غيرهم التواتر بين المتلو فوجه التمييز بالكتابة. فلما مرورا

على أسلوبه وطال مهدهم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا إذا سمعوا الآية تنلى أو
السورة تقرأ أدركوا الاول كلمة تقرع أسماعهم ان ذلك وحى الله المتلى ولم يتم
الاقتناء حول تفوسهم - لما مرنا على ذلك اذن لهم بكتابة الحديث لأمر النبي
ولعل من دواعي السعي عن كتابة الحديث أولاً ثم الاذن بكتابه - انما
أن المعارفين بالكتابة كانوا في غربة الاسلام قليلين فثبتت الحكمة - بحري
كتابة القرآن فلما توافر عددهم اذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث
ولا يقمن في نفسك عما أسلفت انه لابد من شي من الترتيب في الاول - وما
كان هذا هو الشأن الثالب - فقد كان عليه السلام في غربة في كل ما سمعه من
رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد الله في كتابه «جامع بين العلم
وفضله» عن مطرف بن طريف قال سمعت النعمان يقول حين في أبو جهم قال
قلت لملي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شي سوى القرآن فقلت
لا والذي فلق الحمة وبرأ النسمة الا أن يعني الله سبحانه في كتابه وفي غيره
الصحيفة ؟ قلت وما في الصحيفة . قال اذهب وقلوا له سب وألأبتم . وذكر
وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والرفائض والسنن لمرو بن حزم
وغيره . وعن أبي جعفر محمد بن علي بن جهم في قام سيف رسول الله (ص) «
صحيفة مكتوب فيها «ملعون من أضل اعمى عن سبيل ، ملعون من سرق تخوم
الارض ، ملعون من تولى غير مواله ، أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه»
وعن معن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه
خط أبيه بيده . وعن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه
الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد
عن أبيه قال كما نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما
احتجج اليه عدت انه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت
كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كشي باهلي ومالي

ثبتت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول إذا كانت الصدور وعاء السنة في القرن الاول فكيف يؤمن عليها
النسيان وأن يندس بين المسلمين من يتقول على الرسول ؟ فنقول اجابة حذرت
أن الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس الى الاتقاد

بأمره والانهاء بنحوه وقد علموا ما أوعده الله به كاتم العلم من لعن وطرد وإبعاد عن
رحمة الرب فكانوا إذا علموا حديثاً من سائر الرسل يادروا إلى تقليده وإبلاغه بغير وجا
من التبعة وإتفاء لارحة فرعان ما ينتشر بين الجماهير فليكن نسي بعض منهم
قرب مبلغ أوعى من سامع فن البعد بمكان أن يصح شيء من السنة أو ينتهي على
جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أني
من الحديث محرماً ومعللاً ومضئاً ومصوباً وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن لا يخذ
بأمدابه لذلك تقيتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة
كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأتي الا شاهداً معضداً أو يميناً حاسمة
يحيط لثام ذلك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في
رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر لتبص
أن تورث فقال ما أجده في كتاب الله شيئاً ثم سأل الناس فقام المنيرة فقال كان
كذلك رسول الله «ص» يطهها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة
بذلك فأقره لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب سبب للمحدثين التثبت
في النقل ورعا كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب . روى الجريزي عن أبي
نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مهمات فلم
يثوذن له فخرج فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله «ص»
يقول إذا سلم أخوكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع قال لتأتيني على ذلك بينة أو
لا فلبس بك بلأه أبو موسى منتقماً لونه ونحن جلوس فقلنا ما شأنك فأخبرنا
وقال فهل سمع أحد منكم فقلنا نعم قلنا «ص» فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى
أتى عمر فأخبره وقال على رضي الله عنه كنت إذا سمعت عن رسول الله «ص»
حديثاً تقي الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه محدثاً متخلفاً فإن حاضري صدقته
وإن أبا بكر حديثي وصدق أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله
«ص» يقولون من الرواية عن رسول الله «ص» خشية أن يدخلوا في الحديث طامس
عنه سهواً أو خفلاً فيما لهم من وسوسة الكذابين رسول الله «ص» ومن أولئك
الذين وأبو عبد الله «ص» في الحديث وكانوا يتكرونها حتى من يكثر من
الرواية إذا لاكثر . طاعة الحديث والخطأ في الدين سبب الخطأ في الدنيا
أشهر حديثه جبري الضمير لتبرئته من أن يهيم الزمير الذي حمله على الاكثار فقال
أن الناس يقولون لا يروى أبو هريرة ولا أتات في كتاب الله لمحدثه حديثاً

ثم يتلو: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • إلا الذين تابوا وأسلموا ويبينوا قلوبهم وأتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) : إن اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنف في الأسواق وإن اخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) يشبع بقلته ويحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقل الضبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولمعري أنها الأصل فإن الخاطر ينفل والقلم يحفظ فلما أن أنضت الخلافة الى الامام المادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : أفتر ما كان من حديث رسول الله «ص» ما كتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند منة بنت عبد الرحمن الأنصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث . ومن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني أحد الأئمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (٥) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أو مالك «٦» والربيع بن صبيح «٧» أو سعيد بن أبي عروبة «٨» أو حماد بن سلمة «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهشيم «١٢» ومعمّر «١٣» وجريّر بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني . وكان جمعهم للحديث مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

١ (١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «٥» الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠ (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٧٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٧ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٩ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ بتهريب «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للإمام مالك ابن أنس المدني
إمام دار الهجرة (١) ومسند الإمام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (٣) والجامع
للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعائي (٤) ومصنف شعبة بن الحجاج (٥) ومصنف
سفيان بن عيينة (٦) ومصنف الليث بن سعد (٧) ومجموعات من عاصره من حفاظ
الحديث وعقال أو أبوه كالأوزاعي والحميدي (٨)
ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعد هاصبته وأجلها قبولاً
رأيت أن أفرد له فصلاً يجلّي شأنه ويوضح ماله من عناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الإمام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من
يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع (١) وغيرهما قال المحدث
الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا
منقطع الا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا
الوجه . وقد سنّف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخرّيج أحاديثه ووصل
منقطعة مثل كتاب ابن أبي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكاً
في الشيوخ . قال السيوطي في تقريبه نقلًا عن ابن حزم : أحسيت ما في موطأ
مالك وما في حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند (٢) «
خمسائة وثلاثة وسبعون حديثاً قد ترك مالك
نفس العمل بها وفيها أحاديث ضئيفة وماها جمهور العلماء

عناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل

١. توفي سنة ١٧٩ هـ . توفي سنة ٢٠٤ هـ «٥» يطلق مختلف الحديث على
الاحاديث المعارضة بمتثلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تصفـه . توفي سنة
٢١١ هـ . توفي سنة ١٦٠ هـ . توفي سنة ١٩٨ هـ . توفي سنة ١٧٥ هـ . «توفي ٢١٩

١٥٠ - قال من حديث موطأ مالك من سننه الصحيح بأثره الروي عن النبي عن الرسول «٥» مائة
والنظم موطأ من أثناء سننه وأولاً أكثر مع عدم التوال «٢٥» السنن مروج صحابي بسند
طاهرة الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكباده الابل الى مالك من أقاصي البلاد، صدقا لقول النبي «من» - «يوشك ان يضرب الناس أكباده الابل في طلب العلم فامجدون بأعلم من عالم المدينة» قال عبد الرزاق هو مالك ابن أنس - رواه الترمذي - فثم المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم شيوخ المحدثين كيجي بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد الرزاق بن همام «٤» ومنهم الملوك والامراء كالرشيد (٥) وابنيه الامين (٦) والمأمون «٧». وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الاسلام ثم لم يأت زمان الا وهو أكثر به شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الامصار مذاهم حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون متابعاته وشواهد «٨» ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهه ويفتشون عن رجاله الى غاية ليس بعدها غاية. روى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال لما حجج المنصور قال لي: قد عزمت على أن أسرى بكتبك هذه التي وضعتها فتنتسخ ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن يملأوا بما فيها ولا يمتدوه الى غيره؛ ففعلت بأمر المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسموا أحاديث ردورا روايات وأخذ كل قوم بما سبقت اليهم ودانوا به ففقد الناس وما اختار أهل كس بلدهم لا تفهم. وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن أنس قال شاورني هرون الرشيد في أن يملأ الموطأ في السكبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا

في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل معيب. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله
روايات الموطأ قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطآت المعروفة
عن مالك أحد عشر معناها متقارب والمستعمل منها أربعة موطأ يحيى بن يحيى
وموطأ ابن بكير وموطأ أبي مصعب وموطأ ابن وهب ثم ضعف الاستعمال في

١. توفي الاول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩. ٢. سنة ١٩٨. ٣. سنة ١٩٨. ٤. سنة

٢١١. ٥. سنة ١٩٣. ٦. سنة ١٩٨. ٧. سنة ٢١٨

٨. الحديث الذي يفرده روايته واحد يسمى غريبا قال المفرد به من موضع واحد من الاستاذ قيل
لحديث انه فرد نسى أيضا وان كان في كل موضع منه شيء فردا حقيقيا فاداءه في ذلك المفرد
غيره في رواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عن قيل انه وجد لأول متابعين وجدته
يشبهه منه وهو مروى عن صحابي آخر قيل لثاني شاهد

(المجلد الثاني والعشرون)

(١٠)

(التاريخ: ج ١)

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة ونقص ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي بصير فندد بالدين حرم التزايد على سائر الموطآت نحو مائة حديث

شرح الموطأ ومختصراته

من شرح الموطأ أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي (١) . فالحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر (٢) كتاب سماه (التقدي الحديث الموطأ) وله كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره . وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبد الله بن محمد البهوتي البجلي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المنبري (٤) وسماه (القاس) وبما جاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب ألف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناء مالك رحمه الله على تمديد الأصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي رجع إليه في مسائله وفروعه . وعن شرحه جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٥) وصي شرحه « كذب المخطأ » في شرح الموطأ . وبحث ابن عبد الباقي الزقاني المصري المنكي (٦) شرحه شرحاً بسيطاً في ثلاثة مجلدات وبموطأ مختصرات كثيرة فمنها مختصر الإمام الخطابي أحمد بن محمد البستي (٧) ومختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشتيق القيرواني (٩) (له بقية)

(الدعوة إلى اعتقاد التار)

أنا ندهو جميع من يطعن على المتن من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكتبوا البنا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما يراون في مصلحة امت أو أوطانها التي تعيش فيها . ولقد اختلفت في نشر كل ما يرسل البنا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي بيناه في خاتمة المجلد ٢١١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراءنا أن يطالبوا كل من يسمون به انتقاداً في المزار بكتابة اعتقاده وأرساله إلى صاحبه ليشره فيه فيطلع قراؤه عليه وعلى ما يقرن به من قبول أو رد وأخذوا بما يرونه حق . وبما أن كل من يدعي أن يكتب انتقاده ويرسله البنا فهو فاسق مقتاب أو حاسد كذاب

١. توفي سنة ٢٣٩ هـ . سنة ٤٦٣ هـ . سنة ٥٢١ هـ . سنة ٥٤٦ هـ . سنة ٩١١ هـ .

٢. سنة ١١٢٧ هـ . سنة ٢٨٨ هـ . سنة ٤٧٤ هـ . سنة ٤٥٦ هـ .

الاتحاد والاقتصاد

كثتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما ، وشرح الكتاب لثواندهما ، ولما يقته الدهاء حقيقة مناهما ، بل لما يحطأ كثر العلماء والزعماء منا خبرا بهما ، لان قته الحقائق واحاطة الخبر لا يحصلان الا بعاول التجارب في المواقف والاصطلاح ببروان الكوارث ، بعد تلقي الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المثار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جئنا أمم ماندعو اليه القراءة في مصر وسائر البلاد ان يخلصوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة غنية تصصرف بمرورها في القيام بهما كما نشاء . بثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بثنا في (الجديدة) في أول العهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يا مصر أحوج) نشرناها أيضا في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المثار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائج قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المقنود ، وقد ذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل الاستقلال الذي يرحي به ويتوقع ، فان الاتحاد اذا لم واقفصت عروته قبل بدو صلاح ثمرته نفقت الشجرة أو خرجت الثمرة شيئا لاغناء فيها ، واذا اتكث ثقله بدمه ، زال أثره بزواله ، فاذا لاستقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولا كان لكل فترة منظمة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد نندي ارتقت اليه البلاد ومثله وجب على الشعب المصري للمتمد أن يظل متمسكا بحبله متمسكا بمروره ولا صبا بعد الذي ظهر من كبره وأمانته ، والا

كان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وهيك به جهلا وأفنا وخسرانا .
 ثم ليعلم علم تدبر أنه لاقوام لاستقلال الامم وحريتها الا بالثروة ، ولاثروة الا
 بالاقتصاد ، وان الاستقلال السياسي ، متوقف على الاستقلال الاقتصادي ، ونحن
 مقصرون في . بيل هذا الاستقلال قصيرا اذا لم نبادر الى تداركه . كنا من المالكين
 ان لكسب والاتفاق علوما وفنونا انهم نطقها في هذا العصر اتساعا عظيما لانها
 قطب الرحي لمدينة الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها وقد برزت بها الامم
 الشمالية الغربية ، فاستمرت أو استعبدت به الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير
 من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاييم الغربية ، أعظم استعدادا بطيعة
 العرق وخاصة الجنس من الشعوب الشرقية ، ويطل هذا القول ، وهو معلوم من
 ان اليهود أرقى أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المتقدمة عليها ، أنها
 وجدوا وحيا حلوا من أقطار الارض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه ، وكذلك
 الشعب الباباني في الشرق الأقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب .

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون
 مقصرين في هذا المعيار ، وهذا القصر أضاءت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها
 بين يرائن الخطر ، ويضم أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي بزاجهم فيها غيرهم ، فان
 كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال يدمم فما ذلك من كسبهم بعلومهم
 وفنونهم وانما ذلك إثربة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،
 فله مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها
 نفقة عليها تراها مقصرة في هذا الاقتباس لجميع من يعيش فيها من الشعوب الادرية
 واليونانيين والسوريين يفتقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي
 ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ ثروة من التذير والضيايع ، بل
 القبط من المصريين يفتقون المسلمين في ذلك عملا وروثهم التسمية تنفق ثروة
 المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم ويسري لاوربيين والسوريين ، بل أكثر
 المسلمين يعتمدون على كتبهم في إدارة ثروتهم ، على أن المسلمين شد سراقا في الاتفاق
 وتبذير الاموال منهم ومن سائر الشعوب التي تعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يدله بأدي الرأي بأن الدين الاسلامي هو
السبب في الامرين . وهذا التليل يضاهي في البطلان تعليل من عساه يقول ان
الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى القرب وسعة عيشهم وشدة سلطتهم وجبروتهم .
والحق أن كلامنا النصارى والمسلمين مخالف لمهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين ،
فلأنجيل مهدي الى المبالغة في الزهد والقناعة والتواضع والخضوع لكل ساطن ، وينص
على أن انني لا يدخل ملكوت السموات والا سلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين
مطالب الروح والجسد كما ينال ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله
تمالي في أوائل سورة النساء (ولا توتروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
جعل طيبا مدام قيام مصالحكم ومراقبتكم وحفظها وثباتها ، وقوله في صفات المؤمنين من
أواخر سورة الفرقان (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)
وهي في وصايا سورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبطائها في الاتفاق وعن التبذير
وسمى المبذرين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أهم اصول الدين وفضائله
وأدابه ، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ماعدا بطلاة يوم السبت وتزيدها عليها .
وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون يخافون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا
كانت فيما أبيع لهم من الزينة والعلقيات ، فكيف اذا كانت في المحرمات ، ولا سيما
الفواحش الثلاث المفسدات لانظره المحرمات للديار — السكر والزينة والقمار — وهم
على هدمهم بذلك لدينهم . يهدون كل ما يبنى من صرح استقلالهم ، وانني لم أروا
أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يسادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة
في الاجتماع البشري كالشعب المصري ، فالمصري أسرع الناس بذلك لا يصل الى يده
من النقد فالتة بمون بالزينة والذات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض بالربا أرضا أو عقارا ، ولا يبالي أكثر الفريتين أن يشتري الشيء بأخذه فتمنه وان
استدان لثن بالربا الفاحش لان النقد احقر الاشياء في نظره . ولذلك ترى أكثر
المصريين على سمة ثروتهم لزراعة رهقين بالدين . فيجب على لزعاء والهدا والطبلاء

وكتاب الصحف أن يتعاونوا على ذلك. هذا الخطر يوسيطي العلم والمال، والاغل المتبحرون منهم كالاجراء للاجانب لان جل ما يفتحون يشرّب الى صناديق المصارف المالية وسائر المرائين وبجوب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار وفجار عروض الزينة والفرف، وببارة أخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية.

ومن الضروري أن يادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد الم في أوروبا لأجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم يجهلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المنتظر يزول ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا. وانني رأيت في الهند معامل عظيمة للنسوجات الالوية—دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد—وبجنيح حال هذه المعامل من الوطنيين الا أنني رأيت في فعمل كبير في بمباي رجلين من الاتكابر وظيفة هما اختيار نقوش النسيج، ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحريتها في التعرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا النلاء الشديد الذي تنط من حمله جميع الامم—الذي كانت الحرب سببا طبيعيا^(١) له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا صناعية وحيا كبيرا—قد بلغ مده الغاية في حده ولم يعد للعمران قبل باحتماله، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقله الايدي العامة لاشتغال ألوف الألوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المستهلكين للاقوات والمصنوعات قد قل عذدهم اذ أهلكت الحرب خمسة وثلاثين مليوناً من البشر منها

(١) القاعدة في الكسبة الى الفيلة فعل وصرحوا باستثناء السليفة فقالوا لندي استعمل مخرجى علماء المقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها بمعنى السليفة

١٢ مليوناً في ميدان القتال على أوسط تقدير، والباقي فيها تولاها عنهم من الازدحام والأمراض والجراحات كما قيل، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر في الشرق لا يحول يتفرجوا على البضائع الأوروبية اليهم، فلابد إذا أن يهبط أثمان البضائع والاقوات هبوطاً عظيماً وبما كان فوق تقدير المقيدين

فواجب على كل عاقل حريص على ماله أن يفتح القاعدة المفعولة التي جريتا نحن عليها وكما نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئاً ما قبل عودة الاسواق الى الاسطر المستقرة إلا اذا كان لا يثق له عه ويبد البحث عن أسماؤه في هذه مواضع ولا يترن أحد بعد اليوم بحمل التيجار بادعاء تنزيل الاثمان موقفاً ودعوتهم الى ما يسوء الفرقة الخطية أو «الكاربون» فإن هذه الفرص ليست بموقفة وأما هم مضطرون الى المبرط بها الى ما دونها فهم يستنون فرصة حاجة الناس الى الشيء والتمهم لقتل قبل المبرط الشديد لئلا يمتنعوا منهم ولم والتم على من يصدقهم بدأ احقق التيجار يتحصن أسواق البضائع بالتدريج ولا سيما المسوجة وظل أغنياء العالمين مصرين على هيب الناس تلك الاسواق الفاحشة بل طمنا على اليقين أن بعض الذين أخلصوا الناس وجوب اهتمام الفرقة بالتمس الوقت من سير البضائع قد زادوا في سعيها بما كتبوا على يدها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمدينة، ولكن قل من يتخذه بعد اليوم هؤلاء القصة للينجتنين الاقلاس والتمر

الجود والاحسان

والقائمة فيما بين نساء الانكليز اليوم ونساء المصطبة (رض)

نشرت جريدة اللينجتنين بضعة أشهر ما يأتي

قال أيد اغنياء لندن محافظاً من ايام والته انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين الف جنيه لانتاء حديقة في لندن تسمى حديقة النصر. وقد وعد هذا المحسن أن يتبرع بكل ثروته وقدره بأكبر من مليون للاعمال الخيرية قبل وفاته واجتمع للوقرة الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستعداد الاكف المساعدة للريالات الدينية الخارجية وطلب الخطباء . قالت الدبلي مايل فاخذت النساء يترن من حين وحينها في السلب والهرطاط الى اديرت على المجتمعين وتبرع كثيرون

بحالات كتبوها بقلم استمارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوادث بالف جنيه وبعضها بثمانية والبعض بخمسة عشرة. وقدر ما اجتمع من الساعات ذات السوار والحلي الاخرى بمئات الجنيهات. وزعت احدى الحاضرات الحلية التي حل حذاثها وتبرعت اخرى بازرار الازلوة التي علي بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين صفيين من الذهب والالاس فزعم ما من أذنبا وكان المجموع الاول ١٧٤٠٠ جنيهه
الاعتبار بهذا الخبر

ذكرنا تبرع نساء الانكبايز بمليين لمساعدة نشر دينهم ماورد في الصحيحين من مثل ذلك من نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم عند البخاري عن ابن عباس (رض) قال أشهد على النبي (ص) انه خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمع النساء فوعظن وأمرهن بالصدقة فجاءت المرأة تلقي القرط والحاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوصف للنساء كان في يوم عبد الغفار . خص النبي فيه النساء بالموعظة بعد الخطبة العامة لظنه انه لم يسمعهن لانهم كن يصلين ويحلمن وراء الرجال وأخرج ابن خزيمة الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب العيدين) عن جابر رضي تفسير سورة الممتحنة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المباينة ثم قال لمن «هل أتتني على ذلك» فاجابته واحدة هنن نعم . ولما أمرهن (ص) بالصدقة قال لمن بلال : «لم لكن» فذا أبي وأمي . فجعلن يلقين الفخ والخواتيم في ثوب بلال ، وزاد في رواية لمسلم الخلاخيل . فأما الاقراط فهي حللي الأذن ولما الفخ وهي جعم فحة الخلق تابس في أصابع اليدين والرجلين .

والمرءة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرنج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا وسيرة الصالح في أمور كثيرة وأهمها حبة الدين والغيرة عليه والبذل في سبيله ومشاركة النساء للرجال في حضور العبادة في المساجد مع الرجال ومع الموعظ والتعاون على المساعدة المالية له . ولا يبعد أن يعود نساؤنا الى شيء هداية دينهم اقتداء بالهنات من نساء الافرنج كما يقلد الكثيرات منهن الميسبات الآن في الامور المتقدمة .

المسحاة

١٣١٥

فجر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون آياتك الذين هداهم الله فآمنوا هم أولو الألباب

بشيء الحكمة من رثاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام مروي « ومثارا » كمنار الطريق »

مصر : مطبع ربيع الآخر ١٣٣٩ - ١٩ الجدي (ش ١) سنة ١٢٩٩ هـ ٩ يناير ١٩٢١

تاريخ فنون الحديث

٢

افراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جملة طريقة غير التي
 ان كانوا يجمعونه بمزجاً باقوال الصحابة وفتاوي التابعين أخذوا يقدرون الجمع
 والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص)
 من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص
 طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسخين لهذه الطريقة
 المثلث شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري لجمع في كتابه للمعهور ما تبين له
 صحته . وكانت الكتب قبله بمزجاً فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر
 فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال الرواة والوقوف على
 سلامته من العلل فان لم يكن من أهل البحث ولم يتفكر عن يتعرف منه درجته
 بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الأمام
 مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خلتها كثيرون
 وان ذلك القرن الثالث لاجل عبور الحديث وأسعدها بخدمة السنة
 فقيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحذاق الناقدين ولله أشرفت
 شمس الكتب السنة التي كادت لا تقلت من صحيح الحديث إلا الغر اليسير
 والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يعتمد المناظرون وعن محياها تنجاب الشبه
 وبضوءها يهتدي الضال ويرد يقينها تلجج الصدور
 وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه، ويبتدئ عصر ترتيبه
 ونهذه ، وتسيره على رواده وتقريبه

وقبل أن تأتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن ننبذ فملا
 نكتشف فيه عن طرقي التصنيف في الحديث حتى تكون في بيضه

طرق التصنيف في الحديث

العلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (أحدهما) التصنيف على الأبواب وهو يخرج به على أحكام الفقه وغيره وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلاً عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما أصبح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كإبي داود والترمذي والنسائي (ثانيتهما) التصنيف على المسانيد وهو أنه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويحمله على حدة وإن اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي في المختارة التي لم تكن أسهل تناولاً ، ومنهم من رتبها على التباين فقدم أبي هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقدم العشرة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصاغر الصحابة سناً وخنم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

= طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الأواصر والنواهي والأخبار والاباحات وأفعال النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة إلى أنواع ، والكشف في كتابه عسر جداً ، وقد رتب به بعض المتأخرين على الأبواب وعمل له الحافظ أبو الفضل العراقي أمراً (٢) وجرد الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولم في جمع الحديث طرق أخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجعل مثلاً حديث «انما الاعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الاطراف وذلك بأن يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيداً أما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة أو مع التقيد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي في أطراف الكتب الخمسة

(١) الصحابي من لم يلق النبي (ص) موثقاً به وملكت على ذلك (٢) ساقى معنى الاطراف

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه ممللاً بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة المثلل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر إرسال بعض ما عدي متصلاً أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الأمور المهمة . والذين صنّفوا في المثلل منهم من رتب كتابه على الأبواب كابن أبي حاتم وهو أحسن لسهولة تقاوله، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فإنه ألف مسنداً ممللاً غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمارة، ويقال إن مسند عليّ منه في خمس مجلدات ويقال أنه كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيعون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ أنه لم يتم مسند مملل قط

هذا وقد جرت عادة أهل الحديث أن ينفردوا بالجمع والتأليف بعض الأبواب والشيوخ والتراجم والطرق

أما الأبواب فقد أفرد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرد البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرد الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على اقتراذه لجمع الاسماعيلي حديث الامم وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعوا ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعوا بعض طرق الأحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب على متعمداً » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

النسائي «١» والمسند الكبير لأحمد بن بن سفيان «٢» والمسند المال لابن بكر البزار «٣» ومسند ابن سنجر «٤» والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة «٥» ولم يؤلف أحمد بن منبه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المديني «٦» ومسند ابن أبي عذرة أحمد بن حازم «٧» ومسند عثمان بن أبي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية وإن أردت زيادة فانظر كشف القانون تجد فيه بعض الحاجة

«تنبية» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة إذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل واحد أبي ما يقع لهم من حديثه صحيحاً كان أو سقيماً ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقاً واستثنى بعض المحدثين منها مسند الامام أحمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحمد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواية الحديث وحملته هو رأس سنة ثمانمائة وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتجميعها وتقدرواها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الأقبلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في تقدمه على ما تقدموا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تتماز في الأكثر بأولية الجمع فيها دون الأخذ عن غيرها وهذا مادعاني إلى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادعجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والوسط للامام سليمان ابن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخه على الحروف أيضاً ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلسان الفارسي (١٠) ترتيباً حسناً وسنن الدارقطني (١١) وصحیح أبي حاتم محمد بن حبان

(١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) سنة ٢٣٤

(٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٧٢١ «١١» سنة ٣٨٦

(المناظر : ج ٢) (١٣) (المجلد الحادي والنشرون)

البستي (١) وصحيح أبي عروبة ياقوب بن اسحاق (٢) وصحيح ابن خزيمة محمد ابن اسحاق (٣) وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤) والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) وصنف الطحاوي (٦) وسند ابن جميع محمد بن أحمد (٧) وسند محمد بن اسحاق (٨) وسند الطوارزي «٩» وسند أبي اسحق ابراهيم بن نصر الرازي «١٠»

وسند لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع فصلاً يرفقه ويبين درجة أحاديثه ومآلقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسند الامام أحمد رضي الله عنه

مسند الامام احمد بن حنبل

مسند الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين ألف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ما ينوف عن ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى أبو موسى المديني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث فقال انظروه فإن كان في المسند والا فليس بحجة. كأن الامام يرى صحة كل ما ساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل ما فيه حجة انما هي صريحة في أن ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثاً من المسند لاحت له فيها سمة الوضع وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر في كتابه (القول المسد في الطب عن المسند) وقال في كتابه تعجيل المنفعة برجال الاربعة ليس في المسند حديث لا أصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويمتدح عنه لانه مما أمر بالضرب عليه فترك سهواً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويعجبني ما قاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة

٣٤٠ (٦) سنة ٣٢١ (٧) سنة ٤٠٢ (٨) سنة ٣١٣ (٩) سنة ٤٣٥

ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط أحمد في المسند أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم راد ابن أحمد زيادات على المسند ضمت إليه وكذا زاد أبو بكر التلمبلي وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعة فعن من لا علم عنده أن ذلك من رواية أحمد في مسنده شرحه واختصاره - شرح المسند أبو الحسن بن عبد الله الهادي السندي (١) نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن أحمد الشجاع الحلبي وسمى مختصره در المنتقد من مسند الامام أحمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملحق النافعي (٢)

الجامع الصحيح المسند للإمام البخاري

وسمى اجمالي له - هو أول كتاب ألف في الصحيح المجرد وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقة ناقله إلى الصحابي المشهور مع كون الاسناد إليه متصلاً غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين) ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يقتل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه . وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الأحاديث بالمكرر ٧٣٩٧ سوى الملققات والمتابعات والموقوفات (٥) وبغير المكرر من المتون الموصولة ٢٦٠٢ ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخر منه ١٥٩ حديثاً فجمع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من الملققات (٥) ١٣٤١ حديثاً وفيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثاً ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقنونات الواردة عن التابعين فمن بعدهم بلحالة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثاً . وإنما جمع في صحيحه الأحاديث المعلقة والموقوفة والمقطوعة وليست

(١) تور سنة ١١٢٩ (٢٢) تور سنة ٨٠٥

(٥) الشيق من الحديث ما كان في مسنده فقط من أوله ثان يقول البخاري عن ابن عمر (رض) عن النبي (ص) كذا والموقوف ما انتهى بيده إلى الصحابي لم يذكر فيه أولاً لشي ولا فلا ولا وصلاً ولا تقريراً - والمقطوع ما انتهى بيده إلى من دون الصحابي لم يذكر فيه وقد سلك على المقطوع موقوف على فلان أي الذي انتهى إليه السند

من موضوع كتابه لانه قد سماه الاستقناس والاستنباط بحسب. ولذلك فابري
سياقها لتتناز

وقد انتقد عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تحريجه
وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتحريجه وهو ٧٨ حديثاً قال الحفاظ ابن حجر
في مقدمة شرحه (فتح الباري على صحيح البخاري): وليست عليها كلها قاعدة
بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مدفع وبعضها الجواب عنه
محتمل واليسير منه في الجواب عنه تمصف، وقد أوضح ذلك الحفاظ مفعلاً في
المقدمة. وقد ضعف الحفاظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن
أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم
وميز صحيحها من ضعيفها فهو بهم أعرف ولهم أخير. وقد روى عن البخاري
جامعه الصحيح نحو من مائة ألف منهم كثير من أئمة الحديث كسم وأبي زرعة
والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنايتهم بالجامع
الصحيح للإمام البخاري فأكثر شارحيه والكاتبين في رجاله والمؤلفين في
أغراضه والمختصرين لكتابيه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف
الغنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحاً للبخاري في مجلدات من السلسلة
والأذكياء من الخلفاء ما بين كامل وناقص، يبدأ منهم من مال إلى الأجمال كالآلام
الخطابي (١) فانه عمل شرحاً سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من آ
التطويل فلم يفاد صغيراً ولا كبيرة مما يتعلق بسنده أو متنه الا كتب عبد
كالامام محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي (٢) فانه شرحه شرح
وافياً سماه «مع الباري بالسيل النسيح البخاري» كل ربع العبادات منه في عشر
مجلداً ان فيه بما لم يسبق اليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصر على ما لا
منه في فهم الاحاديث مع تفصيل أولاده وتذليل شوارده
وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا ما كان الكثرة
أن المحسنين من الشراح احساناً أربعة نفر

الامام بدر الدين محمد بن هارث الزركشي (٣) في (شرح النسيح)

والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد البغلي (٤) في شرحه (عمدة القاري)

«١» توفي سنة ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» سنة ٨٥٥

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوشيح)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «٢» في شرحه (فتح الباري) ولعمري أنه لا مبر أولئك المحسنين فإن شرحه لا يدانيه شرح ولا يخط ببجالة وصف، ولو لم يكن له الا مقدمته لكانت كافية في الاشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد البين العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد ان أكل مقدمته في سنة ٨١٣ وانتهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه ولحمة غليظة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين الا اليسير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الخطوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الاطراف بالاستكتاب واشترى بتحوثلثمائة دينار «مائة وخمسين جنيها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخيم « وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين »

مختصرات الجامع — له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الامام جمال الدين أحمد بن عمر الانصاري القرطبي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي (٥) جرد فيه حديثه من أسانيده وسماه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحا وافيا حسن مديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرقاوي

كثير رجاله — منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الامام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي «٧» و(الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «٨» لجلال الدين بن عمر الباقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ ٥ سنة ٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «٨» سنة ٥٠٠ إبهام الراوي أن لا يذكر اسمه ولا يقبل حديث المجهول ولولا إبهام بلفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٨٢٤ .

الجامع الصحيح للإمام : لمافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد السبعين المشهود لها بعلو الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له أن الحسين بن علي النيسابوري قال : ماتحت أديم السماء أصبح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب ، ولكن الذي لا ينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لأن الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أهم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلاشترط البخاري أن يكون الراوي ثبت له لقاء المروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم بطلاق الماصرة وما أزم به مسلم البخاري من أنه يحتاج الى أن لا يقبل المضمنة (١) أصلا ليس بلأزم لأن الراوي اذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لايجري في روايته احتمال أن لا يكون سمع منه لأنه يلزم من جريانه أن يكون مدلسا والمألة مفروضة في غير المدلس . وأما من حيث العدالة والضبط فلأن من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون ، مع أن الثاني لم يكن من اخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلأن ما انتقد على البخاري من الاحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف الى هذا ما في البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكيمة مما عري منه كتاب مسلم ، هذا الى اتفاق العلماء على أن البخاري كان أجمل من مسلم في العلوم وأعرف بصناعة الحديث مه وإن مسلما تلميذه وخريججه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني : لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء . لكن الانصاف يدفعنا الى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونفي بها سهولة التناول من كتابه إذ جعل لسكل حديث ، وضما واحدا يابيق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة مما يسهل على الطالب النظر في وجوهه واتقنات آثاره وتوليده الثقة بجميع الطرق التي لا حديث

١ المنعنة أن يكون في السند انقطاع عن كمن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة الثقة من هو ارجح منه والاعلال وجود علة خفية فادحة في السند أو الحديث

ولم يحم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة
وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر
٢٢٧٥ حديثاً

شروحه شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف القانون
نحو خمسة عشر شراح من أشهرها المنهاج لحافظ الامام أبي زكريا يحيى بن شرف
النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح
كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، وإكمال الملم للامام أبي عبد الله محمد
بن خليفة الابن المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض
والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب
التسلائي الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ
علي القاري المروزي زيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لآحمد بن عمر
القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المذوري «٧» ومختصر
زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي «٨» وهو
كبير في أربع مجلدات ولأبي بكر أحمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في أسماء
رجال مسلم

تصحیح غلط فی الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ ص ٧ من الجزء الاول جملة والعزوب هكذا
(فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان
الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات بتمامها ولا الترتيب بينها . وفي تلك الفاتحة
آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالقرينة ووضع
لبعض علامات الوقف في غير موضعها سهوا

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣

«٥» سنة ١٠١٩ «٦» سنة ٦٥٦ «٧» سنة ٦٥٣ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحتنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشركين خاصة إذ لا يسع الناس عادة، ونشتره على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز له اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء - واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا ، ولأن معنى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الاقتداء في الصلاة بمنخذي الوسطاء والسمعاء عند الله ﴾

(وما يتبع ذلك في حفيضة الاسلام والارتداء عنه)

(س٢) جاء هذا السؤال من جماعة الموحدين في (ديياط) ومعه عنوان واحد منهم لجيبه فرأينا أنه يجب نشره والجواب عنه في المنار وهو :

حضرة صاحب النصيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب إدارة المنار العامرة

نحية اخلاص نحدوها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقتنا لا تنحصر بغير عالميتكم لسمعة اطلاعها بنور الاله الواحد الهادي الى انصراف المستقيم سيما في مسائل الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها . رجوناكم للسؤال الآتي وهو (عل تصح الصلاة خلف منخذي الشفاء والوسطاء من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح) وفي الحاشية ناهج جميعا بشكر الرجاء ونردده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يرضى الأستاذ الامام على طائفة قلب وجهها في السماء لمخاطبة الجواب على هذا السؤال واقفاً . هذا . يمكن الأستاذ لأمام نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشرق . المنة . وما وجدنا والا فربوه جميعاً أن لا نعلم من نارد بالعنوان طيه ولكم من الله تعالى اشكر والاجر ان شاء الله والسلام الموحدون بديياط

(ج) الظاهر أن السائلين يعنون بمخذلي الشفاعة والوسطاء عند الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويبدون من دون مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانهم يرتابون في الاقدام بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لانهم يأتونه عن جهل ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم يؤمنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عنه خاتم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. وإيمانهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعصون رضاءه ويحجون بيت الله من استطاع منهم الى سبيل. فوضع الاشكال على هذا ما يصدرونه من العبادة الشركية انبهر الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها وبيعض الثياب والجلد لشفاء الامراض وتفريج الكرب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنافية للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يبد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد — هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كما يقول المتكلمون والفتاوى أم هي مما يخفى على غير العلماء الاعلام، العارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام ، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها معذورا واسلامه وما يترب عليه من الاعمال صحيحا ؟ ثم اذا كان أس الدين مما يعذر جاهله وهو توحيد العبادة واخلصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو غنها ولياها فاي قاعدة من قواعد أو ركن من أركانه البنية هل هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو المتأول لها ؟ واين اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يتبد بشئ منها بدونه مع سائر اصول الايمان القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ؟

انا نعلم بالاختبار اللدقيق ان كثيرا ممن يدعون غير الله تعالى يجهلون كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركين لاركان الاسلام كلها أو بعضها والمرتبكين لكبائر الانهم والفواحش المصيرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي ، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر ، ومنهم من اعتاد بعض الاعمال الدينية المشروعة (المنازع : ج ٢) (١٤) (المجلد الحادي والعشرون)

والمبتدعة اعتقادا ولكنه لا يعرف الخشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر أصحابها. أو نحوها مما يظلمون تعظيم عبادة وتدين وإن لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء وأولئك الذين يدهنون هؤلاء المؤمنين خاشعين معتقدين أنهم يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسعى دعاءه توسلا واستشفاء ولا سيما إذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاها القرآن عن مشركي العرب ولم يستدع بايمانهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يمدون هذا تأولا للذعنون للامر والهي المتأمنون للفرائض المتأمنون من المعاصي وفهم وقم الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول المعلن فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان معروفا عند سلف الامة أهل الحق .

واننا نحمد الجواب التفصيلي الشافي ثم هذا نراه ضروريا فنقول
(١) ان قواعد العقائد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفروعية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكلف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرفه ومن ذلك الجهد سؤال الدارين واستفتاء المتقين فيما يشكل عليه من ذلك إلى أن يهتدي إلى الحكم المنطبق على الواقعة — فهذا اجتهاد عملي يطالب به العوام كالعلماء كالا جتهاد في القبلية في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المجازيب المتواترة. وان لاحوال الزمان والمكان تأثيرا عظيما في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يستذكرون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار ودعائها النوازل ذلك فحملوا المباح محظورا كالبدع في العادات والمأثور والازياء وكما كتب بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتب في تحريم بعض هذه المستحدثات في أول العهد بظهورها كالأحذية الشائنة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكناثر والاساتيك ومنها ما يسميه الغربان (البوتن) وإذا شاعت المنكرات الدينية وعمت نصير عند الجمهور كالمباحات بل يجعلون بعضها في عداد السننات والشاثر الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

التي يقطنها المسلمون بل صار كثير من المحظورات المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المذبح كالزنا وشرب الخمر. فزيميش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الاعمال على اقواعد الاحكام الشرعية كن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثال هذه المنكرات فشيئاً مألوفاً ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند الى نص من كتب الفقه المعتبرة، لذلك ينقل من بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مصر لا يكفر التلوك لجميع أركان الاسلام والاستييج لا كبر الفواحش بالاصرار على المجاهرة بها بلا بالالة (٢) قد اختلف مصنفو الكتب الكلامية والفقهية اختلافاً واسم النطاق في مسائل الكفر والردة من حيث الادلة ومن حيث تطبيقها على الاعمال والناس وناهيك بشديد من ناطوا هذه المسائل بالوازم القرية والبعيدة للاحكام القطعية أو الظنية القوية كن كفروا من حقراً أو قل أو فعل ما ينافي احترام كتاب شرعي أو فوضى شرعية بالالتقاء على الارض أو القول بطلان الفتوى أو عدم قبولها اذ عدوا ان اهانة الفقيه أو فناء أو الكتاب يستلزم اهانة الشرع وان عدم الاعتراف بالافتوى يستلزم رفض الشرع والدين ، وقد يعدون من الاهانة وعدم الاحترام ما ليس به في الواقع أو في عرف الفاعل وقصده . ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تعانيف المتأخرين منها من الاقوال التي لا يمكن اثباته شرعاً وفي بعضها تأييد البدع المخلة بأصول الدين وفروعه (٣) قد وقع من جراء ما ذكرناه ونشكو منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الاعمال المجردة لاحد المتدين الى طريق المنصوفة الغارقين في البدع على كتابة رد على قولي لشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي انكرها الشيخ بالدليل ديناً متبعاً وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيفة فيستدل بها على فرض دلائلها على ما ذكر - ونشر رد الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألوف من الناس وسكت علماء الازهر على ذلك الى ان انكروه على المنصوفي بعض أهل النيرة من الاسكندرية كما عني ذلك من جزء المنار الماضي ذلك : أن شيخ الازهر - وإن كان رئيس علماء الدين في الازهر - من المعاهد التعليمية الديني في هذا القطر - ليس له رئاسة دينية مطاعة عند المسلمين فيما يأمر به بل هو يفتيهم

عنه أو يفتي به وإن وافق الحق لاشرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال مشيخة الأزهر نشر الدين بقلبين عقائده وآدابه وأحكامه لعامة المسلمين المكافئين بطريقة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الأعظم قد تاقى دينه عن مصدر واحد موثوق به بحيث نجزم بأن كل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة في صدر الإسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الأصول والفروع بأن من جحد شيئاً مجمماً عليه من هذه المعلومات يكون كافراً . بل نعلم بالاختيار أن السواد الأعظم من المسلمين في هذه البلاد أميون وأن المتأخرين في قديم المهادد الدينية من الأهلالي أكثر من المتعلمين فيها ، فأما الأميون فأكثرتهم لم يتلق عقيدته من عالم ولا تعلم بل يسمع بعضهم من بعض أقوالاً وأمثالاً وحكايات بعضها من عقائد الإيمان وبعضها من أخايل أهل الكفر وخرافات أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدينية فكثير منهم تعلموا في مدارس دعة النصرانية التي انشئت نحو يلوهم عن دينهم ، ومنهم من تعلموا في مدارس الحكومة وغيرها أو في أروبة ، وجميع المدارس الدينية حيث فيها من التعاليم ما ينافي الدين أو يوقم الرب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة تتقن المذهب فيها أصول دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الأخرى . أما المتعلمون في الأزهر وما يقرب منه الماهد فأكثرتهم يجي من بلاد الأرياف ومزارعها متشبهاً بما عليه الروام من الخرافات والادهام فخر عليه السنين وهو يعالج مبادئ النحو والفقه التي لا تزرع من نفسه شيئاً من الخرافات والبدع التي عرفها وألفها ثم يحضر دروس العقائد المعروفة في هذه المهادد وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية جافة فيما يجب اعتقاده في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر تحرك الشبهات ولا تكاد تزيد مدارسها إيماناً ولا عملاً صالحاً ولا تميزاً للبدع من السنن ولا توفيقاً في طلب رضوان الله وترهيا من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم لما ابتدع بمدح كقول الجوهرة

وكل خبر في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

ولكن لم يذكر في شروطهم وحواشيم عليها خلاصة ما حوت دولوين السنة من أحاديث الاعتصام وآثار الصحابة فيه ولا ما ورد من السلف من اجتناب البدع

والزجر عنها ، بل لا تخلو أمثال هذه الشروح والحواشي بما يخالف السنن ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الأزهر في هذه الأيام بما في بعضها من قولهم إن داه من أسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوي أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع البتور على قبور الصالحين قياسا على صخر الكعبة والهاطل بهذا ليس من أهل القياس الأصولي الاجتهادي إلا أن يكون القياس الشيطاني القدي يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويبنى باقتضاها صروح البدعة ، فقد صحت الأحاديث بمحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولعن الذين إذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً ، ومقتضى هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) ومقتضى هذه الفتوى أيضا أن الطواف بثلث القبور وتقبيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة غير الله تعالى وهل كان الشرك الذي يمت جميع الرسل لهدمه الا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين بدعائهم والخلو في تعظيمهم بما لم يأذن به الله وتغليب ما رضع للتذكير بهم من صور ونماثيل وقبور ؟

(٤) لقد كان مثار كل هذه الفوضى والضلالات ماتم التقليد والذهب من جمل جماهير الناس كل أدون في دة ديننا يقبع ولا سيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته إذا كان منتبها الى بعض طرق المتصوفة . التقليد نفسه يختلف فيه عند الأصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منعه في الامور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال انه لا يعتد بإيمان المتلد وان وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهره في أول عقيدته بقوله

اذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من تردد
فيه بعض القوم يحكي الخلقا وبعضهم حقق فيه الكشف
فقال أن يجوز بقول الذير كفى والا لم يزل في الضير

وناهيك بحال الختلف في إيمانه والباذ بالله تعالى . والتقليد الذي اجازه من اجازته منهم وأوجب صاحب الجوهره هذا قصرا اياه على الاثمة الاربعه المشهورين في الفقه وابي القاسم الجليل من الصوفية — اقتبانا منه على الشرع — وهو التقليد في فروع الاعمال ، انما

كانوا يعنون به تقليد العاجز من معرفة الحكم المجتهد، ونوق به عنده بأخذه منه الحكم بدون دليل، وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو لجاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كأكثر هؤلاء المتأخرين الذين لم ينووا قط بالنظر في أدلة الاحكام وإنما ناكفهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الأحيان، وأكثر نقل المتأخرين عن قريبي المذهبهم ولا يكاد أحد منهم ينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل التخرج والاجتهاد في مذاهبيهم، بل جعلوا الفقهاء طبقات وأصلها بعضهم إلى ست ويقول مثل ابن عابدين الشهير أنه من السادسة وأهلها الأمرى النقل يعني عن قبلهم لا من الكتاب والسنة، ولا من نصوص الأئمة، وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب مادونها عما فوقها، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عند الله ليستفي به البشر خمسة هي سادستها. وقد ضرب الامام الغزالي مثلا جليلا ضوء الشمس يدخل من نافذة يقع على مرآة وينعكس عنها على جدار مقابل لها ثم ينعكس عنه إلى جدار ثان مقابل له ثم ينعكس عنه إلى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل للباب إلى جدار رابع في حجرتة مقابل له - فالنور الذي يقع على المرآة مثل لصوص الكتاب والسنة عند المحدثين به من الأئمة المجتهدين وقبرهم من السابق لأن الله تعالى شرع دينه وجعل كتابه نبييا ناعاما لا خاصا بالأئمة وإنما الأئمة أقوى فيها وأوسع علما وأهدى سبيلا في الاهتداء به وتعليمه الناس - والنور المنعكس عن المرآة على الجدار الأول مثل العلم الذي يتلقاه الناس عن الأئمة الذين تلقوا العلم من الله تعالى - ومن يشرحون له ما فهم وما يستنبط منها فهو نور قديم قديم في كتابه ما تواتر به آفته من دونه ما ينعكس عن هذا النور على الجدار الثاني وهو ما فهمه المحدث من بعض ولا تفتيش بها الاشياء بجلاء تعرف به حقيقة نوصية لهم في كل شيء وتخفى وإيقع فيها الاشتباه (يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم نور ولينور ليكن نوراً مبدئياً - فالذين آمنوا بالله واعتصموا به فقد غلبوا في حجة الله واصل رسوله واليه مرجعهم فيها) (د) يشبهه على أكثر الأمور ما يشبهه في قوله تعالى علم من الله من أهله ومن أخذ بعضهم بقول الامام بدون معرفة دلائله وبين ما خصه بالعلم من التقليد

الاعنى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قاب بعض المقلدين الوضع وعكس القضية فجعلوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة واجبة زعمهم أنه يدفع مفسدة الفوضى في الدين بادهاء الكثيرين للاجتهاد وأتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقفال باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقيد من ليس أهلاً للاجتهاد وأتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهدهم وقلت مذاهبهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكروها واقعة لا ريب فيها وإنما كان سببها ماسمونه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف ونزاع اليهما كما أمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس بمنه ان يكون كل مهتد بهما إماماً أهلاً لاستنباط أي حكم شرعي احتجج اليه منهما فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجماعات ولا الافراد منهم يلتزمون تقليد فرد معين من علمائهم، وإنما كانوا كلهم عالمين بالضرورة من الدين ومتفاوتين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم مالا يملكه في نازلة وقت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأل عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنة يقتونهم بالنصوص ان وجدت والا فبما يستنبطون منها

وأما عوام الخلف الذين حبل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبينهم عليه الصلاة والسلام بنسبها اجتهاداً يعجز عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعنى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من ينتمي الى العلم أو يدعيه والى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا حرجاً كتب المتسويين الى مذاهبهم في الفقه أو الكلام أو التصوف وناهيك بكتب المشهورين منهم مهما يكن حجب شهرتهم ومن اختبر المسلمين في لاقطار المختلفة اختباراً صحيحاً يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وإنما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المقلدين المتعدين اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الخبر منها من الخطأ والغلط والنلط كما أشرنا اليه آنفاً، وبآلتهم مع هذا يعرفون ما في الكتب

المتبعة في مذاهبهم ويميلون بما صح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ، كلا
 أن أكثر العوام يقلد بعضهم بعضاً في الدين وآدابه وعباداته فملا وتركاً كما عدت ، ولا
 يوجد واحد في المئة ولا في الألف منهم تلقى دينه عن أحد من المستحقين لعلم الدين على
 ما وصفتنا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الأئمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب
 والسنة ، ولو كانوا متبعين لأولئك الأئمة الكرام لعملوا أكبر مهمهم تذكير الناس وتعليمهم
 بالكتاب والسنة وأرجاع كل أمر اليهما وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تقل
 ونموت البدع أو تنصف ، وأقوال المؤلفين المنسوبين الى المذهب ليس لها من الآثار
 على القلوب والافئاع في العقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم
 متعارض لكثيرتهم فإذا حاججت امرأة بقول مؤلف منهم حاجتك بقول آخر بمنه كما
 يحتاج بعض المنسوبين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الأزهر بقول كاذبة خاطئة
 وجدها في بعض كتبهم فيما ابتدئوه من التمسك بما يسووناهم الصدر ، وهو اخراجهم
 من صدرهم صوتاً مشتملاً على الخرفين الذين يخرجهما أقصى الخلق (أ هـ)

بل أقول أن فقال باب الاهتداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بهما قد فتح
 أبواب الزندقة والنور في الدين لا باب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط ، وأوسع هذه
 الابواب اثنا عشر الباب المادية وتبذع بعض الدجالين المتبعين الى التصوف المدعين أنهم
 عرفوا الحقيقة أو تبعوا من عرفها بالكشف ، وناهيك بطائفة البكتاشية والملة البالية والبهائية
 من أهل هذا الزمان كسلفهم الباطنية من الاسماعيلية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة
 جاءت من ابتداع تلقى الدين عن ينسب الى المذاهب المعروفة والاحد بما يقوله
 أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير أن يكون تلقيناً للكتاب والسنة ونفسهم
 لما يحتاج الى تفسير منها وجمال هذا التلقين هو الاصل وما قد يحتاج اليه من فتوى
 اجتهدية في نازلة جزئية فرعاً لا بدعي اليه ولا يحمل سنة متبعة وشريعة ثابتة ولا
 يحمل من خاتمه الى غيره مبتدعاً ولا فاسقاً ، ولو فعلوا هذا واستمعوا عليه بما قاله
 أهل العلم بالتفسير والحديث لما قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أنزله الله
 اليها ولا تقل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من يمد من المومنين
 والمؤلفين ، هما تكن أقوالهم ومصادرهما ، وليس هذا هو الاجتهاد المطلق الذي أقفلوا به

(٧) من هذا الدين - وإن كان أصله كتاب الله تعالى وما بينه به رسوله في أنه له وفاته وأحكامه - يتوقف فهم الحقائق على معرفة سيرة السلف الصالحين من جمهور الصحابة والتابعين وحفظ السنة وعلى التزامهم في القرون الثلاثة التي هي خير أفرس ، ذلك بأن نصوص القرآن والأحاديث تحمل المعاني المختلفة بفساد المجازات والكليات فيه، فرض الناس فيها من التأويل ما ليس مراداً للشارع ، وإنما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لأنهم أعلم بالسنة القرآن والحديث التي هي صليقة لهم ، ولما أعدتهم أعمال الرسول (ص) ودورهم على أحكامه في بيانه ، ولذلك قال علي كرم الله وجهه لا شيء من (ص) من أرسله للحجة انطوارج : أحلهم على السنة فان آمنوا ذوو وجوه ، والمراد من السنة معناها اللغوي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته المتبعة من بعده فتم العمل لا يثبت التأويل بل لا يثبت كلامه ، وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد نهى بعض الخوارج بعضاً عن محاجة ابن عباس بالقرآن بحجة أنه من قرين الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يغلب في الحاجة والمحاجة لأنه ألحن بالحجة وأبرع في بحل القلب في الخصومة ، لأنه صاحب الحق بما يثبت به من البرهان ، على أن تقوم كانوا مستدلين ، وفيما أخطأوا فيه متأولين ، وما قالوه هو تكلف المقلدين ، الذين يعدلون أنفسهم في الإصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بمهلهم وحق خصمهم وخلاشه في القول ، فالجهل غدر الجاهل الماروف والمعترف بجهله وعجزه ، لا المستدل الذي يتأفح من دعواه بسيفه وروحته ،

وعلماء المذاهب التي يدعي الناس اتباعها يقولون إن الجهل عذر في المسائل التي من شأنها أن تخفى على العامة وإن كانت مجما عليها أكثرت بنت الابن مع بنت الصلب السدس تكله لاثنتين الذي جعله الله تعالى في الكلاله فوضا لاثنتين ، ولا يجمعونه هذا لاحد في المسائل المعلومه من الدين بالضرورة قولوا لا اذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاطئ جبل ، وهذا مبني على أن معاشره المسلمين كافيه لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في البب ذات والحلال والحرام وذلك كاف في صحة اسلام من يعرفه معرفة اذعان وإن جهل جميع المسائل الاجتهادية والنسب عن الخطبة المجمع عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها؟ على أنه لا بد أن يعرف الكثير منها

ولما قل العلماء ذلك القول كانت مباشرة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قالوا، ثم تغير الزمان، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام، ويعترف بذلك خباياهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة، يقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ولا من القرآن الا رسمه « ويقولهم « صار المعروف منكرا والمنكر معروفا » وهذا القول حق واقع، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع، وقد كان من أثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المومنين منهم لا يعانقون بدين أحد الا المعتمدين بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الامة، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك وإلى ترك البدع الناشئة، حينئذ يذبذونه بلقب وهابي أو عدو الامة المجتهدين، وأولياء الله المقربين، فلجبال قد اتخذوا من أمم الامة والصالحين الذين هم اعداؤهم ساهما مسدومة يرمون بها أوليهم والمتبعين لهم في الحقيقة لانهم يرتدون بالكتاب والسنة مثلهم، — فالكتاب والسنة ليسا حجة عندهم ولا هداية لهم بل هما يردان بقول كل من الف كتابا كتب في طرته نه السلامة فلان الفلاني مذهبنا، والفلاني طريقة أو مشربا، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما وضع من المنار، وهذا من الخياري الذي يعد من أغرب جهل البشر، وللأسف الذي يمثل منتهى فساد العقول وفطرته يتبرأ منه ومن أهله أئمة الاثر والفقه والتصوير، ولما بدلائل مذاهبهم وطرقهم - وهو ليس من التقليد الذي أجازوه بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خيبر القرون لا يعلمون هامة الامة الا ما نزل الله تعالى اليها وما بينه به رسولها، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها وانما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة وبحل القضايا ونوازل الفتوى في الوقائع. ومن قواعد الاصول عندهم هدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسألة وانه لا حاجة في كلام أحد غير المصوم وهم مجمعون على ان الأئمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وانما قال بعض الشيعة بعبارة نفروا عن من أئمة آل البيت

وجميع هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في الدار المحيية والديار الدائمة به كما تقدم ويحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وسيرتهم

و يستدلون به على لا بدع في الدين كما يستدلون بالنصوص - فنحن إذا محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونسبته اليه نرد ما خالفه ولا سيما ما انفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذاً أو ضعف الرواية أو الدلالة، ولكننا نعذر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الاثمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وإن لم يعرف دليله

ثبت بالفعل والنقل والاختيار ان العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بها والفوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بياناً للرداد بها من القول مهما يكن فصيحاً جليلاً فكلام الله أفصح الكلام وبلغه ومعنى هذا انه أعلاه بياناً وقناعاً وتأثيراً ومع هذا كان بعض الصحابة يخطئ في فهم بعض احكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من تمسك منهم في التراب كاتمهك الدابة لانه فهم أن التيمم عن الجنابة يجب أن يمتاز عن تيمم الحدث وكما أخطأ من ربط في رحله عقلاً أبيض وعقلاً أسود لينبين بالتمييز بينهما طلوع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رسوله (ص) ميثاً لك: به على وصفه اياه بأنه بيان للناس وتبيان لكل شيء - ونور مبين، وتبيين الر - ول (ص) بأمانته وأحكامه وفناويه في النوازل أقوى وأظهر من تبيينه بأقواله وإن أن في حد النبوة جوامع السلام وصار أفصح من نطق بالضاد لان أقواله ذات وجود تحتل النوازل كقالت الامام علي المرتضى في الكتاب العزيز بل هي أولى، وتختلف فيها ذمها - كما تختلف الصحابة رضي الله عنهم في أمره اياهم بان لا يصلوا العصر الا في بني قريظة ففهم بعضهم ان المراد عدم التأخير عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فصاروا في الطريق ولم يتأخروا، وحر الآخرون لامرهم على طهره ولان العمل أبست على القدوة والاتباع، ذلك ثبت بالفعل والتجربة، وأظهر وقائمه في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحال من عندهم عقب صاحب الخديوية كرد الامر بالقول ثلاثاً ولم يثبتوا فاعلم عليه الصلاة والسلام وكانت زوجته أم سادة رضي الله عنها معه فذكر لها ذلك فسئلت رآها في نفسه فأشارت عليه بأن يخرج اليهم، لا يكلم أحداً حتى يتبع من مريد بعد خديبه وحق رأسه ففعل فقبمه - من - مريدين ولم يقع لهذا نظير منه.

فعلم من هذا أن أحكام الدين لم يبين تمام التبيين لا بالبدعة العملية ولا بالصحة

أنفسهم كانوا محتاجين إليها وكان يختلف اجتهادهم في الأقوال إذا لم يتبين بها . بل كان منهم من تأول النص المريب في مقام الخصومة انتصار لنفسه ودفعاً عنها كما تأول معاوية حديث عمار تقتله الباغية فقال : إنما قتله من أخرجه . فرد أمير المؤمنين علي . هذا القول حين بلغه بأن يقتضي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزه أي وجميع من قتل معه في بدر واحد وسائر الفزوات — فاتبين من أعمال الدين بالسنن المتبعة فملا وتركافوه الذي لا يسمع أحد مخالفته ولا يعذره وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الأفهام والتأويل مع الاعتقاد وحسن النية وقد حدث بعد النبي (ص) بن الأحداث والوقائع ما لم يكن في عصره وخلف الاجتهاد في أحكامها من حيث تحقيق المناط وفتح المناط أي من حيث الاستدلال على الحكم ومن حيث تطبيقه على الوقائع بالعمل والتعاذة الأصولية في اجتماع الأفراد من الصحابة وغيرهم أنه ليس حجة في الدين وإنما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجبرون للماجزين الاجتماع فيما يمرض له مما لا نص فيه أن يأخذ باجتهاد من يثق به من المجتهدين . وأما إجماع الصحابة فهو حجة عند جميع الأئمة والإمام أحمد لا يحتاج بإجماع غيرهم وكان الإمام مالك يحتاج بإجماع أهل المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين وأنه يظهر هذا في أشعائر السنن الصالحة المتبعة لا فيما سبله الاجتهاد . وجملة القول إن الله تعالى اكمل الدين بكتابه وبيان رسوله وكان أهل الصدر الأول من السلف الصالح هم الذين حملوا البناء هذا الدين كما سمعوه ووعوه بالقول والعمل ، فمرفته متوقفة على معرفة روايتهم له وسيرتهم في العمل به ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وسياسة وقضاء كان في عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على أكل الوجوه ، بل قل بعض علماء الأصول إن إجماع الخلفاء الأربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث العرابض بن سارية مرفوعاً « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد »^(١) وأنه من يعيش منكم

(١) وفي رواية « ولو عبد أحبناً » وهذا في الأمراء والحكام الذين يوليهم الإمام الأئمة فلا يتأني أحاديث حصر لا تثبت في قريب كما نقله الحافظ ابن رجب وغيره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعاً :-

فبيري اختلافا كثيرا فليكن بيني وبينه طائفة الراشدين من بعدي عنوا عليها بالواجب ، وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ، وفي رواية « فإن كل عودة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرها من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الأربعين . بل ذهب بعضهم إلى الاحتجاج بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وببعضهم بالاحتجاج بما سنده عمر أي من في خلافة لما ورد في ذلك وليان وجه هذا مكان آخر يعلم منه أنه ليس على إطلاقه حتى عند القائلين به . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الإمام مالك أنه قال : قال عمر بن عبد العزيز : من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة الأمر من بعده صفنا الآخر بها اهتمام بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لأحد تبديها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خلفها . فمن اهتدى بها فهو المهتدي ومن استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما ولي وأصله جهنم وساتر مصيرا (قال) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنه قال : أعجبني عزم عمر ذلك - يعني هذا الكلام . وروى عبد الرحمن بن مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر أم ويجمع بين الروایتين بأن ما كان يرويه تارة وقوله تارة مقرر له في نفسه على غير طريق الرواية - فعمل بهود الصحابة والتابعين وصابة الخلفاء الأربعة الراشدين وقضاؤهم وأدبهم للأمور إلا .

« وموقوفاً » وإن أمرت قريش فيكم عبداً حبشياً فاسموا له واسموا .
 وذهب بعض العلماء أنه إنما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وار
 يصح وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجداً ولو كفتحه فتاة بنى الله له بيتاً في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس .
 صحيح ويستحيل أن يكون المسجد كمنخفض القنطرة وهو المكان الذي تتخذ
 رجلها وتبيض فيه . والامة مجمعة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر
 هنا لا يجوز أن يكون الامام الاعظم صاحب الولاية العامة على المسلمين ،
 أن يلي مدون دلت من ولاية الأمر . وان احتسب أن في هذا الحديث وما
 معناه إشارة إلى مكان في الامة لعمده من ولاية العبيد والماليك

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الاهواء والثوار الخارجين على أئمة الحق والعدل كل ذلك نبراس نهتدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا اليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول الى مشاهدة أفعاله وسماع احكامه والوقوف على قضائه وسيرته في الحرب والسلم وسنين ان شاء الله تعالى مزية كل خليفة من الاربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمارهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات — والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم ان ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية مزوج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وفشو الفواحش وكثرة الشبهات الا في بلاد قليلة فعاثرة المسلمين لا يمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والرفقة في الاسلام وإن نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فإكان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات ، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة العترة ورواة الآثار، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وجملته وكتبه

(٢) ان دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينته من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتن واحداث البدع وفي أثنائها ، وجملته الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الاول وميترو صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس طرق فهم النصوص والاستنباط منها. فأأجموعا عليه من أمر الدين فهو الذي لا يسع مسلما تركه ، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) أي مآلا وعاقبة. والرد في الامور العامة منوط بأولي الامر، وفي الوقائع الخاصة بمثل كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يفتيه به من يثق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما
 عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم للنصوص ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأول اذا علمنا من حثه انه مؤمن بأن كل ما جاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مذعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ نعامله معاملة المسلمين في الصلاة منه وفي أحكام النكاح والارث وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفة ابتداعا أو فسقه اذا كانت فسقا، مهتدين في ذلك بما كان أهل الصدر الاول يماثلون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضعفاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والخوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وانما نعذر من يفهم بعض آياته فهما مخالفا لفهم السلف مع التسليم والاذعان النفسي لكل ما فيه ولو يحجب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يمتدح هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الاحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مضمونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، ورد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا بدرء الحدود بالشبهات، وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة
 بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جمل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد المجمع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجول عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والعملي لاحكامه وهو فرع العلم بها ولذلك سرحوا بان من نشأ في شاق جيل أو كان حديث عهد بالاسلام يعذر حتى يجعده المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوما عنده ولم يعدقوا

الناس بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطهم بهم بعد الاسلام اذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليقص من الجحد مثلاً. وقد بينا في المقدمات ان معاشر المسلمين في اكثر البلاد الاسلامية في هذه الازمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الاسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وانما يعلم اسلام المرء باذعانه وخضوعه لما علم انه من الاسلام، ومن كان هكذا فملاجه ما يجهله تعليمه واقامة الحجة عليه. وقد جربنا هذا العلاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والالوهام، فالسليم الفطرة ذو الجهل البسيط يشفي بسرعة عجبية وانما يمسر شفاء أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من فثور الكلام والفقه وتأويلات أدياء الفقه والتصرف فهم يردون بها الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضرع الاسلام ولا علاج له الا الا بناء التعليم الاسلامي في مدارسه وغيرها على التفسير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ماتقدم تقريره في ذلك

معاملة المستدعة والمنافقين والفاسقين

(هـ) اتنا على كوننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلاً أو متأولاً نخطأ لديننا فيمن نعلم بالاخبار الشخصي انهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو تحدث الفتن بين المسلمين فقد كان الذي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة كخديفة بن الحيمان يعرفون بعض المنافقين باعينهم ولا يحبونهم بذلك ولا يجربون الناس به رجاء أن يسلحوا ويوقنوا بطول معاشرتهم المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأئمة الجار من بني أمية وعالمهم، والاسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الخوارج ومعاوية وأنصاره. وانني على هذا لا أصلي مقتدياً بمن أعلم باحتباري الشخصي أنه مشرك أو كافر بنير الشرك وان كان يظهر الاسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة الا اذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما عندي من

الجواب عن سؤال الموحدين في دميانه كثرهم الله تعالى وبرك فيهم وانني أتبع هذا بيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أمر الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الأهواء وغيرهم ثم امسى عليها بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يهتدي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه،

نرح قاعدة « لأنكفر أحدا من أهل القبلة بذهب »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لأنهم يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليتبرزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيقا نفيسا مطولا فيها ذكره في صياق تخطئة الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان أن الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب أن يقصد به بيان الحق . وهداية الخلق دون التشفي والانتقام . وذكر أن الكلام في هذا مبني على مسألتين و بين ذلك بما نصه :

(أحدهما) أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا تحظية في النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) أن المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفتق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المنازل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كذروا المخطئين فيها . وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة ك بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يسلكون في التكفير ذلك ففهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا بمنته قول الخوارج والمعتزلة والجهمية . وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة ولا غيرهم وإيس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المتقوليات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحدكم أنه كفر من قل بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل^(١) قال ثبت الكفر في حق الشخص المعلن كشبه الوعيد في التحرر في (١) لعل الأصل ولو مع الجهل والتأويل

الاسلام على جملهم من أمه ولم يقتل اثمهم بخلافون في النار

قل الامام محمد بن نصر المروزي وقد ولي علي رضي الله عنه قال اهل النبي مروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قسم ما روى وسام مؤمنين وحكم فيهم بالحكم
 المؤمنين وكذلك عمار بن ياسر، وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه
 حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلب عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق
 ابن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتل اهل التبروان قيل له اشركون
 أم قال من الشرك قروا قيل نعم قرون قال لا تقولوا لا يذكرون الله لا قبيلا قبيلا
 فقام قال قوم يتروا علينا قد نكاهم، وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه

وكيع من مسمر عن عامر بن شقيب عن أبي وائل قل قل رجل : من دعي إلى البغلة
الشبهة يوم قتل المشركون ؟ فقال علي من الشرك فروا قل المناقون . قال ان المناقين
لا يذكرون الله الا قليلا ، قال فاهم ؟ قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم فقتلناهم .
قال اسحق حدثنا وكيع عن أبي خاله عن حكيم بن جابر قال قالوا لعلي حين قتل
أهل النهران أشركون هم ؟ قال من الشرك فروا ، قيل فمناقون ؟ قال المناقون
لا يذكرون الله الا قليلا . قيل فاهم ؟ قال قوم حاربونا فغاربناهم وقاتلونا فقاتلناهم
(قلت) الحديث الاول وهذا الحديث ضريحان في ان عليا قال هذا القول في
الطوارج الحروية أهل النهران الذين استفاضت الاحاديث الصحيحة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بتألمهم ، وهم يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما
فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر ، فانما دار الاسلام هدم هي
دارهم . قل الاشعري وغيره : اجمت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي
الله عنه ومع هذا علي قتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا عند الله بن خباب وطلب علي
منهم قاتله ، فقالوا كنا قتله وأغاروا على ماشية فقتلوا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلونا
فقاتلناهم وحاربونا فغاربناهم ، وقال قوم بغوا علينا فقاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بدمهم على قتال هؤلاء فانهم بذاة على جميع المسلمين
سوى من واقفهم على مذمبهم . وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يندفم شرهم الا
بالقتال فكانوا أضر على المسلمين من قطاع الطريق . فان أولئك انما مقصودهم المال
فلو أعطوه لم يقاتلوا وانما يتعرضون لبعض الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين
حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة الى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم
الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن . ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بانهم مؤمنون
ليسوا كفارا ولا منافقين . وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي اسحق
الاصفرائيني ومن تبعه يقولون لا تكفر الا من يكفركم ، فان الكفر ليس حقاً لهم بل
هو حق لله وليس للانسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (ان) يقتل الناحشة
بأهل من قبل الناحشة . بأهل بل ولو استكرهه رجل على اربعة لم يكن له أن يستكرهه
على ذلك ، ولو قتله بتجريح خمر أو تلوط لم يجز قتله بمثل ذلك ، لان هذا حرام لمحق

الله تعالى. ولرسب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة اذا كفروا
أيا بكر وعمر فليس لنا أن نكفر عليا، وحديث أبي وائل يوافق ذينك الحديثين
فالظاهر انه كان يوم النهر وان أيضا

وقد روي عنه في أهل الجبل وصنفين قول أحد من هذا، قال اسحاق بن راهويه
حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سمع علي يوم الجبل ويوم
صنفين رجلا يقول في القول فقال لا تقولوا الا خيرا انما هم قوم زعموا اننا بني اهلهم
وزعمنا انهم بنوا علينا فقاتلناهم، فذكر لابي جعفر انه أخذ منهم السلاح فقال ما كان
أغناء من ذلك. وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد
حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عن قتل من أصحاب
معاوية: ما هم؟ قال هم المؤمنون. وبه قال أحمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن
أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون قال مر علي - وهو متكئ على الأستبر - على قتل
صنفين فاذا حابس الجاني مقتول فقال الاشر: أنا لله وأنا اليه راجعون هذا حابس
الجاني معهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد همدته مؤمنا، قال
علي والآن هو مؤمن، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل البادية
والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع عن أبي مطر
(قال) قال علي: متى ينبعث أشقاها؟ قيل من أشقاها؟ قال الذي يقتلني. ففصر به ابن ملجم
بالسيف فوق برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون يقتله فقال لا تقتلوا الرجل فان
برئت قاتلجرح قصاص وان مت فاقتلوه، فقال اذك ميتة، قال وما يدريك؟ قال كان
سيفي مسموما - وبه قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم النخعي عن رباح
بن الحارث قال: انا لبواذ وان ركبني لشكاد خمس ركة عمار بن ياسر اذ أقبل رجل
فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تقاتل ذلك فقبلتنا واحدة وثبتنا واحدة، ولكنهم
قوم مقتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا الى الحق - وبه قال ابن يحيى حدثنا قبيصة
حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رباح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: ديننا
واحد وقبلتنا واحدة ودعوتنا واحدة ولكنهم قوم بنوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى
حدثنا بطل حدثنا مسعر عن عبد الله بن رباح بن رباح بن الجرح قال قال عمار

ابن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا فقتلوا قتلوا. قال محمد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر أنه قال لعثمان بن عفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لأنه إذا انكر كفر أصحاب معاوية وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون في دم عثمان فهو لتفكير عثمان أشد انكارا (قلت) والمروي في حديث عمار أنه لما قال ذلك انكر عليه علي رضي الله عنه وقال أتكفر برب آمن به عثمان وحديثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين نبين له أنه قول باطل

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجيعة الحروري وكانوا أيضا يحدوثونهم ويفتنونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم كما كان عبد الله بن عباس يوجب نجيعة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديث في البخاري؛ وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو امامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فانهم لم يكن أحد شرًا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فانهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلبين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متديبين بذلك لفظهم جهلهم وبدعتهم المضلة ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والاهواء من الشيعة والمعتزة وغيرهم فن كفر الثنيتين والسبعين فرقة كاهم فقد خالف الكتاب والسنة وجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع أن حديث الثنيتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين وقد ضمه ابن حزم وغيره نكح عنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طرق وليس قوله

«ثنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» أعظم من قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيهلون سعيرا) وقوله (ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة
بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لممن بالنار لا يمكن أنه تاب أو كانت
له حسنات محت سيئاته أو كثر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كاتقدم بل المؤمن بالله
ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا أخطأ ولم يعرف
الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب ، فإن هذا عام
مستحق للعذاب بلا ريب ، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب ، بل هو مخطئ والله قد
تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والضياع والعقوبة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين
وإن كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب ، كما يعاقب المسلم المتمادي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأيضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة ، ويصد عن
الحق الذي يخالف هواه ، فهذا يعاقبه الله على هواه ومثل هذا يستحق العقوبة في
الدنيا والآخرة ، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص
أنه قل (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يفضل به إلا الفاسقين) الذين يتفوضون عهد الله من
بعدميثاقه وبيعة طعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الفاسقون
فقد يكون هذا قصده لاسيما إذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له
ولا صحابه ، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك
ليس في سبيل الله فكيف يأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها؟ فانهم يفعلون
ذلك شجاعة وحمية ، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهوائهم بغير هدى من الله لا مجرد الخطأ
الذي اجتهدوا فيه ، ولذا قال الشافعي : لأن أنكحكم في علم يقال لي فيه أنه طأت ، أحب
لي من أن أنكحكم في علم يقال لي فيه كفرت

فإن عيوب أهل البدع تكفر بعضهم بعضا ، ومن ممدح أهل العلم أنهم يخطئون
ولا يكفرون . وسبب ذلك أن أحدا قد يظن ما ليس بكفر كفره وقد يكون كفرا
لأنه معين له أنه تكذيب للرسول وسب للخالق والآخر لم يبين له ذلك ، فلا يلزم

إذا كان هذا العالم بحاله يكفر^١ إذا قاله إن يكفر من لم يعلم بحاله
والناس لهم فيما يحملونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم
بالاضطرار من دين الرسول ، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك . ومنهم
من يقول الكفر هو الجهل بالله ، ثم قد يحمل الجهل بالصفة كالجهل بالوصف وقد لا يحمل ،
وهم يختلفون في الصفات نفيًا وإثباتًا . ومنهم من لا يحمده بمحمد بل كل ما تبين أنه
تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جملة كفرا —
إلى طرق أخرى . ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر .
ويفضه وسبه وعدلونه مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم
بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف إلا الجهم ومن وافقه كالصالح والاشعري
وبغيرهم فاتهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفراً إلا إذا
استلزم الجول بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب وعذابه على أن
الإيمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب بعض من الإيمان . وهو خلاف
التعصم الصريحة وخلاف الواقع ، وليسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل من قاب من أهل البدع تاب الله عليه وإذا كان الذنب
متعلقاً بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الإنسان أن يكون في هذا قاصداً
لوجه الله متنبهاً لرسوله ليكون عمله خالصاً صواباً ، قال تعالى (وقولوا لن يدخل الجنة
الذين كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .
إلى من أسلم وجهه لله وهو محسن لله أجره عند رب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً
واتخذ الله إبراهيم خليلاً) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله
لله وهو محسن في عمله . وقال الفراء في قوله (قل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي
وقال الزجاج قصدت بعبادتي إلى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر ،
وهذا المعنى يدور عليه القرآن فإن الله تعالى أمر أن لا يبذلوا آياته وعبادته فعل ما أمر
وبرك ما حظره والأول هو إخلاص الدين والعمل لله ، والثاني هو الإحسان والعمل

(١) لل الأصل : يكفره

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل علي كاه صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا. وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليوكم أيكم أحسن عملا) قال أخا صه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخا صه وأصوبه؟ قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة، والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر معروف ونهي عن منكروه ومن أفضل الاعمال الصالحة فيجب أن يتنهي به وجه الله وأن يكون مطابقا للامر، وفي الحديث «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالما بما أمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا بما أمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه» (١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم، وإن كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لارفق فيه فينقل على المريض فلا يقبل منه، وكما يؤذّب الخليل الذي لا يقبل منه الولد وقد قال أبو تالمى لموسى وهارون (قولوا له قولاً لنا لله يتذكر أو ينسى) ثم إذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المنار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنة ولا فيما جمع منها ككتّز العمال والمصنف بحر واسع. وفي معناه حديث «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف» رواه البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفي سنده سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا ينجح به ولا يكتب حديثه رواه عن الثوري بن العباس القاسمي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوي حديثه شيئا. وقال ابن ميمون رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ «لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى عدل بما يأمر عدل فيما ينهى» وذكر في الاحياء للفرزالي «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما ينهى عنه قتيه فيما يأمر به قتيه فيما ينهى عنه» قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا. وذكر حديث البيهقي

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، فان الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله وقصد طاعة الله فيما أمر به وهو يجب صلاح المأمور واقامة الحجة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذا رد عليه ذلك أو أؤذي أو نسب الى أنه مخفي، وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يمتد أن الحق معه وأنه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل يفضون على من خالفهم وان كان مجتهداً متذوراً لا يفتن الله عليه: ويرضون ممن كان يوافقهم وان كان جاهلاً سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصيروا لهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغة المثل هذا « بال » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعباداة لله والاستعانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله، وهذا انما يكون باتباع رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يسميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ماله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يفضب لغضب الله ورسوله بل يرضى ما يرضاه بهواه ويفضب اذا حصل ما يفضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويفضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا

بل قصد الحجة لنفسه ولطائفة أو الرأى ليعظم هو ويقتى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً أو لفرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعى الحق أو السنة هو كتنظيره منه حق وباطل وسنة وبدعة أو هذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شعيماً وكفر بعضهم بعضاً وفق بعضهم بعضاً ولهذا قال تعالى فيهم (وماتفرق الدين أو تواتر الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا الا ليمبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلخوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس أنهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلخوا) فذهبهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقاً والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموماً كقوله (وان الدين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم » ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم ، قال الزهراء في اختلافهم وجهان

(١) يوشك أن يكون قد سقط من هنا شيء ولو لبعض آية البقرة التي أورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبعده (فبمث الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان يمثهم بعد الاختلاف الذي سرح به آية يونس وسيدكرها وفي قراءة أبي بن كعب الذي أجمار اليه المعنف بقوله بعض الصحابة ولعله قصد بها التبعيض (٢) لعل أصالة تفسير الجمهور أي للامة الواحدة

(أحدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل ما بدلوا، وهو كما قال، فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل، فالاختلاف لا بد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانصه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط (١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء والقدري الجبري المثبت يقول ليس القدري النافي على شيء، والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء. بل يوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية المنتسبين إلى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء، والاشعري يقول ليس السالمى على شيء والسالمى يقول ليس الاشعري على شيء. وصنف السالمى كأبي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الاشعري وصنف الاشعري كأبي عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية، وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها لاسيما وكثير منهم تلبس ببعض المقاتلات الأصولية وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلاية ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة. وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والملة لا تشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله بذكر على ذلك ويتبعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة فلا فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الهدى

(١) يريد النمط الأخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (والت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

يدور مع الرسول حيث دار ويدور معه أصحابه دون أصحاب غير حيث داروا، فإذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون الا خطأ فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيهه بقول الرافضة في الامام المعصوم، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب في الاصول والفروع ويعتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول فان كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويعتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلالة فلا بد أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل قول قيل في دين الاسلام يخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جامعهم البينة وجاءهم العلم وانما اختلفوا بنيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين معطينين، بل كانوا قاصدين النبي عالمين بالحق مرضين عن القول وعن العمل به، ونظير هذا قوله (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بنيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للنبي لا لقصد البرهان. وقال تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبعوثاً صدق ورزقناهم من الطيبات فاختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) وآتيناهم بينات من الامر فاختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بنيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغفروا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين * هذا بصائر للناس وهدى ورحمة * فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبيئات اختلفوا للنبي والظلم، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون الا من بعد أن يظهر لهم الحق ويحييهم العلم فينبغي بعضهم على بعض. (للبحث بقية)

دعوة عرب الجزيرة العربية الى الوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاُخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها عليه العرب وغيرهم من الامم قديما وحديثا ومن الماديات (الآثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار غتلة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدية كصر وسورية والعراق ، فلههم في حضارة الفراعنة والفينيقيين والسكندانيين البرق الراسخ ، والمجد الشامخ : فان لم تكن تلك الامم فروعا منهم ، فلها وشائج أرحام مشبكة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم في الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاه في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد) كقول نبيهم هود في مبانيهم وقوتهم (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لملكم تخلدون * وإذا بلغتم بلطتم جبارين) وقوله في نسلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) وبيان لهم ان هذه النعم يزيد بها الرجوع الى الله بالايمان وترك المعاصي تمام وقوة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويردكم قوة الى قوتكم) وما حكاه عن نمود وقول رسولهم صالح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتركون فيما ههنا آمين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها كجنتهم من العيين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالمدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمين) وهاهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتته الدين اكتشفوا آثار الكلدانيين في العراق وشريعة ملكهم حورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشر اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (الميروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمر وامصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان للفتهم الاثر الخالد في لغتها هذا المانع تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وان في لغتهم الفنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضمعت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمها الجاهلية الوثنية ، (فكأن من قرية أهلكتناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر ممطلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وصح على هذا الضعف قرون وتماعت عليه أجيال ، حتى ظن الثناون أن هذه

الامة هزمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،
ثم جاء الاسلام لجمع شملها بعد فرقة وشتات : والف بين قلوب قبائلها
وأفرادها بعد عدواة تأرست بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجهامن
غائيات الجاهلية والامية . الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها
المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم
والسياسة ، فورت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في
القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من
اليابسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون وورقت
السناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة . فسادت شريعتهما جميع
الشرائع ، وعلت لغتهما جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب
ولكن حفظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد
أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون
الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى التفت ، فأتى لبدا الجزيرة وحضرها في
هذا العصر بما يقرب من تلك المسكة العليا في النعمانية والبلاغة التي جعلت
لكتاب الله المعجز تلك المكانة من عمومهم وعوهم ، حتى ان كان أحدهم ليسمع
السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته
بهدياته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد ألف الاسلام
بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرزق قويمهم بسلب ضيعتهم بعد كانوا يؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعة تكفر كل شيعة
منهم الاخرى أو نفسها بعد تلك الوحدة المغلقة ، جاهلين أو غافلين عن قول
رهم (رسولهم صلى الله عليه وسلم) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست
منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتماديهم
في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أمة الامم في العلم والحكم والآداب والعدل
في أثر اخرجهامن من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق
والتماذي والجهل والفقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم
اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شعبة تجمعهما راى مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها ان تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الامر خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وشبهتها هذه المخالفة أن الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المغفل فاختلوا في أصل الاهتداء بالكتاب ، الذي أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسوله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بني بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يعني بعضهم على بعض فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه في الخلاف الواقع ، وهو يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم يمل ذلك تمليلا ، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن حاقة وما آلا من كل ما عدها فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم ، في تحكم آرائهم ، والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما لا يستلزمان الاجتهاد الاصولي المطلق الذي أقبلوا بابه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط جميع الاحكام ، كانتهم المشهورين وعلمائهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجع الاولوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك ، وهدت تشرد دعوته في جميع جزيرة العرب التي يتعدى اصلاحها وجمع كائنها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حل دون ذلك فتنان (أولاهما) مقاومة السياسة لها ، والاخرى غلو الكثير من القائلين بها ، فالاولى أذاعة الساسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداع في الدين ، والثالثة أيذوا هذه الاذاعة بما اشتهر بهم من الغلو ولا سيما تكفير من هداهم من المسلمين ، ولهذا التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

المسألة من قبل ، وغرضنا من الالمام بذكرها الآن ، بيان استعداد العرب للإصلاح والإصلاح يدعو إلى الإيمان ، إذا قام بهما من يدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر القرآن ، وتذكير الغلاة من المدينة بأن لا يفلو في دينهم ولا يقولوا على الله إلا الحق ، ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وإن يعتبروا كل مخالف لمبدأة الدين بالتأول أو الجهل ، ويستمدوا في بث الدعوة على فطر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وإن لا يكتفروا أحدا من أهل القبلة بذنب ، وإن يفرقوا بين الجهل بشي مما يجب الإيمان به عن جهل وإن عد بعضه الفقهاء كفرا ردة ، وكفر الصادق تكذيب الرسول الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة. فإذا علموا هذا وعملوا به لانتبت الفجوة إن نعم الجزيرة وفيرها وبسط كل من يمارضها حرصا على الزهامة وحب الرياسة . هذا وإن لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء شيئا أصيلا وراء اختلاف الدين البني ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض ، وبسبب عارضين وهما الجهل والفقر ، وإزالة السيئين المارضين من الأمور الكسبية القرية المثال ، وإنما الشقاء كل الشقاء في الشقاق الناشئ عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال إن في بلاد العرب من ينايم الثروة ما يكفي لجمال أهلها من أغنى شعوب الأرض كعمادان الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لمصوب الزراعة يعز نظيره في غيرها ، وناهيك بقهوة البن ونخيل المدينة وفاكة الطائف ، وأهلها أزرى الشعوب وأقواها استعدادا لتجارة حتى إن عوام المضاربة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا المصراع ونجربة في بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة جديدة من الثروة والعمران ، وتحفظ نفعا من الخطر المحدق بها الآن ، ولكن ذلك يتوقف على إزالة العداء الذي طرأ على أمتها في هذا الزمان

إذا زال الشقاق وأدبيل منه الاتفاق بين أمة اليمن والحجاز ونجد ، زال في أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، وإذا حل بالجزيرة ما جعله الله تعالى بسنته في البشر ، عقابا لازما لأهل التنازع والنشل ،

(المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثاني والمشرور)

ينزل الاسلام ويزول سلطانها من رؤوس سائر الامم، وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأتقنها، وما يظن بأحد منهم انه يحسب أن بلاده بأمان من سيطرة الاجانب وقتها، أو بحرر ما ودهورتها اذ لم يبق (فيها أعلن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثلها أو أشدها قوة، وألغى حرا وأصب وعورة، على انه ليس مثلها في كونه جزيرة أو شبه جزيرة، فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والعراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة ولتذكروا جسيما ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام سيأرز اليها كما تآرز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح، المؤيد للحديث جابر هند أبي يعلى بسند صحيح، وهو: عليه الصلاة والسلام: « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا هن بنيران استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وإنما الله كل القوة بالاهتمام والوحدة، فاذا انحدر أمراء الجزيرة وأتمتها حفظوا استقلالهم، وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البصيرة والقادر على تنظيم الادارة والقوة وتدير الثروة من أمنهم، وتساقت الشعوب الفنية القه الى موادهم أو مصانعتهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم، بل هي على وشك الاختيار اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المقارعة والصدام، الذي يتوقف نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من العرب والترك والفرس والتر والافغان

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصرة والدين، من عقلاء العرب وعلماء المسلمين، الذين يتفنون الصداق حزنا، ويحرقون الأرم غيظا واسفا، كلما صنع اسمعهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة، لتنازع على بعض الجبال والأودية^(١) مع خراب البلاد، وقهر العباد، الذين يزيلها الاتفاق والاتحاد، ويزيدها الافتراق والجلاد، وأنني بلسان صفوة المختصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين، أدعهم الى عقد الاتفاق والمخلف بينهم على الأصول الآتية :

- (١) ابطال الحرب والنزوين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصنة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حلقي ثابت
- (٢) حفظ المالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يمد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها
- (٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعاليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل يقع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والجلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولا سيما في شأن الطوائف والجماعات التي تقبم الشائعات الإسلامية، بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعي الاسلام ويقتله بذلك

(١) كعبيل سفار الذي يتنازل عليه صاهبا اليمن وعسير ووادي طرية التي بين يديه صاحبها المهجاز ونجد

كما ينقل عن بعض الفلاة في بعض البوادي قرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفا للدلالة عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبه مذهبا ورجع عما كان عليه تابعا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن في البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تفراف لاسلكي في البلاد ولا سيما عواصمها (٥) ارسال كل حكومة معتمدا الى عاصمة الاخرى يكون وكلاهما عندها كما

هو المهود بين جميع الحكومات التي بينها هود ولها مصالح في بلاد الاخرى (٦) بمد حصول هذه التسهيلات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلقي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. واننا متى رأينا من أئمة الدين والمجاز ونجد شروعا في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه - فن عقلاء الأمة العربية في سائر البلاد وأهل الفجرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بأرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائرا ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من إيجاد وسائل البروة في البلاد فيليبها الاثمة المتبعون في بلادكم انكم تعلمون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما يتناقض بأمر ابلاد وأهلها، والملك لا تملكون حق العلم قدر اهتمام شعبكم العربي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الاسلامية الاخرى بأمركم وما يقولون عنكم كما بلغهم شيء من انباء اختلافكم وتقاتلكم، وما يشنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يدرونه من اسباب سعادتهم، وما يكيدون اليوم في تاريخكم، مما ينشر قريبا في مصركم، مصححا لما تنشره الجرائد عنكم، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون باليقين ان اتفاقكم خير لكل منكم وان بناء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب نايكم وعلى شعبكم وأمتكم ومتمكم (فدعوا الله واصالحوا ذات بينكم) و - لام على من تبع الهدى، ورجع لمنحة العنة هل الموى

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر وتغني لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بمقدار ما يبرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حقق فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها الملماني شرف منزلتها وحسن جلالتها ، أو تأخذ منها الالفاظ متباعدة نسجها وصفاً ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المعنى صناعة التخيل ، وهي النرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصحائف متحرراً أسلوباً لا يشكي منه القارئ طولاً ولا قصراً

ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يمرجوا على مكانه ، أو ضعب عليهم مراسه فلم يسوسوه بفكر ثاقب وبيان فاضل ؛ فإن كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توغلوا في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ، ومن أهدم نفوذاً في مسالكه الفاضلة واسلمهم ذوقاً في نقد معانيه وتمييز جودها من رديتها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه المذبذبة في فنون شتى فاستخلص بقدر ما سمح به الحال لبابها ، وأولف بين ما قطع من أسبابها ، ولا تجديني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أقعد بناصيته أو أبث خلاله أو أضغ في ردفه جملاً تلبسه ثوباً قشياً أو تبتغ فيه روحاً كانت هادئة

الشعر

يعرف العربي في جاهليته كما عرف بعد أن نسل اليه العلم من كل حدب أن الكلام ينقسم الى شعري ونثري . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لا يبحو عليك الالفاظ جزافاً مثلاً بفعل الزائر ، وإنما يلقبها بالك في أوزان تزيد في روعة ، وتوفر لذلك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام مقفى موزون . وهذا مثل من بشرح لك الانسان بأنه حيوان يادي البشيرة منتصب القامة . فكل

بما قصر تعريفه على ما يدرك بالحاسة الفاعلة ، ولم يتجاوز به الى المعنى الذي تقوم
الحقيقة ويكون مبدأ لكانها ، وهو التخيل في الشعر والنطق في الانسان
فالروح التي يمد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعراء هي التشايب والاستعارات
لامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخيل . وليس
يؤن سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسببه
رب شعرا الا عند تحققه ، واطلاق الشعر على الكلام الموزون اذا خلا من معنى
ستطرفه النفس لا يصح الا كما يصح لك أن نسي جثة الميت انسانا ، أو تمثال
لبوان المقترس أسدا

والمنشور من الكلام يشارك الشعر في اشتباهه على الصور الخيالية ولكن نصيب
شعر منها أوفر ، وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخيل وهو مالا يتوخى به
ما حبه وجه الحقيقة ، وإنما يقصد به اختلاب القول ومخادعة النفوس الى الثبوت
فبحر حق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحك على جذوة من الحقد
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض المزايبا ينتسب الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذي إساءة فثم ترى شكرا على واسمي القرض
وقال آخر — بزبن لك أن تدرج نفسك في كف النذر وتواربها في
حفرة من الحول

قد بالحوّل وعذ بالقل ممتعيا بالله تنجو كما أهل النهى سلوا
فالربح تحلم ان هبت هواصفها دوح النمار وينجو الشيخ والرم
ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخيل أطلق بعض المشركين من العرب
على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليقوا في أوهام السذج أن كلامه من
نوع ما يصدر عن الشعراء من الاقوال الموهبة والتخييلات الباطلة
فهم يعلمون أن القرآن بريء من التزعة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل
في لباس الحق ولأنه إنما ينطق بالحكمة ، ويمجد بالحبّة ، ولا يخفى عليهم أنه يخالف
الشعر في طريقه فأنه لا شعر هوذا يقف عنده ووزنا ينهي اليه ، والقرآن يصوغ
الموعظة وينطق بالحكمة بغير ميزان ، ولكن ضافت عليهم مساالك الجدل وانسدت في

وجرحهم طرق المارضة ، فلم يبالوا أن يشبثوا بالدعوي التي يظهر بطلانها الاول وأي ، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في أنفسهم انه ابلغهم قولا واقوام حجة وأنطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي واقفت بعض الاوزان فهي على سلامتها من بهرج الخبيلات لانجد الموافق منها الموزون قد استقل بنفسه وأفاد المعنى دون أن تصل بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن ينسبه شعرا ليقدر به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينقسم التصرف في المعاني على ما يقول الشيخ عبد القاهر المجراني الى تحقيق وتخيل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتصافر العقلاء من كل أمة على تقريره والسبل بموجبه كقول المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوارحه الدم

فمعنى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضموه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة ، وكذلك اتخذوا الأمراء الراشدين قاعدة يشدّون بها ظهر سياحتهم ، ويستندون اليها في حماية شعوبهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الأمم إنما تنظم بالوقوف في وجه من يتهاфт به السفه على هدم شرفها والاستئثار بحقوقها ؟

والتخييل هو الذي يردده العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اما على البديهة كقول بعضهم

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فكل احد يدرك لاول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تأنطق ولا تفهم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيما من قبل أن يصير المدوح شيئا مذكورا

أو بعد نظر قليل كقول أبي تمام

لاتكري عطل الكريم من النفي فالسبل حرب لا مكان العالي

نهي الحاشية في صدر البيت عن انكارها لقاعة الكرم وفراغ يده من المال واخبر في المعجز بأن السبيل لا يستقر على الاماكن المرقمة . وهذا المني في نفسه صحيح ولكن الفاء في قوله « قاليل حرب » افصح بأن السبيل في عدم توفره على العالم الذي لدى الكرم هو كون الماء اذا وقع على الاماكن العالية لا يلبث أن ينحدر الى ما انخفض عنها من وهاد وأغوار ، وهذا اما وصل الى الذهن بتخييل أن رفعة القدر بمنزلة المكان الحسي وان المال بمنزلة الماء الدافق ينساق الى الرجل فيقضي منه وطره ثم يرسله ان شاء الى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكرم لازقتها جعلت المال يمر على يده ثم يطلق بالذل والانفاق يستند الى ان الماء لا يتجمع على ما صمد على وجه الارض من أكبات وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخييل لا يجوز في العقل الا ربما ينظر الى ان السبيل في عدم استقرار الماء على الاماكن العالية كونه جرما صيالا لا تنماسك اجزائه وتثبت في محل الا اذا أحاط بهجوانه جسم كثيف ، وليس للدرام والدنانير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكرم ثم تهبط منها الى من كانوا ادنى منه منزلة

ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستمارة عندهم لا يدخل في قسم التخييل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب اسرار البلاغة فأنظر الى ان المستعبر لا يقصد الا اثبات معنى اللفظة المستمارة حتى يكون الكلام مما ينبوع العقل ، وانما يعتمد الى اثبات شبه بين امرين في صفة والشابه من المائي التي لا يتازح العقل في صحتها

التخييل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة ان من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسمونها فلسفة العرب اذا لم تخرج عن دائرة العقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فان تصرفت بوجه لا يطابق النظار الصحيح سموها تخيلية ، ويقال في عملها تخيل أو تخييل . فثال ما يأخذ من العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته . نجحى وقد وات امام الرياح

كثيرة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التفت الى مائي حافظه من الصور المناسبة لحياة زرع أخضر يتخلله

شقائق النمان وقد أخذت الرياح تهب عليه من جانب فيبيل الى آخر ميلابراى
للعين انه حركه يتنقل بها من مكانه ، فوق خياله على الجيش والملابس الخضراء
والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره اديارا وانهراما ليوافق
حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزاويع الخضراء من شقائق النمان
ومثال ما لا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق

قول الشاعر

ترى الثياب من الكيان يلمعها نور من البدر أحياناً فيبيلها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

ابصر معاجر من يتحدث عنها وقد اخلفت فأقول ان يلمس وجهها يحمل ذلك
الاخلاق من شواهد حسناء أو بسد فم العاذل حتى لا يفض من ثيابها، فتصور طلمة
القمر وانساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يجمع عليها القمر أشمته بسرع
اليها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قر وبنى على هذا أن تعجب ممن ينكر
تأثيره في معجربها بالاخلاق. ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهه أقر وهذا مما يألوه العقل
لانه بمنزلة التشبيه ولا مفر له من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي
للعقل أن يلتفت عنه انما هو دعوى ان معجربها أخلق بعله كونه مطلما لوجهه المسمى
بالقمر على وجه المجاز

ماذا يريد من التخيل ؟

يهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والخيلة ايمان لقوة واحدة وهي التي
تصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وانما تنبر اسمها بحسب اختلاف الحال
فعند ما يكون زمامها بغير العقل يسمونها مفكرة وعندما تغفل منه يسمونها خيلة
واذا عرفت أن التمثيل والاستعارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فهو
جري طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تصرف هذه القوة
تصرفا تصوغ به معنى مبتدعا سواء أنس به العقل أو نجا عنده لم يكونوا أصموا شيئا
سوى تغيير الاصطلاح وادخال القسرين تحت اسم واحد

(المنار : ج ٢) (١٩) (المجلد الثاني والمثرون)

والاطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث على تعدي انصافه والتصورات
المفردة لا يحيط من قيمتها أو من حرمتها بقبضة فإن غاية البلاغة انفسهم قد اطلقوه
على ما يأتي به البليغ في الاستعارة المكنية من الامور الخاصة بالمشبه به وبثبته للمشبه
فقالوا الاظفار أو اضافتها في قولك « انشبت المنية اظفارها » تخيل أو استعارة تخيلية
واطلقوه في الذنوب الخالوص حين تكلموا على الجنم بين الجنين وتسموه الى عني
ووهي وخيالي واطلقوه في فن اليديع على تصوير ما يظهر في العيان بصورة المشاهدولم
يألووا في جميع ذلك كما ينبغي في المثل من الكتاب المزبور وغيره من الاقوال الصادقة
فيسوغ لنا حينئذ لن نساخر لخيالهم الصبر وتوسع في معنى الخيال والتخيل ولا
تقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة أو علماء البلاغة حيث خصوا بها مالا يصادق
عليه العقل والمخالفة في الاصطلاح ما دامت الحقائق قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد
عن تبديل العاقل والعاقل الاميلوب .

يقول الناس عند ما يسمعون بيتا أو آياتا لاحد الشعراء : هذا خيال واسع أو
هذا تخيل بدیع . فيفهم السامع لهذه الكلمات وما يأتاها ان صاحب هذا الشعر قدرة
على ملك المادي وصوغها في شكل بدیع ، ولو قولوا « ما أضيق هذا الخيال أو ما
اسخف هذا التخيل » فيجوز ان لا يكون له قدرة على انخراج المعاني في صورة مشككة
يصح لنا ان نأخذ بهذا المعنى الذي يحضر في الذهن عند سماع تلك الجمل
ونشرح به معنى التخيل فيقول هي قوة تتصرف في المادي لتخرج منها صورة بدیة
وهذه القوة اما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقت من طريق الحس
أو الوجدان ، وليس في امكانها ان تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للتخيل معرفة بها .
ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قدما اليونان رمزوا الى صناعة الشعر بصورة فرس
له جناحان وهي صورة انما انتزعها الخيال بعد ان تصور كلا من الفرس والطير بانفراده
وقد يجوز في خاطرك عند ما نمر على قول امرئ القيس

ايقناني واشرفي مضاجعي . ومنقوة روقي كأنيب . فقول

ان هذا الشعر قد تخيل لا يغزل وانهم . ولم تسبق له معرفة بها اذ لا اثر للمول
وانياها ولا شيء من موادها في العيان فيلوح لك ان هذا يتقدح في قولنا ان الجملة

لأنواع الصور إلا من مواد حرقها بوسيلة الحس أو الوجدان
والذي يكشف الشبهة أن كلا من القول وأنيابها صورة وهمية ولكن لم يحدنها
الخيال من نفسه بل أخذ من الحيوانات الفطرية المنظر أعضاء متفرقة وأنيابا حادة
وتصرف فيها بالذكير ثم ركبا في صورة راتمة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر
اسم الفول . حتى أن الناس لا يتفقون فيها أحسب على تصور هذا الأمر الموهوم
فكل يخطر له المعنى في أشبه صورة يتكهن خياله من جمعها وتلفيقها
فغاية ما صنع الشاعر أن تخيل امرأ محسوسا وهي النصال المحددة في صورة أمره وفي
نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع
وتعتمد الخيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة
وبعد أن تتراعى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلزم الغرض فتفصل
الخطافات عن أزمنتها أو أمكنتها أو ما ينصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخيل ،
ثم تصرف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأليف بعضها إلى بعض حتى
تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

نرجع الأسباب التي تجمع بين المعاني ونجعلها بحيث يكون حضور بعضها في
النفس يستدعي حضور بعض إلى ثلاثة أنواع
(أولها) اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد
أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عندما يحظر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي
وحجب أو طان الرجال اليهم ما رُب قضاها الشباب ههناك
إذا ذكروا أو طانهم ذكرتهم جهود الصبا فيها فحنوا لذلك
أو زمانها كما قالت الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مفيب شمس
وخصت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعلمين عظيمين من أعمال صخر
أذ كان يغدو للأغابة التي هي مظهر الشجاعة عند مطلع الشمس ويسبب في علمهم
أكراما للضيوف وقت الغروب

ومن هذا الوجه نشأت التكديات وتسمى أنواع الجواز المرسل أما التكديات فلا لها الدلالة على المعنى باسم ، ولا زمره في الخارج . وصح هذا نظراً الى ان حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لارمه في ذهن المخاطب . كقول الحصين ابن الحمام

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أقدم
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

أراد الشاعر أن يفيد ثباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلتفت بهم التفرع من الموت الى سبة المزيعة فمهر عن هذا المعنى بأن دماهم لا تنقر على أعقابهم البتة ، وهذا يقتضي أنهم لا يولون المدو ظهورهم حتى ينالوا بسيفه كما أن معنى قطر الدماء على الأقدام يذهب بالسامع الى معنى أنهم يستقبلون المدو بوجوههم الى ان ينالوا ظفراً أو يلاقوا موتاً شريفاً

وأما بعض أنواع الجواز المرسل فكامللاق اسم الحال على المحل والسبب على المسبب والكل على الجزء . وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الاسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فمن تصور الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة انساق اليه معنى العداوة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه الوصل بين المجتلين ما يقوم بينهما من التضاد في المعنى وساقوا في أمثله قوله تعالى (ان الاررار لفي نعيم وان العجارج لفي جحيم) وان شئت مثلاً من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وانتني ويباض الصبح يغري بي

ومن هذا الوجه أيضاً صح لهم ان يعدوا في علاقات الجواز المرسل الضدية (النوع الثالث) التشابه وهو ان يكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور خاصة كن يرى الرجز المقدم في تصور الاسد ويسمع الانفانق النبيلة قد تبرجت في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناثرة : اسلاكها . وعلى هذا النوع يقوم فن التشبيه والاستمارة المدين هما أوسع مسمار تتسابق فيه قرايح الشعراء والكتاب

لماذا تختلف الافكار في تداعي المعاني ؟

تختلف الناس فيما يتداعى اليهم من المعاني الى ان ترى دورا تتوارد الى شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لا تتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر وأأخذ بناسيته ولكنني أبحث في شيء آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الاشخاص ، نعم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشعب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدنو لصاحبه ما هو الصق بجمله وأقرب الى غممه

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الاشخاص لاحد سببين (الاول) ان الدواعي والمواطف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها في الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني العائدة الى المديح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكآبة والاسف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو العشيرة يستدعي معاني الفخر والحساسة ، فالزاهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الاطراء والملقى ما يسمعه خيال الحريس عليها ، والغالي من غاطفه الغرام ، لا يخطر على قلبه من معاني التنسيب ما يخطر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) ما يتفق للانسان في طرز حياته وهو حال المحيط الذي يتقلب فيه فيتوالى على خاطر الناشئ في النعيم والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشئ في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الخاضرة ما لا يحضر في نفس الناشئ في البادية ، وينساق الى خيال الناشئ في شمال المعمورة ما لا يدخل في خيال الناشئ في جنوبها ، فالمقيم في شمال أوروبا مثلا يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتران وانفعال تقه مشاهدته للثلج أو عدم وقوع نظاره عليه طول حياته . ولو نظر الى الهلال رجلا من هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فانشأ أن يتداعى الى اول سورة السور ويتقل منه الى المعصم أو الصياغة ويتداعى الى سورة النمل وينقل منها الى الزرع أو الحصادة (يتبع) نعم . يحضر التوسعي

محاربة البدع

تنفع الرد على المعارض على فتوى شيخ الأزهر

قول اتقصر الرازي في اسم الله الاعظم

(١) ذكر المعارض أن الفخر الرازي قال في شرح البسملة من تفسيره مانصه:
اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجع عندي أن (أه) هو الاسم الاعظم الذي
إذا مثل به أعلى وإذا دعي به أجاب لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات
وظهور التجليات .

وقل المحافظ ابن حجر عنه أنه نقل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم
الاعظم ونحن نقول هنا نص عبارته في تفسير الفائدة في هذه المسألة ليحل الناس أن
معناه المعارض إليه هو خلاف ما ذهب إليه ولعل المعارض نفسه إن ما احتج به من
كتب أهل الطريق في هذه المسألة لا يوفق بقاها ولا يعلم أهلها فقول
ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير
البسملة أن الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الاسماء
وأشرفها قل : وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في السنة وهو اسم الله الاعظم
ولو اتفق لملك مقرب أو نبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له
معناه لم يمد أن يعطيه جميع عوالم البسمانية والروحانية . ثم قل :

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بأن الاسم الاعظم موجوداختلفوا فيه على وجوه
وذكر أن (الاول) ذو الجلال والاكرام وضمه (الثاني) هو المحي القيوم وضمه (والثالث)
قول من يقول اسماء الله كلها عظيمة لا يجوز وصف واحد منها بأنه أعظم وضمه (وتقول
ان ذكره - هو لان التقسيم والاقول لثاني الاسم الاعظم والقائلين به) ثم قل
(القول الرابع) ان الاسم الاعظم هو قوايا (الله) وهذا هو الاقرب عندي لانه
سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وإذا كان
كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة اه بحروفه من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بعض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر
في سمة الاطلاع

ثم إن الرازي جعل الاسماء الالهية بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساما فهابها في أبواب وفصول وجعل الفصل التاسع من الباب السابع (في الاسماء الحاصلة لله تعالى من باب الاسماء المضمرة) وهي انا وانت وهو - عند ما تم في الكلام دالة على الله تعالى ، وقد أخلل في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكره احدى عشرة فئدة واستقبط بهد ذلك ان الذكر به أعظم الاذكار ولكنه لم يقل انه هو الاسم الاعظم ولله صرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شرها فانه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الذكر باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى، والضمير «هو» ليس من اسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وانما يدل على ذلك كما يدل على غيره اذا وقع في الكلام ضميرا راجعا اليه. وبحسن أن نذكر نظريته وتبين بطلانها وملخصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من اسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال يا كريم كان معناه اكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر انما يعظم شرفه اذا كان خالياً عن السؤال والطلب اما اذا قال يا هو كان معناه خالياً عن الاشعار بالسؤال والطلب فوجب ان يكون قولنا «هو» اعظم الاذكار » اهـ

وقول ان هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليس أشرف الاذكار ما كان خالياً عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة والحاكم من حديث الثمان ابن بشير مرفوعاً وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراءة وهو على حد حديث «المحج عرفة» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ومبناها ان معظام الحج وركنه الاعظم عرفة ومعظم العبادة أو روحها ولبابها الدعاء. وبفسره.

حديث أنس « الدعاء مع العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن لم
قضي مصر ومحمد بن وعالمها وفيه مقتل معروف وثلاث جملته الحافظ مؤيدا
ذكرناه في تفسيره بد أن هزاه الى المهرورودي الترمذي وابن ماجة وابن حبان
والحاكم وصحاحه من حديث أبي هريرة رضى « ليس شئ أكرم على الله من الدعاء »
ولا يكن الدعاء وكن العبادة الاعظم ومطلعا ونحما صار يطلق ويراد به العبادة
مطلقا كما قاله في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان
الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠) وفي الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون (أن رأيت من
عمل هذه الآية فذكر الله داعيا له بلسمه خير أم من الهد في ادعاءه يقول هو هو
هو . أو ياهو ياهو ، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن
السلف الصالح ، وهي مع ذلك فاسدة في لغة الكتاب والسنة فان الضمير وحده
لا يحسن كلاما ولا يكون له معنى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما
اذا كان جوابا لسؤال يعرف فيه المرجع بالتقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء
ولا على ضمير مخاطب الذي يوجه اليه النداء . فلا يقال يا أنت وحرف النداء
ينضن معنى الدعاء أو النداء وبؤول بالعمل ولذلك جعلوا المنادى من المنصوبات
وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره
لما كان ذلك بالذي يسمع في نداء الخالق الذي لا ينيب عنهم وقد روى الشيخان
وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي موسى الأشعري قال : كنا مع النبي
(ص) في سفر فحمل الناس بمجبرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم
لا تدعون أسم ولا غائبا ، انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » والعرفية
الصادقون المارفون أجدر من غيرهم بتلاخضة هذا الشهود والمضور والرازي
رحمه الله لم يكن صوفيا وانما ينقل كلامهم وينصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان
أشرف الذكر ما كان غالبا عن معنى الدعاء . ما كان ذلك مستلزما للتسليم له بعمل
الذكر بضمير تسمية — على فرض جوازها وصحته — هو المتعين في تحصيل
ذلك الذكر بن تقول حينئذ ان المتعين ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبنا

الله، وبأنه اسم علم للذات الواجب الوجود وان جميع الاسماء الحسنى والمنتهى
العليا تجري عليه ورجح هو أنه اسم الله الاعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم
الجلالة (الله) وينبع فيه المأثور فنجمه بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل الذكر لا اله الا الله» رواه الترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله. ثم يقول ان
القرآن قد جعل اسم الرحمن مرادفا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى
(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وذكر في عدة
آيات في سياق الضر والعذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناصع
لقومه باتباع المرسلين (ان يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم
لا ييه (اني أخاف ان يحبسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا) وهذه أمدها عن التأويل

نفر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية
ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في
تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا مما تتعقبه في تفسيرنا. وانا
ننقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وبذاته
بضمير النية وهو قوله في سياق رد قول جهنم في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على
الله تعالى من تفسير قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو اما نقول : ما المراد من قولك انه تعالى شيء
وذاث وحقيقة؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود
وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة، وان عنيت به انه هل يجوز ان
ينادى بهذه الالفاظ أم لا فنقول لا يجوز لاننا رأينا السلف يقولون يا الله يا الرحمن
يا رحيم — الى سائر الاسماء الشريفة، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول :
يا ذاث يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه الالفاظ في
مرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى والله أعلم. اهـ

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها)
يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وله يجب على الانسان أن يدعو الله بها
وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية. ومما يؤكد هذا انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ولا ان يقال يا عاقل يا طيب يا فقيه «انتهى

بعضه. ويقول ومثله بهو ياعونه لم يقنه أحد من السلف السالح ولا هو جائز في لغة الدين وأولى منه بالانكار أه " فانه ليس من هذه اللغة وإنما هو من اللغة السريانية كما قيل .

يقول المعترض عن سائر النسخ

(هـ) قد تبين مما تقدم أن نقل المعترض على فنوى شيخ الأزهر عن صحيح مسلم وبندرك الحاكم وعن النحر الرازي كذب. وبقي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع الصغير وشرح المزبني له وعن حاشية الشيخ الأمير علي بن غرامي صحيح وحاشية الباجوري لأجودية فقول فيه - أولاً - أن نقله عن الأولين هو في شرح حديث الأئمة في المرض وقد علمت أنه لا يصح وفي شرح حديث « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » هكذا ذكر المعترض ولم يذكر تسمية الحديث وهي « دعوة يونس بن متى » وهذه التسمية تدفني ما يزعمه المعترض . وهذا الحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن سيرين عن سعد وبجانبه علامة الضعف . رُوي عنه قبله حديث « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث - حور من القرآن - في البقرة وآل عمران ووله » وعزاه إلى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة وعلم عليه السيوطي في جامعه بأصحته وذكر غيره أن في سنده هشام ابن عمار وهو مختلف فيه على أنه نص في خلاف ما يريد المعترض أثباته

أما ما ذكره المزبني في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن المصنف عشرين قولاً في الاسم الأعظم أولاً وذكرها وثانيها « اسم الله الأعظم » بطله والعشرون لم يعلم بقاها مما أوردناه عن الحفاظ وليس فيها أن (هـ) منها . وثبته الحفني في ذلك وأما كلامهم في حديث الأئمة فقد قلنا في شرحه عند قوله « فإن الأئمة من أسماء الله تعالى » ما نصه: أي تخطأه من أسماء الله تعالى لكن هذا لندوله الصوفية يريدون به أسماء الله تعالى . ويرى أنه قد ثبت من حيث يظهر

وأن الحفني قد شرح حديث في حاشيته على الجامع الصغير (ص ٢٧ من الطبعة الأميرية) فقال عند قوله « دعوة يونس » أي يأن بقوله أه وقال عند قوله « من أسماء الله » أي من أثر بعض أسماء الله كالغفار والقهار فإذا قيل

تمالى هل هدمه بهذا الاسم حصل له الضرر ، والافه لم يرداه من اسمائه تعالى . ه
وأما الشيخ الامبرقستقني بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهره
فقد قال عند قوله « الاثنين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسم الله دون آخ لما قبل من
انه من اسماء الشيطان . ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صيغة التمرىض في
كون آخ من اسماء الشيطان . وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار
وبالتصوف على انهم كاهم ذكروا كلمة « آه » بالمد ولم يذكر أحد منهم قولاً ما في لفظة
« آه » التي يدهها المتعرض فسطح كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كاهم
حجة عليه لاله . فبالت شمرى هل يرجع ذلك الشاذلي المتعرض وأمثله الى الحق
بطل ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقتة في ذلك باطل علامون اعترافه
(الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الحموى التقليدي وان كان كذباً على الله
ورسوله ومخالفاً لما كان عليه السلف الصالح ومحقق الخلف في ذلك ٥

الرحلة السوروية الثانية

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنتي من سوء حال بلاد سوروية الاجتماعية والادبية شي . كما حزنتي حل
طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرت فقد كانت طرابلس خبير المدن السوروية
في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الحنية ، كما كانت القلمون خبير البلاد
الصغيرة في ذلك ، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الاعظم (دركنار)
لبلاذ الدولة العثمانية في الباب الثاني كما روي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة
شرفاء ، واتقياء نجباء ، قد ولدت رفقة الحذفيا ، ونشأت في بيت الكرم والمجد لا تلب
منها ، فكانت من أول الدهر بالتميز ترضى العلماء والادباء . ولما كلم ولوجها تنقش داره
ونمشو الى ضره . « دنا » بل كنت ترى فيها العفيف من بلاد الله سنة بينى
اختلاف ملهم ومذاهبهم ، وكان مسجداهما مرقمة بقمة تمتاز العبادة وقرعة

واذ كنت أكتب مثل هذا للاعتبار به وليكون تاريخاً تعرف بعثله أسباب التطور الاجتماعي في البلاد فأنني اذكر واقعة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به وهي بين مدحت باشا الوزير الشهير ودرويش افندي الشبوز

كان درويش افندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية الممتاز في عصره بالنظر بالقوانين وحسن الادارة والتصرف في حل المشكلات، حتى ان أمور ادارة لواء طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء، وهو عضو في مجلس الادارة وأيه فيه يحكم القانون كراي غيره من الاعضاء، فكان أصحاب الحاجات يولون ونجروهم شطر دارة دون أمثاله من الاعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة الداخلية الى من دونه من رؤساء الادارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالادارة كأخذ العسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ الا برأيه — لذلك كان له جساد كثيرون فلما جاء مدحت باشا واليا على سورية كثرت السعاة بدرويش افندي الشبوز لديه الذين يزمنونه بالاستعداد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من رجال الدولة اسماً ولا عملاً في لواء طرابلس وانه هو نفسه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي ولا قدر على في ذلك الهوا الا باخراجه من مجلس الادارة وجعله جلس يته وقد أثرت هذه السعاية في نفسه، فلما جاء طرابلس في دورة التفتيش المتتادة كان استقباله لدرويش افندي استقبال المرتاب المختبر فلما سمع كلامه أحب الخلو به فسمع منه من الانباء والآراء ما أكبره في عينه وأجله في أعلى مكان من الثقة به، والكلام مظهر العلم والعقل والرأي (فلما كمل قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع مقارفته الا وقت النوم، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كما كثر رجال الدولة وكان درويش افندي لا يشرب بها كسائر وجهاء طرابلس ولا سباً أصحاب الزي الطلي أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حمله على الشرب لتطيب له مآثرته ولا يرى نفسه صغيراً أو حقيراً في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه لتحريمه وقد كان مدحت باشا مسلماً محترماً لديه كما يقال ولكن السكر بلا قلباً يستطيع تركه من ابتلي به — عرض لدرويش افندي أولاً قبالة وأعرض كأنه لم يهتم مراده.

فكاد له مكيدة سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته ، ذلك انهما كانا في منزله من منزلات ضواحي المدينة اسمه (بركة البدوي) فطلب الوزير الحرة فأخذ انفسه كأسا وتناول درويش افندي كأسا أخرى وقال له نشرب على اسم مولانا السلطان الاعظم فأخذ الكأس درويش افندي وقال على البراهة : كأس من يد افندينا مدحت باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لا ينبغي أن نصب في الجوف ونخالط القدر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاهجب مدحت باشا بهذه البداعة والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه

هذه الحالة التي كانت عليها طرابلس الى عهد طليي لعلم فيها وهجرتي منها هي التي ضاقت الآملي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، وسريان عدوى المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الانحدادية ثم كان لمفاسد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في اسئرها فسادة كايئناه في النوبة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت ودمشق في الحالة المدنية والأدبية الإسلامية فقد خلت من تلك الحلقات الواحدة من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسمار التي كانت آهلة بأهل الهيئة والوقار من العلماء والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آرائهم تضطر الغرباء من حكاهم وغبرم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبراؤه . وكذلك كان شأن شبوخ أهل يفتنا في القلمون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان يحضرها كبير أسرتنا السيد الشيخ أحمد عم والذي فقد كان أوجه الوجهاء من علماء طرابلس ورجال الحكومة وغبرم يجلسون له عليه من الجد والوقار والتقوى حتى إنه لم يكن أحد يشذ في جلوسه ولا في ضحكته ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال والادب الشرعي ، وقد اتهم وجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدماتها وكان ممن يترددون على القادمين مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يتراءى امامه طول حياته ، وماذا أقول عن صاحب تلك الشيبة الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصرين الشيخ عبد السائح الزعبي تقيب أشرف طرابلس وخليفة جامعا الكبير الى اليوم : آخر من أدر كنا من المسدقين عمي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هناك استطيع تعمد النظر في وجه

أحد منهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاماً أمرد وقد شذ في حديثه معي تاجر في طرابلس يقول لا يصد منكراً بشراً إذا حدثت فيه النية فتركب الشراء منه والنظر إلى ذلك أنه بل للزور امامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من التكلف في ابقاء والسلام والعمود والقيام وأول من ترك عادة المجلس على الركب في بدء المجلس معهم وان فعل ذلك بعض كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن ان مجالسهم كانت خيراً من مجالس أكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم المأيلة لا المتكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضع عليهم ذنوبهم ودينهم فيكونوا من الاخسر من اعمال الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

اصيبت طرابلس بالمقام من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم والرشد للشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي والشيخ عبد الله الصفدي ودرويش افندي الشانور والمفتي مصطفى افندي كرامي الذين أدركتهم في شيخوختهم ، ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود افندي المغربي والمفتي رشيد افندي كرامي والشيخ خليل صادق الذين أدركتهم في كهولتهم

وأما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسعهم علماً ونها وإفادة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وقد جبلت مدينته قيمته فلا ينتفع به إلا أفراد قليلون من بقايا الطلاب ومنهم الشيخ محي الدين المنابر والشيخ عبد الحفيظ نشابة وأفراد آخرون من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس واجتنبوا الكتابة والتصنيف، ومنهم من يشتغل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم. ولم أر في هذه الزرة لطرابلس أحداً من رفاقي لا يزال منفرماً بالمطالعة والكتابة إلا الشيخ محمد رحيم والشيخ عبد الحميد افندي المغربي، وليس لاحد منهما ولي في عمله ولا ظهير وأما القلوب فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم إلا هي أبو عبد الرحمن حاصم فهو يقرأ دروساً في مسجدنا في بعض الاحيان لمن هباه يوجد فيه ولكنه في عامة

أوقته . منزل فنان لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجماعة وقد انقرض ثلثا أهل القرية وحال الباقيين شر مما كانت عليه ؛ وقد كنت قبل الهجرة الى مصر أقرأ لهم التفسير ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وغير ذلك من كتب التوحيد والمواظ والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجراً على المجاهرة بالفواحش وارتكاب منكرات السلب والنهب يستعين على ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار الكيرون فيها بمجاهرون بذلك ومنهم من يدهو الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمر فيها ولكن تيقظ بعضهم لتدراك الخطر كما بيناه في البنذة الثالثة التي قبل هذا من الرحلة ، فليحفظ الناس هذا وليتظروا عاقبة هذا التغير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عناهم ويجمعهم خيراً مما كان عليه سلفهم ويغير ما بهم الى خير منه

تصحیح غلط في الجزء الاول

نهنا في ص ١٠٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنار وقنا ان الاقياس لا يشترط فيه ايراد الآيات قامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم يفصل بينها ، وحذف على محذوف يعرف بالقرينة . ونريد هنا أن منه حذف في السطر ١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولازمة) وهو تنمة الآية الثامنة من سورة التوبة الى قوله (ولازمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكنا وضعنا في هذا الموضع تقطاً لتدل على المحذف وتركت في الطبع سهواً . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والمحذف منها اضطراباً ترتب عليه ما ذكر

ووقع في السطر ١٦ ص ١٠ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢) وسببه في الاصل أن آية يونس سقطت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة الانعام فصارت آيتها بعد عدد - سورة يونس ويكتفى الآن بتغيير الرقم . وفي ص ١١ ص ١٣ (ويوم - وصوابه ثم يوم) وفي ص ٢٦ ص ١٣ أيضاً تقدم عليهم على حكيم في الجملة القرآنية وتفسيرها والصواب عكس (حكيم عليهم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به

أول من أسكنه
أول من أسكنه
أول من أسكنه

المجلد
١٣١٥

أول من أسكنه
أول من أسكنه
أول من أسكنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للامم سوي « ومثارا » كثار الطريق
مصر ٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٩ - ١٩ (ش) ٢ سنة ١٢٩٩ ش ٨ فبراير ١٩٢١

فَتَاوَى الْمَسْأَلَةِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسع الناس عادة، ونشترط
على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى
اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب
غالبا وربما قدما متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجتا
غير مشترك لئلا هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة
واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغثاله

حقيقة التصوف ومكانه من الشرع

(٣س) من صاحب الامضاء

السلام عليكم ورحمة الله

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

وقع نظري على بعض الاعمال الحفيدة في بلدي المسمى بالسبلادين فحان

أجله أرجو أن تعرفوا حقيقة التصوف وهل له قوانين ونواميس غير ما بينته الشريعة الحميدة . وإذا كان هو ما جاءت به الحقيقة فما الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه وإن كان مخالفاً فمن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المتهرع تلك الطرق التي توصل إلى الله (كما يبرون) ولم يري إن صح هذا كُنَّ لله طريقان طريق بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى إليه بعض عباده المتهدين وإنما دعاني إلى سؤالكم والاستشارة بما تركم ما أخشاه من كسوف شمس شريعتنا في ذلك الأفق (أفق الصوفية) فاني أرى من يسيرون إليه ويدعونهم قد ولعوا بمقتضياته وشغفوا بها حتى أنسهم الأذكار والاوراد التي يتقنون بها في الباطن والآنحاء وميائناهم في الشيوخ والاولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد) وهذا طبق ما أراءه فريزة في بعض النفوس من الشغف بالكاليات ورميها بحب ذبول النسيان على الواجبات غشا منها لاصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا إلى أن وجب عليهم ما ندب إليه الدين وزجأ منها بهم إلى زمرة المقرين الذين امتثلوا وأمضوا أوامر الدين

وإن سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم إعادته باختصار وذلك كما تهملون اقرب عهدنا بالثائر لازماً مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

بمدرسة القضاء الشرعي

[المآر] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفياً أي أحد أفراد الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الأقوال في المنسوب إليه أنه الصوف لانهم كانوا يلتمسون إليه وقيل انه كلمة سوقاً أو سوفى اليونانية ومعناها الحكمة وذهب الحافظ ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس أنه نسبة إلى صوفة وهو لقب الفرس بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع إلى الله تعالى لعبادته عند بيته الحرام ، وتسلس ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة وهي الاقافة منها فكانت لا تفيض منها حتى يفيض صوفة فاذا حانت الاجازة تقول

« أنجيزي صوفة » وكان سبب هذه التسمية أن أم الفوت كان لا يمشي لها ولد فذرت لثن عائش لتعلمن برأسه صوفة ولجملته ريط الكعبة، ففعلت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - قله من السائب الكلابي

قال لحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) إلى الاسلام والايمان فبقال مسلم وهو من ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تملقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا - تملقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي خلصناها عنه آنفا . ثم قال في تاريخه ومبدأه : هذا الاسم ظهر لأقوم قبل سنة ميتين ، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفة بيارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة للنفس ومجاهدة الطبع يردون عن الاخلاق الرذيلة وحله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أنه أوائلهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تلبسه ان صدمهم من العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما اطلقوا مصباح العلم تخبطوا في الظلمات فذهب من خلا في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الحق ، ومنهم من أغري بتذويب النفس بالجوع والسرى والفقر الاختياري، ومنهم من خابت عليهم الخيالات ، حتى قدوا بالحلول والانعقاد وكانوا يبنون بالنظافة والتنظم في الطهارة . وراجت عليهم قلة العلم الاحاديث الموضوعة . وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الفلوس في الدين والاحاديث الباطلة . ثم انتقل إلى بيان ضروب التلبس عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأول وأطال في ذلك . وكتابه هذا جدير بأن يعطى

ولشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والقراءة نشرناها في ج ١٠ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة هل حدثت لتعميم ضما . وقد ضمت فيها القول بنسبتهم إلى صوفة لانها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الاسلام رجع نسبتهم إلى الصوف وقال ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقال ان أول ظهورهم كان في البصرة لانه كان فيها من المتابعة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الامصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهرية . وذكر بعض أحوال الصوفية روزنها بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح كعادته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس قيم بين ذام يومهم بالابتداع والخروج عن السنة وبين غال يدعي انهم أفضل المطلق بعد الانبياء ، وان الصواب هو الوسط وهو انهم كثير من الطوائف يجتمعون ففهم ظالم لنفسه ومنهم من قصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ولكن انسب اليهم طوائف من أجل البدع والزندقة ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث بعدم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون فيها ما وقف على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همهم تقليد في اللباس والآداب الوضعية ، ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في مقدمته ان لم يكن قراءه فان أكثره صواب .

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاستاذ الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ أجلناها في روثين مثل أوراق المنار لمخصصها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للأخرة برياضة النفس وتزكية الارادة والأخذ بالزرائع ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكال المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالمهم من ليس منهم غشا وتلبسا ، ولبس لباسهم من تناقض حاله حالمهم دعوى وتقليدا - وان رياضة النفس وتزكيتها تهم للصادق فيها علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة ولا معروفة لغبر أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشفا مريض وتغبر من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها) معرفة بعض الامور من غير طريق الحس أو الفكر وهو ما يسمونه المكشف (ومنها) النوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعلها الخ ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق للمسلمين اليه قدماء الهند والصينيين واليونان ، وقد سرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشماثرهم وشاراتهم (كفصيح والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطاعة الأذعان لكل ما يأمر به السالكين شيوعهم وإن كان منكرًا وعدم الإنكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تصدب هذا التعاليم أفساد دين الإسلام وإبطاله ولزاة ملكه بالمساكن التي وضعها هبند الله ابن سبأ اليهودي ووجعيات الجوس السرية التي بثت في المسلمين دعوة الفل في التشيع لأل البيت والطمر في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي التي تمكن تلك الجماعات بذلك من إعادة ملك الجوس وسلطان دينهم الذين أزالها الرب بالإسلام . ولولا هذان الأصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لأن أصل طريقها تزكية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخذ بالمرئيم ومحاسبة النفس حتى على أطوارها ومن المناور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف . ومن قواعد الإسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة انه « لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف » وهذا اللفظ من حديث مرفوع في الصحيحين وغيرةما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لرسوله (ص) في آية المباعدة (ولا يعصيتك في معروف)

ثم بينا هناك أنه لا سبيل إلى تصفية التصوف من البدع إلا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً ورداً بعد بيان أن الضلالات والبدع المتغلقة في كتب الصوفية قسماً - ما أخذها الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الإسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة إلا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والتشريع - وما أخذته بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشمائر الدينية المخالفة لسنة في ذاتها وأصلها أوفي صفتها وطريقة أدائها حتى إن بعض كبار الفقهاء والمكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزوه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل النزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب (المنار : ج ٣) (٢٣) (المجلد الثاني والعشرون)

في بعض العبادات المبتدعة مسنداً عليها بهذه الاحاديث الواحية والموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الغزالي
في الاحياء مستنداً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان فيبيحتان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقہ الشافعي من الغزالي بل قال بعض العلماء اذ كتب الشيخين الرافي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حررها المذهب كما قال فيه وفيها بعضهم .

حرر المذهب جبر أحسن الله خلاصه
بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الغزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر عمره (ونمت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيته واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . وبما أخذوا فيه بالضعيف الواهي - وهو
أكثر - دعاء الوضوء قال في المنهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافي تبعاً للغزالي . واعتذر الشمس الرملي شارح المنهاج
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضرأ لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يعمل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيها له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنية - هذا ما اذكره عنه
بالمعنى وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتد دعاء الوضوء - وأقول ان النووي
نفي ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة عباد بن صبيب ، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري وقال أحمد
ما كان بصاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا لجني
الحال ولكن بنية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المناكير عن المهاجرين حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . وساق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروي عن حميد عن أنس
بغير طويل في الذكر على الوضوء باطل الخ

أقتصروا على هذين الشاهدين من لائح بالأحاديث الواضحة والراهية انصرفوا
 الفقهاء فيها وهم الذين يقول الجهور على كلامهم ويرجعونه على كلام سائر العلماء فيما اختلفوا
 فيه لانهم هم الذين انتدبوا لتحرير فقه الأئمة الذين يهدي الناس تقليدكم وكانت
 الحكام بحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى الا من احدى صارجاهم المذهبين الى
 طرق الصوفية يتبعون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي - وهو العارف - به العالم
 بدينه العامل به - لا يقلد احدا - وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حق ترجيح أقوالهم على
 أقوال المفسرين والمحدثين ، بله الصوفية والمتكلمين ، كما صرح به ابن حجر الهيتمي
 في التناوي الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث
 وسيرة سلف الامة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليعينوا لهم حكم الله
 ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء
 في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول
 بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم ما صح في التفسير ومن سنة
 الرسول (ص) وسيرة السابق وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الأحاديث وقد يحكمون
 بالقياس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المنتمين الى مذاهم وإن لم يعرفوا
 لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد أعلوا للشمطين
 بكتبهم سلاحا يحاربون به نصوص الكتاب والسنة اعتذرا بالتقليد فكل كتاب ينمي
 مصنفه الى مذاهم يحتاج به عندهم ويعمل بما فيه ولكن لا يجوز الاعتداء عندهم
 بالكتاب ولا بالسنة الا من هداه الله ووفقه ولم تضل أمة من أمم الرسل عن دينها أبدا
 من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وتوفيقه الحفاظ لتدوين السنة لتطرق الإصلاح
 ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق لنا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بسلطان في
 الكلام على فتوى شيخ الأزهر في انكار بعض البدع وما فصله في الفتوى الاولى
 والثانية من جزئي المنار هذين قبل هذا

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كآثر أصناف علماء المسلمين الذين
 استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في

علم فجاء فيه بما لم يجي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة واسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا غرض الدين ومقصده قلن كانوا قد فعلوا وأنوا يحض ما يخالف التصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فان تكلمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للتصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا المصن من المتحلين لطرق الصوفية فهو منهم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين فلو صلح حال المشتغلين بعلم الفقه لا يمكنهم إصلاح أهل الطريق ، وأتى بصلح غيره من لم يصلح نفسه ، وأتى بصلح نفسه أوفره من أخذ علم الدين لحرقه للارتزاق به فهو بخدمه ويطعم من يستقد أو يظن أو يوهم أن أمر رزقه بيده ولو فجا بغير ملته وأمه ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتباً شبه القوانين أكثرها فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبعضها بدع تلتصق به إصافاً بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الخفائي وأسلها من مخالفة الكتب والسنة فيما نلم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تعدد الى الكتاب والسنة للتبميز بينها وبين البدع وإثباتها بالأدلة النظرية الغنية التي كانت أولفة بانشار كتب الفلاسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في المبادئ والمعاملات لايضاح ما جاء في الكتاب والسنة من التصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته ببعضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية وتآداب والآداب المنصوصة فيها أو المستنبطة منها والمنفصلة عما فيها من الاجمال . وقد قلنا آنفاً ان ما وقع في كتب الصوفية من المخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيرتهم وقع مثله في

كتب المتكلمين والفقهاء . يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر ، والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين التزموا تقليد مذهبهم ويحملون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بتأويل أو غير تأويل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلكين ويؤولون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين يجب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من سلوك الطريقة تنوقف على هذه الطاعة مؤقتا لاداء ما وأن كلامهم في الحقائق رموز لا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقيسة أو بحمل المتشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتاج بها بحسب القواعد الأصولية ومنها ما احتجوا له ببارة من حديث صحيح يردون باقيه المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد أورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨٠ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بعد هذا الفصل فصلا آخر في « تحريم الألقاب والحكم في دين الله بما يخالف النصوص وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر اجماع الفقهاء على ذلك » وقد أورد في هذا الفصل ٧٧ مثلا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بغير الصحيح أو بالمشابهة ، وذكر في الوجه اثنان منها بعض شبهاتهم ورد عليها باثنتين وخمسين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المتحلين بطرق التصوف والمتحلين للمذاهب الفقه لا تزييل بينهم ولا يتميز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من علماء السلف كالإمام الشافعي ولا ذلك على هدي أئمة التصوف كالجنيد والشبلي وأمثالهم من عباد السلف . فالحق أن جميع الفرق لها حسنات وسيئات (ثمة من الاولين وقليل من الآخرين)

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعلا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم الشرع . والبلاد ذات الحكومة الاسلامية على قلتها بعضها شديدة التعصب المذهب معين كالبلاد الافغانية المتهمة لمذهب الحنفية وحكومة اليمن المتهمة لمذهب الزيدية فهذان لا يرجى أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستحالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذاك - وبعضها شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لانعرفها بلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وإن كانوا متمسكين الى مذهب الامام أحد فلا تعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل ما ثبت في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتذهب اليه . وترد ما خالفه وإن قاله أو كتبه حنبلي . ملهم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال ومنهم من يكفرهم كايبرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد . وأي بلاد أشد على الاسلام من هذا ؟ وإذا قبض الله لهذه البلاد أن ينسم فيها العلم قائما نحيي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم يتجدد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ . قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كابدأ فطوبى للغرباء » . رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعا « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » . وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يضلون ما أضل الناس بمدي من سقي » . رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاد الاسلام غريبا كما بدأ حتى صار المسلم الحق المحيي لسنة غريبا مطبونا في دينه ، فاذا قوي هؤلاء الغرباء القديين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعتزوا بعد ضعفهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدنه فإن غربته تستنجع المجد والمزة لله ولرسوله وللمؤمنين آخر كما استنجته أولا لاتحاد السبب

ان العالم الاسلامي ليث من ضعف دينه وامتهان شموه بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمتحيلين اهل الدين ومن جمل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقعودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

ولم يبق ما يدبره من مصالح لامة نرى بعينه، ل وطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها وروا بعدهم مشاركة غيرهم حتى سلحت فيها - وأنه يضطرون لـ ازهر وأهلهم من معلمي سائر الافكار الى اصلاح نفدي كانوا يؤمنونه وأنما يضطرون الى ذلك باحتقاره لهم عليه عليهم إذ قرب ان يزول ما كانوا يعتزون به من اتباع السواد الاعظم من اشرافهم وتقبيحهم لا يدوم - وواساتهم بالهدايا والصدقات والوصايا فبهذا كانوا اذا قام فيهم مصلح كالسيد الافندي الحكيم والاستاذ الامام همسوا في آذان هؤلاء العوام : هذا منزلي هذا فيلسوف هذا كافر يريد أن يفسد عليكم دينكم و يخافوا على تقاليدكم وموالدكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ المصالح - التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين توكوا منصب الافتاء مثله وتولوا ما لم يتول من مشيخة الازهر - اضطرب القطار المصري واضطر العالم الاسلامي كله موت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم ويؤمنهم وكان يعيش لامة وملته

سبقت الهند ومصر وسورية والحجاز في احياء السنة على وعلا وقد تمهدت العقبات امام مصر و بدت طلائع الإصلاح في نابذة الازهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا حدمات المعارضة والمقاومة لها وحيثما تجد من طلاب الإصلاح الديني والدنيوي أهوانا وأنصارا تجرئها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الإصلاح الاسلامي الديني المدني ويظهرون صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان بك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبيل من كان مأى^(١)

ونبتت من غرسه نابذة سلام السدع وترأب الثأى

وترفع لمح عن المعهد أو يود جحر الصب حب كنفنا^(٢)

(١) مأى بالغوت معق أي بعد عن طرق المتأخرين المنتظمين المتمسكين في مباحث عبارات الكتب (٢) أي الى أن يمود جحر الغيب الذي دخلوا فيه باتباع سن =

أذا يزال وهو قد أشفى الشفا من مضل بات به على شفا
 تمت ولي المصلحون شطره بحونه من كل فج ورجا
 ماوردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدي
 فاحبوا الاسلام في انفس من دانام بهجره صرف الردي
 فساد أهلا الى موطنه من غربة طال بها عهد النوى
 وامتدعت غربته المجد كما كان فساد الامر مثلها بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خلف المتصوفة هو من
 قبيل توقع الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون سريرا اذا
 أيدته حكومة اسلامية وبطينا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون
 التجديد بالتعارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تغلو
 من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قمار الا وفيه أفراد منها فقي حديث
 ثوبان في الصحيحين وكتب السنن « لا تزال طائفة من أممي ظاهرين الى الحق
 لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » وفي منتهى أحاديث أخرى
 وأهم القواعد التي يجب بناء الإصلاح عليها هي

(١) الاعتراف باسلام كل مدّعين لا أجمع عليه المسلمون من أمرائين

(٢) بث دعوة لمل بهداية الكتاب رائسة الصحيحة وسيرة السلف
 الصالح فيها كما أثبتت دلائل الحديث بالاسانيد المعتبرة وترك ما خالفه من أنظار
 المتكلمين وآراء الفقهاء ولا تزيد في أمور العبادات والحلال والحرام على ذلك ولا
 نقص منه. وقد بينا حجج هذه المسألة مرارا. وليس معنى هذا ان يكون المهتدي
 بذلك انما مجتهدا بل ان يكون على بصيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم
 وخواصهم مع الاعتدال على فهم النصوص بما فسرهما به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نأمر كل شيع لا اوم
 من أئمة السلف المهتدين في حكم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي
 من قبلهم واسما بسهولة الخفيفة السمجة، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري
 المتفق عليه « لتبين سنن من قبلكم شيئا بشيرا وذراعا بذراخ حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعهم يوم » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حقوا دخلوا في حجر ضب لتبتموم »

والصادق والباقر وأئمة قتها . لا مصاد كأي حبيفة ومالك وانشائي وأحد وأئمة الصوفية كالجنيد ، وعلاء الصحابة والتابعين بالأولى . ولا تكفر مسلما مذمنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع اسم أو بأول . وحتى زال التعصب تكون المناظرة بين المخالفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الأدب والاحترام وأئمة الشقاق والتفرق بين المسلمين ، ويتم دعاء الإصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . يعني النبي (ص) فلا يتمعون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا الجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا . فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والآخذون به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر منه قلنا يسلم عالم بمجتهد من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيمذره بآفتهاده ولا يتبع فيه وامانا نكتب في فرصة أخرى . مثالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى

(٤) الاستعانة بأرشاد الكتاب والسنة على الإصلاح الديني . مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مقوض اينما يتلك الهداية التي نصت على أن الله خلق لنا ما في الارض جميعا وامرنا بأن نعد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقل رسولنا صلى الله عليه وسلم : انما انا بشر مثلكم اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر . وقال : انتم أعلم بامر دينكم رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المناظر ارا بل كان المدار في مجلته وتفصيله دعوة الى الإصلاح الاسلامي المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية وذراية وعلا بلا زيادة ولا نقص . وبالنسبة لبلوغ مدأ أحدهم أو نصفه . واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختيار في أمور الدنيا ملطقين لاجتماعهما الثمان فيه . وهذا اتباع السلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من سبرتهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين ونصبة الامم . وروند بين مهم واقفون وانعمل بها . وهو مذهب امام دار الهجرة مالك ابن انس كما بينته . شاطبي في الاعتصام وغيره (ومن يتصمم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم ينبغي على الآخر فيكفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، وصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه ما منهم الا من خالف حقا واتبع باطلا ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا بما تعملون عليم) وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ه فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبنا اتباع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل الفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ه مبينين اليه وأقنوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهنا أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأعاد حرف « من » لبيان أن الثاني يدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وما قبله قوله (وقال تعالى) ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم - الى قوله - ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن ابراهيم (اذ قال ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال يوسف (طاهر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بال صالحين) وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني ثلث نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذا أوحيت الى المحواريز ان آمنوا في ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انا معاشر الانبياء ديننا واحد » وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فانه هو دين الاسلام أولاً وآخراً ، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم سارت القبلة الكعبة ، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا سائر ما شرع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جملة واحداً وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتبه وهدنا الى صراطه مستقيماً) وقوله (وسهيك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضنك الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الضنك) وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي قبل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا قديان أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت في الصحيح انها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عمه والمشرّكين الذين بارزوه عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وقد تدرّج كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس من خلا مجرداً مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما سنه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي يثبت الله به رسوله وأزله بكتابه وكان عليه سلف الأمة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكره، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا يوجد المأذوق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك (١) إذا لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض وكثير منهم يترك الجميع ويرجع الى دين العامة الذي عليه المجاز والاعراب كما قال أبو المعالي وقت السياق: لقد خفت البحر الخضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها اذا أموت على عقيدة أي . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة وسلك ما يتيسر له من طرق المباداة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث بالبخاري ومسلم ، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام وقال : قد أشار على من اشارته غنم ، وطلعته حتم ، ان اذكر له من مشكلات الاصول ، ما أشكل على ذوي العقول ، ولعله استحسن ذاورم . ونفخ في غير ضرم ،

لمعري لقد طفت المهاد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضحا كيف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

فاخبر انه لم يجد الا حائرا شاكرا مرتابا أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطاؤه فالاول في الجهل البسيط (تنظرات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدرها) وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهل فندم ، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجع شيئا للحيرة ، وكذلك الأمدى الغالب عليه الوقف في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في المرضع منه ينصرف ولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف منه . ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك ، ولهذا لما ذكر ان أكمل العلوم العلم بالله (١) المار: أي الفلك في الترجيح بين المسألة الكلامية والفلسفية لاني أصل الاسلام

وبعضاته وأفعاله ذكر على أن كلا منهما اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشكل عليه حتى هؤلاء في مواضع فان الله قد أرسل رسوله بالحق وخلق عباده على الفطرة فن كل فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرحتهم السمعية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه الى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا انه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب، ومن الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدام المقول عقاب وأكثر سمي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دينانا أذى ووبال
ولم نستند من بحثنا طول عمرنا سوى أن جئنا فيه قيل وقالوا

وقال : «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عيلاً. ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق لطريقة القرآن. أقرأ في الانبيات (اليه يصعد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النبي (ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علماً) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل مفرقتي » وهو صادق فيما أخبر به انه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وانه لم يجد فيها ما يشفي عيلاً أو يروي غليلاً، فان من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فان الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصحيح العقل وفطرة الله التي فطر عليها عباده: وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وهم مختلفون في الكتاب (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة معيّنهُ الله سنه في محبته في رد على الزنادقة

(١) المنار : كسب مستعجم الكتاب في المصنعة الاميرية : هكذا في الاصل : بل في الكلام قصداً أو بحرفاً فاده وقول لعل الاصل : ذكر أن كلا منها عليه اشكال - أوب ذكر أن على كل منها اشكالاً

والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويله حتى غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى. ويصبرون منهم على الأذى. يحيون بكتاب الله الموقى، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى؛ فكم من قليل لا يلبس قداحيوه، وكم من تائه ضال قد هدهوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أفصح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الفالين، وابتغال الميطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مختلفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم، وهو كما وصفهم رحمه الله فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام أما تفلأجرداً للأقوال وأما تفلأجرباً وذكر اللجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضاً ويرد بعضاً ويجعل ما يوافق رأيه هو الحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تعويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

هذا ما أحببنا نقله من كلام شيخ الاسلام في هذا المقام وقد أطلال بعبده في وصف المتكلمين وخلافهم وفنيل الأشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضاً. ونسرد مذهباً - الف - لنعمل والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهولك تخلفنا عننا ازجل لجميع أولئك الاساطين من الفلاسفة والنصار غروراً بشبهة الشيطان. انه لا يعقل ان يكون هو أعلم منهم أو أدكى حتى يكون الحق بالنصواب وأولى. فازجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق وشبهه علينا الامر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بن هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي انشعب بنظرياتها كل من شذ عنه قليلاً أو كثيراً، وأساس مذهبهم الايمان بكل ما جاء في كتاب الله وصح غير رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الامة قبل افتتنائها بالنظريات التي فرقها الله. ونعمد انه ان سخر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك النظريات فبأنه من هدمها هي أقوى منها، وأثبت بالبرهان أن صريح المعقول لا ينفك عن صريح المنقول. ويتبين هذا اثبات أن هذا الدين من عند الله اذ لو كان من عند الرسول أو غيره دلت في باهات المتكلمين والفلاسفة

وكان المتأخر أصح رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين لانساف من المنتسبين الى مذاهب
السنة والمبتدعة والفلاسفة في كتابه (موافقة مريح المقول لصحيح المنقول)
وانني انقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(نقديان تسمية نقول المتكلمين بتقديم المنزليات العقلية على النصوص السمعية)
والمتصور هنا التنبيه على أنه لو سوغنا ظنرين أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
ويعارضوه بأرائهم ومقولاتهم ! يكن عنك أمر مضبوط يحصل لهم به علم ولا هدى
فان الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يخبرون نفسه بما يوجب حيرته وشكه والمسلمون
يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقبوله على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الارض انه لم يفتقر من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه يتيقن
بطمئني اليه ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم مقولا
مربحا يناقض الكتاب قابلهم آخرون من ذوي المقولات فقلوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بصريح المقول فصر ما يدعى معارضة للكتاب من المقول ليس فيه
ما يجوز بما أنه مقلو صحيح اما شهادة أصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ترتيبا فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يمارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والنامس
اذا تنازعوا في المقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السليمة التي لم تتغير بالتقدم بغير فطرتها ولا هوى فانتقم حينئذ أن
يعتمد على ما يمارض الكتب من الأقوال التي يسمونها مقولات وان كان ذلك قد
قائمه طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيتمتع على عقل نفسه وما وجدته معارضا لا قول الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صحت الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فاذا كان غرور النظر وأسباب الفلاسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى النائية وهم ليهم ونهارهم يكدهون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

معتول صريحه نقض الكتاب بل اما الى حيرة وإرباك وما الى اختلاف بين الاحزاب فكيف غيره هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الفهم والادراك ومعرفة اسلكوه من العقليات فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يقضه لم يعارضه الا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالاول (كسر ان قيمة بحسبه الظآن ما حتى اذ جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسبه) فخر بهم الحساب (والثاني) كظلمات في بحر لحي يشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكذبها ومن لم يحمل الله له نورا فلما له من نور) وأصحاب القرائ والایمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (الذين آمنوا به وهزروه وحسروا رانبعوا النور الذي انزل معه أولئك المفلحون) فأهل الجهل البسيط منهم أهل الشك والخبرة من هؤلاء المعاصرين للكتاب المرضين عنه، وأهل الجهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات وآخرون ممن يعارضهم بقول مناقض تلك لا قول هو العقليات ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والعالم بفساد كلا الاعتقدين لم فيما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقا وباطلا ومع هؤلاء حقا وباطلا والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله أعلم اهـ

[المنار] كل مؤمن سليم النظرة صحيح العقل اذا قرأ هذا يجوزم بأنه الحق، وأنه يجب على المسلمين أن لا يمتروا شهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خافوا السلف فيما نقله شمس الحديثين منهم من أمر الدين، وإنما اندمى كل عالم في اجتهاده اذا شئت من صيرته ادعاه الله في نصري وز قصده تأييد الشرع ولكن لا تتبع أحدا فيما خالف هدي السلف المصلح والمؤمنين، معتمدين على نقل نقول المحدثين دون آراء المختلفين . وهذا متعنى لاصلاح في الدين .

تاريخ فنون الحديث

٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ملأه اجتهداً إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما شيئاً إلى القسم الأول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم وإلى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الإسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منها على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد غلب الحافظ القمعي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضعف أو منكر وهو كثير وجمع جزءه في الأحاديث الموضوعة التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة قال الذهبي : في المستدرك جملة وافرة على شرطيهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقي وهو نحو الربع فهو من أكبر وأهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الأمر مما يتعجب منه فإن الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد اعترته غفلة وقال الحافظ ابن حجر إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سود الكتاب لينقحه فيما جلته المنية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدثين إن ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبحث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اهـ

(١) توفي سنة ٤٠٥ هـ (٢٥) قال النووي المراد بقول المحدثين على شرطهما أو على شرط أحدهما أن يكون رجال الاسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لا غيرهما
لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرهما (٣) سنة ٧٤٨

(المنار: ج ٣) (٢٥) (الجلد الثاني والعشرون)

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول الاستخراج أن يعمد حافظ إلى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري إلى أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوقه إذا لم يمكن الاجتماع معه في الأقرب وزعمنا ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض رواةها وربما ذكرها من طريق صاحب الأصل وقد استثنى كثير من الحفاظ بالتخريج وقضوا ذلك في الأكثر على الصحيحين لكونهما المصدرة في هذا الفن . وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لأنهم لا يلتزمون الفاظ المستخرج عليه ومنها علو الاسناد إذ رواية الحديث عن صاحب المستخرج عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالسماع مع كون الأصل مبنيّاً أو بتسمية مبهم في الأصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في المستخرجات بالصحة إلا إذا كان سند المستخرج إلى الشيخ الذي التقى فيه مصنف الأصل صحيحاً متصلاً . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث إلى من أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (٢) والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣) ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخرج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤) وتخرج إلى عوادة الاسفرائيني (٥) وتخرج أبي نصر الطوسي (٦) والمسند المستخرج على مسلم لحافظ أبي نعيم الأصبهاني (٦)

المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها إلى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال مية لي الصحيح من غيره

١٠. توفي سنة ٤٣٠. ٢. سنة ٣٧١. ٣. سنة ٤٢٥. ٤. سنة ٣١١. ٥. سنة ٣١٦

٦. سنة ٣٤٤. ٧. ٣٠٢

فصنف له السنن الصغرى وسماه المجتبى من السنن
 ودرجته في الحديث بعد الصحيحين لانه أقل السنن بعد الصحيحين وأما سننه
 الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه وإذا
 نسب إلى النسائي رواية حديث فأما يفتون روايته في مجتباه وقد شرح المجتبى
 شرحاً وجيزاً الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد
 ابن عبد الهادي السندي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج إليه القارئ
 والمدرس من ضبط اللفظ وإيضاح الغريب والأعراب فضلاً في شرح الكتب
 الستة على أن شرحه أوسم من شرح السيوطي (٣) وقد شرح سراج الدين مربي
 علي بن الملقن الشافعي زرائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلده

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٤)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا وحكم الله أن كتاب
 السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول
 من كافة الناس فعارحكاكين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم
 فلكل منه ورد ومنه شرب (٥) وعليه معمول أهل العراق وأهل مصر وبلاد
 المغرب وكثير من أقطار الأرض . قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله
 (ص) خمسمائة ألف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا
 الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ريقاً به ويكتفي الإنسان لديه من ذلك أربعة
 أحاديث أحدها قوله (ص) « الأعمال بالنيات » والثاني قوله (ص) « من حسن
 إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » والثالث قوله (ص) « لا يكون المؤمن في شيء من
 بؤس إلا خشي ما يرضى لنفسه » والرابع « الجلال بين والحرمان بين » الحديث وقال ما
 ذرت في كتابي حديثاً أنجع الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وجه شديد
 فقد بينته ومنه ما لا يصح سنده . وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبمعنى أصبح
 من بعض ، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) إلا وهي فيه ولا أعلم
 شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً أن
 لا يكتب من العلم شيئاً بعد ما يكتب هذا الكتاب إلى آخر كلامه في رسالته
 (٦) طبع ابنه علي شرحه هذين في الهند (٧) الشرب بالكسر كالورد وهو بمعنى
 المتناول أي ما يورد وما يشرب (٨) توفي سنة ٢٠٩١ هـ سنة ١١٣٨ (٩) ص ٢٧٥

الى أهل مكة . وقد اشتهر هذا الكتاب بجمعه للاحاديث الاحكام وفيه كثير من
المراسيل وكان محتج بها من تقدم الشافعي كميان الثوري ومالك والاوزاعي
(١) وعشرهما شرح هذه السنن كثير من أفاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (٢)
في كتابه منام السنن وقلب الدين أبو بكر البجلي الشافعي (٣) في أربع مجلدات
كبار وابو زرعة أحمد بن عبد الرحيم المراقي (٤) كتب من شرحه سبع مجلدات
الى أثناء سجد السهو وشرح زوائده على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح
السنن قهاب الدين الرملي (٥)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبى
وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الربا على المجتبى وهذب المختصر ابن قيم الجوزية
الحنبلي (٦) وشرح مذهبه شرحا جليلا ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن
في اختصاره فهذبه نحو ما هذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على عال
سنكت عنها اذ لم يكملها وتصحيح احاديثه والكلام على متون مشكلة لم يفتح
مفتلها وقد تبسط الكلام على مواضع لعل الناظر لا يجدها في كتاب سواء
قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة
يوجد في بعضها ما ليس في الاخرى

الجامع الصحيح لمحمد أبي عيسى الترمذي^(١)

قال ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز
والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتابي هذا الا
جديثا قد حمل به بعض النقاء فلي هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل
بموجبه حامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح لكنه تكلم على درجة الحديث
وبين الصحيح منه والمعلول كما ميز الممول به من المتروك وساق اختلاف العلماء
فكتابه لذلك جليل التدرج الفائدة كما انه قليل التكرار

شرحوه (٢) قد شرحه محمد بن عبد الله الاشيلي المعروف بابن العربي المالكي (٨)
وأسنن شرحه (عارضة الاحوذى في شرح الترمذي) وشرحه الحافظ محمد بن
محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه وقد كلفه زين الدين

(١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦

(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٣٣٤

عبد الرحيم بن حسين العراق (١) وشرحه عبد الرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢) مؤلف مختصراته (٣) منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعددها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه الى الخمسة السائلة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحفاظ عبد الغني (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وانما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ. قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المذكورة والشاذة (٨) وان كان فيه احاديث مرسله وموقوفة. وقد جعل بعض العلماء كزين السرقسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك الجند بن الاثير في كتاب جامع الامول وكذا غيره قال الحفاظ المزني ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف وليسكن قال الحفاظ ابن حجر انه انفرد باحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضعف على الرجال

شروح سنن ابن ماجه: شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنه مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم ابن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه مصباح الزجاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المذكور ما كان في سنده كثير الغلط أو غافل عن الاتفاق أو ساق والشاذ ما خالف فيه اللغة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ١٠٥٣ (١٠) سنة ٨٠٨ (١١) سنة ٨٤١

باقى كتب السنة الصحيحة غير الكتب الستة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك
الاصول الخمسة أو الستة وان كان الرائد عليها قليلا قال الامام النووي السواب
قول من قال انه لم يفت الاصول الخمسة الا التزر اليسير. وهانحن أولاء ندلي اليك
بباقى الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع
فتنها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري (١) وصحيحه أعلى مرتبة
من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه حتى انه يتوقف في التصحيح لأذى
كلام في الاسناد. ومنها صحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي (٢) وأبهم مصنفه
التقاسيم والانواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الأبواب
ولا المسانيد وقد رتبته ابن الملقن وجرى أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين
في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التساهل في التصحيح الا أن تساهله أقل من
تساهل الحاكم في مستدركه. ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٣)
وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن
عمر البغدادي الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله
ابن علي «٦» والمنتقى في الآثار لقاسم ابن أصبغ محدث الاندلس «٧».

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر طرفا من الحديث يدل على بقیته ونجيب أسانيده
اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فمن ذلك
أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولأبي
محمد خلف بن محمد الواسلي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنها
رتيباً ورسماً وأقلها خطأ ووهما. وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات
— ولأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفضل أحمد

«١» توفي سنة ٣١١ ٢٢٠ سنة ٣٥٤ ٣٥٣ سنة ٣١٦ «٤» سنة ٣٥٣

«٥» سنة ٣٨٥ «٦» سنة ٣٠٧ «٧» سنة ٣٤٠ «٨» سنة ٤٠٠ «٩» سنة

٤٠ «١٠» سنة ٥١٧

ابن علي بن حجر المصقلاني وأطراف السنن الاربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسمه الاشراف على معرفة الاطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف الصحيحين والسنن الاربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الاشراف سبرته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والقيته مشتملاً على أوام كثيرة وترتيبه مختل. لهذا عمل كتابه الاشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) ورتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي اطراف الفرائب والافراد، وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوام جمعها ابو زرعة أحمد ابن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزني الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الاشراف على أطراف السنة.

ولابن حجر اتحاد المهره بأطراف المشرة يعني الكتب الستة والمسانيد الاربعة في ثمان مجلدات. وقد أفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند المعاني يقع في مجلدين.

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان لجمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وانزالهم منازلهم وبيان غليل الحديث من ضحيجيه كاد ينتهي بانتهاء القرن الرابع كما انطقت اذ ذاك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فاكثرت الكتب التي تجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب أو جمع الثبت وبيان الغريب، أو نحت منحنى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان عالة على مادونه أئمة الحديث في القرون السابعة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت النطن اليبب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مراعاة الامور الدائمة ولا نلتفت لليسير النادر

«١٩» توفي سنة ٥٧١ هـ «٢٠» سنة ٥٠٧ هـ «٣» سنة ٧٦٥ هـ «٤» سنة ٨٤٢ هـ «٥»

سنة ٨٢٠ هـ «٦» سنة ٧٤٨ هـ

أم الكتاب الجامعة لتون الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الأفاضل بين صحيح البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزي (١) واسماعيل بن أحمد المعروف بابن التراث (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الأشيلي (٥) وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة (٥)

الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الأشيلي المعروف بابن الخراط (٦) وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (٧) وكتابه مرتب مذهب

وأبو الحسن رزين بن معاوية الصبدي السرقطي (٨) في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحداث الستة فلما جاء أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجرجزي الشافعي (٩) هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول وشرح غريبه وبين مشكل الأجواب وختي المعنى وحذف أسانيد ولم يذكر إلا راوي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة إلا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الأصول لأحداث الرسول لجاء كتاباً فذا في بابه لم ينسج أحد على منواله فحرب الينا البعيد وسهل علينا السير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق إليه من يبرزه إلى عالم المطبوعات فيسدى بذلك إلى طلاب الحديث معروفًا جميلًا. وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي (١٠) وهبة الله ابن عبد الرحيم الحوي (١١) وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديع القيناني الزبيدي (١٢) وهو أحسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولا يباي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (١٣) زوائد عليه سماها تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول وإن في هذا وما قبله لغنية عن كتب الحديث الأخرى وكفاية

تقد مشروع تعميم التعليم الاولى

نشرنا في ج ٨٧ من ٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في تقد تقرير لجنة التعليم الاولى بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولى في مديرية الجيزة وهو ممن طلب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن تقتبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القطر المصري ووجه الحاجة الى تعميم التعليم الاولى رأينا أن ننشر أولاً هذه الفقرات وهي التي انتقدناها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منهما فوائد ذات قيمة ثمينة لمن يهتمهم أمراً الترية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤-١٢ من تقرير اللجنة

٤ - ونم ما قالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فسو الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اصناف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيماً في سبيل الرقي الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ويقضى على أعظم ضرور اصلاح في مهدها فلا تشر ثمرتها مادام معظم من يشلمهم نعمها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع أعمالها الى أن تسبق برأى واسع حال التعليم التى عليها جمهور الامة . فنها :

في الزراعة : الوسائل التى تتخذ لمنع قلة محصول التطن - مقاومة دودة الفطن ودودة اللوز - اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة - ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد - توسيع نطاق التعاون في الشئون الزراعية - زيادة العناية بالحيوانات - توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

في الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولى بين الناس فيما يتعلق بهم وبغنازلهم والبدان التي يغطون بها - تحسين حال المساكن - وضع تصحيبات للمدن والقرى - تقرير أنظمة لتنظيف المدن والقرى - اصلاح موارد مياه الشرب - تخليل نسبة الوفيات في الاطفال - تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية - التذاير التي تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعي السرعة في تداركه - استئصال شائفة الامراض المتأصلة في البلاد كالبول الدموي (البلهارسيا) والرمد

في الاشغال العمومية : المصارف - اصلاح البور من الاراضي - تعمير الاراضي غير المسكونة - انفاذ أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

في التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعي والفني

في الامن العام: ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل في ذلك الرشوة - منع اجرام الاحداث وصياتهم من الفسق - منع سيم المواشي - مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) - اصلاح طرق الردع بالقوة -

في القضاء : انشاء محاكم الاخطا وغير ذلك مما له أثر في اصلاح القضاء

في الادارة : توسيع سلطة مجالس المديرية والمجالس البلدية في ادارة شئون البلاد - توسيع نطاق الضرائب المحلية - الاستعانة في المسائل الفنية بمشورة للمصالح الاميرية المختصة - الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى - اقتناع الجمهور بفوائد التذاير التي تتخذها الحكومة كقانون خمسة الافدنة ونحوه - انشاء محلات القطن - تحديد مقدار الاراضي التي تخص بزرعة القطن - تعمير المواد الغذائية - انفاذ أوامر لجنة مراقبة التموين - قانون المستنقعات والبرك الخ

في الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون الفلاحين - مقاومة كثر الاموال بلا تنمير - توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية - رفع شان الزراعة والتجار المصريين حتى يستغنائهم الوسطاء من الافرنج - ترقية الصناعات - تأسيس صناعات جديدة الخ

في الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة - الاهتمام بالاطفال - مقاومة الشحاذة والشرود (التشرد) - تحسين أحوال المعيشة في بلاد الارياك والقرى الخ

هذه أمثلة عدة - لا تحتاج في سردها إلى خبرة خاصة - وهي قليلة من كثير من وجوه الإصلاح الإداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الآن . وجلي أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ريق الجهل والتمالة (١) من هوة الأمية

(٦) وقد جاء في ملحق السير إدين غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تأليف اللورد مترلند أن تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الإدارة ما ترجمته «على أن السبب الحقيقي يرجع إلى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجح دائم إلا أنزال النهوض بالشعب عامة وتمذيبه . وإنما يكون ذلك باستهاج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الحيرة السياسية» (صفحة ٤١٣) (٧) وقال المسوشارليقي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بتؤمر افرقية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «أن التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول إلى هذا التقدم والارتفاع بمزايده إلا إذا تربوا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتغريه من أذهانهم . فإن مسألة التعليم من أدق الأمور وأشقها وخاصة في بلد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلقتها عصور الجهل المطبق . فإذا لم يتيسر حل هذه المسألة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل باتخاذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتهديب والتفدوة الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة إداري بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٣١٤ ما ترجمته : «إن ملاءمة مصر من الحصب والقوة لا يزال كامنا دفينا إذ هي لم تخط بعد خطوات تذكر نحو القيام بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية وإرسالها إلى العالم بأسره..... وما لا يتوره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الأيام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لأن به من مختلف الانواء ما يناسب كل نزع من أنواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الجهة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه النقا ما ستبقى الزراعة فيه أزمانا طويلة الأمد على الحال القطرية التي تشاهد في القنات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أهم المحصولات

(١) المنازع: النشل والانتقال في العربية أخذ اللحم من القدر وله آلة عفاة تسمى المنشال ويطلق النشل على أخذ اللحم من المقام أيضا ويستهمله كتاب الجرا - رؤسائهم من المعاصرين بمعنى الاتخاذ من ملكة حسية أو ممتوية ولهذا المعنى في اللغة كلمة فصيحة وهي الانتياش قال ابن دريد :

أن ابن مكيال الأمير انتاش من بعد ما قد كنت كالنار البقا

ونحن الى الآن لم نألف افتقار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة يدوية من تبخ هافانا أو الفلن الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط طوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تورع خاصة لاستخراج العقاقير الطبية تكفي لاقناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها . فالزراعة التي من هذا القبيل - أى الزراعة التي تحتاج الى مهارة فنية - لها في مصر من الاحوال الملائمة ما ليس في ملكة أخرى . وقد برى في يدية الامر أن في هذا القول نبشاً من الثلو ولكننا لم نقله جرافاً..... ولكن تنفع مصر بهذه المزايا الطيبة بحسب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بقولهم وأيديهم ما لذلك لانكون مبالغين اذا قلنا بان حاجات المستقبل ستكون كفيلة بإيجاد طاقة جديدة راقية من المصريين أي بإيجاد شعب يجمع توفد القرى الى ما كان لأجداده من قوة الاجسام» وليس هذا الانتقال المنتظر في المستقبل مقصوراً على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى العضلية قد فات ونحن الآن في عصر انبثق فيه فجر العقول»

٩ - وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألفتا بأمرها : الاولى برئاسة حضرة صاحب المال اىسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة ، والثانية برئاسة جناب اللفتنت كولوئل بالنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من انفاذها عقبات كبيرة للجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠ - فقد جاء في تقرير لجنة توسيع نطاق التجارة والصناعة ما يأتي :
«ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصغرى المصرية لهو حجة قائمة وشاهد ناطق على ما بالبلاد من النقص الذي تش منه أنين الشكى وترزح تحت أثقاله . فان خلو الاعمال من النظام والترتيب واستهانة المال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق

«فاذا سأل سائل ما حال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن ما يتبع الآن من الخلط في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الفرض السامي المقصود منهما وعن النهوض بها من الوجهة الخلقية . اذ مما لا نزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يعم حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

تقصها وتسكبها النرض المنشود بل انها مبنية على أساس فاسد غير وطيء الاركان . فهي بدلا من تمويد النرض النظام وحسن التدبير تولد في نفوسهم الاسراف وسوء الادارة في الاعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاعمال وتصرفهم عن الجهد والنشاط . وهي تفرس فيهم التردد في الامور اوقلة العناية بها وعدم النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من الوجهة المعنوية وبذا تموت تقدمها من الوجهة الحسية أيضاً

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي الى أقصى درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة الى ضرورة الاسراع في اتعاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الاولي وتوجيه مزيد العناية اليه . وترى اللجنة أيضاً أن من الواجب عليها التنبيه الى ضرورة بذل مزيد العناية بأمر التربية وتقوم الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الامة بأسرها»

١١- وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولاً موجزاً في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شعب من الشعوب الى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه - قبحا مادام الجو الذي يعيش فيه ملوثاً بالافذار . فانا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تملوه الاوساخ وتحط فيه رحالها الافذار . فهي كما كانت في قديم الزمان ملطخة بالامراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن بلادهم ما دامت الامراض تثقل عواتقهم ونحيم على رؤسهم . ان نسبة الوفيات في الاطفال رائدة فثلث أبناء الامة يموت وهو في سن الطفولة وغضارة الحياة . هذا الى أن انتشار الحشرات والهوماء بين التلاحين لم يقل على الرغم مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحيات الراجمة التي تنتك بالاهلين فتتك ذريماً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شعواء للقضاء على الجهل والقدارة : واستئصال شاة المرض والبؤس» وما يلفت النظر أنها ذكرت الجهل أولاً ولم تعلق أملاً كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاحاً واقياً بل فرضت بتلقيح أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

«فإن الحقائق التي وقعنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يقضوا مع الجيش مدة يضطرون فيها إلى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يرجعون إلى مواطنهم بالقرى إلا وهم عائدون إلى سيراتهم الأولى . فتراهم لا يعبدون إلى بث شيء في نفوس قومهم مما تعلموه من أسباب النظافة . وكنتى بتاريخ الجيش المصري دليلا على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء . فإن الجندي المصري بالرغم من تدريبه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق السحية المتبعة في المسكرات والشكنات لا يكاد يرجع إلى قريته إلا وهو مندمج في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم »

وختمت اللجنة قولها في هذا المقام بأن أوضحت أن أنجع وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لا تكون إلا بالبدء بتعليم الطفل ، فإن الطفل المنحل قد يصبح أستاذا لو لديه غير المتعلمين ويكون بمثابة النواة الأولى التي تنبت منها على مدى الأيام عوامل رقي الفلاح .

١٢ - وقد نشرت جريدة (الآخبار) بمدها الصادر في ٢٨ أبريل سنة ١٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (عالموا القراءة أولا) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفا ممتعا لا يخلو من المبالغة وبين فيها أن مصر لا تحتاج إلى جامعات جديدة بل إلى نشر التعليم الأولي بين جمهور أهلها . قال مانصه :

«السواد الأعظم من الأمة المصرية من الفلاحين لا يسي الجلايب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يعرفون القراءة والكتابة . أما الأفراد القلائل المقيون في هوامم الفطر فلا يمتد بهم لقله عددهم بالنسبة لمجموع الأمة . فإذا أرادوا حدم الفلاحين أن يكتب صكا أو جوابا لا يجد من يكتب له فيضطر أن يسافر من قرية إلى أخرى حتى يثر بشخص يعرف كيف يخط . وكتابة مثل ذلك الشخص لا يترك رموزها إلا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شاميليون الذي تمكن من قراءة الخط المبروقليني :

(نحن المصريين لانعرف من أصول الصحة شيئا . وكل من ذهب إلى إحدى القرى أو العزب يشتم قبل أن يسأل إليها بيضة أميال الروائح الذكية (في أنوف ساكنيها) المصاعدة من أقدام السائرين القائمة كاهرام المنومة من أجسادنا وهم

تجريت بالقرية أو القرية من كل جهاتها . ويرى بحوري جامع القرية ذات المنظر الجميل تجري الى القرعة التي يشرب منها أهل القرية بدون استئذان . ويرى شكل القرى الكثيب والمنازل المتلاصقة ذات الابواب الضيقة والنرف التي ليس بها منافذ ويرى الفلاح قائما هو وأولاده بجانب جاموسته لافرق بين الجميع .

ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كاسم عزرائيل عند المشركين . فإذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى اخفوا بأسرع من لمح البصر إما أن يحموا الى جهة في النبط بعيدة أو يدفنوا في قش الارز أو حطب القطن المكوم على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طبا) شيئا اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لا شيء أكثر من الماء عند الفلاحين نجد أكثرهم قدرا وسعا وكأنه يخشى أن يظلم ملاسه فتحميها تلك الحلوقات الشريفة ونهرب بهيأ لكثرة مائة لها بهرشه وكوشه فهو دائما أبدا في قلبها .

ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين أو من عهد أينا آدم الا الفلاح المصري . فلو بحث فلاح من أيام الفرائنة لراى أخاه فلاح اليوم لم يخن الامانة ولم يبد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه بتبشير أو تعديل . فالحرث والشادوف والطنبور والظالة الخوص كلها محتات العتيقة كما تركها له . ووجدته أيضا لم يفر شيئا من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد ولم يحسن نوعا من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طمعة التاجر والمراي مهمما صفت الحكومة من القوانين لحمايته .

«فهل ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات التي تدرس الفلسفة والتاريخ او يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ما تريد أن تعلم ايام الحكومة بمشوراتهم ولوائحها » قال أي شي ء تحتاج الامة المصرية اذن لتتقوى وتبذل في مصاف الأمم الحية وباعو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتستطيع أذهانها وتتم وترتقي »
«(أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء)»

وهناك جرائد مصرية أخرى ألحقت على الحكومة ترلو واصاحت بوجودها الشرع

في تعميم التعليم الاولى والمساعدة الى ذلك حتى نستطيع أن نخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل . انتهى نص الفقرات الخمس مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار وبليها ما كتبه عبد الله افندي أمين فيها وهو

التعليم الاولى والاصلاح

قد الفقرات ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الأدلة على ما جاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشو الجهل بين جمهور الأمة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد وإن ضرره لا يقتصر على إضعاف الأفراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً جسيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم مشروب الإصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشملهم نعمها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها » .



ويراد اللجنة من هذا الكلام إتناوع أولي الأمر بوجوب الإسراع في تعميم التعليم الاولى بحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير أنه شغلها مما سواه فقامت أن تقصير الاهالي في قيامهم بتصديهم من اصلاح الحكومة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فتصور مداركهم ، ليس أكبر من تقصير الحكومة نفسها وهي رشيدة طيبة وبينها وبين الشعب « هوة » لا تبصر . (أنظر ١٤ و ١٥) في قيامها بتصحيحها وحدها من الإصلاح نفسه ولا شك أن قواعد الإصلاح وأصوله كلها ما كان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها بعضاً . فلو أن الحكومة كانت مثالا لشعبها فقامت بتصحيحها من الإصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

ولتوسيع هذا النصيب في نفوسهم سروراً عظيماً به وشوقاً إلى القيام
بنصيبهم من الإصلاح

ولو أن الحكومة أكثر من مستشفيات الأمراض ومستشفيات
الارماد المتنقلة والثابتة وأنشأت حمامات ومنازل وأحواضاً لتخزين المياه
وترويقها في القرى لأقبل عامة الشعب على هذه المنشآت باقبالهم الآن
وقبل الآن على ما أنشئ من مستشفيات الرمد وهو عظيم جداً ولا تزورها
على طب السمودة والتجارب الأهلية الناقصة الفاسدة وعلى الاستحمام
وغسل الثياب في مياه الترع والمصارف الراكدة وعلى شرب ماء النيل المكر
وأصلح ذلك من أجسامهم ونفوسهم وعقولهم أكبر إصلاح لما فيه من وسائل
حفظ الصحة ومن الانصراف عن العادات السيئة والتجارب السخيفة
والاعتقاد الفاسد فيها

ولو أن الحكومة قدرت مثلاً مكافأة لمن يتتبع مادة وخيمة جداً
إذا مزجت بالتراب جعلته صلباً صقيلاً ترصف به الأرض وتيسر لها
رصف الطرق الزراعية الرئيسية وغرست على جانبيها الأشجار الضخمة
لدفعت عن الشعب عادية التراب وما يحمل من جرائم الأمراض المختلفة
وأظنت قد دفعت عنه حرارة الشمس، وليثبت بذلك في نفوس الأهالي
يقظة وانتباهاً لأمورهم في أشد الحاجة إليها — انتباهاً لا يمكن أن
يكون بالنصح والأوامر وحدها

إن وسائل تربية الشعوب وتهذيبها كثيرة جداً. وكثير من هذه
الوسائل من عمل الحكومات وهي أقدر على القيام بها من الأهالي ودولى
بها منهم. غير أن سكوت الحكومة وتراخيها وحاجة البلاد الظاهرة إلى
(المجلد الثاني والعشرون) (٢٧) (المجلد الثاني والعشرون)

المعمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين
الخلاصين الى القيام بما تحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا بمنتظر المسئول عنهم
وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استعداد الاهالي أو امتناع
الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ما قام به مجلس مديرية الجيزة المحترم
من انشاء مستوصفين متتبعين في انحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئيسه
المنطور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والعزم والثقة بالنفس
وحب الاصلاح حضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهمي بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتتبعين لما كان يتوقمه
من الآثار الجلييلة التي يتركها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم
وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك ! فان الذين عولجوا فيهما يمدون
بالآلاف . ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك . وقد كانت أحق بهذا العمل
منه غير أنها سكنت ولا تزال ساكنة حتى مكن الانتظار ونقد الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح العوس . فقد
نقلت في الفقرة (٢١) من (المستر لکي) قوله « أجل ان التربية العقلية
المحضنة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال » وتعلم أن الامة لا تغير
منها حتى تغير مابنفوسها ، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن
يئنها وبين عامة الشعب « هوة لا تُشَبَّر » من أن تسمى جدران السمي في
البحث عن العلاج الناجح لتغيير شعبها مابنفوسه — شعبها المخلص الذي
ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندى اذ نقلت في الفقرة (١٩) من
التقرير . « وأعنى بهم الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين
الاذلاء . متين »

وما تلك الوسائل النافذة؟ تلك الوسائل هي الاصلاح القبطي كانشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها، لا النصائح الدولية والاوامر الكنايية التي لا تغير من نفس ولا تحي من عمل. لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة العنيفة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر بالمليم، وتمدد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكون مثالا حسنا في الاصلاح لشبهها فتأخذ بنصره أخذًا صحيحا الى منازل النعم الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من اقرب الطرق وأقومها وألا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتوفى نصيبها من الاصلاح حقها

انها ان ظننت ذلك وعولت في كل ما ترهب من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وألقت المبدأ كله عليه، خابت الآمال وضاع الوقت سُدَى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكمين وجهل المحكومين

نقد الفقرات ٢ و ٢٤ و ١٢٥

استكثرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)^(١) من التقرير ما ينفي عن التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٥] ليس الامر مصورا على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقى الذي لا يستفيع به سوى طائفة صغيرة بمنازاة من الامة لان دفع روى قسم ضئيل من النفقات التي يتطلبها تعليم أبنائها، أما سكان الاقاليم الذين تتوقف ثروة البلاد على كدم ونصبهم فلا يكادون يتألور قسما من التعليم في مقابل الضرائب

بجانب ما ينفق على التعليم الاولى. وانكرت في الفترة (٢٤)^(١) من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية — وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضح أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لوائها — بتعليمها الطبقة التي تقع معظمها على كاهلهم

واذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الاولى الاربع وهو ٢٨٨٠ من البنين والبنات وصافي ما ينفق على المدرسة الاولى للراقة للبنين والمدرسة الاولى للراقة للبنات وقدره ٤٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الاميرية وهو ١٨٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة لبعض مدارس صناعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠ جنيهات — اذا استثنينا كل هذه المقادير ومجموعها ٦٨٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ — ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب. على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية. ثم ان الألمانية والسبتيين من آلاف البنات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب بقابلها ٤٩٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والمعار الموقوف لتلائق على المكاتب الالهية. أي أن ما تنفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفقرة ٢٤] قال المستر أسكويث «ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على ما يتوافر لدى أدنا طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية » ويرى أنه لم يبين الحكم على ما وصل اليه القليلون من خيرة أفراد الامة الذين ضربوا في التحليل الرافي بهم . فاذا أردنا الوقوف على ما يتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الكواخ الحفيرة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيمنته والى شيوع الفذارة والافساد وفشو المال والامراض وهلاك ثلاث الالبناء في طفولتهم وانتشار الامة بحال رابعة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الافراد واقتصار

الرافية للأمة التعليم العالى قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولى . بلا شك) وعدت عملها هذا عملاً مقبولاً وضربت لذلك مثلاً قول (السير كلنن دوكتز) في الفقرة (٧) ^(١) «ان التعليم الاولى في مصر شبيه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل»

كعدم على القوت اليومي . قبل الى ترقية تلك الاحوال في الامة المصرية من سبيل سوى تعليم التعليم لا . ومن المبعث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقي المنشود بالبدء بتعليم الطبقات الراقية قبل عامة الشعب أو بالاعتقاد على ما يحدث من التأثير الذي ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالتهوض بالتعليم العام وتتطلب نشر نور العرفان في الامة بأسرها .

قال الشاعر يرونيخ في قصيدته المعنونة برالس مامناه بالربية

كتب على لوح الحقيقة حكمة	ان الرقي شريعة الاعيان
مالي ارى الانسان ينقض هيبه	من نور تلك الحكمة الزهراء
أجد حتى صار أهلاً لاسمه	ان حق فخر الناس بالامناء
أم نال ما نعبو اليه طباعه	من درك أعلى ذروة البلياء
أم أعمل المكنون من قوته	كي يعلأ الدنيا من النماء
أني يتوج بالسكال ولم يزل	في العلم معظه من الفقراء
وكان أمل العلم بن سواده	بعض النجوم الزهر في الظلام
أو بضعة من نسل هوج حولهم	جسم من الاقزام والضمائم

(١) [نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من يادي الامر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلي العالم والسياسي الشهير : «ان مسائل التعليم الاعلى كينها تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفضلها» . وقال اللورد كرزن أيام كان حاكم على الهند : «ان طيب الامة الحقيقي هو ذلك الذي يصف لها النعم وسيلة لحرية أبنائها» . وتناول كل من اللورد كرومر في كتابه «مصر الحديثة»

فكان هذا الاستكثار من اللحنة مع ذلك الاتكار المقرون بهذا المثال فصلا حادة تتناولها الحكومة اذا شئت ومتى شئت لتخزبها التعليم العالمى وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها من كبار المستثمرين قد تركت فيها أثرا جعلها ترى التعليم العالمى بعين جنبية لانه يستطيع أن ترى بها حل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان - مثلي - لا يجد لها فيها يتلص من الماذير الا عذرا واحدا وهو ما يخيل الى المفكر في أول الامر من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولى ثم التنقل به بعد ذلك في مراحل التعليم الارق موافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك حق واضح ، لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يقبله كيف يشاء ، وينقله من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسيرالدون غورست في الملحق الذي ذيل به كتاب اللورد ملترو هو « انجلترا في مصر » البحث في وجوب اتباع خطة سديدة في التربية ترمي الى تحسين حال الامة عامة من الوجهتين العقلية والحلقية (انظر الفقرتين ٦ و ١٥) . وقال السير كانتن دوكنز في ملحقه لكتاب اللورد ملتر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر يشبه بمصر « قلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المالية كانت الى عهد قريب تنعم من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعها ومن سد حاجة الامة اليه سدا وافيا وقد أوزر اتفاق ما يمكن بذله من المال في هذه السبيل على توسيع نطاق التعليم ذى الصبغة الادوية الذي يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه اليه من هيئة أولي الامر الا النزر اليسير . لذلك رأينا أن واجبا غير مقصور على درس موضوع التعليم الاولى من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها منزهة عن سواها وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطها بالخطة القومية التي تتبع في التعليم بوجه عام ،

ليكون اخبر بحاجاته ومنافعه ومضاره

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها فليس كبار العقول
يقودونها الى السعادة ويرفعونها الى اوج المنظمة . لذلك كان تعليم طبقة
رائية من الامة علما راغيا قبل تعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة
النشوء والارتقاء فى الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة
قديمة وحديثة دالة على ان آمما كثيرة نهضت من غارها ونشطت
من عقليتها بأفراد منها . فالغاية بتكوين افراد افذاذ فى الامة
تكويننا فاقا احق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليما اعظم
ما يقال فيه انه اولى

هذا ما نراه ونشعر به . ولم يسعدنا الحظ قط بان سمعنا او قرأنا ان
امة بأسرها امسكت عن التعليم الدالى جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاولى
ثم اخذت بعد فى اسباب التعليم العالى ، وان اوتيت اوصاء حكماء ورحماء
بصراء اقوياء من الاجانب

على ان التعليم العالى لا يزال جنينا فى بلادنا ، فأين يضم مدارس
اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم العالية من جامعات كبيرة تدرس
فيها كل علوم البشر امع ان العلم الذي يدرس فى مدارسنا العالية لم يكن
له فى البلاد من اثر ظاهر نافع الا ما كان من علم الطب

لقد كان للجنة التي رأت حاجتها الشديدة الى النظر فى التعليم بوجه
عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تفتش عن حل آخر لا مكان تفرغ الحكومة
للتعليم الاولى . ذلك بأن ترى مثلا ان فى وسع الحكومة ضم مدارسها
العالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة معاً في النفقة عليها على نحو الخطة التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي فيكون دراجة لنقل التليم المال كله من يد الحكومة الى يد الاهال فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تشغل نفسها بجمامة لها كما جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لاتبرين المحكومين والحاكين كما تري اللجنة في الفقرتين (١٥١٤) فالذي حفزها انما هو التربية المدرسية لا الملم ذاته. فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه وينزع عنه زي بلاده ويلبس الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبت بالصيغة الغربية (فقرة ٢ وفقرة ٨٨) فيُعمّر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحنها الروح الغربي ومعلمين غربيين او ممن خلعوا عنهم رداء الوطنية الصحيحة من قبل، فيشب على عادات واخلاق تزعمه في أمه وأبيه وسائر معاشريه كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الغرور بنفسه. وما أبعد الشقة وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيح له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم فيه ربحاً من الزمن يفقد فيه لضعفه البقية الباقية له من سجاياها الوطنية حتى المحمودة منها !

هذه حال نشأتهما كل يوم في أكثر الشبان والشواب وقد نسوا جميعاً معارفهم وعلومهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها وارادوه قلبت الهوة السحيقة البعيدة النور بين الطبقة الراقية من المتعلمين وبين عامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة الراقية التنفيذية التي شوحت بتربية لاتلائم تقاليدنا وأمرحتنا وعاداتنا

١٠ بنا دليلا على ذلك ما نجده فممن يتخرجون في مدرسة المعلمين الناصرية ويرسلون الى أوربا بعد أن يكونوا قد صبغوا بصبغة وطنية محضة فانهم يعودون ومعهم الى آلهم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم إليها قبل أن ينادروا بلادهم لان العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس المائل الوسواس والافهام والخطأ الذي يدفع بكثير من ناقصي العلم والمدارك الى استصغارهم أو طاعتهم وآلهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لسبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تمتلئ عليهم الحقائق ويحاط عليهم الحابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في المحوة بين اللطائفين لا العلم المالي الذي تمنحني اللجنة انتشاره قبل التعليم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال



حضرت مرة مجلسا جمعي بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زي ظريف ويحمل عصا ونظارة ودبر سكاكرا من ذهب وأعجب من هذا وذلك انه يلبس سوارا من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احدهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والآخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سنا ومقاما . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له أبوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده ويفقه كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقدارا هيا . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والاحشاد حاول إغلاقه واستخف بأبيه وهو على نسمع ومراى منا لا شيء

آخر سوى الفرق بين زيه وزى أبيه والنزعات النفسية فيهما. أما المعارف والعلوم فهو منها خالي الوفاض بإدبي الانقراض قد نسي تكلم القشور التي قد حصلها منها .

فشل هذا سيمود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها لا سيما إذا عاود ويده شهادة . وأي خير يرجي من مثله لبلاده؟ وأين هذا الشاب المسكين المغرور بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصفة وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأنتم الدراسة فيها تم سافر إلى أوروبا؟

الخيال في الشعر العربي

٢

التخييل التحضيري

تداعى المعاني بوسيلة التذكر للأسباب التي كنا بصدد البحث عنها ، ثم الخيلة تلتخب منها ما يناسب الفرض ، وهذا العمل اعنى الانتخاب يسمى علماء النفس تخييلا تحضيريا لانه العمل الذي تتمكن به الخيلة من استحضار العناصر المناسبة للرام

تقتصر الخيلة عند الانتخاب على ما يدعو اليه الفرض حتى انها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الاعضاء التي لا تدخل لها في المعنى فتتصور الجواد بغير قوائم كما قال المتنبي

اتوك يجررون الحديد كأنما اتوا بجياد ما لهم قوائم

والمقرب بغير ذنب كما قال ابو هلال

تبدو الثريا وأسر الابل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وربما انتزعت العضو من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هاني اليد فقال

ولاحت نجوم لانريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
وأخذ ابن المتر القدم فقال
وارى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد
واخذ آخر القلب فقال
نقل الجبال الرواسي من موطنها أخف من رد قلب حين ينصرف

التخيل الابداعي

بعد أن تنتخب الخيلة ما يليق بالنرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف الى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التصرف تخيلاً ابداعياً أو اختراعياً ويجري هذا التخيل في التشبيه والاستمارة وغيرها
فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب
وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والغناء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني الممدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقلص ضوءها وينغرب عن العيون مشهدها عند ما تنجلي الشمس في طلعتها الباهرة

واما ما تذكر فيه اداة التشبيه فلا يستطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لأعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج المقول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة المقول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبديهة أو اخراج الضميف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الأثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبتة الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينتظر فيه الباحث عن الحقائق كاتيلسوف أو الطبيب

فلو اتفق ان وقف قمي بجانب ظمي وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفت أحدهما صاحبه قيد شرب فبدأ لك أن تتحدث عنهما فقلت ولوفي نظم « كان فلان

في سرعة عدوه كالنزال « لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عقد المشابهة بينهما في هذا الحال يشاركك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخييل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ماجرت تسمى ولكن في الهزيمة كالنزال
حيث ان الخيال بحث عن صورة المشبه به وهو النزال وانتقاها من بين
سائر الصور المتراكمة في الحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه
وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين النزال
وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخييل والتشبيه الذي هو
جائذ عن طريقته فانظر الى قول الجنون

كان القلب ليلة قيل يندى بليس الصامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تعالجه وقد علق الجناح
فترى الخيال هنا قد تجول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع
منها هذه المعاني وهي وقوع القطاة في الشرك وعلوق جناحها به ومعالجتها له كي
تتخلص منه وضم بعضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانصعدت المشابهة
بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب الصامرية فاخذ يرتجف وجل من لوعة التراقب
ولونظر شامخ الى ازهار منتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلاً
هذه الازهار في منظرها وشذاها مثل ازهار الربا
لاستبردت شمره لا ول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر
كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

بيد أن ذلك التشبيه نفسه لو صدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعى ان هذه
الازهار ليس لها لون ولا تقحات عطرة كالازهار التي تنبت على الربا لاصفيت اليه
سمك وتلقيته منه بكل وقار. وما ذلك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً
ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما القاء اليك
في صدد البحث عن الحقيقة فلا تنتظر منه أن يصله بشيء من عمل الخيال
والاستمارة يصنع فيها الخيال ما يصنع في التشبيه المجرد من الاداة الا أنها
تعرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا انيف اليها
بعض معان عمد اختصاصها بنوع المشبه به أعني ما يسيه البيانيون ترشيحاً ،
ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

من النفر النر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية خبر
 اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفرعت الافلاك والتفت الدهر
 اراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدلحة
 والسلوة التي يرهبا كل خطير فساق اليك هذا النرض في صورة تنظر منها الى
 سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى
 فيها الحسام الواحد كيف يسلم من جفنه فترتمد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر
 حذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن الفرج الذي ينبعث من مطلع
 سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الأولى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا
 التعبير المألوف الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانون بقولهم استمارة مصرحة
 ثم خيل الفلك في صورة من له قلب يتفرع والدهر في صورة من له وجه
 يلتفت، والتصرح باسمهما بمد هذا التخييل يدخل به الكلام فيها يطلقون عليه
 لقب الاستمارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمان السيوف
 وتألقها المشاهد بالابصار على غلط قول بشر

سللت له الحسام نفلت أني شقت به لدى الظلماء خيرا

ولكنك تضيف من يدك ما أعاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها،
 والظفر مترون بطالمها، اذ لا يلزم من لحنها في حواشي الداجية أن تلمن في
 لبثها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المار) هذان البيتان من قصيدة للبارودي يمارض بها رائية أبي فراس
 المشهورة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد
 المار السابع وذكرنا البيتين وعلقت عليهما بمباراة لا بأس بذكرها هنا لأنها في
 الاشارة الى ما فيهما من الخيال وهي :

وبالله ما أرق حاشية قوله «لها في حواشي كل داجية خبر» وما أدق غزل خياله
 فيه . وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع يلاغته السامع حتى يخيل اليه أن الافلاك
 تصدعت مما تفرعت فيلمس رأسه مخافة أن يصيبه كف منها ويشبه له الدهر رجلا
 فجثته المجب، فالتفت الى السبب، وليكاد يلتفت ما يتخيل من التفات الدهر، ويلم
 به الدهش والذهر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله
 فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص بصره منب يسر ما يكون
 من فعل ذلك السيف المستل، في يد ذلك البهمة الامثل، ووجه ما يقال في البيتين
 ١١ : السحر الذي ياخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله وحسه .

ومن التخييل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد لصاحبه بالحق في الصناعة وأنت تشرب أنه عرض عليك الموهوم في حلية الممقول كقول الطائي

ولا يروعك إيماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب
أخبر عن الشيب بأنه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان
لكل أحد ابتغاء أن تأنس العين لرأيت ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس
هنا من قبيل التشبيه إذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يمهده السامع حتى
يقصد الشاعر إلى تشبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في
الراقم ولهذا تجد في نفسك ما يناجيك بأن صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق
وان استحكم تأليفها ودق مأخذها

ومن ما يستلحه الذوق ويسمه نظر الحقق ونجد هذا في قول زهير
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا
فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لك أن تطرحه من حساب
التخييلات المقبولة، وبلوغ كف المدحوح الأفق لا يتفق مع النظر الصحيح
غير أن تعليقه على حصوله لإنسان من قبل وإبراده عقب حرف الشرط الدال
على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينبذ العقل
تفضايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من الحافظة على وجوه شتى، ولا
يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فلم لك بمهمات ما يصلح أن يكون بمنزلة
أصل تتفرع عليه تفاصيلها
أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر غملا سفينا

فإنه امرؤ في حلية الفخر حتى وصل إلى التمييز عن منعة الجانب، والسطوة
التي لا يفوتها هارب، فخطر له أن يشت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز
ما يرهبون به عدوهم فذكر أنهم ملأوا البر جندا حتى لم يبق فيه متسع وغلاون
ظهر البحر بالمنفات من السفن ليدل بهذا على أنهم لا يبالون بالصدوم من أي

ناحية هجم ولا يتماصى عليهم ادراكه في أي موطن ضرب بخياله
والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته
وسفنه حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما
تغص الشككة بجنودهم وان البحر يتموج بسفنه كوج السماء المصحبة
بكرابها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يعصف وقمة الاسد حين قسمه بالضربة
القاضية على شطرين

نخر مضرجا بدم كاني هدمت به بناء مشمخرا
فقد تخيل عند ماسقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ وتغص
من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجثة الاسد الى أن
جعلها في العظم بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقا
ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كنى بجسمي نحو لا أني رجل لولا مخايلتي اياك لم تزي
وقوله ولوقلم أقيت في شق رأسه وخط به ما غير انطط كاتب
فالسب وان تقلب على فراش الهجر أمد أطويلا وأكل الوجد من لحمي حتى
شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يسل في نخافة الجسم الى أن يسه شق رأس
القلم أو يخنى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر
ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخايلته للناس هي التي تهديهم الى مكانه
فيبصرونه ، ولولاها ل بقي محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبالتهم ، وادعى في البيت
الثاني أنه لو وقع في شق اليراعة وانطلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله
ومنها — جعل الموجود بمنزلة الممدوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كاني لم آتيا
وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى وانتقام الاخطار يجنان ثابت وعزم
لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفزع للنتائج انه لم يكن قد خاض
فمارها ، ورأها كيف تنشب أظفارها ، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن الخطوب
المدلخنة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقفتها في مجرى العادة الا من حاد عن ساحتها ،
وجذب غناؤه عن السير في ناحيتها ،

ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولما في هذا المقام أربعة

أحواياهم (تخيل المحسوس في صورة المحسوس كما في قول زهير
 البرق قد تمشى حياء الكناس فيهم كالغشاء
 نرى من أحييت مقابلهم ولم تهرق دماء

فهذا الشعر يصور لك من دارت نشوة السكر والغناء برؤسهم، فاجهزت على
 البقية من شعورهم، في صورة قتل لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق
 أو سقاء سم دب ديب الحمر في مفاصلهم

(ثانيا) تخيل المقول في صورة المحسوس كما في قول الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي قلت علام تنحب الفتاة
 فقالت كيف لا أيبكي وأهلي جميعا دون خلق الله ماتوا
 تصور المروءة في ذي فناء فتسئله أن يستد إليها البكاء ويسقده بينه وبينها
 هذه المحاورة

(ثالثا) تخيل المقول في معنى المقول وهذا كن تخيل اللذة في معنى الكفر فقال
 أمطري لؤلؤا جبال سرنديسب وفيضي أجيال تكرور تبرا
 منزلي منزل الكرام ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
 (رابعا) تخيل المحسوس في صورة المقول، وهذا لم نعلمه على مثال في كلام
 العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المولدين بإيراد
 المحسوس في معرض المقول كقول المتنبي

فأهض بنار إلى غم كاهما في العين ظلم وانصاف قد انقضا
 وقول النازكي

تمرغم الأتراب بالخيف من منى مرور الماني في مفاوز أفكاري
 وقد يمد الشاعر إلى بعض الماني وينبغي عن أفراد المهددة ويثبت الأفراد لمهموم
 آخر ونجد هذا في قول بعضهم

ليس من مات قاصد راح بميت إنما الميت ميت الأحياء
 إنما الميت من يمشى كثيرا كاسفا باله قليل الرجاء
 قد نفى أن يكون من قضى نحب ميتا وأطلق اسم الميت على من قاضيت نفسه

كأية وضاق صدره يأساً على طريقة القهر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع اسم الميت إنما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصاً منه، والذي أخذ به إلى هذه الدعوى ما نخبله من أن خواص الراحل إلى القبر وهي مفارقة ما كان يشتم به من طيبات الحياة واطّاع أوله منها ونكت يده من العمل فيها توجد باجمها في الكتيب اليانس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا على مطية المنون لانه يزيد عليهم في الشقاء بأنه يصل نار الحسرة والاصف بكرة وعشا
وقد يكون الامر مر بوطا بملّة محققة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من عنده ويحمد هذا في قول أبي العباس الضبي

لا تركزن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين tendل الى الغروب وتنطفئ بهربها إنما هو الوجل والحلم من مفارقة الناس الذين طلمت عليهم ذلك اليوم حيث انصابت بينهم وبينها فيما يزعم عاطفه ألفة وإيناس
ومما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد ينساقط في حديقة

هز التسيب غصون الروع في سحر كاهز بنات الفادة الزوا
لقد (١) الحفيف على اذن السحاب أما تراه يحنو على أدواها دورا
وقلت وقد أخذت الريح تنسف في روع

قام هذا الروع يشدو مادحاً بلان البلبل الزاهي ضجبا
وتدأى غاليا في مدحه فحنت في وجهه الريح تروبا
وقلت في حال أشجار تراك عليها الثلج ثم ضربت فيها الشمس فاخذت تقاطر عن جوانبها
نسج الغمام لهذه الاشجار من قرل الثلج براقما وبعلايا
والشمس تبعث في الضحى باشعة تسلو على تلك اليااب نواجا
فبكت لكشف حجابها أو ما ترى عبرتها بين الفصون سواكا
وقلت في حمرة الشفق

قل الدجى هذا النهار ودسه تحت التراب مضرجا بدمايه
(٢٩) (١-١١) (٣-١١)

خذوا من الشفق الشهادة أنه لطلع من الدم نال ذيل رداثة (١).
 وبما يصاغ التليل في قالب التشبيه كقول أبي تمام
 كأن السحاب الفرخين نحتها حبيبا فلا ترقا لمن مدامع
 فلو حذفت أداة التشبيه حال كان الباقي بمنزلة العلة الخيالية لتزول الفيت المنسجم من
 يتابع السحاب، واقتترانه بأداة التشبيه يجعله بحيث يسكت عنه العقل ولا يمانع من أن
 يدخل في سبيل المعاني الصادقة.

ومما نظمت على هذا المثال وكان الجوى يذف وقت السحر يفتار من التاج
 تطاول هذا الليل والجوى مزيد فضاقت بأواج التلوج مسالكه
 كأنني أذيب الصبح بالمدق التي يقلبها وجدي وتلك سباتك
 وقد يقرر الشاعر معنى ثم يقابله بأمر أوضح منه عند المخاطب دون أن يصرح
 فيه بأداة تشبيه بل تكون مصدرة بأداة استعظام كقول مسكين الدارمي
 وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بنهر جناح
 أو بأداة التوكيد فقط كقول أبي العتاهية
 ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليلس
 أو تقرن أداة التوكيد بالفاء كقول بشار
 فلا تجعل الشورى عليك غصاصة فإن انطواني قوة للقوادم
 أو بالفاء وحدها كقول بعضهم

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطرب يرقص مذبوحا من الالم
 وتوجه البحث الى معنى البيت الاول ثم لا يشبهه عليك بعد تحوير الفرض منه
 ان بقية الايات جارية بمعنى التمثيل، أو ذاهبة مذهب الاستدلال والتعليل
 صدر الدارمي البيت بمحمل ابن عم المرء بمكان الجاح له، والشار الثاني ينفي
 عن البازي أن ينهض بنهر جناح ومعنى الشايرين لا ينتمى الا بملاحظة جملة مطوية
 ما بين الصدر والمجز لم يفصح عنها الشاعر لسهولة مأخذها وبعد ملاحظة تلك الجملة
 يكون مفاد البيت أن ابن عم المرء بمنزلة جناحه فلا يقدر أن يقوم بأعباء الحياة أو يدرك
 فيها غاية شربة الا بمصادته كما أن البازي لا ينهض الى الطيران لا اذا ساعده

جناحه فالقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه نجة البازي الى جناحه وليس القصد الاستدلال حتى يلتحق بيت أبي تمام المسوق فيما سلف للاستشهاد على التخييل الذي يراد منه المحادعة وقول الدماميني

فلا تعجبوا يوما لكسر جفونها فان اثناء الحمر في الشرع يكسر
فلا سلوب في نفسه وارد في الغرضين غير ان غوى الكلام وعجى الخطاب
وطبيعة المعنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل
وقد يعمد الى أمرين يذهبا للناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيعتقد
بينهما تشابها وتجد هذا في قول الممرجي

وشبيه صوت النعي اذا قيد من بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة ام غدت نبت على غصن دوحها المياد
فالمهود ان النفس ترتاح لصوت النعي وتنفض حزنا، وترتاح لصوت البشير
وتأنس له طربا، ولكن الحكميم ينوص في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تعبر
اليه من العواقب، فيترأى له ان ليس في الحياة ما يدعو الى لذة، او يستثير النفس
الى جزع، فتكون نعمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا
ما بين النواح والحداء (له بقية)

باب الاخبار التاريخية والآراء

مفرق العرب واختلافهم في جزيرتهم

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استحسان عظيم
عند أولي الرأي والفيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والعشرين
في مسألة الجبلان. بين الجبلان ونجد - تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه
المسألة في سورة اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذلك
وأكبر معائب العرب بأنهم وأمرهم أنهم قد ازدادوا تفرقا وتماذا
وعذرانا وتقانلا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتساق والتواد والتعاون فيما بينهم،
وقد رأينا في جريدة القبة المسكية التي هي لسان حكومة الجبلان ورأيها مقالا
في التمادي والتقاتل بين العرب السعوديين ومن يتصل بهم من عرب نجد

والسكوت واليمن وبين عرب عسير الادريسين وعرب اليمن العليا التابعين للإمام يحيى، وهذه الجريدة تلقي تبعاً ذلك على الامام ابن سمود وعلى السيد الادريسي الذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان نحن عرب نفار على جميع العرب، ومسلمون بفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب والمجم ونهم بأمر حفظها وصيانتها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا، وقد حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليفه ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسله وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام. فلا يجوز أن يقع في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولأن يكونا موضعاً للنزاعات الحربية ولا السياسية لانها قد تفيض الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى الحكومات الاسلامية العربية المجاورة للحرمين التصدي لاصلاح ذات البين ولو بقتال الفئة الباغية حتى تنهي الى أمر الله، ولكن مثل هذا الاقتراح لا ترجى فائدته بالاخلاص الذي يطلبه المسلمون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة بنصر احدى الطائفتين على الاخرى، واننا نخشى ان نرى الحرمين في يوم قريب ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثناءه وتنتهك فيه حرمة بيت الله تعالى وحرمة أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم، فلتتلاف ذلك نعرض على أهل الرأي والحصافة والمكانة من المسلمين الاقتراح الآتي

اقتراح لصيانة الحرمين الشريفين من الحرب

وعمرانها وأمنها

... لنظر الحجازي مرة لا يشاركه فيها فطر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواه لاهله الامتياز فيه على غيرهم بانهم والتصرف في حكمه وأرضه ومراقبه والحكومة أن توالي وتؤدي وتعارض وتعاقد من تشاء وتعلم من دونها عند الحاجة من تشاء. وتأذن فيه بأن تشاء بحسب قوانينه والقانون الدولي العام

واما الحجاز فبعبه حرم الله وحرم رسوله الذين حرم الله فيهما ما لم يحرم في

غيرهما كأكل الصيد وترويضه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من الباطل ما
 يشربه في غيره فأوجب على مسلمي جميع الأقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص)
 شد الرحال إلى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدم لا يباح لغيرهم
 الإقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته. وامتن الله على عباده بمجمل جوار
 يته حرماً آمناً وجعله مثابة للقدس وأمناء وقال فيه (ومن دخله كان آمناً) وقال (والمسجد
 الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه الحاد بظلم نذقه من
 عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابة والتابعين أن خلق الله فيه
 سواء لافرق بين المقيم بمكة وغيره ممن يحججه من سائر الأقطار وأنه يجب على أهل مكة
 أن لا يمنوا أحداً من الحاج مشاركتهم في سكنى بيوتهم وحرم بعض السلف أخذ الأجرة
 منهم وكرها بعض آخر بل روى في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي (ص) وإن رسول
 الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت ربا ع مكة تدعى إلا السوائب
 من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا يهتدون أن يكون لبيوتها أبواب ثلاث لا يكون
 منها من دخلها. وليس هذا الاقتراح بالذي ينسح لنقل الروايات ومذهاب الأئمة
 فيها وربما خصصناه مقالا بعد

وقد روي عنهم في تفسير الحاد والظلم في الحرم تشديد تعظيم فلم يخصصه
 بارتكاب ما حرمه الله هناك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه إلا فيه بل جعلنا من
 معناه مضاعفة السيئات وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك
 ألم بالبيعة والعزم عليها ولو قبل الوصول إلى مكة. وفي الحديث احتكار الطعام بمكة
 الحاد، وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: نجلوة الأمير بمكة الحاد
 قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاء فلم يقوموا به حق القيام ولم يتفادوا وصية
 الرسول الأخيرة فيه وهو المقصود الام من وصيته في جزيرة العرب حتى ذم بعض
 العلماء أنه هو المراد بها خلافا للتبادر من لفظ الحديث ولا مراد به فإن الحاجة إلى العناية
 به في هذا الزمان أشد من كل الأزمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها
 فاكتر مستلحي هذا العصر تابعون لحكومات غير إسلامية تنهم بنهايتهم وفشونهم في
 سفرهم إلى الحجاء فإذا وقع فيه قال قائما نمنعهم من إلقاء فريضة الحج في أثنائه وإذا كان

الحكومة الحجاز مالمسائرالحكومات من حق قلم العلاقات الودية وعلان الحرب على أي دولة يقيم بينها وبينها ما يقتضي ذلك فان هذا يبيع للدولة المجاورة لها المهجور على الحرمين والأندلس عليهم أوحصرهما ومنع القوات وبغيرها منهم ما إذا أنه تدين هو الدول الاجبية الى منهم دعا بها المسلمين من السفر الى الحج ولا سيما اذا كانت مادية وكل هذا في مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية ترجح على المناسد الكثيرة التي اكتفينا بالإشارة اليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وانما المصلحة الاسلامية العامة أن يكون الحرمين الشريفان وسياجهم امن البلاد قطراً آخرامسالمالجميع الام والدول ليكون معصوما من الاعتداء عليه وانتهاك حرمة ويكون دمن الحج من أركان الاسلام قائما أبداً — بل ليتحقق وانما جعل الله تعالى اياه حراما آمنا وكون من دخله آمنا وكونه لجميع المسلمين سواء العاكف فيه والبادي لا تعدي فيه ولا إلحاد

فنتقترح على أهل الفكرة الاسلامية من مسلمي الحجاز ومساثر الاقطار أن يسعوا الى هذه المصلحة سميا وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام للحكومة الحجاز يبنى أساسه على جعل الحجاز قطرا مسلما على الحياض لا تكون حكومته خفيا ولا عدوا للدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تتعدى ولا يستدعي عليها ولا تخاف ولا يخاف منها ، وان تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل النفوذ من مسلمي جميع الاقطار الى جعل جميع الحكومات المجاورة لها ومساثرالحكومات التي لها رعايا مسلمون يكون متون البحار ويشدون الرحال الى الحرمين الشريفين لذلك والمباداة فيهما . ونظن أن جميع الدول تجيب الى هذا ولا تعارض فيه

فترض هذا الاقتراح مجالا على العالم الاسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشراف الحرمين وعلمائهم ليان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمناشر مستعداً لنشر ما يأتيه فيه . وان كان لابد من التذكير ببعض التفاصيل فيه فليكن اقتراح انشاء محكمة اسلامية بمكة يكون شكل قمار اسلامي حق تمثيله فيها بعض من علماء الشرع المتفهمين الى المذاهب الاسلامية التي يستعمل المتبعون لها هذا البيت في صلاتهم ويحجرون لاجل محاكمة من يتعدى في تلك البلاد على مال

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه العلم في المذاهب فإن ضمان حرية كل منهم إلى مذهب من مذاهب المسلمين في تلك البلاد التي لهم حق أداء الذك فيها يستلزم أن لا يظلم أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الإلحاد في الحرم. بل إذا قيل أنه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الإسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومراقبة إقامة الشائفة مع منع العالم كان عليهم أن يتناولوا على كفاية أهل الحاجة وافناء أعرابه عن انتسدي وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المسجدين الشريفين مثابة للناس في العلم وفي البادة جميعاً - إذا قبل هذا كله - رجونا أن يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقبول حسن ويتكاتفوا على القيام به حتى القوام لكل المالك حديداً يقبل هذا الاقتراح ويبادر إلى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يضموا له مشروع النظام وينشر في جريدته القليلة ونشريل منه نسخ إلى المدن الإسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لأخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ويضرب موسم الحج القابل لهذا التفتية بعد جمع الآراء وتجسيها فيه برضاها على لجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الاقطار علما ورأيا وحينئذ يكون سعي هؤلاء المسلمين لموافقة الحكومات على حياده وأمنه مرجح النجاح في أقرب وقت

رائنا نرى ان هذا المشروع اذا تم يسهل ما اقترحه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين امراء العرب اذا وقعوا العقد الاثافي الذي ينظم لهم كل عربي بل كل مسلم يقته الاسلام ويغار على مصالح أهله فإن يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يترتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه وتكثير مولوده وتكوين أهله ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع والله الموفق

(كلمة للمصحف الإسلامية)

نرجو من حرفائنا الكرام أصحاب المصحف الإسلامية في جميع الأقطار أن يفتشوا رأيهم في هذا الاقتراح ويبحثوا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

وثائق تاريخية، في المسألة العربية

لشرنا في مجلدات المجلدات ١٩ - ٢٠ - عدة وثائق وحوادث يصح ان يرجع اليها في تاريخ ما يسنى المسألة العربية . وسنشر في هذا المجلد وثائق أخرى من رسمية حقيقة أو حكما وغير رسمية ما يعتمد في ذلك ونذكرها بالمدد

١

كتاب من ملك الحجاز الى نائب ملك الانكبار عصر

هذا الكتاب نشر في العدد ٢٩١ من جريدة (القبلة) الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٢٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٢٠ بعد مقدمة وجيزة ويليه تعليق عليه في الافتخار به من قبل الجريدة ونحن ننقله عن هذا العدد وأن نشر بعده مرة أخرى - وهذا نص ما جاء فيه تحت عنوان (الاسى والحزن)

« اذا تأملنا ما هو واقع في ساحل البلاد على البحر المتوسط وشماله مما تله الصحف وترويه البرقيات من الحوادث والبواثت نجد أن قولنا (الاسى والحزن) لا يفي من تبيين تلك الحالة . وليس لنا ما نقوله عنها الا : ينتمى الله من أنور وطلت واخوانهم ومن نحاحهم وألهم وشيعتهم - لنا ولكل سكان الدولة التركية من - اطانها الى راعي غدها بما جروه على تركيا باقائها في هاريتهم اخضره التي لا يعلم شأن تيجتها والتي تنقل لنا تفاصيلها صحف العالم بأسره مما يجعلنا في دهة وسكون - أن لا نتكلم أو نبحت مما كانت ترمينا به سهام الاغراض على اختلاف نزعاتها مما يجعلنا أن نقول (وقل اعملوا فسمي الله عليكم ورسوله)

ولحسن الحظ منعنا بالوقوف على صورة تحرير من مولانا المنقذ^(١) بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نفس «لينا ما لكه شيئا مما نجده عن حالة البلاد العربية وما يقبل عن قيامه واخروجه عن المهالك (الانورية) والجنابات (السامية) او هذه صورة الكتاب

(صورة تحريرنا لقصة نائب الملك بعصر تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦)
مارأيت غصوا بهذا الاثم من اعتد - فحمايتكم وتأكيدتها في ازالة اسباب

دراهم سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأناته صود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثر حريات
مخلصكم خاصة . ولما تكونت للواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أتبين
من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع هفتها في النهضة وما بنيت عليه من
مواد الاتفاق المقدم بطيه يانها بأني ما طلبت لبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته
من المولد التي تهديت هفتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لا ستأثر
بما كبتها أو حرصاً على جاءها أو رياستها لكن عند ما ذهني بر بطانية الى ما ذهني اليه
وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسعني
الا الاجابة وطلي أقال تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولاً : لحفاظة الكيان للعالم الاسلامي بالنظر لحال وما سيحل بتركيا
ثانياً : صيانة المقامة البريطانية من الاستهداف مما سترعى به عكس مقاصدها
ثالثاً : سلامتي من الاتهام بالتواطى ضد الأساس المقصود بالنهضة .
نعم اني لم أجد من جناب الفاضل الاديب المستر « استورس » عند اجتماعي
بمحضرته في السنة الاولى بمجدة ثم بعده بمحضرة الشهم الهام السير « مارك سايكس »
ثم في السنة الماضية بالقوة وندان الهام « هورغبرت » « الموقر » ما يثير الى ما يخالف أو
يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعا وتبناه الحيانية من الرقة وما
يتصادف من بعض حالات يستدعي سياقها زيادة تميز الاسرونا كد الحقيقة عن
الحدود فقط والاباقي المواد فالتعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكر أعلا الخافقين
خصوصاً أمر الاعانات عما لو فهمت التلطف في مقرراتنا المذكورة أساساً وأحدث
ما يوجب تعديلها الامر الذي لا أقول أنه يحس كيان العالم الاسلامي ولكني أظن
وبعض الظن انهم أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكري الخصوصي فتى
أضفنا عليه قظاهر عجزني بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج بتعتم علي
الانسحاب من الامر والتنازل عنه لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا
المذكورة بصرف النظر عما في اخلاله بالغايات المقصودة الأساسية وعرضتنا
لخطر موادنا الثلاثة آفة البيان وطلس صحيفة تاريخي فهو ريز وسقطني من
ثقة واعتماد بلاددي وأقوامي الاقربين حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي
أعلنتها لم وصرحت بها شفهاً وحريراً في ظرف هذه المدة وأسست عليه الاعمال
(١ : ١ : ٣) (٣٠) (١ : ١ : ٣)

وأكون خدعت نفسي وغششتكم بأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد
 بالفتن والثورات ونحوها مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيل
 حينئذ كل ظن بحكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاسي بحبرني أن أقول من
 الآن ان مبادي هذه الخطرية على وشك التحسن بها بالنسبة للطلبات المتكررة
 المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أؤدمهم به الا قولي ان
 استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكمهم يقيموا الحجة على دفعي هذا
 بأوجه أخر . وعليه فان كان ولا بد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانحباب
 ولا أشبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه امر يتعلق بالحياة لا لتقصد
 عرضي ولا لفكر غرضي ، وانما لا ترتاب في آتي وأولادي اصدقاؤها الذين
 لا نفيهم الطوارئ والاهواء . ثم تمنوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر
 اليها في أول فرصة . وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله
 الى ختامها حقوق الوفاء والجيل يفرض علينا الثبات أمام . استتضاعف علينا
 من التهمات ونحوه من الموم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالامر
 اليها . أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن
 لاعلاقة لنا به ولا مناسبة بيننا واباه حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً ولو قرر
 المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنحن
 من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل
 اليه بكل آلائه أن يتولانا جميعاً بمنايات رافته الاحدية ، وقبول ما أقدمه
 لفخامتكم في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم انتهى

(القبلة) بالطبع انما لا ندري ما كان من الرد على هذا التحرير السامي ولا
 عن مواد الاتفاق ولكننا ندري أنه بادي تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير
 لم يدع نقطة مادية أو معنوية تتعلق أساساً بأساس (الهيئة) وسائر محتوياتها
 وما بنيت عليه في ذاتها وما يتعلق بالعالم سواء في الماضي أو الحال أو المستقبل
 . لا . بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل ما يتعلق بها بسائر الواجه !
 فإذا عسى أن يقول القارئون في هذا التنبأ السياسي وزاهة الضمير عن
 الدائيات والشخصيات في كل ما يتعلق بنفس (الهيئة) أو بالعالم
 وكيف لا نقول بهذا التنبأ في التحرير العالمي وهو صادر منذ سنتين تقريباً ؟
 يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتنافسون ؛ ولئله فيجعل الماملون

نعم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجرثومة ما احتواه تحرير مولاه المنقذ؟

فلا عجب على «القبلة» أن تقول: (لمثل هذا فليعمل الماملون)
ومتى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والخناس
من الجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة اه
(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه، ومتى عادت حرية النشر الى ما كانت
عليه نقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها كلمتنا التي نظن أنها لا تخطر لاحد
من محزري جريدة القبلة على بال

٢-٣-٤

حديث الامير فيصل — رواية حكومة مكة عن مصادرها مع

انكسرة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد الدمشقية في الشام يتضمن
ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية المظلي نشرته هذه
الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (الموافق
١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل.
وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لاريب في ان كل عربي تهمة مصلحة البلاد العامة يتناول الى الوقوف على
سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف
سموه تجاه السياسة الاوربية وجمالة والده الملك المعظم والامة العربية جماء
والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه
فجرى بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره واحاطة
القراء بدقيقه وجليله والى القراء ما دار بينهما .

ابتداءً أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا يا صاحب السمو في المبد
المؤرخ بنامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة المبادرة في مكة المكرمة

اعلاناً رسمياً يقول به والدكم صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من الخلفاء الكرام تقضى باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالته ينشرها للملا عند الحاجة فهل لسوكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟ سمو الامير - ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد طلبت منه مراراً ان يجعلها سلاحي اذا كانت موجودة ولا أعلم ما سبب تأخيرها ارسالها لي واكتفاء جلالته بارسال صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك المعاهدة وها أنا اعطيتك تلك الصورة ويمكنك نشرها - وهذا نصها بحروفها :

صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى

بشأن النهضة ٥

(١) - تتمهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات وتتبعه مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ما عدا مستمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتمهد هذه الحكومة رعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل عنها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد .

(٢) - تتمهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) - تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من التعمود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية " أي هي حكما قاصرة في حضن

٥) تعبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عنها بالنهضة

بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشدال .

- (٤) — تتمتع بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيتها الحكيمة العربية من الاسلحة ومهماتا والدخائر والنقود مدة الحرب .
- (٥) — تتمتع بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو خاضع من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استمدادها به . قال سمو الامير : ولكنني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قد مضت هبة الصورة الى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لا يوجد عهد ولا كتاب كمهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها شأنها رسالة من السير هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السير هنري مكماهون الى جلالة الملك المقام بمكة

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحماة وحلب لا يمكن تسميتها عربية بحصة فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي ينتموها — وانه يقتضي هذا التعديل ومن غير اخلال بمهادتنا السابقة مع بعض زعماء العرب تقبل الحدود على ما ذكرتموه .

« ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير انصراف بمصالح حليفها « فرنسا » فان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطى التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : —

ان بريطانيا العظمى مستعدة بمد التمديدات المذكورة أعلاه ان يجرى باستقلال العرب والاخذ بنصرهم وذلك ضمن الحدود التي قد فيها شروطها . « أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا انهم موافقون لبريطانيا العظمى ومصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتها وحمايتها من كل جهة أجنبية ولا ارتقاء أهاليها والمحافظة على مصالحنا المشتركة فيها (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت طالب تلك المهادنة من مكة المكرمة ولكنها وبالاسف لم ترد علي حتى الآن . فلماذا لا يمكنني ان اقبل هذه المهادنة

من المحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وما هي خطة سموكم في هذا الأمر؟

جواب : انني لا أتصور أن أقابل جيل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بأن لهما منافع أدبية واقتصادية يجب احترامها ولكفي في الوقت نفسه أو مل أن ننظر إلينا هاتان الحكومتان بنظر الاحترام والحقوقنا بنظر الانصاف والعدل. وان لا نطالبنا بما نجل باستقلالنا ورقينا المادي والمعنوي وان لا نتهمرنا على اتباع تقاليدنا على العمياء بل نأخذ منهما ما شأب من مدينتهما الحديثة وتترك ما هو مخالف لمدينتنا وعظمتنا التاريخية .

سؤال : نشرنا في المفيد بريقة متقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فأترون فيها؟

جواب : ان الوكيل يدافع في قضيتته على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم عادلا فلا شك بأن الوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولاً - وأنا في هذه الحالة لا فرق بيني وبين وكلاء الدناوي امام الحاكم فدافعتي تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية، وعلى كل فاني أو مل من رجال الحكومات والامم المتقدمة ان ننظر إلينا بعين الحب ولا تهضم لنا حقا كما تتحكم من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية النابرة

سؤال : كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى « معاهدة سايكس بيكو » نشرها جمال باشا زاعماً ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عندما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوروبا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذاً لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الايام الا الرسمية أو اطلعتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها؟

جواب : حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والذي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فسأل جلالة الحكومة البريطانية بواسطة ممتدحه بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكاتب منه : « ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحددات مؤقتة بين انكليترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل او الخبيث غير في مقصدها الاساسي وأهم شروطها القاضية بضرورة رضی الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى »

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن معتقداً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي والعرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بناتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن وتصريحات الحكومات بالغاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لانعترف بتلك المعاهدة . اهـ

(المنار) هذا ما صرح به الامير فيصل في دمشق قبل نصبه ملكاً على سورية فيها نزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلعاً على شيء غير ما ذكر فيه عماد الدين والده وبريطانية العظمى من الاتفاق الذي حمله على الخروج على الدولة العثمانية ومعاربتها مع الحلفاء وكان هو القائد لجيش والده في هذه الحرب بل كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتماداً على ان بيده شيئاً وظاهر ان كلا من الروايتين مبنيان لمصلحة العرب ومناف لحريةهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانيا العظمى لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للإمبراطورية الانكليزية ويحول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاء منها بحجة منع الثورات والفتن الداخلية دع احاطتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين السر هنري مكماهون بالنيابة عن حكومته وبين شريف مكة وأميرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانكليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بعض ما جاء في تلك المعاهدة بالمعنى على ما تذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكونونيل لاركازي لوران. مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها

بين الحكمة من رثاء من يؤمن الحكمة قد
تغير عادي الذين يشق القول فيكون أمين

المسحاة
١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صرى « ومثارا » كثر الطر في

مصر ٢٩ رجب ١٣٣٩ - ١٨ المحل (١٠) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ مارس ١٩٢١

فَكَانَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ

فصحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتريين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو بغيرها شاء من الالقاء ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وزمنا قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشرق مثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(النيل والفرات وتمدية التعزية وأهل الفترة)

(٤ - ٦) من صاحب الامضاء في بلدة - العلاقة - مصر

حضرة الاستاذ العلامة صاحب الفضيلة مفتي مجلة المنار الفراء
سلام عليكم ورحمة الله. اما بعد فهذه رسالة نذكركم فيها بما أرسلناه الى
فضيلتكم سابقا راجين ان تجيبونا عما تتضمنه من الاسئلة بما نعهده فيكم من
شافي الجواب وفعل الخطاب

الاول: روى الصحيحان من حديث الاسراء ان النبي (ص) قال فيما يحدث عن الجنة ان بها نهرين ظاهرين هما النيل والفرات وان منبعا في أعلى سدة المنتهى ونهرين باطنين ينبعان من أصل السدة. وقد أصبح مما لا ريب فيه ان كلا من النيل والفرات له منابع خاصة فلا نستطيع التوفيق بين الحديث وبين ما اثبتته العلم الحديث حتى لقد قال بعض الناقدين في الحديث من العلماء انه موضوع اذ ليس بعد البيان من دليل وقوى ذلك اضطراب روايات الحديث خصوصاً ما روي عن ام هانئ انها صلت مع النبي (ص) المشاء ثم ات عندها

ومعلوم انه لم يكن قبل الاسراء عشاء مع اتفاق اهل السير على انها لم تسلم الا يوم التمتع او بعده

الثاني : قلتم في احد المجلدين (الرابع او الخامس) عن امام اللغة الشيخ الفنقيطي (ربح) ان عزي من التزنية بالميت لا تستعمل الامتعية بمن خلافا للمشهور من تمديتها بالبلاء ولكن العرب قد استعملوها امتعية بالبلاء قال شاعرم في رثاء محمد بن يحيى (بلسان الندى والجود)

فقالا أقتنا كي نغزى بفقده مسافة يوم ثم قتلوه في غد

الثالث : يكاد اهل السنة يتفقون على ان اهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام فكيف يتفق هذا مع ماورد في صحيح مسلم من عدم الاذن للنبي (ص) في الاستغفار لامة وما ورد في الصحيحين وغيرها من قوله (ص) لا عرابي «ان ابي واباك في النار» وهل ما يروونه في تمذيب حاتم وامريه القيس وغيرهما صحيح يمول عليه ام لاعم ملاحظة عدم قرينة تدل على تأويل الاب بالمع في الحديث السابق؟ ولماذا لم يكن ابواه (ص) من اهل الفترة الناجين؟ هذا ونرجو من فضيلتكم عدم ارجائها حتى لا نخرجنا الى تذكير آخر واقبلوا منا في الختام التحية والمودة الخالصة
الاخ المخلص
احمد عليه قوره

[الجواب من الاول]

(خروج النيل والفرات من سدرة المنتهى وكونهما من الجنة)

في حديث أنس عن مالك بن صمصة انه (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال «واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفي رواية أخرى لحديث المراج حسد البخاري «فأذا في أصلها أربعة أنهار» وفي رواية «يخرج من أصلها أربعة أنهار» وقد اختلفت الروايات في سدرة المنتهى فبعضها أنها في السماء السادسة وفي بعضها أنها في السابعة وفي أخرى أنها في الجنة وقال القاضي عياض هي في الارض . وفي بعض الروايات أن النبي (ص) رفع اليها وفي بعضها أنها هي رفعت اليه حتى وأما . وفي رواية شريك لحديث المراج في كتاب التوحيد من صحيح

البيخاري أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات،
فروايات حديث المراجع مضطربة المتن في هذه المسألة وغيرها كثيرة التعارض
والاختلاف كما يئناه منذ سنين .

والظاهر أن من أسباب الاضطراب والاختلاف في هذه الاحاديث روايتها
بالمضى ولم يبرهون العلماء المتقدمين حاجة الى ردّها بالاضطراب ولا تأويل هذه
المسألة فيما أولوا قالوا لانهما لا تاتي العقل وقائهم أنها تخالف ما هو أقوى من
دلالة العقل الذي يكثر خطئه في النظريات وهو الحق فان الاول من الناس رأوا
منبع النيل والفرات بأرضهم وفي معر كتاب مطبوع فيه رسم بحيرات النيل التي ينبع
منها ويجهزها من أوله الى مصبه في البحر المتوسط

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على
أن أصل صدره المنهني في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها زاد الحفظ في
شرح البيخاري : وهما بالشهادة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل الصدر
في الأرض . ورد النووي قول القاضي بظاهر معنى الحديث وكونه لا يمنعه عقل ولا شرع
ثم ذكر النووي في شرح حديث أبي هريرة عند مسلم في المسألة « سيجان وجيجان
والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » ان سيجان وجيجان في بلاد الارمن
الاول نهر اذنه (اطنه) والثاني نهر المعيصه ثم قل عن القاضي عياض في تأويل
الحديث ان الايمان هم بلاد هذه الانهار وان الاجسام المنفذية بها تهاثر الى الجنة
ثم قال والأصح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة واحتج بحديث المبراج اه
وقال بعضهم ان المراد بكون النيل والفرات من الجنة هو التشبيه لانهما بقاء الجنة في عذوبته
وجسده وبركته أي فوائده على طريق المبالغة ، وهذا لا تكلف فيه اذا فسر به
حديث أبي هريرة بأنها من الجنة ولكن الاستعارة لا تظهر في روايات أحاديث
المبراج الا بشكك ولعل سبب ذلك روايتها بالمضى ويسهل الخطأ على القول بأن
حديث المبراج كان بياناً لرؤيا منامية أو مثالا لمشاهدة روحية والله اعلم

(مسألة تمدى التعزية بالباء)

البيت الذي ذكره السائل في رثاء محمد بن يحيى البرمكي ليس من كلام العرب .

بل لا أصدق أنه من كلام أهل ذلك العصر إلا إذا وجدته مرويا في كتب المتقدمين على أن الباء فيه لا يتعين أن تكون لتعدي بل اظاهر أنها لاسيية أي أقنا لكي نمدى بسبب فقده على أن معاجم الفقه ذكرت الفعل لازما لا متديا بمن ولا بالباء ولقاء وجه قياسي كما علمت

﴿ أهل الفتوة وأبوا النبي (ص) ﴾

في نجاة أهل الفترة خلاف مشهور وقد استثنى المختصون لما من ورد النص بأهم من أهل النار في الأحاديث التي ذكرها السائل وقبرها والآ كانت هذه الأحاديث حجة عليهم - وقد شرحت مسألة أبي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في تفسير (وذا قال إبراهيم لا يسه أزد اتخذ أصناما آلهة) الآية فراجع في المجلد العشرين من المنار أو المجلد السابع من التفسير

﴿ كتب الاحبار ﴾

(ص ٧) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

حضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي سؤالنا عن العلامة كتب الاحبار الذي نسمع بأحاديثه الكثيرة وكان عالما عند اليهود ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعاش المدا من معاوية ومات وعمره ٢٠٠ سنة أهو شخص حقيقي أو وهمي
صلاح ناجي الكسادي

(ج) كتب الاحبار شخص حقيقي معروف في كتب الحديث وتواريخها وقد اختلفوا في تاريخ اسلامه قل الحفظ ان حاجر في الاصابة : والراجح ان اسلامه كان في خلافه عمر وروي عنه أن سبب تأخير اسلامه أن أباه كان كتيب له كتابا من التوراة وأمره بالعمل به دون غيره وختم على سائر كتبه وعهد اليه ألا يقض الختم فلما رأى ظهور الاسلام وانماشاره ففس الختم فرأى في الكتب صفة النبي (ص) وأمنه فأسلم. وتقل عن ابن سعد أنه مات سنة ٣٢ وعن ابن حبان في الثقات أنه مات سنة ٣٤ وأنه بلغ من عمره وأربع سنين. وقد عدلوا روايته وذكروا انه روى عنه بعض الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ولكن كل قيمة مملوكة فان

كان لمن أصدق هؤلاء المحرثين من أهل الكتاب وإن قدام ذلك لنبو عليه الكذب.
رواه البهاري في صحيحه وأوله بهم، أن المراد عدم وقوع ما يخبر به لا اخلاق الكذب

﴿ أفضل النبيين والسؤال بحقه ﴾

(س ٨ و ٩) ومنه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم زيد في مجده
سيدي السلام عليك ورحمة الله. وبعد فالرجو من فضيلتكم ان تبين لنا
الجواب عن السؤال الآتي وهو :

قد نص القرآن الكريم على افضلية بعض النبيين على بعض في الدرجات
ولم نرفقه آية تدلنا صريحاً على من هو افضلهم وما هو نوع التفضيل فاذا كان
الافضل محمداً فما الدليل وبماذا كان افضل

ثم اذا دأبنا أحد هكذا (اللهم اني أسألك بحق أو بجاه محمد سيد المرسلين
أن تسهل لي رزقي او تنفّر لي ذنبي) مثلاً فهل هذا الدماء جائز شرعاً او يعد ذلك
شركاً. أفيدونا أثابكم الله

(ج) هنا سؤالان لسؤال واحد واتنا نجيب منهما باختصار لما سبق لنا
في موضوعهما من التفصيل في عدة مواضع

﴿ فضل نبينا على سائر النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴾

الفضل في اللغة الزيادة وأفضل الشئين أو الشخصين مثلاً ذو الزيادة في
الصفات والمزايا والخصائص والأعمال الشريفة التي من شأنها الاشتراك فيها
فتكون موضوع التفاضل، فالأنبياء منهم المرسلون وغير المرسلين والمرسلون
أفضل بما خصوا به من الرسالة، وقد كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة
بشرع مؤقت يلين بحالم واستعدادهم للهداية حتى استمد جميع البشر للهداية
الكاملة العامة فبث الله محمداً خاتم النبيين للناس كافة وأكمل به دينه الذي بعث
به من سبق من رسله وأتم نعمته عليهم فكان رحمة عامة للعالمين وانما تكلل الاشياء
بخواتيمها فكان افضلهم بمصوم بعثته وشمول هدايته وكمال الدين على لسانه وبده
وحفظ كتابه وآيته وهذه مزايا تتعلق بموضوع الرسالة، والقرآن ناطق بكل منها،
ولهذا قال من قال في تفسير قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) انه هو المراد بالبعث،
والتلخيص قد يختار على التصريح اذا كانت قرائن الحال معينة له، وقال شيخنا

الاستاذ الامام ان نكتة ذكره بين موسى وعيسى عليهم الصلاة في قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) هي التنبيه لكونه هو الوسط كما قال انه جمل أمته وسطا - وخير الامور أوسطها - وقد كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة والشدة في الاحكام الجسدية والامور المادية وتعاليم عيسى مشتملة على المبالغة في احكام الزهد والمواعظ الروحية فجاءت شريعة محمد وتعاليمه وسطا في كل منهما كما بيناه بالتفصيل في مواضع من التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، ولما كانت أمم الرسل المعروفة في زمن بعثته محصورة في أمة موسى وعيسى كان ذلك من أقوى القرائن اللغوية على ان من رفعه الله درجات هو النبي الذي بعث بعدهما لان جملة على نبي اقترضت أمته ولم يبق أثر لشريعته بعيد وغير مفيد وتتنزه بلاغة القرآن وهدايته عن ذلك

سؤال الله بحق خاتم رسله وجاهه

سؤال الله تعالى ودعاؤه هو روح العبادة وركنها الاعظم والقاعدة التي تلي توحيد الله وعدم اشراك أحد معه في العبادة هي ان عبادته تكون بما شرعه سبحانه فقط أي اتباعا لا ابتداء فيه. ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله المثبتة التي صحت بالنقل والعمل عن السلف الصالح ان يسئل سبحانه شيئا بحقون أحد من خلقه عليه وان كان من عباده المكرمين الذين جعل لهم حقا عليه جزاء على أعمالهم ، ولا يجاهه عنده وان ثبت انه جعل له وجاهه ، فهذا السؤال اذا بدعة ولكنه ليس شركا في هذه العبادة لان السائل قد توجه فيها الى الله ودعاه وحده ولكنه ابتدع في دعائه بدعة أراد ان تكون سببا لاجابة السؤال ، وهي ادخال شيء في العبادة لم يأذن به الله بنس ولا خوى بل يدل الشرع والعقل على بطلانه ، ذلك بانه ليس لاحد على الله تعالى حق الا ما جعله هو له بفعله وان كان جزاء على عمله فاتبته امييده فضل منه عليهم كما ثبت . وقد ورد في الصحيح من ان حق الله على عباده ان يعبده ولا يشركوا به شيئا وحققهم عليه اذا فعلوا ذلك ان يدخلهم الجنة - فهذا الحق يزيد المأبد المخلص لله تعالى لا يسمح ان يكون سببا لاجابة سؤال عمرو شفاء مرضه أو توسيع رزقه أو ممرة ذنبه لان من أصول دين الله المعقولة (ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان) (المنار : ج ٤) (٣٤) (المجلد الثاني والعشرون)

الاباسمى) وكذلك ما جعل الله من الوجاهة بفضله لموسى عليه السلام اذ قال فيه (وكان عند الله وجهاً) لا يمتثل ان يكون سبباً لمثل ذلك . قاله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً وليسبت هذه الوجاهة ولا تلك الحقوق من أسباب ما ذكر ، على انها لو كانت منها لما صح ان تدخل في العبادة الا باذن منه تعالى كما اذن بغير زيادة ولا نقص . نعم ان من الجاه او الوجاهة الشفاعة وهي من أسباب المغفرة وبذلك ان تسأل الله ان يجعلك أهلاً للشفاعة برسوله وبغفرلك بها ولكن لم يرد أنها سبب لمصالح الدنيا ولم يكن الصحابة يطلبون من النبي (ص) عند قبره ولا في حال البعد عنه في حياته ان يشفع لهم في شفاء مرض ولا دفع ضرر ولا نزول مطر ولا يسألون الله ذلك بمجاهة (ص) وقد طلبوا من عمه العباس ان يستقي لهم بعده بدلاً من استبقائه ولو كان هذا من عبادتهم لتواتر عنهم أو اشتهر برواية الشيخين وأصحاب السنن لتوفر الدواعي على ذلك

فان قيل: ان شرع ما لم يأذن به الله قد عد من الشرك وعد من يقبله ويعمل به من متخذي الشركاء والارباب من دون الله في قوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله عز وجل (اتخذوا احبارهم وورهبانهم ارباباً من دون الله) الآية وقد فسّر في الحديث المرفوع اتخذهم ارباباً بطاعتهم فيما يحملون لهم ويحرمون عليهم . وطالما كرر المنار هذه المسألة (وفي تفسير هذا الجزء قول منفصل فيها) قلنا ان السؤال وارد ولكن يفرق في مثله بين تنقيح المناط وتحقيق المناط فان الشيء قد يكون بمقتضى الدليل شركاً أو كفرةً ولا يعد كل من فعله مشركاً أو كافراً كما نقلناه عن شيخ الاسلام (ص ١٢١ ج ٢) ولا يسأل ذلك السؤال من يقوله من المسلمين الا وهو يظن انه مشروع بتقليد أو شبهة دليل على صحته كبعض الاحاديث المرووعة أو الضعيفة التي لا يثبت بها حكم . وكل البدع الدينية ومساائل المبادات التي لا تدل عليها النصوص من هذا القبيل ولم يكفر السلف مسلميها كما فصلناه في الاجزاء التي قبل هذا ومنهم من يدخل هذه المسألة في باب الاقسام على الخالق بالخلق وقد صرح الحنفية بكراهته قال ابو يوسف وأكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمقبر الحرام . والمراد كراهة التحريم . وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) وهو مطبوع نقلنا بعض اقواله في المجلد الثاني عشر من المنار وغيره فليراجع السائل ذلك في موضعه .

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المبتدع اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأييه في نبأ نشرته الصحف الأميركية وغواه انه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما تنصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرت خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتك اميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن بهم بموضوع ما فان الجمهور يتبالغ في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل. وعليه فلما أذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فحلت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغت أعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشتغل بهذه المسئلة ». الى ان قالت « وأنم ما في الاسرار ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذيها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسعى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أسرار الحياة بعد الموت وبقاء الانفس وامكان مخاطبة الموتى ». وهذه صورة الحديث. قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونوغراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سعيه وجهده الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس. فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يجهلون كل الجمل مصيرهم بعده. ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا. وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولنزأ من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق

منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يمد طريقة او آلة للمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والسورية واعتمدت ترجمة المستطفت

منها مع تصحيح لغوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوروبا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسع الحيال آلة اديسن بأنها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبابهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة أكيدة وليس في الناس احد اشد اسفاً من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمنه الروح . تصور شيئاً لا تقل له ولا صورة مادية ولا حجماً . وبعبارة أخرى تصور غير شيء . انا لا أستطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تفرع عليها او تعمل أعمالاً سخيفة مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قابلي لازالة ماعلق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضه من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع أنه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال: « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما أقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطقة أخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئاً فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكنني ادعي انه يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغاً بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والنقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخيفة المعروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملني على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد؟ هذا كله يظهر لي أنه من الاعمال الصيانية حتى لا أستطيع ان ابحث فيه بعين الجد والاهتمام . وعندي انه اذا شئت ان تتقدم تقدماً حقيقياً في البحث العقلي وجب ان تتكلم عليه بالآلات الملمة بالغة ،

العلمية كما تفعل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
واما ما اريد ان اعمله فهو ان اجيز الباحثين في المباحث العقلية النفسية
بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
به آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آتية على هذا المثال حتى ان اصغر
قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
وقد مضت علي مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
النفسيين بآلة قد تساعد في عملهم كما يساعد المكرس كوكب رجال الطب في
مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً غارق المادة فاني
افقد كل ثقة وايمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
ومما يقال عن المستر اديسن انه لا يصدق المذاهب المروفة في الحياة
والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسلاً مذهبه فيهما » عندي
ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من
ملايين من الكائنات المتناهية في صغرها وكل منها حي مفرد ويرتبط بعضها
ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلا منا شخص واحد
قائم بنفسه وتتكلم عن المرة او القيل او الحصان او السمكة كأن كلا منها فرد
قائم برأسه ولكنني أرى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها أصغر
من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يمتزج على هذا الرأي بانه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستلزم القيام بالأعمال التي
سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكترونت خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي بالحساب أنه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الألكتروونات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات

وهناك دلائل كثيرة تدل على أننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا تصرف جماعة من الأحياء لا تصرف حي واحد. وهذا ما يحملني على اعتقاد أن كلنا يحتوي على ملايين من الأحياء وأن أجسامنا وعقولنا تمثل أفعال الكائنات التي تتألف منها.

ولنتنظر الآن في السبب الذي يحملني على القول بأنه لا بد أن تكون أجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات. خذ بصرة أبهامك كما يفعل البوليس في بصم الأهم المشبوهين ثم ازل خطوط أبهامك بحرقها بالنار. قى تما الجلد ثانية تجد أن خطوطك لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتنحت ذلك بنفسك حتى تحققت. هذا سر من الأسرار ما فتى مطلقاً حتى الآن. تقول لي أن هذا عمل الطبيعة. وهو جواب يراد به التخصي لا غير إذ لا معنى له بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب. إن كلمة «طبيعة» ما اقمعتني قط. أما جوابي أنا فهو أن الجلد لم يثبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل إن هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقته لرسوم التوالثاول من كل وجه. وانت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فإن دماغك لم يسترك في هذا العمل. وهنا تدخل الكائنات المشار إليها وتشترك في العمل. وأنا اعتقد جد الاعتقاد أنها تحرك نسيج جلد الأبهام بمزيد العناية مستعينة على رسم التفاصيل الدقيقة بدأكرتها العجيبة

ولزيادة الإيضاح أقول. لنفرض أن كائناً من سكان المريخ هبط إلى هذه الأرض ولنفرض أن بصره ليس دقيقاً كبصرنا وأن أصغر شيء يمكنه أن يراه بمبليه هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلن فهو إذاً لا يرى أجسامنا وقد يحسب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحسب نحن العشب أو الرمل أو المعادن وغيرها من الأشياء الطبيعية، ولنفرض أنه هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله. فهل يتورده الفكر الصحيح إلى افتراض أن الجسر الجديد تما بنفسه مكان القديم وعلى مثاله أو إلى افتراض أنه مد ثانية بفعل فاعل عاقل. لا ريب أن الفرض الثاني

اقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان نقفه نحن باراء الكائنات الحوية. والمسئلة كلها مجرد افتراض وتخمين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف أجسامنا من اعمالا والجسم الباقية مدبرة للعمل وقد يكون غير ذلك. وهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكون شكل أجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تتنا عمل وترمم انسجة اجسامنا وتشرف على وظائف اعضائنا. فاذا أصيب الجسم بطاريه انفضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرباً فان هذه الكائنات تفارقه ولا تترك وراءها الا بناء غاوياً خالياً. ولما كانت عمالاً لا تسكل ولا تعمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذلك فان هذه الكائنات محدودة العدد وهي تقبها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تمدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لاتموت فانك لاتستطيع افناءها كما لاتستطيع افناء المادة وجهد ما هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والأكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اتنا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نظفر بتغيير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحوية فاننا لاتستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها متعددة الضروب حتى يصعب علينا تمييز اعمالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن ان يرسموا حدا بين الاشياء الحية وغير الحية. وقد يكون ان هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فاشيء الذي يحمل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة؟

والآن نأتي الى مسئله الشحمية. أنت لكربور (اسم الكاتب) وأنا ديسن لان في كل مناجمات من كائنات يختلف عن مجموع الآخر. فقد أثبت ألب باثتين وثمانين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمه تلفيف « بروكا ». ومن العقل والصواب :

ان نترض ان مركز الكائنات التي تدبر حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلغيف . فهو الذي يشمرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصيتنا . ولقد قلت ان مانسميه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابداننا . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلغيف « بروكا » . اذ المقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . وأما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لسكروورا وأكون انا اديمن ويكون زهد زهدا فاذا يجري بها ؟ هل تبقى بمجموعة واحدة أو تنفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بمجموعة ؟ فان كانت تنفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتمتحننا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تنفرق ثم تتحد بكائنات أخرى لتؤلف أجساما جديدة منها فان ذلك يضيع علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها

ولي الرجاء ان شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي أنا ساع في اختراعها لا بد أن تعيدنا . وهذا مايعدوني على الانمساك بعصمها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بذهاب الصبر»

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المخترع الشهير أنه يعتقد بنظره العقلي واختباره العلمي جواز مايجزم به جميع الملبين ايمانا بالغيب وكثير من الفلاسفة والعلماء الروحيين بالدلائل أو الاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو أن يكون مايجوزه ويقول بإمكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فنا هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وأن كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسيها ، وبناء على هذا الرجاء يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى انها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير أرواح الموتى في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتنهى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الاقربج في هذا العصر وكان معروفا عند الصوفية في القرون الماضية والمصور الحالية . فتأمل كيف قربت العلوم المادية عالم الغيب من عالم الصهادة . ان في ذلك للمتفكرين ، وقد أقرب مجبه بحقيقة الروح ولا غرو (من الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

تاريخ فنون الحديث

٢

الجوامع العامة

« ا » منها جامع المسانيد والالقاء لابن الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١) جمع فيه بين الصحيحين ومسنند احمد وجامع الترمذي وقد رتبته احمد بن عبد الله المسكي (٢)

« ب » ومنها جامع المسانيد والسنن الهادي لافوم سنن) للحافظ اسماعيل بن عمر الوشي الدمشقي المعروف بابن كثير (٣) جمعه من الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومن مسانيد احمد والبرار وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني « ج » ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن علي الهيثمي (٤) جمع فيه زوائد مسانيد احمد وأبي يعلى والبرار ومناجم الطبراني الثلاثة وموجود منه بدار الكتب ثمان مائة مجلدات، وقد شرع بطبعه من زهاء ٢٠ سنة ولعله تم

« د » ومنها مصابيح السنة للإمام حسين بن مسمود البفوري (٥) جمع فيه ٤٤٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان ويعني صاحبها بالصحاح ما أخرجه الشيخان وبالحسان ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما وما كان فيها من ضعيف أو غريب بينه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً وقد اعتنى العلماء بها عناية عظيمة فشرحوها شروحاً كثيرة وكلها لمحمد بن عبد الله الحليط وذيلاً أبوابها فذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه وزاد على كل باب من الصحاح والحسان فصلاً ثالثاً عدداً بمض الأبواب وكان ذلك سنة ٧٣٧ هـ كتاباً حافلاً واسماء مشكاة المصابيح وقد شرح المشكاة كثيرون

« هـ » ومنها جمع الجوامع في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه جمع الاحاديث النبوية بأسرها. قال المناوي انه مات قبل ان يتمه ولقد اشتمل كتابه على كثير من الاحاديث الضعيفة بل الموضوعية وقد هذب ترتيبه علاء الدين علي بن حسام الهندي المتوفى بمكة سنة ٩٧٥ في كتابه كنز العمال في سنن الاقوال والافعال وقد اختصر السيوطي كتابه في الجامع الصغير وزوائده

« و » ومنها تحف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة لاحمد بن أبي بكر

(١) توفي سنة ٥٩٧ (٢) سنة ٦٩٤ (٣) سنة ٧٧٤ (٤) سنة ٨٠٧ (٥) سنة ٨١٦

(الناشر: ج ٤) (٣٥) (المجلد: الثاني، الثالث، الرابع)

البوصيري (١) أنرد فيه تروائد - مسانيد أبي داود الطيالسي والحليدي ومنسد وابن أبي عمرو وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وعبد بن حميد والحرث بن محمد بن أبي أسامة وأبي يعلى الموصلي - أي مازاد من أحاديثها على الكتب الستة وهو مرتب على مائة كتاب.

الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام

«ا» منها الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٢) جمع فيه متون الأحكام وشرحه ولكن لم بكل شرحه ويقال انه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه «ب» ودلائل الأحكام من احاديث النبي (ص) لابن شداد الحلبي (٣)

تكلم فيه على الاحاديث المستنبطة منها الأحكام في الفروع ويقع في مجلدين «ج» ومتن في الاخبار في الأحكام للحافظ محمد الدين أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية الحنبلي (٤) انتقاء من صحيح البخاري ومسلم ومنسد الامام احمد وجامع أبي عيسى الترمذي والسنن للنسائي وأبي داود وابن ماجه واستغنى بالمزوال هذه المسانيد عن الاطالة بذكر الاسانيد وانه لكتاب قيم شرحه الامام المنجد الشوكاني محدث اليمن (٥) شرحاً مسهباً بلغ ثمانية أجزاء جمع فيه من فقه الحديث ما لم يلزم عليك في كتاب آخر وقد اسمى شرحه نيل الاوطار - طبع بمصر وتعدت نسخه - «د» وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦)

ويمن شرحه شرحاً وجيزاً صديق حسن خان (٧) بلغ شرحه مجلدين - طبع وتعدت نسخه - وقد اشتمل بلوغ المرام على ألف وأربعمائة حديث من احاديث الأحكام وهو كتاب عظيم القدر طبع في مصر وفي الهند مع حواشي للسيد أحمد حسن الدهلوي المعاصر بين فيها علل الاحاديث المعلولة وخلاصة المعنى

كتب أخرى

من الكتب النفيسة في الحديث (المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (٨) ائتم فيها الصحة فصيح احاديث لم يسبق الى تصحيحها ولم يتم الكتاب وقد وجهه بعض الحفاظ على استدراك الحاكم ومنها السنن الكبير والصغير كتابان لاهد بن حسين البيهقي (٩) قيل لم يصنف في الاسلام مثلها قال ابن الصلاح ما (١) توفي سنة ٨٤٠ (٢) سنة ٧٠٢ (٣) سنة ٦٣٢ (٤) سنة ٦٥٢ (٥) سنة

١٢٥٠ (٦) سنة ٨٥٢ (٧) سنة (٨) سنة ٦٤٣ (٩) سنة ٤٥٨

ثم كتاب في السنة اجمع للدلالة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي وكأنه لم يترك في سائر اقطار الارض حديثاً الا وقد وضعه في كتابه - ومنها بحر الاسانيد للامام الحافظ الحسن بن احمد السرقندي (١) اجمع فيه مائة الف حديث رتبته وهذه ولم يقع في الاسلام مثله - ومنها الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢) وهو من أحسن الكتب طريقة في جمع الحديث وبيان درجته وليت كتب الحديث كلها على نمطه - وهو مطبوع -

ترتيب كتب الحديث في الصفة

قد بينا فيما سلف درجة كل كتاب من كتب السنة الشهيرة في الصفة وهانحن أولاء ندلي اليك بفصل جم الفائدة عظيم الفائدة ينجلي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصفة لتكون على بينة من أمرها فنقول وبالله توفيقنا

قد قسم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر الى تفاوت الاوصاف المقتضية للصحة الى سبعة أقسام كل قسم منها اعل مما بعده فالاول ما أخرجه البخاري ومسلم ويسمى بالمتفق عليه والثاني ما انفرد به البخاري والثالث ما انفرد به مسلم والرابع ما كان على شرطهما مما لم يخرجهما واحد منهما والخامس ما كان على شرط البخاري والسادس ما كان على شرط مسلم والسابع ما صححه أحد الامة المعتمدين وترجيح كل قسم من هذه الاقسام السبعة على ما بعده انما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الآخر فليسوغ أن يرجح حديث في مسلم على آخر في البخاري اذا وجد موجب الترجيح ولقد كتب الشيخ احمد المروفي بشاه ولي الله الحداد الهلوي (٣) في كتابه حجة الله البالغة فصلا في طبقات كتب الحديث نورد لك خلاصته قال :

طبقات كتب الحديث أربع فالطبقة الاولى متحصرة بالاستفراء في ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم

والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ولم يتساهلوا فيها وتلقاها من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون " انتهى " وذاعت

بين الناس كسب أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي . وهذه الكتب مع الطبقة الاولى اعتنى بأحاديثها رزين ابن معاوية العبدي السرقسطي في تحريد الصحاح وابن الاثير في جامع الاصول وكاد مسند أحمد يكون من هذه الطبقة . والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات منفتة قبل البخاري ومسلم وفي زمانها وبعد ما جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والمذكر والغريب والشاذ والخطأ والصواب والثابت والمقلوب (١) ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار وان زال عنها اسم النكارة المطلقة ولم يتداول ما تقدمت به الفقهاء كثير تداول ولم يفحص عن صحتها وضعفها المحدثون كبير فحص . ومنها ما لم يخدمه لغوي لشرح غريب ولا فقيه بتطبيقه عن مذهب السلف ولا محدث ببيان مشكله ولا مؤرخ بذكر اسبابه ، ولا أرباب المناظرين المتأخرين ، ولا كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث فهي آفة على استئثارها وجرمها كسند أبي يعلى ومصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد ومسند الطبراني وكتب البيهقي والطحاوي والطبراني وغيرهم قصدم جمع ما وجدوه من الحديث لاتنقيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متناولة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الاولين وكانت في اعماميع والمسانيد المختلفة فتدوها بأمرها وكانت على السنة من لم يكتب حديثه اتخذون ككثير من الوعاظ المتشددين وأهل الاهواء والضعفاء وكانت من آثار الصحابة وثنايهم أو من كلام الحكماء والوعاظ خلطها الرواة بحديث النبي (ص) سهواً أو عمداً أو كانت من محتملات (١) الصحيح من الحديث ما رواه عدل تام السبيل بسند متصل غير معتر ولا شاذ وهذا هو الصحيح لقائه فان خف السبيل فالحسن لقائه وبكثرة الطرق يصحح فيسمى الصحيح لغیره والضعيف مادون الحسن والمعروف ما كان في في سنده ثقة خالف ضعيفاً في حديثه . ومروي ذلك الضعيف يسمى المنكر ويطلق المنكر أيضاً على حديث في سنده كثير الخطأ أو غافل عن الاتقان أو فاسق . والغريب ما كان في سنده منفرد بالرواية لم يشاركه فيها أحد أو لم يكن . الاسند واحد والشاذ ما كان في سنده ثقة سنده من هو جمع منه زعموا . يفتق على من لا يرويه ريباً الشاذ والمقلوب ما كان فيه تقديم ورجح كبير كعب وكعب من ربه

القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يرفون غوايض
الرواية لجمعوا المعاني أحاديث معروفة أو كانت مفهومة من اشارات الكتاب
والسنة جعلوها أحاديث منفصلة برأسها عمداً أو كانت جملاتي في أحاديث مختلفة
جعلوها حديثاً واحداً بنسق واحد ومظنة هذه الاحاديث كتاب الضعفاء لابن
حبان والكامل لابن عدي وكتب الخطيب وأبي نعيم والجوزقاني وابن عساكر
وابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة وأصلح
هذه الطبقة ما كان ضعيفاً محتملاً وأسوأها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد
النكارة. وهذه الطبقة مادة كتب الموضوعات لابن الجوزي أما الطبقة الاولى
والثانية فعملهما اعتماد المحدثين . وأما الثالثة فلا يباشرها العمل عليها والقول
بها الا النحارير الجهابذة الذين يحفظون اسماء الرجال وعلل الاحاديث، نعم ربما
يؤخذ منها المتألمات والشواهد — وقد جعل الله لكل شيء قدراً — وأما
الرابعة فلا اشتغال بمجمها أو الاستنباط منها نوع تمدق من المتأخرين وإن شئت
الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية ان يخلصوا
منها شواهد مذهبهم فالأنتصار بها غير صحيح في معتزك العلماء بالحديث اه
ولابي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (١) مقالة في ترتيب كتب الحديث
جرى فيها على ما ظهر له في ذلك ذكرها في كتاب مراتب الديانة وقد أورد
السيوطي خلاصتها في كتاب التقريب فقال . وأما ابن حزم فإنه قال أولى الكتب
الصحيحان ثم صحيح سميد بن السكن (٧) والمنتقى لابن جارود (٣) والمنتقى
لقاسم بن أصبغ (٤) ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود (٥) وكتاب النسائي (٦) *
ومصنف قاسم بن أصبغ ومصنف الطحاوي (٧) ومسند أحمد (٨) ومسند
البرار (٩) وأبي بكر (١٠) وعثمان (١١) ابني أبي شيبة ومسند ابن
راهويه « ١٢ » والطيالسي « ١٣ » والحسن بن سفيان « ١٤ » والمستدرک
للحاكم « ١٥ » وكتاب ابن سنجر « ١٦ » ويعقوب بن شيبة « ١٧ » وعلي
(١) توفي سنة ٤٥٦ (٢) سنة ٣٥٣ (٣) سنة ٣٠٧ (٤) سنة ٣٤٠ (٥) سنة
٢٧٥ (٦) سنة ٣٠٣ * انما لم يذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى الترمذي لانه
ما رأها ولا دخلا الاندلس الا بعد وفاته (٧) سنة ٣٢١ (٨) سنة ٢٤١ (٩) سنة
٢٩٢ « ١٠ » سنة ٢٣٥ « ١١ » سنة ٢٣٩ « ١٢ » سنة ٢٣٧ « ١٣ » سنة ٢٠٤
« ١٤ » سنة ٣٠٣ « ١٥ » سنة ٤٠٥ « ١٦ » سنة ٢٥٨ « ١٧ » سنة ٢٦٢

ابن المديني (١) وابن أبي عزرة (٢) وما جرى مجراها من الكتب التي أفردت لكلام رسول الله (ص) ثم تبعها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره. ثم ما كان فيه التصحيح فهو أجل مثل مصنف عبد الرزاق (٣) ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد القرطبي (٤) وكتاب محمد بن نصر المروزي (٥) وكتاب ابن المنذر (٦) ثم مصنف حماد بن سلمة (٧) ومصنف سعيد بن منصور (٨) ومصنف وكيع بن الجراح (٩) ومصنف الزبالي وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذؤيب (١٠) وموطأ ابن وهب (١١) ومسائل أحمد بن حنبل وفتحه أبي عبيد (١٢) وفتحه أبي ثور (١٣) وما كان من هذا النقط مشهوراً كحديث شعبة (١٤) وسفيان (١٥) والبيهقي (١٦) والاوزاعي (١٧) والمجدي (١٨) وابن مهدي (١٩) ومسدد «٢٠» وما جرى مجراها فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ولقد أحضيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث وثيقاً مسندة ومرسلاً يزيد على المائتين وأحصيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند ثمانمائة وثيقاً مسندة وثلاثمائة مرسلاً وثيقاً وفيه ثيف وسبقون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضمنية وأما جمهور العلماء

تاريخ علوم الحديث الاخرى

الى هنا كانت العناية موجهة الى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة لانفاذه والشارحة لمتونه وان ذلك لنرض من أغراض، وناحية من نواح، فان خيرة المسلمين، وشيوخ الحديثين، كما عنوا بذلك عنوا بالتأليف في شرح غريبه، وبيان ناسخه من منسوخه، واظهار حال رجاله والكشف عن علومه ومصطلحاته

توفي «١» سنة ٢٣٤ «٢» سنة ٢٧٦ «٣» سنة ٢١١ «٤» سنة ٢٧٦ «٥» سنة ٢٩٤ «٦» لا أدري هل هو ابراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ أو علي بن المنذر المتوفى سنة ٢٥٦ «٧» سنة ١٦٧ «٨» سنة ٢٢٧ «٩» سنة ١٩٧ «١٠» سنة ١٥٩ «١١» سنة ١٩٧ «١٢» سنة ٢٣٤ «١٣» سنة ٢٤٠ «١٤» سنة ١٦٠ «١٥» سنة ١٩٨ «١٦» سنة ١٧٥ «١٧» سنة ١٥٦ «١٨» سنة ٢١٩ «١٩» سنة ١٩٨ «٢٠» سنة ٢٢٨

من صحيح وعليل ومقبول، مردود ومتواتر ومشهور، الى غير ذلك من جليل
الاعراض ومتنوع الاقسام
وسنفرد فصلاً لكل نوع من أنواعه الشيرة نلم فيه بتوضيحه، ونرج
على تاريخه، بمقرنين ذلك بذكر أحسن المؤلفات فيه حتى يتجلى لك تاريخ
الحديث من جملة نواحيه

علم غريب الحديث

الغريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه
بحيث لا يتقاوله الفهم الاعن بمد ومماناة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام
من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب
وها نحن أولاء نحكي لك خلاصة ما قاله ابن الاثير في مفتتح نهايته فانه أحسن من
وفي هذا الموضوع قسطه من البيان ضامين اليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب
التي تعرضت لهذا الشأن
كان (ص) انصح العرب لساننا، وأوضحهم بياننا، وأعرفهم بمواقع الخطاب،
وأهداهم الى طرق الصواب، وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين
لهجاتهم، وكلامهم بما يفهم، ومبادئه بما يعلم، وكان اصحابه والوفود عليه من
العرب يعرفون أكثر ما يقول وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم واستمر
عصره (ص) الى حين وفاته على هذا السنن المستقيم وعليه سلك الصحابة في
عصرهم. وكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً من الدخيل الى أن فتحت
الامصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحش والنبط وغيرهم
من أنواع الأمم الذين فتحت بلادهم للمسلمين ووفروا عليها علم المرحومين
فاختلطت الفرق وامتزجت اللسان وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الاولاد فقه لغوا
من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمحاورة منه، وتركوا ما عدها القنبيهم
عنه واستمر الامر على هذا النهج الى أن انقرض عصر الصحابة — القرن
الاول — وجاء التابعون لهم باحسان فسلكوا سبيلهم، وإن كانوا في الاتقان
دونهم ولم ينتقن زمانهم — سنة ١٥٠ — الا واللسان العربي قد استحال
اعجيباً أو كاد فلا تری المستقل به والمحافظ عليه الا الآحاد جهل الناس من هذا
المهم ما كان يلزمهم معرفته وانجزوا منه ما كان يجب عليهم تقدمته فلما اعتزل

الدهاء، وعزالدواء، اللهم الله جماعة من اولي المعارف والنهي ان يصرفوا الى هذا الشأن طرفاً من عنايتهم، فشرعوا للناس موارد، وقعدوا لهم قواعد، فقيل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري «١» - لجمع من الفاظ غريب الحديث والآثر كتيباً صغيراً ولم تكن قلته لجله بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأميرن أحدهما ان كل مبتدع لاسر لم يسبق اليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم. ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني «٢» كتاباً اكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حجمه، ثم جمع عبد الملك ابن قريب الاصمعي وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه كتاباً احسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب «٣» وغيره من أئمة اللغة والفقهاء جموا أحاديث وتكلموا على لنتها ومعناها في اوراق ذوات عدد ولم يكدهم أحد من ينفرد عن الآخر بكثير حديث لم يذكره الآخر واستمر الحال الى زمن أبي عبيدة القاسم بن سلام «٤» وذلك بعد المائتين لجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار اثنى فيه عمره اذ جمعه في أربعين سنة وانه لكتاب حافل بالأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجمة، ولقد بطن رحمه الله على كثرة تعب وطول نصه انه قد أتى على معظم الغريب وما علم ان الشوط بطين، والمهل معين، ولقد بقي كتابه ممتد الناس الى عصر أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «٥» فصنف كتابه المشهور ولم يردعه شيئاً من كتاب أبي عبيدة الا ما دعت الحاجة اليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض لجاء مثل كتاب أبي عبيدة أو أكثر منه وقد قال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال وقد كان في عصره ابراهيم بن اسحاق الحاربي الحافظ «٦» جمع كتاباً في الحديث بلغ خمس مجلدات بسط فيه القول وأطال بهذا ذكر المتن واسانيدها ولولم يكن في المتن الا كلمة واحدة من الغريب فمجر الناس لذلك كتابه وان كان جم الفائدة. ثم اثنى الناس من التصانيف في هذا الفن كالمبرد «٧» وطلب «٨» ومحمد بن قاسم الانباري «٩» وسلمة بن عاصم النهوي وعبد الله

«١» توفي سنة ٢١٠ هـ «٢» سنة ٢٠٤ هـ «٣» سنة ٢٠٦ هـ «٤» سنة ٢٢٤ هـ

«٥» سنة ٢٧٦ هـ «٦» سنة ٨٥ هـ «٧» سنة ٢٨٥ هـ «٨» سنة ٢٩١ هـ «٩» سنة ٣١٨ هـ

ابن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث، واستمرت الحال الى عهد الامام محمد بن احمد الخطابي البستي (١) فالف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة وصرف عنايته فيه الى جمع ما لم يوجد في كتابيهما فاجتمع له من ذلك ما يذاتي كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والآثر امهات الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس وعليها يمول علماء الامصار الا ان هذه الكتب الثلاثة وغيرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقتنى يرجع الانسان عند طلب الحديث اليه الا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه الا بعد تعب وعناء، ثم هي مع ذلك متفرقة فيها الاحاديث فلا يعلم الناظر في أيها يوجد الغريب فيحتاج الى البحث في كثير منها حتى يجد غرضه. فلما كان زمن أبي عبيد احمد بن محمد الهروي (٢) وهو من طبقة الخطابي ومعاصره الف كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق اليه فاستخرج الكلمات النوية القريبة من أمانتها وانبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم ولم يفعمه بالاسانيد والمتون والرواة - شأن ما سبقه من الكتب - فان ذلك له علم مستقل به وقد جمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدمه واربى عليه لجاء كتاباً جامعاً في الحسن بين الاطاحة والوضع الا أنه جاء الحديث مفرقاً في حروف كلماته. ولقد ذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب واقتنى أثره كثيرون واستدرك ما فاتهم آخرون وما زالت الايام تنقضي عن تصانيف وتبرز تأليف الى عهد الامام أبي القاسم محمود بن عمر الزعفراني (٣) فالف كتابه القائي في غريب الحديث وأنه لكتاب قيم رتبة على وضع اختياره مقتنى على حروف المعجم ولكن في المنور على متفرقة الغريب منه مشقة وان كانت دون غيره مما سبقه لانه جمع في التقفية بين ٣٢٠٠٠٠ الحديث متروداً جمية أو بعضه ثم شرح ما فيه من غريب فيجزيه شرح كلماته القريبة في حرف واحد فترد الكلمة في غير حروفها فكان لذلك كتاب الهروي اقرب منه متناولاً وان كانت كلمات الحديث متفرقة في حروفها

ولقد الف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني (٤) كتاباً جمع فيه

(١) توفي سنة ٣٨٨ (٢) سنة ٤٠١ (٣) سنة ٥٣٨ (٤) سنة ٥٨١

(المنار: ج ٤) (٣٦) (الجلد الثاني والمختصر)

على طريقة الهروي مائة من غريب القرآن والحديث، وكذلك صنف أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي الجوزي "١" كتاباً في غريب الحديث حاسة نرج فيه منهج
الهروي بل كتابه مختصر من كتابه لا يزيد عليه الا الكلمة الشاذة واللفظة
الفاذة بخلاف كتاب أبي موسى المديني فانه لا يذكر منه الا ما دعت الحاجة اليه
أقول نعم جاء مجد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن
الانثير "٢" الذي خلصت ما تقدم من مقدمة نهايته لجمع ما في كتاب الهروي
وأبي موسى من غريب الحديث والاثر وأضاف اليه ما عثر عليه في كتب السنة من
صحاح وستون وجوامع ومصنفات ومسانيد - وانه لكثير - سالكا في الترتيب
منهج أصله فكان من ذلك كتابه - النهاية في غريب الحديث والاثر - وقد رمز
لما في كتاب الهروي بالهاء ولما في كتاب أبي موسى المديني بالسين . وقد ذيل النهاية
محمود بن أبي بكر الارموي (٣) واختصرها عيسى بن محمد الصفوي (٤) فيما يقرب
من نصف حجمها وكذلك الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٥)
في كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الانثير ، وله : التذييل والتذييب على نهاية
الغريب ، وقد طبعت النهاية وعلى هامشها الدر النثير مشكولة وغير مشكولة

علم رجال الحديث

هذا فن جليل القدر عظيم الاثر الحاجة اليه داعية والضرورة به قاضية
وليس من عظيم في الحديث وهو عنه بعيد أو باعه فيه قصير وكيف لا يكون
كذلك وهو نصف علم الحديث فانه سند ومتن والسند عبارة عن الرواة فعرفة
أحوالهم نصف هذا العلم بلا ريب

- والكتبة المصنفة فيه كثيرة الانواع متشعبة الاغراض فمن مؤلف في أسماء
الصحابة خاصة أو في رواية الحديث عامة ومن خاص بالنقات أو الضعفاء أو
الحفاظ أو المدلسين أو الوضاعين ومن مبين للجرح والتعديل والفاظهما ومراتب
كل منها ومن كاشف عن المؤلف والمختلف أو المتفق والمفترق من الاسماء
والانساب ومن قاصر على ذكر الوفيات أو موضح لرجال كتاب معين أو عدة كتب
مخصوصة وكل كتب فيه الغناء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الغاية كما نرى بعد

(١) توفي سنة ٥١٤ (٢) سنة ٦٠٦ (٣) سنة ٧٢٣ (٤) سنة ٩٥٣
(٥) سنة ٩١١

١٠ أسماء الصحابة

الصحابي كل من لقي النبي (ص) مؤناً به ومات على ذلك ولو تخلص ردة في
الاصح وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
البخاري (١) أفرد أسماء الصحابة في مؤلف وجمها مضمومة إلى من بعدهم جماعة
من طبقة مشايخه تكليفة بن الخياط المحدث النسابة (٢) ومحمد بن سعد (٣) الذي بلغ
مؤلفه خمسة عشر مجلداً ومن قرأه كيمقوب بن سفيان (٤) وأبي بكر بن أبي
خيثمة (٥) وصنف في الصحابة خاصة جمع بعدهم كالحافظ البغوي عبد الله بن محمد
ابن عبد العزيز (٦) وأبي بكر الحافظ الكبير عبد الله بن أبي داود (٧) ثم علي بن
المسكن (٨) وأبو بكر ممر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٩) وأبو منصور
البارودي وأبو حاتم الرازي ابن حبان (١٠) وسليمان بن أحمد الطبراني (١١) ضمن
معجمه الكبير ثم عبد الله بن منده (١٢) والحافظ أبو نعيم (١٣) ثم عمر بن
عبد البر (١٤) ألف كتابه الاستيعاب وسماه بذلك لظنه أنه استوعب كتب من
قبله في كتابه ومع ذلك ففاته شيء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيل
حفا وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المديني (١٥) على
ابن منده ذيل كبيراً. وما زال الناس يؤلفون في ذلك إلى أن كانت تباشير القرن
السايع فجمع سز الدين ابن الإثير «١٦» كتاباً حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه
كثيراً من التصانيف المتقدمة إلا أنه تبع من قبله غلط من ليس صحابياً بهم
وأغفل كثيراً من الأوهام الواقعة في كتبهم، ثم جرد الأسماء التي في كتابه مع
زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي «١٧» في كتابه التجريد وأعلم لمن ذكر
غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب ثم جاء الحافظ أحمد بن
حجر المستقلاني (١٨) فألف كتابه الإصابة في تمييز الصحابة - في ثمانية أجزاء
صغيرة - جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة واستدرك عليهم كثيراً
وقد اختصره تلميذه جلال الدين السيوطي في كتاب سماه عين الإصابة

- (١) توفي سنة ٢٥٦ (٢) سنة ٢٤٠ (٣) سنة ٢٣٠ (٤) سنة ٢٧٧ (٥) سنة
٢٧٩ (٦) سنة ٢٣٠ (٧) سنة ٣١٦ «٨» سنة ٣٥٣ «٩» سنة ٣٨٥ «١٠» سنة
٣٥٤ «١١» سنة ٣٦٠ «١٢» سنة ٣٥٥ «١٣» سنة ٤٦٣ «١٤» سنة ١٦١ «١٥»
سنة ١٨١ «١٦» سنة ٦٣٠ «١٧» سنة ١٨٧ «١٨» سنة ٨٥٢

ومعد الف كل من البخاري ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان أي الصحابة الذين ليس لهم الأحديث واحد وكذلك الف يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهاني (١) كتاباً فيمن مائ من الصحابة عشرين سنة ومائة

«ب» علم الجرح والتعديل

هو: علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالقاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الاقباط والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله (ص) ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوز ذلك صوتاً للشرعة لا طبعاً فير التباس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والاموال فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك وقد تكلم في الرجال خلق لا يتبها حصرهم وقد سرد ابن عدي (٢) في مقدمة كتابه الكامل جماعة الى زمنه من الصحابة ابن عباس (٣) وعبادة بن الصامت (٤) وأنس (٥) ومن التابعين الشعبي (٦) وابن سيرين (٧) وسعيد بن المسيب (٨) وغيرهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم اذا كثرهم ضجاجة وهم عدول وغير الصحابة منهم اكثرهم ثقات اذ لا يكاد يوجد في القرن الاول من الضعفاء الا القليل وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من اوساط التابعين جماعة من الضعفاء وضعف اكثرهم نشأ غالباً من قبل تعلمهم وضيلهم للحديث فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط وذلك مثل أبي هريرة المبدري ٩ ولما كان آخر عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الائمة فضيف الاعمش ١٠ جماعة ووثق آخرين ونظر في الرجال شعبة ١١ وكان مثبته لا يكاد يروي الا من ثقة ومثله مالك ١٢ ومن كان في هذا العصر اذا قل قبل قوله معمر ١٣ وهشام الدستوائي ١٤ والاوزاعي ١٥ وسفيان الثوري ١٦ وابن المجشون ١٧ وحامد بن سلمة ١٨ واليث بن سعد ١٩ ويمدهؤلاء طبقة

(١) توفي سنة ١١١ ٢٢٥ ٢٣٥ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٦٠ ٢٧٠ ٢٨٠ ٢٩٠ ٣٠٠ ٣١٠ ٣٢٠ ٣٣٠ ٣٤٠ ٣٥٠ ٣٦٠ ٣٧٠ ٣٨٠ ٣٩٠ ٤٠٠ ٤١٠ ٤٢٠ ٤٣٠ ٤٤٠ ٤٥٠ ٤٦٠ ٤٧٠ ٤٨٠ ٤٩٠ ٥٠٠ ٥١٠ ٥٢٠ ٥٣٠ ٥٤٠ ٥٥٠ ٥٦٠ ٥٧٠ ٥٨٠ ٥٩٠ ٦٠٠ ٦١٠ ٦٢٠ ٦٣٠ ٦٤٠ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٧٠ ٦٨٠ ٦٩٠ ٧٠٠ ٧١٠ ٧٢٠ ٧٣٠ ٧٤٠ ٧٥٠ ٧٦٠ ٧٧٠ ٧٨٠ ٧٩٠ ٨٠٠ ٨١٠ ٨٢٠ ٨٣٠ ٨٤٠ ٨٥٠ ٨٦٠ ٨٧٠ ٨٨٠ ٨٩٠ ٩٠٠ ٩١٠ ٩٢٠ ٩٣٠ ٩٤٠ ٩٥٠ ٩٦٠ ٩٧٠ ٩٨٠ ٩٩٠ ١٠٠٠ ١٠١٠ ١٠٢٠ ١٠٣٠ ١٠٤٠ ١٠٥٠ ١٠٦٠ ١٠٧٠ ١٠٨٠ ١٠٩٠ ١١٠٠ ١١١٠ ١١٢٠ ١١٣٠ ١١٤٠ ١١٥٠ ١١٦٠ ١١٧٠ ١١٨٠ ١١٩٠ ١٢٠٠ ١٢١٠ ١٢٢٠ ١٢٣٠ ١٢٤٠ ١٢٥٠ ١٢٦٠ ١٢٧٠ ١٢٨٠ ١٢٩٠ ١٣٠٠ ١٣١٠ ١٣٢٠ ١٣٣٠ ١٣٤٠ ١٣٥٠ ١٣٦٠ ١٣٧٠ ١٣٨٠ ١٣٩٠ ١٤٠٠ ١٤١٠ ١٤٢٠ ١٤٣٠ ١٤٤٠ ١٤٥٠ ١٤٦٠ ١٤٧٠ ١٤٨٠ ١٤٩٠ ١٥٠٠ ١٥١٠ ١٥٢٠ ١٥٣٠ ١٥٤٠ ١٥٥٠ ١٥٦٠ ١٥٧٠ ١٥٨٠ ١٥٩٠ ١٦٠٠ ١٦١٠ ١٦٢٠ ١٦٣٠ ١٦٤٠ ١٦٥٠ ١٦٦٠ ١٦٧٠ ١٦٨٠ ١٦٩٠ ١٧٠٠ ١٧١٠ ١٧٢٠ ١٧٣٠ ١٧٤٠ ١٧٥٠ ١٧٦٠ ١٧٧٠ ١٧٨٠ ١٧٩٠ ١٨٠٠ ١٨١٠ ١٨٢٠ ١٨٣٠ ١٨٤٠ ١٨٥٠ ١٨٦٠ ١٨٧٠ ١٨٨٠ ١٨٩٠ ١٩٠٠ ١٩١٠ ١٩٢٠ ١٩٣٠ ١٩٤٠ ١٩٥٠ ١٩٦٠ ١٩٧٠ ١٩٨٠ ١٩٩٠ ٢٠٠٠ ٢٠١٠ ٢٠٢٠ ٢٠٣٠ ٢٠٤٠ ٢٠٥٠ ٢٠٦٠ ٢٠٧٠ ٢٠٨٠ ٢٠٩٠ ٢١٠٠ ٢١١٠ ٢١٢٠ ٢١٣٠ ٢١٤٠ ٢١٥٠ ٢١٦٠ ٢١٧٠ ٢١٨٠ ٢١٩٠ ٢٢٠٠ ٢٢١٠ ٢٢٢٠ ٢٢٣٠ ٢٢٤٠ ٢٢٥٠ ٢٢٦٠ ٢٢٧٠ ٢٢٨٠ ٢٢٩٠ ٢٣٠٠ ٢٣١٠ ٢٣٢٠ ٢٣٣٠ ٢٣٤٠ ٢٣٥٠ ٢٣٦٠ ٢٣٧٠ ٢٣٨٠ ٢٣٩٠ ٢٤٠٠ ٢٤١٠ ٢٤٢٠ ٢٤٣٠ ٢٤٤٠ ٢٤٥٠ ٢٤٦٠ ٢٤٧٠ ٢٤٨٠ ٢٤٩٠ ٢٥٠٠ ٢٥١٠ ٢٥٢٠ ٢٥٣٠ ٢٥٤٠ ٢٥٥٠ ٢٥٦٠ ٢٥٧٠ ٢٥٨٠ ٢٥٩٠ ٢٦٠٠ ٢٦١٠ ٢٦٢٠ ٢٦٣٠ ٢٦٤٠ ٢٦٥٠ ٢٦٦٠ ٢٦٧٠ ٢٦٨٠ ٢٦٩٠ ٢٧٠٠ ٢٧١٠ ٢٧٢٠ ٢٧٣٠ ٢٧٤٠ ٢٧٥٠ ٢٧٦٠ ٢٧٧٠ ٢٧٨٠ ٢٧٩٠ ٢٨٠٠ ٢٨١٠ ٢٨٢٠ ٢٨٣٠ ٢٨٤٠ ٢٨٥٠ ٢٨٦٠ ٢٨٧٠ ٢٨٨٠ ٢٨٩٠ ٢٩٠٠ ٢٩١٠ ٢٩٢٠ ٢٩٣٠ ٢٩٤٠ ٢٩٥٠ ٢٩٦٠ ٢٩٧٠ ٢٩٨٠ ٢٩٩٠ ٣٠٠٠ ٣٠١٠ ٣٠٢٠ ٣٠٣٠ ٣٠٤٠ ٣٠٥٠ ٣٠٦٠ ٣٠٧٠ ٣٠٨٠ ٣٠٩٠ ٣١٠٠ ٣١١٠ ٣١٢٠ ٣١٣٠ ٣١٤٠ ٣١٥٠ ٣١٦٠ ٣١٧٠ ٣١٨٠ ٣١٩٠ ٣٢٠٠ ٣٢١٠ ٣٢٢٠ ٣٢٣٠ ٣٢٤٠ ٣٢٥٠ ٣٢٦٠ ٣٢٧٠ ٣٢٨٠ ٣٢٩٠ ٣٣٠٠ ٣٣١٠ ٣٣٢٠ ٣٣٣٠ ٣٣٤٠ ٣٣٥٠ ٣٣٦٠ ٣٣٧٠ ٣٣٨٠ ٣٣٩٠ ٣٤٠٠ ٣٤١٠ ٣٤٢٠ ٣٤٣٠ ٣٤٤٠ ٣٤٥٠ ٣٤٦٠ ٣٤٧٠ ٣٤٨٠ ٣٤٩٠ ٣٥٠٠ ٣٥١٠ ٣٥٢٠ ٣٥٣٠ ٣٥٤٠ ٣٥٥٠ ٣٥٦٠ ٣٥٧٠ ٣٥٨٠ ٣٥٩٠ ٣٦٠٠ ٣٦١٠ ٣٦٢٠ ٣٦٣٠ ٣٦٤٠ ٣٦٥٠ ٣٦٦٠ ٣٦٧٠ ٣٦٨٠ ٣٦٩٠ ٣٧٠٠ ٣٧١٠ ٣٧٢٠ ٣٧٣٠ ٣٧٤٠ ٣٧٥٠ ٣٧٦٠ ٣٧٧٠ ٣٧٨٠ ٣٧٩٠ ٣٨٠٠ ٣٨١٠ ٣٨٢٠ ٣٨٣٠ ٣٨٤٠ ٣٨٥٠ ٣٨٦٠ ٣٨٧٠ ٣٨٨٠ ٣٨٩٠ ٣٩٠٠ ٣٩١٠ ٣٩٢٠ ٣٩٣٠ ٣٩٤٠ ٣٩٥٠ ٣٩٦٠ ٣٩٧٠ ٣٩٨٠ ٣٩٩٠ ٤٠٠٠ ٤٠١٠ ٤٠٢٠ ٤٠٣٠ ٤٠٤٠ ٤٠٥٠ ٤٠٦٠ ٤٠٧٠ ٤٠٨٠ ٤٠٩٠ ٤١٠٠ ٤١١٠ ٤١٢٠ ٤١٣٠ ٤١٤٠ ٤١٥٠ ٤١٦٠ ٤١٧٠ ٤١٨٠ ٤١٩٠ ٤٢٠٠ ٤٢١٠ ٤٢٢٠ ٤٢٣٠ ٤٢٤٠ ٤٢٥٠ ٤٢٦٠ ٤٢٧٠ ٤٢٨٠ ٤٢٩٠ ٤٣٠٠ ٤٣١٠ ٤٣٢٠ ٤٣٣٠ ٤٣٤٠ ٤٣٥٠ ٤٣٦٠ ٤٣٧٠ ٤٣٨٠ ٤٣٩٠ ٤٤٠٠ ٤٤١٠ ٤٤٢٠ ٤٤٣٠ ٤٤٤٠ ٤٤٥٠ ٤٤٦٠ ٤٤٧٠ ٤٤٨٠ ٤٤٩٠ ٤٥٠٠ ٤٥١٠ ٤٥٢٠ ٤٥٣٠ ٤٥٤٠ ٤٥٥٠ ٤٥٦٠ ٤٥٧٠ ٤٥٨٠ ٤٥٩٠ ٤٦٠٠ ٤٦١٠ ٤٦٢٠ ٤٦٣٠ ٤٦٤٠ ٤٦٥٠ ٤٦٦٠ ٤٦٧٠ ٤٦٨٠ ٤٦٩٠ ٤٧٠٠ ٤٧١٠ ٤٧٢٠ ٤٧٣٠ ٤٧٤٠ ٤٧٥٠ ٤٧٦٠ ٤٧٧٠ ٤٧٨٠ ٤٧٩٠ ٤٨٠٠ ٤٨١٠ ٤٨٢٠ ٤٨٣٠ ٤٨٤٠ ٤٨٥٠ ٤٨٦٠ ٤٨٧٠ ٤٨٨٠ ٤٨٩٠ ٤٩٠٠ ٤٩١٠ ٤٩٢٠ ٤٩٣٠ ٤٩٤٠ ٤٩٥٠ ٤٩٦٠ ٤٩٧٠ ٤٩٨٠ ٤٩٩٠ ٥٠٠٠ ٥٠١٠ ٥٠٢٠ ٥٠٣٠ ٥٠٤٠ ٥٠٥٠ ٥٠٦٠ ٥٠٧٠ ٥٠٨٠ ٥٠٩٠ ٥١٠٠ ٥١١٠ ٥١٢٠ ٥١٣٠ ٥١٤٠ ٥١٥٠ ٥١٦٠ ٥١٧٠ ٥١٨٠ ٥١٩٠ ٥٢٠٠ ٥٢١٠ ٥٢٢٠ ٥٢٣٠ ٥٢٤٠ ٥٢٥٠ ٥٢٦٠ ٥٢٧٠ ٥٢٨٠ ٥٢٩٠ ٥٣٠٠ ٥٣١٠ ٥٣٢٠ ٥٣٣٠ ٥٣٤٠ ٥٣٥٠ ٥٣٦٠ ٥٣٧٠ ٥٣٨٠ ٥٣٩٠ ٥٤٠٠ ٥٤١٠ ٥٤٢٠ ٥٤٣٠ ٥٤٤٠ ٥٤٥٠ ٥٤٦٠ ٥٤٧٠ ٥٤٨٠ ٥٤٩٠ ٥٥٠٠ ٥٥١٠ ٥٥٢٠ ٥٥٣٠ ٥٥٤٠ ٥٥٥٠ ٥٥٦٠ ٥٥٧٠ ٥٥٨٠ ٥٥٩٠ ٥٦٠٠ ٥٦١٠ ٥٦٢٠ ٥٦٣٠ ٥٦٤٠ ٥٦٥٠ ٥٦٦٠ ٥٦٧٠ ٥٦٨٠ ٥٦٩٠ ٥٧٠٠ ٥٧١٠ ٥٧٢٠ ٥٧٣٠ ٥٧٤٠ ٥٧٥٠ ٥٧٦٠ ٥٧٧٠ ٥٧٨٠ ٥٧٩٠ ٥٨٠٠ ٥٨١٠ ٥٨٢٠ ٥٨٣٠ ٥٨٤٠ ٥٨٥٠ ٥٨٦٠ ٥٨٧٠ ٥٨٨٠ ٥٨٩٠ ٥٩٠٠ ٥٩١٠ ٥٩٢٠ ٥٩٣٠ ٥٩٤٠ ٥٩٥٠ ٥٩٦٠ ٥٩٧٠ ٥٩٨٠ ٥٩٩٠ ٦٠٠٠ ٦٠١٠ ٦٠٢٠ ٦٠٣٠ ٦٠٤٠ ٦٠٥٠ ٦٠٦٠ ٦٠٧٠ ٦٠٨٠ ٦٠٩٠ ٦١٠٠ ٦١١٠ ٦١٢٠ ٦١٣٠ ٦١٤٠ ٦١٥٠ ٦١٦٠ ٦١٧٠ ٦١٨٠ ٦١٩٠ ٦٢٠٠ ٦٢١٠ ٦٢٢٠ ٦٢٣٠ ٦٢٤٠ ٦٢٥٠ ٦٢٦٠ ٦٢٧٠ ٦٢٨٠ ٦٢٩٠ ٦٣٠٠ ٦٣١٠ ٦٣٢٠ ٦٣٣٠ ٦٣٤٠ ٦٣٥٠ ٦٣٦٠ ٦٣٧٠ ٦٣٨٠ ٦٣٩٠ ٦٤٠٠ ٦٤١٠ ٦٤٢٠ ٦٤٣٠ ٦٤٤٠ ٦٤٥٠ ٦٤٦٠ ٦٤٧٠ ٦٤٨٠ ٦٤٩٠ ٦٥٠٠ ٦٥١٠ ٦٥٢٠ ٦٥٣٠ ٦٥٤٠ ٦٥٥٠ ٦٥٦٠ ٦٥٧٠ ٦٥٨٠ ٦٥٩٠ ٦٦٠٠ ٦٦١٠ ٦٦٢٠ ٦٦٣٠ ٦٦٤٠ ٦٦٥٠ ٦٦٦٠ ٦٦٧٠ ٦٦٨٠ ٦٦٩٠ ٦٧٠٠ ٦٧١٠ ٦٧٢٠ ٦٧٣٠ ٦٧٤٠ ٦٧٥٠ ٦٧٦٠ ٦٧٧٠ ٦٧٨٠ ٦٧٩٠ ٦٨٠٠ ٦٨١٠ ٦٨٢٠ ٦٨٣٠ ٦٨٤٠ ٦٨٥٠ ٦٨٦٠ ٦٨٧٠ ٦٨٨٠ ٦٨٩٠ ٦٩٠٠ ٦٩١٠ ٦٩٢٠ ٦٩٣٠ ٦٩٤٠ ٦٩٥٠ ٦٩٦٠ ٦٩٧٠ ٦٩٨٠ ٦٩٩٠ ٧٠٠٠ ٧٠١٠ ٧٠٢٠ ٧٠٣٠ ٧٠٤٠ ٧٠٥٠ ٧٠٦٠ ٧٠٧٠ ٧٠٨٠ ٧٠٩٠ ٧١٠٠ ٧١١٠ ٧١٢٠ ٧١٣٠ ٧١٤٠ ٧١٥٠ ٧١٦٠ ٧١٧٠ ٧١٨٠ ٧١٩٠ ٧٢٠٠ ٧٢١٠ ٧٢٢٠ ٧٢٣٠ ٧٢٤٠ ٧٢٥٠ ٧٢٦٠ ٧٢٧٠ ٧٢٨٠ ٧٢٩٠ ٧٣٠٠ ٧٣١٠ ٧٣٢٠ ٧٣٣٠ ٧٣٤٠ ٧٣٥٠ ٧٣٦٠ ٧٣٧٠ ٧٣٨٠ ٧٣٩٠ ٧٤٠٠ ٧٤١٠ ٧٤٢٠ ٧٤٣٠ ٧٤٤٠ ٧٤٥٠ ٧٤٦٠ ٧٤٧٠ ٧٤٨٠ ٧٤٩٠ ٧٥٠٠ ٧٥١٠ ٧٥٢٠ ٧٥٣٠ ٧٥٤٠ ٧٥٥٠ ٧٥٦٠ ٧٥٧٠ ٧٥٨٠ ٧٥٩٠ ٧٦٠٠ ٧٦١٠ ٧٦٢٠ ٧٦٣٠ ٧٦٤٠ ٧٦٥٠ ٧٦٦٠ ٧٦٧٠ ٧٦٨٠ ٧٦٩٠ ٧٧٠٠ ٧٧١٠ ٧٧٢٠ ٧٧٣٠ ٧٧٤٠ ٧٧٥٠ ٧٧٦٠ ٧٧٧٠ ٧٧٨٠ ٧٧٩٠ ٧٨٠٠ ٧٨١٠ ٧٨٢٠ ٧٨٣٠ ٧٨٤٠ ٧٨٥٠ ٧٨٦٠ ٧٨٧٠ ٧٨٨٠ ٧٨٩٠ ٧٩٠٠ ٧٩١٠ ٧٩٢٠ ٧٩٣٠ ٧٩٤٠ ٧٩٥٠ ٧٩٦٠ ٧٩٧٠ ٧٩٨٠ ٧٩٩٠ ٨٠٠٠ ٨٠١٠ ٨٠٢٠ ٨٠٣٠ ٨٠٤٠ ٨٠٥٠ ٨٠٦٠ ٨٠٧٠ ٨٠٨٠ ٨٠٩٠ ٨١٠٠ ٨١١٠ ٨١٢٠ ٨١٣٠ ٨١٤٠ ٨١٥٠ ٨١٦٠ ٨١٧٠ ٨١٨٠ ٨١٩٠ ٨٢٠٠ ٨٢١٠ ٨٢٢٠ ٨٢٣٠ ٨٢٤٠ ٨٢٥٠ ٨٢٦٠ ٨٢٧٠ ٨٢٨٠ ٨٢٩٠ ٨٣٠٠ ٨٣١٠ ٨٣٢٠ ٨٣٣٠ ٨٣٤٠ ٨٣٥٠ ٨٣٦٠ ٨٣٧٠ ٨٣٨٠ ٨٣٩٠ ٨٤٠٠ ٨٤١٠ ٨٤٢٠ ٨٤٣٠ ٨٤٤٠ ٨٤٥٠ ٨٤٦٠ ٨٤٧٠ ٨٤٨٠ ٨٤٩٠ ٨٥٠٠ ٨٥١٠ ٨٥٢٠ ٨٥٣٠ ٨٥٤٠ ٨٥٥٠ ٨٥٦٠ ٨٥٧٠ ٨٥٨٠ ٨٥٩٠ ٨٦٠٠ ٨٦١٠ ٨٦٢٠ ٨٦٣٠ ٨٦٤٠ ٨٦٥٠ ٨٦٦٠ ٨٦٧٠ ٨٦٨٠ ٨٦٩٠ ٨٧٠٠ ٨٧١٠ ٨٧٢٠ ٨٧٣٠ ٨٧٤٠ ٨٧٥٠ ٨٧٦٠ ٨٧٧٠ ٨٧٨٠ ٨٧٩٠ ٨٨٠٠ ٨٨١٠ ٨٨٢٠ ٨٨٣٠ ٨٨٤٠ ٨٨٥٠ ٨٨٦٠ ٨٨٧٠ ٨٨٨٠ ٨٨٩٠ ٨٩٠٠ ٨٩١٠ ٨٩٢٠ ٨٩٣٠ ٨٩٤٠ ٨٩٥٠ ٨٩٦٠ ٨٩٧٠ ٨٩٨٠ ٨٩٩٠ ٩٠٠٠ ٩٠١٠ ٩٠٢٠ ٩٠٣٠ ٩٠٤٠ ٩٠٥٠ ٩٠٦٠ ٩٠٧٠ ٩٠٨٠ ٩٠٩٠ ٩١٠٠ ٩١١٠ ٩١٢٠ ٩١٣٠ ٩١٤٠ ٩١٥٠ ٩١٦٠ ٩١٧٠ ٩١٨٠ ٩١٩٠ ٩٢٠٠ ٩٢١٠ ٩٢٢٠ ٩٢٣٠ ٩٢٤٠ ٩٢٥٠ ٩٢٦٠ ٩٢٧٠ ٩٢٨٠ ٩٢٩٠ ٩٣٠٠ ٩٣١٠ ٩٣٢٠ ٩٣٣٠ ٩٣٤٠ ٩٣٥٠ ٩٣٦٠ ٩٣٧٠ ٩٣٨٠ ٩٣٩٠ ٩٤٠٠ ٩٤١٠ ٩٤٢٠ ٩٤٣٠ ٩٤٤٠ ٩٤٥٠ ٩٤٦٠ ٩٤٧٠ ٩٤٨٠ ٩٤٩٠ ٩٥٠٠ ٩٥١٠ ٩٥٢٠ ٩٥٣٠ ٩٥٤٠ ٩٥٥٠ ٩٥٦٠ ٩٥٧٠ ٩٥٨٠ ٩٥٩٠ ٩٦٠٠ ٩٦١٠ ٩٦٢٠ ٩٦٣٠ ٩٦٤٠ ٩٦٥٠ ٩٦٦٠ ٩٦٧٠ ٩٦٨٠ ٩٦٩٠ ٩٧٠٠ ٩٧١٠ ٩٧٢٠ ٩٧٣٠ ٩٧٤٠ ٩٧٥٠ ٩٧٦٠ ٩٧٧٠ ٩٧٨٠ ٩٧٩٠ ٩٨٠٠ ٩٨١٠ ٩٨٢٠ ٩٨٣٠ ٩٨٤٠ ٩٨٥٠ ٩٨٦٠ ٩٨٧٠ ٩٨٨٠ ٩٨٩٠ ٩٩٠٠ ٩٩١٠ ٩٩٢٠ ٩٩٣٠ ٩٩٤٠ ٩٩٥٠ ٩٩٦٠ ٩٩٧٠ ٩٩٨٠ ٩٩٩٠ ١٠٠٠٠ ١٠٠١٠ ١٠٠٢٠ ١٠٠٣٠ ١٠٠٤٠ ١٠٠٥٠ ١٠٠٦٠ ١٠٠٧٠ ١٠٠٨٠ ١٠٠٩٠ ١٠١٠٠ ١٠١١٠ ١٠١٢٠ ١٠١٣٠ ١٠١٤٠ ١٠١٥٠ ١٠١٦٠ ١٠١٧٠ ١٠١٨٠ ١٠١٩٠ ١٠٢٠٠ ١٠٢١٠ ١٠٢٢٠ ١٠٢٣٠ ١٠٢٤٠ ١٠٢٥٠ ١٠٢٦٠ ١٠٢٧٠ ١٠٢٨٠ ١٠٢٩٠ ١٠٣٠٠ ١٠٣١٠ ١٠٣٢٠ ١٠٣٣٠ ١٠٣٤٠ ١٠٣٥٠ ١٠٣٦٠ ١٠٣٧٠ ١٠٣٨٠ ١٠٣٩٠ ١٠٤٠٠ ١٠٤١٠ ١٠٤٢٠ ١٠٤٣٠ ١٠٤٤٠ ١٠٤٥٠ ١٠٤٦٠ ١٠٤٧٠ ١٠٤٨٠ ١٠٤٩٠ ١٠٥٠٠ ١٠٥١٠ ١٠٥٢٠ ١٠٥٣٠ ١٠٥٤٠ ١٠٥٥٠ ١٠٥٦٠ ١٠٥٧٠ ١٠٥٨٠ ١٠٥٩٠ ١٠٦٠٠ ١٠٦١٠ ١٠٦٢٠ ١٠٦٣٠ ١٠٦٤٠ ١٠٦٥٠ ١٠٦٦٠ ١٠٦٧٠ ١٠٦٨٠ ١٠٦٩٠ ١٠٧٠٠ ١٠٧١٠ ١٠٧٢٠ ١٠٧٣٠ ١٠٧٤٠ ١٠٧٥٠ ١٠٧٦٠ ١٠٧٧٠ ١٠٧٨٠ ١٠٧٩٠ ١٠٨٠٠ ١٠٨١٠ ١٠٨٢٠ ١٠٨٣٠ ١٠٨٤٠ ١٠٨٥٠ ١٠٨٦٠ ١٠٨٧٠ ١٠٨٨٠ ١٠٨٩٠ ١٠٩٠٠ ١٠٩١٠ ١٠٩٢٠ ١٠٩٣٠ ١٠٩٤٠ ١٠٩٥٠ ١٠٩٦٠ ١٠٩٧٠ ١٠٩٨٠ ١٠٩٩٠ ١١٠٠٠ ١١٠١٠ ١١٠٢٠ ١١٠٣٠ ١١٠٤٠ ١١٠٥٠ ١١٠٦٠ ١١٠٧٠ ١١٠٨٠ ١١٠٩٠ ١١١٠٠ ١١١١٠ ١١١٢٠ ١١١٣٠ ١١١٤٠ ١١١٥٠ ١١١٦٠ ١١١٧٠ ١١١٨٠ ١١١٩٠ ١١٢٠٠ ١١٢١٠ ١١٢٢٠ ١١٢٣٠ ١١٢٤٠ ١١٢٥٠ ١١٢٦٠ ١١٢٧٠ ١١٢٨٠ ١١٢٩٠ ١١٣٠٠ ١١٣١٠ ١١٣٢٠ ١١٣٣٠ ١١٣٤٠ ١١٣٥٠ ١١٣٦٠ ١١٣٧٠ ١١٣٨٠ ١١٣٩٠ ١١٤٠٠ ١١٤١٠ ١١٤٢٠ ١١٤٣٠ ١١٤٤٠ ١١٤٥٠ ١١٤٦٠ ١١٤٧٠ ١١٤٨٠ ١١٤٩٠ ١١٥٠٠ ١١٥١٠ ١١٥٢٠ ١١٥٣٠ ١١٥٤٠ ١١٥٥٠ ١١٥٦٠ ١١٥٧٠ ١١٥٨٠ ١١٥٩٠ ١١٦٠٠ ١١٦١٠ ١١٦٢٠ ١١٦٣٠ ١١٦٤٠ ١١٦٥٠ ١١٦٦٠ ١١٦٧٠ ١١٦٨٠ ١١٦٩٠ ١١٧٠٠ ١١٧١٠ ١١٧٢٠ ١١٧٣٠ ١١٧٤٠ ١١٧٥٠ ١١٧٦٠ ١١٧٧٠ ١١٧٨٠ ١١٧٩٠ ١١٨٠٠ ١١٨١٠ ١١٨٢٠ ١١٨٣٠ ١١٨٤٠ ١١٨٥٠ ١١٨٦٠ ١١٨٧٠ ١١٨٨٠ ١١٨٩٠ ١١٩٠٠ ١١٩١٠ ١١٩٢٠ ١١٩٣٠ ١١٩٤٠ ١١٩٥٠ ١١٩٦٠ ١١٩٧٠ ١١٩٨٠ ١١٩٩٠ ١٢٠٠٠ ١٢٠١٠ ١٢٠٢٠ ١٢٠٣٠ ١٢٠٤٠ ١٢٠٥٠ ١٢٠٦٠ ١٢٠٧٠ ١٢٠٨٠ ١٢٠٩٠ ١٢١٠٠ ١٢١١٠ ١٢١٢٠ ١٢١٣٠ ١٢١٤٠ ١٢١٥٠ ١٢١٦٠ ١٢١٧٠ ١٢١٨٠ ١٢١٩٠ ١٢٢٠٠ ١٢٢١٠ ١٢٢٢٠ ١٢٢٣٠ ١٢٢٤٠ ١٢٢٥٠ ١٢٢٦٠ ١٢٢٧٠ ١٢٢٨٠ ١٢٢٩٠ ١٢٣٠٠ ١٢٣١٠ ١٢٣٢٠ ١٢٣٣٠ ١٢٣٤٠ ١٢٣٥٠ ١٢٣٦٠ ١٢٣٧٠ ١٢٣٨٠ ١٢٣٩٠ ١٢٤٠٠ ١٢٤١٠ ١٢٤٢٠ ١٢٤٣٠ ١٢٤٤٠ ١٢٤٥٠ ١٢٤٦٠ ١٢٤٧٠ ١٢٤٨٠ ١٢٤٩٠ ١٢٥٠٠ ١٢٥١٠ ١٢٥٢٠ ١٢٥٣٠ ١٢٥٤٠ ١٢٥٥٠ ١٢٥٦٠ ١٢٥٧٠ ١٢٥٨٠ ١٢٥٩٠ ١٢٦٠٠ ١٢٦١٠ ١٢٦٢٠ ١٢٦٣٠ ١٢٦٤٠ ١٢٦٥٠ ١٢٦٦٠ ١٢٦٧

منہم ابن المبارک «١» وھیم بن بشیر «٢» وأبو اسحاق الفزاري «٣» والمما
عمران الموصلي «٣» وبشر بن المغفل «٤» وابن عیینة «٥» وقد كان في
طبقة أخرى منهم ابن علیة «٦» وابن وهب «٧» ووکیع بن الجراح «٧»
انتدب في ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان المجتانبان يحيى بن سعيد القطان
وعبد الرحمن بن مہدي «٨» وكان للناس وثوق بهما فصار من وتقاهما
ومن جرحاه مجروحاً ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس في
ما رجح عندهم ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى رجع اليهم في ذلك منهم
ابن هرون «٩» وأبو داود الطيالسي «١٠» وعبد البراق بن ہام «١١»
عاصم الضعائک النبیل بن غلد «١٢»

ثم صنف الكتب في الجرح والتعديل والملل وبينت فيها أحوال
وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منهم يحيى بن معين
وقد اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال كما تختلف آراء التقيہ ابن
وعبارته في بعض المسائل التي لا تكاد تخلف من اشكال ومن طبقته احمد
حنبل «١٤» وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم
بدلاً ولم يخرجهم عن دائرة الاعتدال. وقد تكلم في هذا الامر محمد بن سعد
كاتب الواقدي في طبقته وكلامه جيد معقول وأبو خيشة زهير بن حرب
ولد في ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبیل حافظ الجزيرة
قال فيه أبو داود: لم أر أحفظ منه. وعلي بن المديني (١٧) وله التعانيف الك
في الملل والرجال ومحمد بن عبد الله بن نمير (١٧) الذي قال فيه أحمد هو
العراق وأبو بكر بن أبي شيبة (١٨) صاحب المسند وكان آية في الحفظ وعبد
بن عمرو القواريري (١٨) الذي قال فيه صاحب جرزة هو أعلم من رأيت بما
أهل البصرة واسحق بن راهويه (١٩) امام خراسان وأبو جعفر محمد بن عبد

- (١) توفي سنة ١٨١ (٢) سنة ١٨٨ (٣) سنة ١٨٥ (٤) سنة ١٨٦ (٥)
١٩٧ (٦) سنة ١٩٣ (٧) سنة ١٩٧ (٨) سنة ١٩٨ (٩) سنة ٢٠٦ (١٠)
٢٠٤ (١١) سنة ٢١١ (١٢) سنة ٢١٢ «١٣» سنة ٢٢٣ «١٤» سنة ٢٤١
سنة ٢٣٥ «١٦» سنة ٢٣٤ «١٧» سنة ٢٣٤ «١٨» سنة ٢٣٥ «١٩» سنة ٢٣٥

بن عمار الموصلبي الحافظ وله كلام جيد في الجرح والتعديل وأحمد بن صالح (١) حافظ مصر وكان قليل المثل (٢) وهرون بن عبد الله الحنّال (٣) وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل

ثم خلفتهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم اسحق الكوسج (٤) والدارمي (٥) والبخاري (٦) والمجلي الحافظ زيل المغرب (٧) ويتلوهم أبو زرعة (٨) وأبو حاتم (٩) الرازيان، ومسلم (١٠) وأبو داود السجستاني (١١) وبقي بن مخلد (١٢) وأبو زرعة الدمشقي (١٣) ثم من بعدهم جماعة منهم عبد الرحمن بن يوسف البغدادي وله مسند في الجرح والتعديل وكان كأبي حاتم في قوة النفس وإبراهيم بن اسحاق الحربي (١٤) ومحمد بن وضاح (١٥) حافظ قرطبة وأبو بكر بن أبي عاصم (١٦) وعبد الله بن أحمد (١٧) وصالح جرزة (١٨) وأبو بكر البزار (١٩) ومحمد بن نصر المروزي (٢٠) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢١) وهو ضعيف لكنه من الأئمة في هذا العصر. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الترياني والنسائي (٢٢) وأبو يعلى (٢٣) وأبو الحسن سفيان وابن خزيمة (٢٤) وابن جرير الطبري (٢٥) والدولابي (٢٦) وأبو عروبة الحارثي (٢٧) وأبو الحسن أحمد بن عمير وأبو جعفر العقيلي (٢٨) ويتلوهم جماعة منهم ابن أبي حاتم (٢٩) وأحمد بن نصر البغدادي شيخ الدارقطني (٣٠) وآخرون. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو حاتم ابن حبان البستي (٣١) والطبراني (٣٢) وابن عدي الجرجاني (٣٣) وكتابه في الرجال إليه المنتهى في الجرح والتعديل

وقد جاء بعد ابن عدي وطبقته جماعة منهم أبو علي الحسين بن محمد النيسابوري (٣٤) وله مسند معلل في ألف جزء وثلاثمائة، وأبو الشيخ ابن حبان (٣٥) وأبو بكر الاسماعيلي (٣٦) وأبو أحمد الحاكم (٣٧) والدارقطني (٣٨) وبه ختمت معرفة الملل. ثم من بعدهم جماعة منهم ابن منده (٣٩) وأبو عبد الله

(١) توفي سنة ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨

أفواه أولئك الذين تقولوا على السنة أنه دخل فيها الغريب عنها إذ قد طال العهد عليها وتناولتها عصور الجاهلية وبمئذ منها أحن الزمان وطورائى الحدائق فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً ساطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تهمد لدى أمة من الأمم ولا في ملة من الملل وإن ذلك كان ديدن المسلمين في كل عصر فلم يفلوها فترة من الزمن حتى يعمث بها أولو الأغراض، وينال منها ذوو الألحاد، بل لازالت محفوظلة من يد المابئين، بخدمة من جهابذة المحدثين، فلمهم الكلمة على المتقولين، والثناء من عامة المسلمين

الخيال في الشعس العربي

٣

حال المعنى والتخييل

قد بصوغ الشاعر المعنى لأول الخطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قريحته وورقت حاشية المعنى ككثير من الأشعار الواردة على طريق المصبات والالغاز أو من مبنى إليه ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال كجذع الحارثات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكنهه عن يعنى إلى حديثهم أو يطلع على رسائلهم

وقد يصرح بالمعنى ثم يدخل به في طريق التخييل وهذا إما أن يخرج الصريح بالتخييل فيفصل المعنى ويضع بازاء كل قطعة منه صورة خيالية كما قال العنابي يصف السحاب

والنجم كالثوب في الآفاق منشور من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لا فتق فيه فان سالت عزاليه قالت الثوب مفتوح
ان ممع الرعد فيه قلت منخرق أو لآلاً البرق فيه قلت مخرق
مثل النجم الضارب في الافق بالثوب المنشور ثم أخذ بقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب فجعل امساكه من المطر مظنة الصحة والمثانه، وانسكاب النيث من خلاله مبنياً بمنتهى ومعممة الرعد اعلاناً بانخراقه، وبوميض البرق شطاً من

الاهب تؤذن باحتراته، واما ان يستوفى الملقى بالصراحة ثم يأتي بمنته الخليلي متواصل
الاجزاء وهذا كقول بعضهم

رأيتكم تبدون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأتمم ككل النخل بشرع شوكه ولا يمنع الخراف ما هو حامل
استنقى الملقى الصريح وهو تظاهرم بالابهة للحرب وقعودهم من قتال عدوهم
وافتنسكك ما سلب من حقوقهم، ثم ضرب له المثل على نسق واحد بالنخل بشرع
فصلا مسنونة من الشوك كالنأهب للذود بها مما يحمل من الثمار فيعمد الخراف لها
ويجتنبها بأجدها دون أن يناله ذلك الشوك بأذى

ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيق اقبرواني
رجوتك للامر المهم وفي يدي بقايا امي النفس فيها الامانيا
وساوقت لي الايام حتى اذا انقضت أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنت كأني نازف البئر طالبا لاجهاها أو يرجع الماء صائيا
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا
وإما ان يعبرح لك بالحل الذي يجعله مناطا للحديث عنه فيسوق القول كله
على طريق التخيل كقول بعضهم

اني وياك كالصادي رأى نهلا ودونه هوة يخشى بها التلغا
رأى بينه ماء هو مورده وليس بلك دون الماء منصرفا
قد أدراك أول الشمراته يريد الحديث عن حاله مع المخاطب ثم اطرده في مجال التخيل
الذي أفاد به اذ الحاجة تفت على القرب منه ، والخطر المترص في سبيله يصعب له
بالاحجام عنه. ومن أبدع الوصف المنسوج على هذا المثال قول شرف الدين التقياني
أما ترى الارض من زلزالها عجا تدعو الى طاعة الرحمن كل تقي
أضحت كوالدة خرقاء برضة أولادها درندي حائل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب وأفرشتهم فراشا غير ماقق
حتى اذا أجبرت بهن الذي كرهت بما يشق من الاولاد من خلق
(المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الثاني والمشرور)

هزت بهم مهدهم شين قنبرهم ثم استشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت الممد غضبي وهي لافطة بضاع على بعضهم من شدة الغرق

اسباب جودة الخيال

لا مباحة ان النفوس تختلف بطورها في صحة الذوق وقوة التذكر فيكون من اسباب
التي تأت في جودة الخيال ما هو هائد الى الفطرة، والقرض في هذا المقام انما هو البحث
عن الامور التي تؤثر في جودة الخيال وتبسط في نطاقه من خارج، ومدارها على امرين
(أحدهما) تردد النظر في مظاهر المدنية فان امتلاء حافظه الشاعر من المناظر
المختلفة والصور التي لا تدخل تحت حصر تحمله أغزر مادة حق اذا عرض له معنى
اقتضى الخيال ابراده في طريقة الخيال لا يعوزه مني التفت الى حافظته ان يلاقه منها
ما يساعده على العمل بسهولة، ثم انه لقزارة مادته وسمة مجاله تكون مخيلته أكثر
عملاني انشاء المعاني وابداعها، وكثرة العمل مما ترشح به هذه القوة النفسية فيكون صاحبها
أقدر على صناعة التخيل وأوسع فيها من كانت بضاعته مزجاة وحافظته في املان
ومن جهة ان حرارة المادة تساعد على كثرة العمل الذي هو الابداع، وكثرة
العمل تدوى بها النفس في صناعة التخيل أمكن للشاعر المدني أن يفوق الشاعر
البدوي أو القروي في تخيل مبان شمر كوا في العلم بالناصر التي تنزع منها الصور الخيالية
يلغ تأثير المدنية في تهذيب الخيلة الى ان يكون الفرق بين عملها في حال البداءة
ومملوها بعد ان تجن من صاحبها الخشاعة أو ضح من نار على علم، فهذا على ابن الجهم
الذي قال للخيالة

انت كالكلب في حفاظك لهم د وكاتيس في مراعي الخطوب
هو الذي يقول

قلن لا نحن الاخلة اءا نفعي لمن يأوي الينا ولا تقري
بيد انه قال البيت الاول أيام كان بسكن البادية وقل البيت الثاني بعد ما نزل
بنداد وترأف في حافظته من الصور والمعاني ما رقت به حاشية طبعه وجعل قريحته
تسج من المعاني البديعة برودا صافية

(ثانيهما) الحرية اذ لاشبهة ان الاستبداد الاعشى يطبع الناس على الجبن ويلقي في أفئدتهم رهبة تخملهم على ان يجعلوا بينهم وبين الاقوال التي تسخط لها الحكومة القاسية حاجزا لا يدنون منه ، فيضيق بذلك مجال الشاهد وما تنكب انطوس في الاجتماعيات ، حذر الوقوع في السياسيات ، ومن ذا ينكر ان الخيال الذي يسخره صاحبه في كل غرض ويطلق له العنان في كل حيلة يكون أبعد مرمى وأحكم صنما من خيال الشاعر الذي حصرت السياسة في دائرة ورسست له خطة لا يفوتها ، ولقد كنت أعرف أنا ما شيوخا تحت سلطة تكره للاديب أن يتخلى لهاته في الاحوال السياسية فعرفوا معظم حياتهم في التردد على القزل والمدبح والرقاء وفاضت عليهم قرايحهم في هذه الاغراض بعمان رائقة ولا سمح الوقت بالكلام في مقاصد اجتهادية أو سياسية وقف بهم الخيال في عتبة كؤود أو أتوابها في نسج واه وهياة متخاذلة

فالخيال حر في عمله لا تملك السلطة المستبدة مرده ولكنها تمنعه من ان يتجول على مراكب الالسة والاقلام وهذا ما يبطئ الشاعر عن اطلاق خياله للعمل ولا يرخي له العنان الا في أغراض يسمه الحال لان يخاطب بها الناس نطقا أو كتابة

فذاك سببان لان يكون الخيال بديع الصنع في كل غرض يتوجه اليه ، وههنا أمر آخر اذا اتفق للشاعر حال تصديه للنظم في غرض يكون له أثر جلي في سهولة التخيل وبعد الرمية الى المعاني الغامضة وهو الاحساس والتأثر

فن الشعراء من يتكلم عن مشاهدة وتأثر نفسي كأن يرى البطل يلقي بنفسه في مواقع الخطوب أو العالم كيف يتدفق بالحكمة البالغة أو الجواد كيف يسطر يده بالزوايا فيشمر باعظامه ويأخذ في مدبحة ومعجده ، ويرى الجبان كيف تنصرف أنامله من ذكر الحرب أو الجمال كيف يتمضمض بالقتل أو الباطل ، أو البخل كيف يشد على الديار دباطا فوق رباط فيشمر في نفسه بمهاته ويتصدى لمجائه . ويموت من يمز عليه من قريب أو صديق أو استاذ فيشمر بالنفيم والاسف عليه وتنفجر قريحته برثائه . وتحمل بصدقه فاجمة فيحس بالاشفاق عليه فيأخذ في تسليته وتهوين وقها عليه بالزوايا الجميل . ويدخل الروضة الفجاء فيضج بمراى أزمائها وتلحين بلاياها فيهب في صدره ابتهاج واتس ويستمرسل في وصفها وذكر مآزرها من مشاهدتها

ومن الشراء من يسوقه الى الشرباء طمع أو خوف أو حياء ومن الجلى ان
الاحساس والتأثر عما يفتح أمام الخيال طرقاً قلما يصير بها من يحمل نفسه على الشر
المجرد الطمع أو الخوف أو الحياء فانظر ان شئت مثلاً الى قصيدة أبي الحسن الانباري
التي يقول في مطلعها

هل في الحيلة وفي المات لحق أنت احدى المعجزات

تجد فيها تخيلات فائقة ، والذي ساعده على ذلك فيما أحسب انه أنشأها
من تضح وعظام بلغ لانه رقى فيها الوزير ابن بنية يرم قتل عضد الدولة مصلوفاً فظنه
بها - وهو لا يرجي من وراثتها فائدة بل يرجس في نفسه الخليفة من أن يتاله عضد الدولة
بالفتوة عليها - بشر بأن الباعث له على انشائها التلهف والاخلاص

ولو نظرت الى القصائد التي يخاطب بها الشراء الملوك تهنتاً بانتصار أو فتح
وقتها بالقصائد التي يخاطبونهم بها تهنتاً بعيد مثلاً أو بمولود أو بناء قصر لوجدت
الاولى أجود خيالاً لان انتصار الدولة مما ينفّر في قوس الامة فرحاً ويشير فيها
عاطفة اجلال لمن جرى النصر على يده وليست الثانية بهذه المكانة اذ طلوع العيد
على الامير وازدياد ولده أو تشييده لقصر لا تهتز له نفس الشاعر حتى تطير به في
جو الخيال ، ويقتصر مايلذه القروق من بدائع الافكار ، وانظر ان رمت الوثوق
بهذا الى قصيدة أبي تمام التي ينهى فيها المستعمر بفتح عمورية

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فانه ذهب بمحانيها مذاهب خيالية لا تطلع له على ما يحاكها في القصائد التي لم
يسكنه لما غير ما يرجوه من التوال

وكذلك الشاعر الذي يريد أن يتبرأ من جنابة ترمز اليه أو يحاول أن يزيل
ما في نفس السلطان من ضمنية أو نية سيئة فانه يتكبر من المعاني ما لا يتكبر في
القصائد التي يمدح بها وهو مقل عليه

وبما يخوض الشاعر في غرض أعاد دعاء اليه بمجاراته غير مواراته في مضمار البيان
فيبلغ مبلغ من اتقوا اليه عن احساس وعاطفة نفسية ويقع على تخيلات جيدة
ولكن أشبال هذه التخيلات تنهال على ذي التأثير النفسي بدون نصف حينها يحتاج

الآخر الى أن يحد إليها قريحته ويجاذبها وهي كالنعامية هذه

بماذا يفضل التخيل ؟

عرف مما سبق ان التخيل يدور على انتقاء مواد متفرقة في الحفظلة ثم تأليفها وإبرازها في صورة جديدة ، فبرجم فضله والبراعة فيه الى ثلاث مزايا احداها أن يكون وجه المناسبة بين تلك الجواهر - أعني المواد المؤلفة منها صورة المسمى - خامساً ، فزينة من يتخيل الكواكب أزهاراً باسمة في روضة قاضية دون مزينة من يقول

وضوء الشهب فوق الليل باد كاطراف الاسنة في السروع
فان المشابهة بين الكواكب والازهار لا تنيب عن كثير من الناس أما التشابه بين النجوم وبين أطراف الاسنة الالامة عند نفوذها في السروع لا يحوم عليه الا خيال بارع

ولا فضل لمن يرى الشمة فيحيا كياها بالرمح اذا قسته بمن ينظر اليها فيقول كأنها عمر الفتى والنار فيها كالاجل
فان محاكاتها بالرمح لا تكاد تخفى على ذي بصر وانما الخيال الفائق هو الذي ينتقل منها الى العمر والاجل حيث يشمر بالمناسبة الدقيقة بينهما وهو ان الاجل يدنو من الانسان حيناً فحيناً ويتقاضى عمره رويداً رويداً الى أن تنقلص عنه أشعة الحياة كليب الفتيلة يدب في جسم الشمة وينتقصها قليلا قليلا الى أن يأتي على آخرها وتذهب في الجو هباء منثوراً

ثانيها - أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة فالصورة التي يراعى في تأليفها ثلاثة معان مثلا تكون أرجح وزناً وأتس قيمة من الصورة التي تبني على رعاية معنيين فن الشعراء من يصور لك الرمح شهاباً ثاقباً فهل يحق لك أن تساويه بمن يخيله لك ورؤوس الاعداء منصوبة على طرفه بالنفس يوم يكون مكلاً بالثمار كما قال ابن همار يخاطب المتصم صاحب المرية

أنمرت رمحك من رؤوس كلهم لما رأيت النفس يشق مشرا
يقف الناس في تصور الحرب بمعنى الرمح عند قولهم دارت رحي الحرب وكان عمرو بن كلثوم أبسلهم في هذا التخيل باعاً حيث يقول في وصف الحرب متى تنقل الى قوم رحاها يكونوا في اللقاء لها طحيناً

يكون تماها شرق نجد ولطوتها قضاة أجمينا
 فالنقال ما ييسط تحت الرحي لتساقط عليه الدقيق والهبوة القبضه من
 الحب تلقى في فم الرحي لتطحنها وقضاة هي القبيلة التي يهددها هذا الشاعر
 بالحرب الطاحنة ، وكافي به عند ماحضر في نفسه معنى الحرب انساق اليه معنى
 الرحي لما بينهما من التشابه المهود ثم تنقل نظره من الرحي الى ما هو من
 خواصها فوق على النقال والهبوة ثم انقلب الى معنى الحرب وألقى نظره الى
 ماحولها فترامى له ميدانها مبسوطاً كالنقال والرجال الذين يتهافون عليها
 فتتناثر رؤوسهم وتساقط أشلاؤهم على ذلك الميدان في صورة الهوة فصاغ
 الايات على هذا الوجه الذي يدل على حسن تصرفه في ضم المعاني الى أشكالها
 والادباء الذين أروك الحصى في صورة الدريسوا بقليل وانما المزية لمن اتسع
 في صورة هذا المعنى ونظر في تركيبها الى أمور متعددة فقال يصف واديا

وقانا لصحة الرضاء واد سقاء مضاعف الغيث الميم
 زلنا دوحه غننا علينا حنو المروضات على العظيم
 وأرشفنا على ظناً زلالاً ألد من المدامة للنديم
 بروع حصاه خالية المذارى فتلس جانب المقعد التنظيم

كما في بالشاعر عند ماصح فتح جفنه على الحصى وهي في ملاستها وصفاء
 منظرها انصرف خياله الى ما يحاكيها من الجواهر النفيسة ثم الى حال تناسقها في
 هيئة قلادة وتذكر هذا موقعها من الصور فحشرت على قلبه الفتاة وشرع يتصور
 كيف تنظر الى تلك الحصى فيبهجم على ظنها بفتة ان قلادتها انزلت وان ما تراه
 من الحصى انما هو القز الذي كان متناسقاً في نحرها قد تساقط الى مواضع
 أقدامها فلا تلتفت ان تصرب يدها على المقعد حتى تحفظ البقية من السقوط
 أو لتتيقن صدق ظنها فتشتى الى التقاطها

تالفتها - ان يجري الشاعر في استخلاص المعاني وتأليفها على ما يوافق الذوق
 السليم فهو الحافظ لنظام المعاني كما ان القواعد الرئيسة تحفظ لنظام الالفاظ ،
 ومن الشعراء من تأخذ سنة عن هذا الشرط فيضع المعنى الخيالي على مثال
 لشمس منه النفس كما أن ناسج الثياب من غزل اختلقت ألوانه اذا لم يكن
 صاحب ذوق فائق لم يحكم وضعها وأخرجها في صورة تعذفها العيون . ومثال
 هذا ان أبا القاسم بن فرناس ألد الامير محمداً ألياً يقول فيها

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة ينثر
فقال له مؤمن بن سعيد : فبحاً لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة عرواً
تنثر فيه البذور ؟ فنشيه الخجل وجعل جوابه عن هذا النقد الصائب سجعاً
ووقع في مثل هذه الزلة كثير من كبار الشعراء فهذا أبو تمام يقول في مدح
أجد الأبطال

ضاحي الحيا للهجير وللقنا تحت المجاج نخاله مجرأنا
نجمل مدوحه مجرأنا كما جعله هاذياً حين قال
لا زال يهذي بالمسكارم والملا حتى ظننا انه محموم
وهذا بشار بن برد يقول

وجذت رقاب الوصل اسياف هجرها وقدت لرجل البين فلعين من خدي
فائبات الرقاب للوصل والرجل للبين من التخييلات المستهجنة

قد يخطر لسائل أن يقول : ان هؤلاء الشعراء براعة مسلمة واذواقاً لائزاً
في صحتها وصفاتها ، وقد مرت هذه المعاني التي ريشتموها بسبب السخافة على
أذواقهم فألقت اليها بالتسليم أفلا يكون رضاهم عنها واستحسانهم لها شاهداً
ببرائتها بما تدعون من مساجاة الوضع ومنافرة الذوق ؟

والجواب ان القبح في هذه المعاني وما كان على شاكلتها محقق بما يجسده
الانسان في نفسه من أثر الفكرة لها وعدم الانس لسماعها ، فضلاً عن شهادة
فريق عظيم لا تقصر بهم سلامة الذوق والمعرفة بحرفة الادب عن طبقة أولئك
الشعراء . وهذا ابن رشيق يقول عقب ايراد البيت الاول من بيتي ابي تمام
« فلعلنا الله على المحرات ههنا ما أقبحه واركة » ولم يبق سوى النظر في عدم
تنهيم لذلك القبح وكيف خفي عنهم وجهه وهو كاشف لثامه حتى لا يعتقروا
بأدراكه في بعض الايات الادباء عن غيرهم

والوجه في هذا ان البعبرة مثل البصر والمشاهد للصورة عن عيان قد
ينوته ان يمدح فيها من بعض الجهات فلا ينثر بمافيها من عيب . فكذلك
الشاعر قد يصوغ المعنى ولا يأخذ بالنقد من جميع أطرافه فيصبر على عرض
قد يبصر به من هو أضعف بصيرة منه ، والملة في عدم تنبيه الشاعر لذلك
الخلل . قصر المدح فيما بين انباء القصيدة واداءها للبل لا يثبت لا يتسكن من
تجرده نظره الى كل بيت وقد مناه من سائر وجوهه

وربما أصيب الشاعر من اعتياده على براعته ومكاته سمعته ، اذ كثيراً ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة التي يدرجها بين قومه فيتلقون شعره باستحسان فوق ما يتلقون به شعر غيره بمن لم يقيم لهم صيت وان كان في نفسه أبعد أمداً وأحكم نسجاً ، فكثرة الاجادة وسعة الذكر قد تؤثر في ممة الشاعر في بعض الاحيان فتلقي القصيدة على علانها ولا يحمل نفسه على التدقيق في تقدها . ومن ثم ترى أكثر الذين يقومون في هذه العثرات ان هم الاكابر الشعراء والمكثرون منهم كأبي تمام والمتنبي ومن كان في طبقتهم ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد انما لصقت بهم من جهة عدم تقدم المعنى بمد أن تقذفه القرينة تقدأ وافياً اما لضيق الوقت أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة وأحرزوا من الشهرة ، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الإعجاب حتى اذا أعاد عليه النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على اذاعته أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذاً بليفاً ثم يعثر في صورته على وجه من الخلل ولا يتمكن من تلافيه واكمال قصه الا برفض الصورة من أصلها ، وحيث يرى أن جهة الحسن أرجح ويرجو أن تسبل على ذلك المغز فضل ردائها فلا يشعر به الناقدون بيبقي صورة المعنى على حالها ويجيزها للرواة وهو بصير بملتها . ولا أخال أن النابغة حين قال

نظرت اليك لحاجة لم تقننها نظر السقيم الى وجوه المود

لم يחדش عاطفته أن يضع المحبوبة بمنزلة السقيم ولكنه عز عليه أن يضرب من هذا التشبيه الذي لا يلحق شأوه وان وخزه لفظ السقيم في ضميره وخزات بالغة

الاهل والعيال

« وهو فصل من كتاب «الاخلاق والواجبات» للمصري »

ذكرنا في الفصول السابقة واجبات الشخص منفرداً . وزيد ان نذكر في الفصول التالية واجباته مجتمعا مع غيره من أبناء جنسه . وأول اجتماع له من هذا القبيل اجتماعه مع أهله وعياله . وأهله زوجته . وعياله أولاده . واذم كانوا أئنياء انضم اليهم خادم يكفيهم مؤونة العمل ويقال للمجبرع المؤلف

من هؤلاء الافراد في اللغة العربية «عيل الرجل» - بتشديد الياء - وفسروه بقولهم هم أهل بيته الذين يتكفل بهم ويعونهم من أزواج وأولاد وأتباع . وقد اصطلح كتاب هذا العصر على تسميتهم بالمائلة مع ان كلمة عائلة في أصل وضما اللغوي بمعنى فقيرة تأنيث (عائل) فقير و (الميلة) التفقرو (عال) افتقر . ويحث الواجبات العائلية يتضمن بيان ما يجب على الشخص نحو أفراد عائلته المذكورين ويدخل فيهم أحيانا من يموله من غيرهم كإبيه وأمه أو يقيم يكفله أو امرأة تأوي الى كفنه ، وقميش على نفقته .

وقد وجدت المائلة على وجه البسيطة من يوم وجدت المرأة بجانب الرجل وولدت له أولاداً والأعمال التي يراد لها كل من الرجل والمرأة في عائلتها تختلف باختلاف حال الأمة التي يعيشان فيها بدواة وحضارة . رقيقاً وانحطاطاً . وينقلب في الامم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الاعمال البيتية . كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتغل ويشتب ويستثمر أتمابه ثم يلقي بهذه الثمرات الى زوجته . ويتكفل في هنائه العائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابة رئيس شرف له . وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف مذ قال صلى الله عليه وسلم

«كل نفس من بني آدم سيد : فالرجل سيد أهله . والمرأة سيدة بيتها»

فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة . وخصها بها . وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تنكر . واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسة كان من أول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة : فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحة فانها اذا توفرت فيها هذه الشروط أصبح المنزل فردوس الرجل . ومظهر كرامته في قومه والمنبت الخصب لدريته وأولاده . ومن ثم كان للمنزل والمائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع . حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الأمة كلها : فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الأمة على أثره والمكس بالعكس . قالوا : واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء المائلة فيها بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الاطوار والاخلاق في أسواقهم وحواريتهم ومحامليهم وقهاويهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية : فاذا رأيتهم هنا

على نظام أدبي ثابت حكمت باستحكام النظام الادبي في بيوتهم وعائلاتهم. لان هذا أصل ذاك. والا فلا.

فلنا اتفاقاً ان (المتزل) هو المنرس الاول للذرية والاولاد. فهم ينقلون منه الى المعرض الثاني أعني (المدرسة) ومنها الى ساحة التجارب والعمل والسعي في خدمة أمهم ووطنهم. فاذا طابت تربية المنرس الاول (العائلة) طابت اذ ذاك ثمار أبناء الامة. وغزرت محصولات عقولهم وأخلاقهم، وان خبثت تلك التربة خبثت الثمار. وقبحت الآثار. وساءت الاخبار.

وقال بعض علماء الاجتماع المعاصرين « ان أحقر المنازل اذ تولت رئاسته امرأة مدبرة بدوش كان ملؤه الراحة والهناء والسعادة. كان فيه أشرف الموظفين العائلية. كان عزيزاً لدى الرجل لما يستلزمه من دواعي السرور. كان ملاذاً للقلب. وملجأ من عواصف الحياة. كان خير مكان للراحة من عناء الاشغال ومتاع الحياة. كان في الشدة مسلياً. وفي الرخاء مغزياً. وفي كل حال نعيماً. فالمتزل الصالح اذن خير معاهد التربية لا للشباب وحده بل للكهل أيضاً. وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر وضبط النفس وتذكر روح الحياة ومعنى الواجب »

فلنتنظر الامم كيف تضم نظام عائلاتها على أساس ويطيد ثابت ولينظر الآباء واجبهن الشرعي والاجتماعي من هذا القبيل :
 ، وأول واجب عليهم حسن اختيار سيدة المنزل وقد ورد في الاحاديث النبوية الحث على العناية باختيارها لينجب أولادها. ، ويطلب المهر معها. وقد ائتمن حكيم من حكماء العرب على أولاده في قيمته بهذا الواجب نجومهم مذ قال :

وأول اخواني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها
 . ومن الواجبات العائلية أيضاً العناية بتربية الاهل والعيال وتعليمهم ما به صلاح أمرهم. وتثقيف عقولهم. وبهذا المعنى فسروا قوله تعالى .
 (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)
 أي حولوا بينهم وبين شقاء العذاب بما تعلمونهم إياه من ضروب الحكمة والعلم النافعة. وبهذا المعنى أيضاً ورد قوله صلى الله عليه وسلم
 « ارجعوا الى أهليكم فعلموهم

يُحاطَب قوماً يريدون ممارسة بعض الاعمال فامرهم بالانصراف عنها الى ما
هو أهم منها وهو أن يرجعوا الى نساءهم وأولادهم فيعلمونهم .
وحض الشارع على التخلق بالاخلاق الفاضلة ان لم يكن لها فلاحا تكون
وسيلة الى تخلق أفراد العائلة بها فقال صلى الله عليه وسلم :

« عفوا تمف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم

فمن عف عن تمف القبيح كان خليقا أن تمف نساؤه . ومن بر آباءه كلف
جديراً أن تبره أبناؤه .

أما أحاديث الحض على حسن معاملة الامل والعيال والرفق بهم وترك
الغلظة عليهم فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم

« خيركم (١) خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي

« ان من أكل (٢) المؤمن إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله

« خير الرجال من أمتي الذين لا يتناولون على اهلهم ويحسنون اليهم

ولا يظلمونهم

« ان الله سائل كل راع عما استراعه : أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل
الرجل عن أهل بيته « أي يسأل كيف كان ضيعه بهم ومعاملته لهم حسنة أم
قبيحة فيجازي بحسب ذلك .

« كان صلى الله عليه وسلم في بيته ألين الناس وأكرم الناس ضعفا كاما

« كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والعيال

« من كان له صبي فليتصاب له

أي ليتزل أن يفعل في ملائحته قمل الصبيان تطيبا لنفسه . وادخلا
للتزور على قلبه . وروي انه صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه ذات يوم
الى طعام دعوا له فاذا بابن بنته الحسين وهو صبي يلعب مع صبية في السكة
فاستقبل رسول الله امام القوم (أي انفرد عنهم وتقدمهم) وأقبل على الحسين .

(١) هذا لفظ الحديث رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس
والطبراني في الكبير عن معاوية بسند صحيح ورواه ابن عساکر عن علي بن زياد عن أنس بن مالك
النساء الاكرم ولا أمهاتن الا لئيم ، وهو صحيح أيضا . وذكره المؤلف بلفظ خياركم
الح وهو حديث آخر ليس فيه وأنا خيركم لاهلي - فلذلك صححه (٢) أورده
الناظر بلفظ أحسن . والرواية أكل وظاهر ان كل ما أوله هذه العلامة « فهو حديث

فلنلق بفر مرة هنا ومرة هنا . ورسول الله يضحك . ثم أمسكه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فأس رأسه (أي قما رأسه من تحت قذاله) وأقنمه (أي رفعه) وجعل يقبله وقال :

• أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً

أما حسن معاشرته لنسائه الطاهرات فالسنة مستفيضة به . من ذلك ما روي في الضحاح عن عائشة رضي الله عنها قالت « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرتي والحبيشة يلعبون بحراهم في المسجد وهو يسترني بردائه . انظر الى لعبهم . وكان يقول لي كنى ! فاقول لا احتى اكتفيت . ومن جملة الرفق والحنانية بالاهل والعيال ما ورد في الحديث وهو :

• كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحداً من أهله في يوم عيد الا أخرجه يعني انه كان في صبيحة أيام الاعياد يخرج كل واحد من أفراد عائلته الى خارج المدينة حيث يجتمع المسلمون لصلاة العيد في مصلاها الخاص فيصلون ويشاهدون الناس في هذا الاجتماع الحافل فيدخل عليهم البرور والفرح بروية ذلك .

• مشيك الى المسجد وانصرافك الى اهلك في الاجر سواء

سوى في الاجر والثواب بين المشيتين مشي الرجل الى عبادته ومشيهِ واجماً الى مسامرة مائلته . وكأن الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله هذا يمرض بأولئك القصة الذين لا يعملون من اوقاتهم نصيباً مفروضاً للمعاشرة مائلاتهم بل ينفقونها جزافاً في أما كن اللهو والبطالة . وبذلك تسوء عيشة المائلات وتتفص حياتها بل ربما أدى بها الامر احياناً الى المفاسد وقبيح الاعمال ومن الواجبات المائلة ترفيه المائلة . والتوسعة عليها بالنفقة ، واعداد ما يلزم لها من وسائل الراحة والهناء . ومرافق الحياة والمعيش . وقد حض الشارع صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة منها :

• ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله

• شر الناس المضيق على أهله

• أول ما يوضع في ميزان المرء اتقاؤه على أهله

• أي ان النفقة عليهم من أول الاعمال التي يتاب عليها .

• دينار اتقته في سبيل الله ودينار اتقته في رقة ودينار تصدقت به على

مسكين ودينار انفقته على اهلك . اعانها اجرآ ذلك الذي انفقته على اهلك
 « أطعم زوجك اذا طعمت واكسها اذا اكتسيت ولا تقبح الوجه
 ولا تضربه (١)

ينهي عن ضربها وكل ما يؤذيها وعن تقبيح وجهها فلا يواجهها بقبيح القول
 وفتيح الشتم . او المعنى : لا يقول لها « قبح الله وجهك » وهو شتم مألوف
 بينهم نهى الشارع عنه بخصوصه .

• الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر :

في هذا الحديث تحذير لارباب المائلات الذين يجمعون المال حلالا وحراما
 صدا لحاجات عائلاتهم . وأشباعا لنهاتهم : فهو صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لتعاسة ذلك الاب الذي يترك عائلته بعد موته في سعة من الرزق وبخسوخة
 العيش من مال جمعه حراما لم ثم يقدم على ربه يوم القيامة وهو مثقل بتبعات
 ذلك المال الذي جمعه وخان الناس فيه فيمضبه الله عليه . ويكون قد اشته الشمة
 التي تضي للناس وتحرق نفسها . فاذا كانت التوسعة على العيال واجبا عائليا على
 رب العائلة فان تحري الاتفاق عليها من المال الحلال هو ايضا واجب عائلي عليه
 تجدر به مراعاته والاتباع له .

وأما الأولاد والصبيان فهم ثمرة الحياة ، وريحانة البيت . وأمل العائلة
 والغاية المقصودة من الزواج . قال صلى الله عليه وسلم

• بيت لاصبيان فيه لبركة فيه

• ربح الولد من ربح الجنة

• الولد ربحان الجنة

(١) المتار : الحديث لا يوجد بهذا اللفظ في الجامع الصغير الذي استمد منه
 الكاتب معظم ما أورده في كتابه من الاحاديث ويوجد باللفظ الآتي معزو الى الطبراني
 والحاكم مصححا ورواه أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني ومصححه
 وعلقه البخاري في الصحيح عن معاوية بن حيدة مرفوعا وهو « حق المرأة على الزوج
 ان يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر
 الا في البيت » قالوا أي البيت بان بيت وحده مؤخذة لها على النفوذ وهو
 عصيان الزوج ولكن لا بجل له أن يترك مكالتها

لكن ينبغي للآباء والامهات ان يعلموا ان اولادهم ليسوا ملكا لهم
كلّهم اشياءهم وانه لم تمنحهم العناية الالهية لهم ليكونوا بمثابة متاع او
قطعة زينة في البيت ينافس بها . ويحرص عليها . وتلذذ النفس بالنظر اليها
غضب . وانما خلقوا ليقضوا زمن الصبوة في حجر المائلة ثم يخرجوا منها
احراراً مستقلين . ويضافوا مدداً الى الرجال العاملين

فالمائلة اذن مكلفة بتربية الطفل وتبأته جسماً ونفساً وخلقاً للقيام بوظائفه
المختلفة في خدمة قومه ووطنه . وان العناية بالاولاد وتربيتهم هذه الترية
الصالحة من أكبر واجبات الابوين التي يفرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهم
كما أن امالم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنايات التي بمقتها الشرع وتماقب
عليها القوانين المدنية (١) . قال صلى الله عليه وسلم :

• اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم : فان اولادكم هدية الله اليكم
ولا ينبغي أن الشكر على الهدية انما يكون في تقبلها بفرح ثم العناية بها . والمحافظة
عليها . كما أن التفريط فيها كفران لحق من أهداها . وباعت على غضبه ونقمته
• لان يؤدب الرجل ولده خيراً من أن يتصدق بصاع (٢)
• حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمية وأن لا يرزقه
الا حلالاً طيباً

هذه أهم علوم الرجل (٣) في ذلك العهد . ومنها الرماية بالسهم . أما اليوم
فقد اختلفت الاحوال وتبدلت الاوضاع . واستجدت علوم لم يكن يعنى بها
من قبل ، فالواجب على أولياء الاولاد اليوم أن يعلموهم منها ما هم في حاجة ماسة
اليه ، وان الاسلام يقدر هذا الاختلاف الزمني قدره كما ورد في الاثر
• خلقوا اولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم (٤)

(١) المنار : لعله أراد السنن الاجتماعية لا المعنى الاصطلاحي عند الحكومات
(٢) في الاصل بصدقة وهو سهو ولذلك صححناه والصاع ميكال معروف
والحديث في الترمذي من طريق فاصح بن عبدالله المحملي وهو كما قال الذهبي
هالك فلذلك أنكر الحفاظ على الترمذي روايته عنه (٣) هذه ليست علوماً بل
الكتابة فن عملي والسباحة والرمية رياضتان ولا يزال هذا من أهم ما يربى عليه
الاولاد ولكن رماية هذا المصير بالرصاص لا بالسهم (٤) هذا ليس بحديث بل هو من كلام
بعض المولدين فلذلك التخليق فيه بهذا المعنى عمر بن قتيبة ولا معناه شرعي صحيح

فاذا كانت الاخلاق تختلف بين زمن الاب وابنه فكيف يكون مبلغ اختلافها بين زمن السلف وزماننا هذا ؟

• أيما امرأة قدمت على بيت أولادها فهي ممي في الجنة
برشد الشارع صلى الله عليه وسلم المرأة في هذا الحديث الى واجبها في تربية أولادها وهي أجدر بهذا الخطاب الشرعي من الرجل : فهو يقول لها: ان تركها الاشتغال بما لا ينفعها والمكوف على تربية أولادها في بيتها خير وسيلة الى دخول الجنان

• مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن
كان هذا ترميض بمن يخص بعض أولاده بالنحل والمطايا وتقيس المتاع وقد ورد النهي عن ذلك صريحا في الاحاديث الاخرى
• اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم
• ان الله يحب أن تمدلوا بين أولادكم حتى في القبل
(والقبل) على وزان غرف جمع قبلة وهي الثقيلة .
• ساوا بين أولادكم في العطية: فلو كنت مفضلا أحداً لفعلت النساء
لعل السبب في استحقاق النساء للتفضيل انهن سريمات التأثر . وقيقات الشعور . شدييدات الغيرة : فمن لذلك أجدر بالمطايا . وأنواع البر والالطف (المهدايا) من أخوتهم الذكور . ومع هذا فان الشارع نهى عنه خشية التنافس والتحاسد بين الاولاد . وفي الحديث اشارة لطيفة الى وجوب العناية بالنساء ومراعاة شعورهن وعواطفهن ، ومن هذا القبيل ماورد في الحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم .

• كان يكبو بناته خمر القز والابرسم
يفعل ذلك موافاة لرغبتهن ، ومراعاة لميلهن وتناسفهن في لبس الحرير والنفيس من الثياب . والاسلام لايفرق بين الذكر والانثى في الحب والعناية والتربية كما رأيت وسيأتي في بحث (النساء والايتام) زيادة بيان لذلك وان من أهم الاغراض التي جاء الاسلام من أجلها هدم ماكان عليه أهل الجاهلية من هضم المرأة واذلالتها . والتفريط أحيانا بحياتها . حتى عابهم القرآن في ذلك . وعيبرهم به . مد قل تعالي :

(واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم)

من خوء مباشر به : أيمحكه على هون أم يدسه في التراب)
 هذا هو حال أهل الجاهلية قبل الاسلام : كانوا اذا ولد لاحد منهم انثى
 اكفرو وجهه . واستخفى عن اعين الناس حياء وخجلا ثم فكر في كيف يتخلص
 من هذا الضيف الثقيل ؟ ايصبر عليه ؟ أو يشده تحت التراب ؟ فجاء الاسلام ناعيا
 عليهم حالتهم هذه . وبشر بالمرأة . ووجوب العناية بها . واعطائهم حقها من
 الوجود ولعنيبها من الحقوق . وعما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :

لا تبركروا البنات فانهن المؤمنات الغاليات

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فتشبت به (أمامة) ابنة ابنته زينب . فكان
 يحملها على عاتقه : فاذا سجد وضعها واذا قام حملها .

واتماهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن تفضيل بعض الاولاد بالمطية فتاديا
 من التحاقد والتحاسد بينهم كما مر آنفا . بل قد يحقدون أحيانا على أبيهم نفسه
 والاب مأمور بأن لا يتعامل من الاسباب ما يبشّر شيطان العقوق في نفس ولده
 ومن قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك

• رحم الله والدًا أعان ولده على بره

• اعينوا أولادكم على بركم : من شاء استخرج العقوق من ولده

أي انه في مكنة الاب أن يحمل ابنه على العقوق وترك الطاعة . وذلك
 يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تقريظ أو ابتسامة أحيانا . فليكن
 الاب حكيما فطنا ضابطا لمواقفه وتوزيمها بالعدل بين اولاده . والا جر على
 نفسه وعائلته من بعده تمبا وبلاء .

وكما يطالب الولد ببر والده يطالب الوالد نفسه ببر ولده . وبر كل منهما محبة .
 وقد وصف صلى الله عليه وآله قوما من الابرار فقال :

• انما سام الله الابرار لانهم بروا الآباء والإمهات والابناء . كما ان لوالديك
 عليك حقًا كذلك لولدك

ومن جملة بر الوالد لولده ما ذكر صلى الله عليه وسلم في قوله :

• لا يمد الرجل صبيه ثم لا يني له

فان هذا فضلا عن كونه يحمل الولد على احتقار والده واعتقاد الكذب
 فيه يسهل أمر الكذب عليه . ومن شابه أباه فاضل . فبئس كذابا لا يصدق
 بقوله . ولا يني بهد .

ومما به اليه الشارع من أمر تربية الاولاد أن لا يتشاءم الوالد بأحد أولاده ولا ييأس منه اذا رآه غنيدا شرسا ذا شره وأذى : فقد يتحول كل هذا فيه اذا أحسن تربيته الى أخلاق فاضلة كالشجاعة . وقوة الارادة . وكبر العقل . والشتم وطلب المعالي . قال صلى الله عليه وسلم

• عرام (١) الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره

والغرام الشراسة والأذى والاشم والبطر ومفارقة القصد والمخرج عن الحد . وقيل هو الفساد

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم ايضاً لآباء الاولاد ما جاء في قوله :

• الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة

ومعنى ذلك أن الآباء لقرط بهم اولادهم وحرصهم على خيرهم قد تنقلب عليهم صفات (الجبن) فترامهم يجنبون عن التعرض للاخطار خشية ان يموتوا فتضيع صفاتهم من بعدهم - و (البخل) فهم يبخلون ويشحون بالمال فلا يتفقون في وجوهه الواجبة أحياناً لئلا يموتوا بلا ارث يتركونه لفسادهم يشتمون به في كبرهم - و (الحزن) : فهم اذا اعتل الولد وساءت حاله وجوا وحزنوا واستولى عليهم اليأس والقنوط وهذا معنى (مجبنة) (مبخلة) (محزنة) وهي من صيغ المبالغة في الوصف . وما ذكر من هذه الاوصاف وان كان أمراً فطرياً أو طبيعياً في الآباء والشارع يمتد به فهو ينبه الى خطره . ويوصي الآباء بالرفق والاعتدال خشية ان تستحكم فيهم هذه الملكات ، فتقودهم الى الشرور والآفات

ومما ورد في فضل الولد قوله صلى الله عليه وسلم :

• اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به

أو ولد صالح يدعو له بخير

• ان الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول انى لي هذا ؟ فيقال له باستغفار

ولذلك لك

• والحنو على الولد والرفقة به والعبر على ما يبدو منه أحياناً من العناد والطيش ودواعي الصبوة امر طبيعي في الآباء يحتملونه بصبر ورضا . الا من

١٩٥ المنار : الرواية كما في الجامع الصغير عرامة وهي بالفتح كالغرام بالضم

(المنار : ج ٤) (٣٩) (المجلد الثاني والعشرون)

ندرم منهم: فقد رأى الافرغ بن حابر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فقال له: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال صلى الله عليه وسلم: «ان من لا يرحم لا يرحم»

وقال معاوية رضي الله عنه للاحنف بن قيس: ما تقول في الولد؟ قال: «يا امير المؤمنين: ثمار قلوبنا. وعمار ظهورنا. ونحن لهم ارض ذليلة. وسماه طليقة. وبهم فصول على كل جليقة. فان طلبوا فلنعطهم. وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم. ويحبوك جهدم. ولا تكن عليهم فضلاً ثقيلاً. فيملوا حيانك، ويودوا وفاتك. ويكرهوا قربك» فقال له معاوية: لله أنت يا احنف لقد ارضيتني ممن سخطت عليه من ولدي. ثم وصله بمعية عطني

﴿ كلمة للشار في هذا الفصل ﴾

هذا الفصل من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي صديقنا ورفيقنا في طلب العلم بطرابلس الشام ألفه حديثاً لحكومة دمشق الشام ليقرأ في مدارسها وهو كما يرى القارئ في حسن أسلوبه وكثرة فوائده الجامعة بين حاجة العصر وهداية اللزيم، ولما أرسل الينا هذا الفصل منه لنشره في المنار كتبنا اليه متقدمين اغفاله تخريج احاديثه وكثرة الضعاف فيها مع امكان الاستثناء عنها بالصالح فكذب اليانا انه قد رما كتبناه اليه قدره وان عذره الاضطرار الى الاختصار مع كون الكتاب كتاب آداب لا كتاب حديث وان احاديثه منقولة من الجامع الصغير وهي مخرجة فيه «سوى احاديث قليلة مسندة غالباً الى راويها» وان التصريح يقتضف بعض الاحاديث بسقط تأثيرها من النفوس ويغان الطالب ان الضعيف بمعنى الباطل مع انه ليس الاصطلاحاً للحدثين - وان العلماء تناولوا في احاديث الفضائل ولا سيما اذا كانت موافقة لاصول الاسلام الخ

لاجل هذا رجعنا عما كنا هزمتا عليه من تخريج احاديث هذا الفصل: وبينا ان مراتبها من القوة والضعف في اساسيها كعادتنا، وما قاله في ضعف الاحاديث يصدق على الكثير منها ويختلف اصطلاحهم فيها حتى ان الضعيف في مسند الامام أحمد اقوى من الضعيف في زوائد. وجع الكتاب التي يساهل أصحابها في التعديل كاي حيان والحاكم والله وافق القهاء على العمل بها في احاديث الارشاد والفضائل بشرط سبيلها

في النار من قبل أهلها موافقتها لثابت المقرر في الدين وعدم اشتداد ضعفها فاز
منها ما سبب ضعفه مخالفة الراوي له لبعض الثقات أو ضعف ضبطه ولو في آخر عمره بل
عد بعضهم كثيراً من رجال الصحيحين في الضعفاء . مثال ذلك حديث « أن الله
سائل كل راع عما استرعاه » في ص ٢٩٩ أخرجه النسائي وابن حبان عن أنس من
طريق معاذ ابن هشام وقد هد بعضهم ماذا في الضعفاء وقل ابن معين فيه جدوة
ليس بحجة ، على أنه قد روى عنه السنة

ومنها ما ضعفه شديد يقرب من الموضوع أو يدخل في بابه وقد ذكرنا مثالا
في الجزء الذي قبل هذا في سياق الكلام على التصوف وتأهل بعض القوماء في
الاحاديث الواهية والموضوعة كحديث دعاء الوضوء ومنه في هذا الفصل حديث
« عفوا تف نسأؤكم » الخ نقله في الجامع الصغير عن الطبراني في الاوس
من حديث عائشة بهذا اللفظ مع تيممة وعلم عليه بالضعف وعن الحاكم عن أبي هرير
بلفظ « عفوا عن نساء الناس » الخ فالأول الذي اختاره المؤلف في استاده يزيد
خاله الفس كذاب . قاله الشيخ محمد الحوت وعدته شرح المناوي على الجامع الصغير
واسند هذا القول الى الميشتي وليس لهذا الرجل ذكر في ميزان الاعتدال . يقال في
الحديث الآخر : صححه الحاكم ورد عليه الذهبي فيه ما يدل عن قتاده ضعيف وقا
المنذري هو ابن عبد العزيز واه انتهى ولعل الصواب انه سويد بن ابراهيم المحدث
ابو حاتم الخياط فانه هو الذي قالوا انه يروي عن قتاده فيخلط ويأتي به
باحاديث لم يأت بها أحد غيره وهو ضعيف وبالغ ابن حبان في جرحه فقال
يروي الموضوعات على الثقات ، وذكر المنذري أن الطبراني رواه من حديث ام
عمر أيضا باسناد حسن ، فهذه الروايات كان عنده مما يتأدب به ولذلك أورده في
الترغيب والترهيب لان مناه صحيح . ووافق لاصول الشريعة في الترية بالمثل
فلا تضربه مثل هذه الطل .

ومثل ذلك ما كان في سنده انقطاع كحديث « ان من أكل الزمينة
إيمانا أحسنهم خلقا وأطهرهم بأمله » وكذا ما كان في سنده مجهول كحديث « عام
في حديث » من كان له صبي كلبه » ولكن لا يخرج عنها في تشريع بعد

في الأحكام والحلال والحرام ، ولا في أصول العقائد والايان وعالم الغيب . ولا يعتمد بشيء منها اذا خالف النصوص الصحيحة أو القواعد الثابتة في الشرع والامور الثابتة في الواقع أو يقتضى البرهان العقلي أو الدليل العلمي القطعي فان مخالفتها من علامات الوضع . وأكثر اعتماد المتدعين على أمثال هذه الروايات الشاذة أو المنكرة التي لا يثبت لها اسناد

وفي هذه الاحاديث ما ليس في الجامع الصغير ولم يمز الى كتاب آخر كحديث «ارجعوا الى اهلكم فلهوهم» وحديث «كان (ص) في بيته أربعين الناس واكرم الناس ضحكا كما يسام» ولا أذكر اني وأيت هذا الحديث في الشائيل ولا غيرها وفيه وصفه (ص) بالضحك ولم يكن ضحكا كالأنا كان ضحكه تديما : وحديث «أما امرأة قدمت على بيت أولادها» الخ وحديث «لا يمد الرجل صبيه» الخ وهو جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وله في الجامع ولا أذكر أوله لاراجعه فيه وفيها ما أورده بغير الفاظه التي في الجامع الصغير كحديث «اذمات ابن آدم» الخ عزاه في الجامع الصغير الى البخاري في الادب المفرد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة عن أبي هريرة بلفظ «إذا الانسان» وليس في آخره كلمة بخبر وحديث «انا من حسين الخ فانه فيه بلفظه المشهور «حسين مني وانا منه أحب الله من أحب حسيننا الحسن والحسين» سلطان من الاصباغ» عزاه الى البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه وألحاهم عن يعلى بن مرة ، وحديث «اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم» فانه ذكره بهذا اللفظ وعزاه الى ابن ماجه عن انس . وقد زاد المؤلف فيه ما ليس في سنن ابن ماجه ولا الجامع الصغير وهو «فان أولادكم هدية الله اليكم» ولم يذكر من أي كتاب نقله

ومما اقتصر فيه على الضعاف مع وجود الاحاديث الصحاح ما أورده في المساواة بين الاولاد من حديث النعمان بن بشير «اتوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما تحبون ان يروكم» وقد عزاه في الجامع الصغير الى الطبراني وأشار الى ضعفه ، ثم ذكر بعده بحديث حديث «ساووا بين أولادكم» الخ وعزاه في الجامع الصغير الى الطبراني واليهي وأشار الى ضعفه وذلك أن في اسناده سميد بن يوسف وهو ضعيف وذكر ابن عدي في الكامل أنه لم يروه له أنكر منعه وقد ترك حديث النعمان بن بشير .

المروي في الصحيحين «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» وفي رواية بين أولادكم وله قصة في انكار النبي (ص) على من ميز أحد لآخره على الآخرين . وإنما فعل المؤلف هذا لأن في الأحاديث التي اختارها زيادة فائدة في المعنى مقصودة في بابها . وقد ذكرت في الحواشي تقييدات أخرى ما أحسبت أن تؤخر إلى هذه التعلقات العامة .
وانني أحب لصديقي أن يراجع جميع أحاديث الكتاب ويقابلها بالكتب التي نقلها منها ويذكر في حواشي الصحائف مأخذ كل حديث ليس في الجامع الصغير بنصه ، ويصرح بأن كل حديث لم يزره إلى كتاب فهو في الجامع الصغير فإن هذا ادعى إلى ثقة الناس بهذه الأحاديث في كل قطر ، وهذا العمل لا يفتني زيادة كثرة في أوراق الكتاب لقلة الأحاديث التي ليست من الجامع الصغير ، وأن يدقق النظر في تحرير اللفاظ ولا يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المحدثين من جواز رواية الحديث بالمعنى فإن هذا ليس لمن يتل من الكتب مثله وإنما هو خاص بمنثل الصحابي أو التابعي يسمع الحديث فيتمحرى ببيان المعنى الذي فهمه منه فلا يضره اختلاف بعض اللفاظ كقوله «اعدلوا في أولادكم» أو «بين أولادكم»

مختارات من الجرائد الغربية . في حل المسألة الشرقية

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩
نهاية الدولة التركية - عدم عقد شروط صلح ١٠٠٠ها - تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هيرالد في عددها الصادر هذا الصباح ان من المرجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وان كان ذلك غير طابق لقواعد المروية ، لا ان المؤتمر يفتكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على ان تركيا لم يعد لها حكومة دولية حقيقة وانه لم يبق للعالم المدني الا الانتفاع بتركيا الدولة العثمانية
سفنال اليونان أكبر جزء من تركيا أودية ، وأما الآستانة مع مضائق البحر

فتتبع لعصبة الأمم تحت وصاية أمريكا التي تملأ في هذا الابان نفسه الوكالة على
أرمينية الى ان تصير هذه البلاد سالمة لان يحكم نفسها بنفسها
ثم ان اليونان سيصيرها جزأ ليس بقليل من آسيا الصغرى وأما باقي ولايات
هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسا وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم وأنكسرة تأخذ
بلاد العراق وفرنسة تأخذ سورية أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال

ورثة الخلافة

ان انحلال تركية أوجد مسألة ايلولة الخلافة كما انه وضع حدا لنهاية نفوذ فرنسة
في الشرق - لقد كان لنا عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركية ، وقد حلت
ألمانية مجتأ عند ما أهملنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في إمكاننا استرجاع مكائنا
الاولى على أثر صولة النصر الا اننا لم نقتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية بحجة
بمصلحتنا - فايكون نصيب فرنسة بالنسبة الى البلاد المدمعة التي وضمت تحت وصاية
أنكسرة وأمريكة ، ان ما خصص لنا انما هي سورية بعد استثناء تليسيا وفلسطين
منها وحرمانها من البوغازين المهين أعني بهما ثفري اسكندرونه وحيفا

وجاء في جريدة لافير (المستقبل) في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

تعديل الخريطة - إعادة نظام التمسة وانحلال تركية

عزم المؤتمر على فحص المسئلة التركية وقد بدأ هذا الفحص بأرسال مدرعات
وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها الى اليونان وتم ذلك فعلا
تقرر أيضاً ضم سورية الى فرنسة ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل
العراق وفلسطين تابعتين لانبجثرة وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضافية وقوية
بإيطاليا والاساتنة وأرمينية بأمريكة

أما التركي فانه يحسب بنحويل الشعوب حق تقرير مصيرها قد صار ازالته
من الخريطة والمأمول ان هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لا تتم لانه ليس
من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم واضهارها
في الاستاتنة

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركية تحت سيطرة دولية ثم رؤي اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد ومجنيبها بمجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق الملك الحقيقي اتنا بتضحية تركية وبتشريح هذه المملكة اوجدنا أوجها للنزاع وللشقاق بين دول اوروبة في المستقبل اذ ان الرجل المريض سينقل عدوى مرضه الى اوروبة ولاجل تسميم المدوى دخلت ايضا امريكة في المرحس ولنا أن تساهل ما شأن امريكة في تركية ؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضائق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما ؟ ان الحل الوحيد هو عدم تخصيص الاستانة لدولة معينة من الدول واذا كان لا بد من وضع مراقبة على تركية فليس نجت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مخالفة للمدالة وللروح المصري والصالح الاوروية في الشرق

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار المانية العسكري وانهازم دولتي تركية والنمسة والمجر اصيحت هاتان الدولتان الاخيرتان مزععتي الاركان وتولد عن ذلك مسألة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني ان سقوط الدولتين المذكورتين انقذ الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يمد لها ضمير على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته اجيالاً طويلة فالتين تؤول اليهم ركة تركية هم أولا اليونان الذين بعد ان تخلصوا من ذلك الملك الغاشق انضموا الى قضية الحلفاء = ثم الارمن الذين بسبب السياسة الخرقاء المزعزعة بها من عمال الالمان قاسوا أشد انواع العذاب واوشكوا ان ينقرضوا وتليهم السورديون الخ فاليونان القاطنون في تركية اوروبة سينضمون الى دولتهم التي ستنتعج كثيراً على أثر هذا الانضمام كما ان ولاية أزمير = حيث يكون المنصر اليوناني = ستنتسج ايضا الى دولة اليونان بناء على التوكيل المعطى لهذه الدولة وبحسب الشروط المعينة لذلك

وأما مشروع انشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط فالمشهور أن امريكة تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعد على ارتقاءها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الاسنانة وعلى المضائق التابعة لها ايضا = فإذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكي لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً الا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكي عليه

وفرسة تكون الوصية على سورية بالنظر لملاقاتها القديمة بها لكن لا بد ان تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية بأكملها وليس على سورية مقسمة ولا ريب في أن المخاطر التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرسة لكن من الضروري ان تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستمطى لايطاليا مع ميناء اضاليا

ثم ان فلسطين والمراق يكونان تحت مراقبة إنجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادى بدء وبني في آسية الصغرى جزء مأهول بسكان أترك يحتوي على بروسة وانقره وقد طلب من فرسة حماية هذا الجزء لان بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتسمى ان لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسية الصغرى والذي زواه هو أن تكون دولة تركية المقبلة تحت اشراف مستشارين اوروباويين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين ييانا للرأي العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من جميع الامم يظنون ان ماتقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذي لامرد له لانه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبدو الزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات لجلل تلك الاماني حقوقا ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن في حساب أحد من المخطوب والمشكلات التي عجز جنح دهاة السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نقشوا فيها ودميت أظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المفرورين بالقوة والعظمة الباطلة الذين يرتكسون في البأس عند سماع كل صيحة هائلة ، (فاصبروا يا أولي الابصار)

أماني المبشرين ، أو عند دعوتهم للمبشرين

كتبت إحدى الجرائد التبشيرية الأمريكية مقالاً للدكتور سموئيل م زويمر المعروف في مصر تحت هذا العنوان

« الإسلام يرحب بالنصرانية »

ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وان دور الاولياء والكهنة قد انقضى فاصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي هذا ما كتبه الدكتور سموئيل زويمر من القاهرة الى (الاتليجنسر) مبيناً أن الاضطراب السياسي في الشرق الأدنى لم يكن ناجماً عن عوامل اقتصادية أو رغبة في الحكم الذاتي بقدر ما كان ناجماً عن عدم القناعة الدينية وقد أقام برهاناً على أقواله ان اللورد رادستوك الموظف في جمعية الشبان المسيحيين YMCA قد ألقى عدة مواعظ دينية في المدن والقرى المصرية ابان الاضطرابات الاخيرة فوبلت بكل ترحيب وحفاوة بالرغم من تلك الاضطرابات السياسية ومن ظهور برزته الافرنجية ، فبدل هذا على ان القرس سانحة جداً للتبشير بين الطبقات كافة والمسلمين الذين يمثلون المجموع الاعظم خاصة ، وان الابواب التي كانت مستعدة بأن تفتح أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة لان الابحاث اللاهوتية ابتدأت تأخذ طوراً جديداً في الوقت الحاضر واصبحت صفات السيد المسيح تحضر في الجرائد اليومية . وما يشجع على ذلك اننا نرى اقبالاً لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية حتى معلمي الجامع الازهر وكافة طبقات الشعب فقد جاء في مؤلف لاحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح بين فيه الكاتب جلال المسيح وتأثيره العظيم على التاريخ

ان الاسلام لا يعترف رسمياً بتبليغ المسيح وآلامه فاصبحت خشبة العلياب هي المثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغريها عقل المسلم قد نكون عرضة لنسيان أن الشرق الأدنى نال قسطه من (جنسياني) « مكان في القدس حيث دفن المسيح » فان الحرب قد حفرت حفراً عميقة في حياة البشر وقلوبهم حيث ترى الملايين من الايتام والارامل ومنه ترى بيتاً في تركيا الا ونشاهد فيه فراغاً .

غلب الاسلام في ساحة الحرب فاصبح غمدوعاً في مظاهره مضطرباً في برنامجيه وعليه فانه أصبح ناضجاً مستعداً لقبول التعاليم المسيحية اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لاجل الاسلام كما كان يحارب قبلاً وان تلك الخطط الثورية والمطالب التي كانوا يلبسونها ستاراً من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدم تماماً فان اليهودي رجع الى فلسطينه وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلاً مهاناً .

ان المسلمين أنفسهم يدرسون حياة محمد وتعاليمه درس الناقذ وان ما جاء في تفسير القرآن الذي كان ينشر تباعاً في مجلة المنار التي هي من أمهات الجلات في القاهرة دليل على ما ذكرناه

ان الطلاب الايض ابتداءً يزول فالتعلمون من المسلمين يقرأون الكتب الانجليزية والانكليزية وعلى الاخص كتابات « لامنس » و « كايثاني » و « مور » و « ماكوليوت » وغيرهم ثم ان « س خدا باخش » من كلكتا ترجم مؤخراً كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانكليزية منتقداً الترية الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها في خطابه ومحاضراته الشائقة غير هياب ولا وجل . وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث التعاليم المسيحية كما تنتاش النابتة ونخلص المرأة المستعبدة ثم نبث معنى الحياة الزوجية

قد يرى المبشرون في هذا الجهاد انصاراً لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آباءهم .
الرق قضى عليه والحجاب في حالة القضاء عليه وأما تعدد الزوجات وشرعية الطلاق فان الظروف الحاضرة كفيلة بزوالها . انتهى

(المنار) يغلب على ظننا ان الغرض الاول من هذه الكتابة استنداء أ كف الموسرين من الفيورين على تنصير المسلمين ليجودوا بالمال ، ولا يبعد أن يكون الكاتب مغروراً متمنياً يرى أن أمانيه حقائق ثابتة كالسياسيين الذين يظنون أنهم قضوا على الاسلام بكسر الدولة العثمانية ، واقتسام البلاد العربية ، والحق ان المبشرين كانوا قبل الاحداث التي ذكرها أشد تعظيماً للمسيح عليه السلام منهم الآن وان أوروبا قد جنت بهذه الحرب الوحشية وبمجاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدينة الترية أقبح جنائية فاصبحت جميع الامم الشرقية نائرة منها أشد النفر فان لم يكن الكاتب شعر بهذا الى اليوم — وهو ما لا نظنه — فلينتظر فانا منتظرون

باب الانتقاد على المنار

مسألة فناء النار أو انتفاء عذاب أهلها

راجعنا أفراد من قراء المنار فيما نقلناه عن كتاب (خادي الارواح) في مسألة الخلاف في فناء النار وبقائها وما رجونا من اقتناعه لبعض المنكرين لعدم نهاية عذابها مع عدم تضرر المؤمنين بقول الجمهور به. ورأينا بمضغهم فهم من كلام ابن القيم أنه يرجح القول بفناء النار ويختاره وانا وافقناه على ذلك بما قمينا عليه ، ولم نر أحدا منهم فهم قولنا حق الفهم ولا قوله ، وقد تيسر لنا افهام من كلمنا في ذلك مشافة حتى اتقنا فيه رأيا

وكتب الينا بعض اخواننا في ذلك مستعظيلا للامر ظانا أنه كلام يهدم الدين ، ويؤيد شبه المرتدين ، ويجري مصاة والفساق على ارتكاب الفواحش والمنكرات ، وقد كتبنا اليه بعض التوضيح لقولنا والتذكير بما لعله ذهل عنه وفتحننا له باب الرد على ما ذكره وازالة شبهات من يظن أنه يفتقر به ، فشرع في ذلك ، ثم رأينا ان نبين له ولنيره من القراء المسائل الإجماعية ونذكرهم ببعض ما سبق لنا من القول في أمثال هذه المسائل

(١) ان المسألة خلافية بين المسلمين لاجماعية وقد نقل الامام الطحاوي فيها ثمانية مذاهب في عقيدته عزرا اثنين منهما الى أهل السنة أحدهما ان الله تعالى يقيها ما يشاء ثم يغنيها ، والآخر قول الجمهور المشهور ، وابن القيم لم ينقل الاسبعة أقوال ، وقد ذكر الخلاف في كثير من كتب العقائد والتفسير والحديث ، ومقتضى كلام الطحاوي ان مذهب بعض الصوفية فيها كذهب الجهمية ليس من مذاهب السنة (٢) ان الطحاوي لما ذكر القولين الذين عزاها الى أهل السنة قال :

ولينظر في دليلها . فجاء بعده ابن القيم وبسط دلائلها ، ولم يجزم بهذا ولا ذاك بل فوض الامر فيه الى ارادة الله ومشيئته وهو قوله أو لا أهل السنة (٣) ان المنار لم ينشر ملويا فالكاتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين

الناس ولا سيما الذين المنشور في التفسير بالمأثور المحافظ السيوطي وشرح عقيدة السفاريني وما زاد خادي الارواح على غيره الا تلك المسائل الدقيقة في حكم التواب والمقاب ورحمة الله تعالى وحكمته في الجزاء والنفرة بين منات ثلاث كالحكمة والرحمة وصفات الافعال كالزنا والمحبي والميت والمنتم وهي التي نوهنا يغنيها

وانتينا على سبعة علمه ومعرفة لاجلها دون أصل المسألة المشهورة قبله -
 (٤) اتنا قد بينا غير مرة في المنار أن المتصد عندنا في التفسير وأصول
 الدين وفروعه ظواهر النصوص مجتمعة وفي اختلاف العلماء ما كان عليه جمهور
 السلف ان علم بالنقل الصحيح ، واتنا اذا أوردنا في المنار أقوالاً أخرى فاما
 نقصد بذلك دفع بعض الشبهات عن الدين أو تقريب بعض مسائله الى بعض
 من لا يقتنهم غيره بحسب اختيارنا . وعلى هذه القاعدة جزيئا في تفسير آية
 الانعام فان فيها بعد ذكر الخلود الاستثناء بمشيئة الله تعالى وتلليل هذا
 الاستثناء بقوله تعالى (ان ربك حكيم عليم) وقد فوضنا اليه سبحانه الامر
 في ذلك وبيننا ان مشيئته في ذلك مجهولة لنا ولا يلزمها حق العلم غيره سبحانه
 وانما تتعلق بما يقتضيه علمه وحكمته ووعدا بتحرير الدلائل في المسألة عند
 تفسير آيتي سورة هود فيها

وقد سبق لنا تحقيق مثل هذا التفويض في تفسير قوله تعالى حكاية عن
 عيسى عليه السلام في قومه (ان تملذهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم) وبيننا فيه ضعف من اضطر فيه من المفسرين لصراحة العبارة
 في جواز المغفرة لمن اتخذوه وأمه الهين من دون الله ومنه أقوال بعض مفسري
 الاشعرية باستحسان غفران الشرك كما سرح : أبو السمود والاكوسي وأئنب
 الرازي في ذلك . وأنى بمدة وجوه في تأييد مذهبهم رددناها عليه أقوى رد
 بفضل الله علينا ، وبيننا وجه تذييل الآية بصفتي العزة والحكمة دون المغفرة
 والرحمة بما لم نطلع على مثله لاحد

(٥) ان قيل انه تعالى بين في سورة النساء انه لا يغفر ان يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تقييد المشيئة بنقض قول الاشعرية . قلنا انما يدل
 هذا على أن العقاب على الشرك حتم مقضي ولكنه لا يدل على أنه سرمدى لا
 نهاية له بل هذه مسألة أخرى ، وجمهور العلماء يقيدون المشيئة بغير هذا النص
 أيضاً اذ صرحوا بأنه لا يغفر لمن يوحد الله ولا يشرك به اذا لم يؤمن بملائكة
 الله ورسله واليوم الآخر ، ولا لمن جحد أي أمر مجمع عليه معلوم من دين
 الاسلام بالضرورة ، ويؤولون النص في جواز غفران ما دون الشرك كالنص في
 خلود متمعد القتل في جهنم بناء على مذاهممنا أكثر التأويل لتصحيح المذاهب
 المتبعة لا للجمع بين النصوص وتقديعها على جميع المذاهب ، والآيات تثبت

اطلاق المشيئة الا انها لا تعارض غيرها من صفات الله ومدلول كلامه
(٦) ان مرادنا بقولنا : ان هذا البحث لا يضر المؤمنين بقول الجمهور
مقلدين كانوا أو مستدلين - ظاهر جلي وهو أنهم يردون القول المخالف لم
قلدهم أو لدلائلهم فلا يترتب عليه أثر في أعمالهم، وزيد على ذلك انه لا يضر
أحداً من المؤمنين مطلقاً وان سلمه لان جواز تعلق مشيئة الله تعالى بانتهاء
عذاب الكفار بعد لبثهم في النار احقاباً لا يصح أن يكون سبباً لترك المؤمن
الصادق لشيء من الواجبات ، ولا لارتكابه لشيء من المحرمات ، ولكن في
كتب الفقه والكلام والمواعظ والادب وخطب المنابر كثيراً من الاقوال التي
ازالت حرمة الاوامر والنواهي من قلوب الجاهل الغفير من الناس وكان من أثرها
ما نراه من ترك الصلاة ومنع الزكاة واتخاذها بالاعتقار في رمضان وفشو السكر
والزنا والقتل... كالكلام في تحلف الوعيد والعفو والمغفرة والكفارات
والشفاعات والكرامات ، وقد شرحنا ذلك مراراً ورددنا شبهات الضالين فيها
وبينا ما له أصل منها وما هو موضوع باطل كحديث اعتاق ستمائة الف عتيق من النار
في كل ليلة من رمضان... ولم يكتف خطيباه الفتنه وعلماء التقاليد بتلقيق الدماء
هذه الموضوعات بل تصدى بعضهم رد ما يرد عليها كأنها من أصول الدين
كقول بعضهم اذا كان عدد عتيق رمضان يزيد على عدد مسمي الارض كهم
ولا سبباً في زمن النبي (ص) فان الله تعالى يكفه من الجن :

وانني بما اتفق لي من الاختبار الواسع للناس وبقدر ما أوتيت من العقل والفهم
اجزم بأنه يندر أن يكون الخوف من العذاب الابدي سبباً لاستجابة كافر لدعوة
الدين ، بل هذا قلب للمعقول لانه يتوقف على التصديق بالعذاب المذكور قبل
الايان بالرسول وبما جاء به ، وهذا قلما يقع الا لافراد من الماندين كبعض كبراء
مشيخة قريش في زمن البعثة .

(٧) لا انكر ان بعض المارقين والملاحدة المشاغبين قد تزيدهم أمثال
هذه المباحث رجساً الى رجسهم من حيث تزيد المؤمنين إيماناً بالله تعالى (ينزل
به كثيراً ويهدي به كثيراً وما ينزل به الا الفاسقين) الذين فسقوا من نور
القطرة والاستعداد للهداية كما تنفق الرتبة من قسرتها وانما ارجو أن يهتدي
بهذه البحث بعض المرتابين من أهل النثر الذين يؤسرون في معالمها عظمها
حكماً ، وربما رؤفاً رحماً ، وان من حكمته الجزاء على الاعمال النفسية والجسمية ،

وان جزاءه عدل وفضل، ويستحيل عليه الجور والظلم، وهم ينظرون ويتفكرون، وإذا ظهر لهم الحق يقبلونه وله يذعنون، وأما أولئك المارقون المستهزون من أهل الرأفة فلا يلتفت إليهم ولا يبالي بأقل بامرهم، ألا ان يشفق عليهم ويحزن لبعونهم من اهته أو أبناء جنسه

(٨) ان الشبهة التي أشرنا اليها ليست ولردة على بقاء دار العقاب التي تسمى النار والجحيم والهاوية وجهن وغير ذلك من الاسماء فقد تبقى وينقلب عذابها عذابا كما زعم الشيخ عبي الدين بن عربي وشيعته أو لتعذيب خلق آخر من المكلفين مثلاً - ولا على أصل العقاب فيها فظالما أقنعنا المنكرين لهذابانه حق وعدل . وانما يقول أصحابها وهم من المنتسبين الى أديان مختلفة : ان المختبر لاحوال البشر يعلم علماً يقينياً ان أكثرهم ينشأ متديناً بالدين الذي نشأ عليه بين قومه وأهل ملته تقليداً لهم وتسلماً ثم يمرض لبعضهم الشك والريبة في دينه وفي سائر الأديان بالتبع ويتفق لبعض آخر الاطلاع على دين آخر والاقتناع بحقيقته فينبهه . ولكن يقل جداً أن يظهر لاحد حقيقة دين ويحجده به كبراً وعناداً كما وقع لبعض كبراء أقوام الرسل عليهم السلام في عصرهم، ثم ان المتدينين يعملون بما يعملون من أديانهم على تفاوت عظيم بينهم في العمل سببه تأثير التربية والقنوة وطريقا التعليم له ؛ ويعلم ايضاً ان بعض المرتدين عن اديانهم بشبهات نظرية او علمية يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً ؛ وان بعض المتدينين بالاديان الكتانية كفريها يشركون بعبادة الله تعالى اشياء كثيرة من الاحياء والاموات كما ان بعض المرتدين احسن من بعض المتدينين اخلاقاً واعمالاً واتفق منهم للناس وللأوطان ؛ ويقولون اننا مع هذه الحال نرى اهل كل دين يقولون ان الموافقين لهم في دينهم لانهم ولدوا فهم وتربوا بينهم ثم وحدهم اصحاب النعيم المؤبده الذي لا نهاية له وان جميع المخالفين لهم سيكونون في عذاب اليم مؤبداً لا نهاية له سواء عرفوا حقيقة دينهم او جهلوا ؛ بل يعلم اكثر اهل البصيرة والاختيار ان اكثر المخالفين لهم لا يعرفون حقيقة دينهم ؛ وان من يعرف شيئاً منه يقل يعرفه على وجهه عندهم ؛ وان ليس كل من يعلم شيئاً منه على حقيقته يقو . عنده الدليل على صحته — ونتيجة ما تقدم ان أكثر افراد البشر مقلدون في دينهم لمن تربوا معهم وتعلموا منهم ؛ وان غير الاكثر اهل نظر واستدلال يرجعون ما ثبت عندهم بحسب درجات نظرهم واستدلالهم على غيره في العقائ

والاعمال — فالذي اصاب الحق من المقلدين لافضل له في اسبته اد لا عمل له فيه ولا اجتهاد ، والمقلدون في هذه الاعصار اتما يتبعون جهوراً مقلداً فلا يكاد يتفق لاحد منهم ان يعيب الحق في جميع المسائل ، واذا كان التقليد حجة لصاحبه فيما وافق الصواب وعذراً فيما خالفه كما يقول اكثر اهل كل ملة في انفسهم فلماذا كان ذلك خاصاً بهم والله رب الجميع وهو الحكم المدل

ثم انهم يقولون لاهل كل دين انتم قد تفرقت في دينكم وكتمت شيئاً تحكم كل شيعة على الاخرى بالكفر أو الابتداع والضلال فاذا كان الواجب على جميع البشر أن يتبعوا وكان كل من لا يدين بدينكم خالداً في العذاب بالمعنى الذي يقولون فاي مذاهب الشيع يجب عليهم الاخذ به لينجو من الهلاك الابدي ؟ إن قصارى قول كل شيعة بل كل فرد منكم أن من يدين الله بدينه ويموت على عقيدته هو الناجي المثاب بالنعيم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على غير ذلك ، وان كل من مات على غير عقيدته يخلد في العذاب الاليم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على الايمان بالله وحده وبالبعث والحساب وعمل البر والاحسان بتعاليم دين آخر أو باجتهاده

فورد الشبهة بمد هذا البيان ان أكثر أفراد هذا الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً إنما خلقهم تعالى لأجل أن يعذبهم هذا بشدة شديداً أبدياً تمر الالوف والملايين من الاحقاب والقرون وهو لا يزداد الا شدة واستمراراً، وان هذا العقاب جزاء عادل على مسائل اعتقادية قليلة كان أكثرهم جاهلاً بها وغافلاً عنها لانه لم يدعه أحد اليها البتة وقد بلغت بعضهم على وجوه مختلفة مذكرة لاعلى وجه صحيح محرك داعية النظر فلم ينظر فيها . وبعضهم نظر وبحث فلم يبين له أنها الحق . وبعضهم ليس أهلاً للنظر بفسوخه في تقليد أهل دينه وأخطائه — وان هذا العقاب الابدي الاليم لا يخلو في عاقبة في العقل والنقل من عدل الله تعالى وحكمته وسعة رحمته وكونه أرحم الراحمين بل أرحم من الوالدة الروم بما فلها الرضيع . هذا ما يقولون انهم لا يقولونه فيؤمنوا به وليس في عاقبتهم ان يعتقدوا صحة دين بحكم به ويحتمه

(٩) اني احمد الله تعالى ان وفقني لاتقاع كثير من الناس مختلفي الدين والمذهب

بحكمة الله وعدله في عقاب المجرمين كما وقفني لاقناع من لا أحصي لهم عددا من المرتدين والمعطلين الماديين بوجود إله خالق واحد وبالرسالة وبكثرة من أصول الدين وحكم فروعه وموافقة الدين الإسلامي للعقل والصلاح البشري في دنياهم. وانتهى ابتليت بمراجعة الناس لي في ذلك من أيام طلبي للعلم لاني كنت كثير البحث فيه بالليل القطري حتى إن بعض الشيوخ في طرابلس الشام كان يراني في السوق فيسألني عن بعض مشكلات الشريعة ووجه مطابقتها للعقل أو للصلابة العامة. وحدثني دانتش بك القدي كان امين السر لمحمود باشا الدماماد والد الامير صباح الدين بك التركي الشهير حين جاء من مصر في أوائل الهدى بهجرتي اليها أن الاستاذ الامام قال له: أنني لأهرف أحدا أقدر من هذا الشاب صاحب المنار على التوفيق بين الدين وبين العقل والمدنية. ثم أقول بعد هذا وحمد الله عليه عودا على يده اني لم أعجز عن إقناع منكر شيء من أصول الدين أو حكمه كما عجزت عن إقناع المنكرين لابتداء العذاب الاليم الشديد انكارا وشبهة وارتباب لا جعود وضاد ، فان الجاحد الماند لهوى في نفسه لا يفتتن بالضروريات بله المشكلات ، ولكنني اذا قلت لبعضهم ان لبعض السلف والخلف من المسلمين قولاً بانتهاء العذاب وقولاً بنفي بعض الامر في الله تعالى قالوا اننا نجزم بأن عظمة الله تعالى وحكمته ورحمته نجل عن تضيق هؤلاء العباد الضعفاء الجاهلين الى غير نهاية من أي الامرين أجدر بهم هؤلاء ؟ ألجزم بأن عدم نهاية العذاب الشديد لمن ذكر من أصول الدين التي بعد غير المؤمنين بها مرتدا لا يعتد باسلامه أم اقناعه بأن اعتقاده لا ينافي الاسلام وان له أسوة بمن سلف من المؤمنين ولو الجهمية الذين لا يكفرهم أهل السنة بما خالفهم فيه من استدلال وتأويل ؟

(١٠) بعد هذا كله أصرحت بأن مسألة فناء النار أو انتهاء عذابها الاليم الشديد مع بقائها ليست عندي من المسائل التي ادعو اليها وأناضل عنها ولا أبالي أن أنشر لمن يرد عليها ما يكتبه على علته . غير فقد لما أراء متقدما منه بشرط ألا يطيل بما لاحية اليه في الموضوع ما سبق ذكره لاني قد في حجة الله ثابتين بالقول الآخر ، وان يبين صفة من لا ينهي عذابهم ومن لا ينهي آليهم التي استحق بها كل منهما ذلك وأتقنى لو يوفق أحد شيء . يقتض من ذكرت ، والله الموفق للصواب

نشر عادي الذين يستمعون القول فينبون حسنة
أوتلك الذين صدقوا وأوتوا هم أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

يقول الحكمة من دناه ومن يؤمن الحكمة فقد
أوتي شيئا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى « وماتوا كمنار الطريق » ﴾

٣٠ شعبان ١٣٣٩ - ١٧ الثور (٢) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ ابريل سنة ١٩٢١

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة الشركيين خاصة إذ لا يسع الناس عامة، ونذكر
على السائل أن بين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى
سبه بالحروف أو يسميها شاء من الألقاب إن شاء. وأما تذكر الاسئلة بالترتيب
غالباً وزعمنا قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ، وربما أجنبية
غير مشترك لئلا هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مر
واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ القرآن المتواتر والقراءات السبع وخاصة قراءة حمزة ﴾

(س ١٠ - ١١) من الشيخ عبد القادر حمزة من كفر الشيخ عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيدي الأستاذ الامام السيد محمد رشيد رضا

السلام عليك وعلى سائر الاسرة والاحباب (وبعد) فأعرض على نور
علمكم مسائل أشكلت علي مأخذها وتعارضت أدلتها لتنبهوا لناسيل الحق فيها
على صفحات مناركم أو في كتاب خاص إلى أطال الله حياتكم لهذا ياء المسلمين أمين

١ - تواتر القرآن مجمع عليه من جميع طوائف المسلمين فهل هذا التواتر
هو لما اتفق عليه القراء - وهو جمهور القرآن - ويكون ما اختلفوا فيه
صحيحاً غير متواتر لاختلافهم فيه من جهة ولأن كل قراءة جاءت عن واحد
وعرفت به وأضيفت إليه كقولهم قراءة خفص - قراءة حمزة - قراءة ابن كثير.
مثلاً: أو أن كل قراءة من هذه القراءات متواترة؟ قد شارك كل قاريء منهم
في قراءته من لا يحصى من أمثاله غير أن المصنفين اقتصروا على واحد من رواة
القراءة - وهذا عذير لولا ما يكثر سقوطه من اتهام المسلمين بالاهمال في بيان
تواتر كتابهم الذي هو أصل دينهم ويكدره أيضاً صنيع الطبري - وهو أمام
في القراءة والتفسير والحديث والفقهاء - من رده في تفسيره لكثير من القراءات
التي يضمنها نسخة .. كقراءة حمزة: فأزالها الشيطان عنها: من سورة البقرة
(المنار: ج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني والمشرون)

وقراءة ابن عامر: وكذلك 'زَيْن' لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم: الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة في تفسيره والرجل أجل من أن يقول في قراءة متواترة انها مردودة لكذا.. ولا جماع الحجة من القراء على خلافها !!!

٢ - في ترجمة حمزة بن حبيب الزيات من كتاب ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب للعسقلاني نقل كلام الحفاظ في ردقراءة حمزة ككراهة يزيد بن هرون وأحمد بن حنبل لها وتوفي عبد الرحمن بن مهدي سلطاناً يوجب به ظهر من يقرأ بها وحكم أبي بكر ابن عياش بأنها بدعة وباعادة صلاة من يعطي خلف القاريء بها الخ مما لا يقوم في وجهه قول الثوري ان حمزة لم يقرأ حرفاً الا بأثر . فلا يدفع ذلك قدح النقاد فيها لان في الآثار الصحيح والمعلول فيقال فيها انها بدعة ويوجب ظهر من قرأ بها وتبطل الصلاة خلفه الخ لانها رويت بأثر معلولة غير صحيحة فكيف من هنا يكون حمزة شيخ القراء وأحد السبعة وينقد الاجماع بآخرة على تلقي قراءته بالقبول كما زعم الحفاظ الذهبي . اهـ

(الجواب) ثبت في الصحيح ان النبي (ص) كان كلما نزل عليه شيء من القرآن يقرأه على أصحابه فيحفظه من يحفظه ممن حضر منهم ويأمر كتاب الوحي بكتابته وحفظه . وكان النبي (ص) يقرأ كل ما نزل عليه في الصلوات فيسمعه الصحابة (رض) في الجهرية منها ، وكانوا هم يقرؤون في صلواتهم وغيرها ما حفظوه ، وثبت أيضاً أن جبريل أمين الوحي عليه السلام كان يمارض النبي (ص) القرآن في كل ليلة من ليالي رمضان في كل سنة اي كان كل منهما يعرض على الآخر كل ما نزل من القرآن وأن جبريل أقرأه القرآن على حرف واحد فاستزاده حتى أقرأه على سبعة أحرف وان المعارضة في آخر رمضان من عمره (ص) كانت مرتين أي بالسبعة الأحرف .

وثبت أيضاً أنه كان في الصحابة طائفة كبيرة يوصفون بالقراء لعنايتهم بحفظ القرآن وكثرة قراءته وأنه قد جمعه كله في عصر النبي (ص) أربعة من الخزرج بالتلقي قراءة وكتابة . وهو أقوى ماوجه به الحصر في الخبر الوارد في ذلك ومن المعلوم بالبداهة ان المهاجرين كانوا أشد عناية بحفظه ولا سيما السابقين الأولين وثبت أيضاً انه لما استحر القتل (اشتدوحي) بالقراء في قتال مسيلة الكذاب بالهامة خشي عمر ان يقتلوا في كل مكان فيقولوا فأشار على ابي بكر بجمع القرآن كتابة فأمر ابو بكر يزيد بن ثابت كاتب رسول الله (ص) بجمعه مجمعة مما كانوا

يكتبونه فيه من الحجارة الرقاق وعظام الكتف وعصب النخل لجمعه في المصحف بالترتيب الذي تلقوه عن النبي (ص) وكانت هذه المصحف عند أبي بكر ثم عند عمر مدة حياتهما ثم عند حفصة أم المؤمنين الى ان نسخت عنها المصاحف بأمر عثمان في عهد خلافته وبث بها الى الأفاق ليرجع اليها القراء والحفاظ حتي لا يختلفوا في القرآن فيضلوا كما ضل من قبلهم

وقد أجمع المسلمون سلفاً وخلفاً على أن كل ما وافق رسم المصحف الامام الذي كتب في خلافة عثمان بأقراء علماء الصحابة واتفاقهم من القراءات المروية عن النبي (ص) رواية صحيحة بمبارة عربية فصيحة فهو قرآن وقد توفرت الدواعي على تواتر ذلك كله بما ذكر عن أهل الصدر الاول ثم بما كان يخص به الخلفاء وعملهم حفظ القرآن من العطايا . واختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم سببه الاحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، وقد اختلف العلماء في معناها ، واختاروها أوجه القراءات وهي كما بينا في التفسير قسمان احدهما لنظي كقطع الهزة ووصلها والامالة ومقابلها وتذكير بعض الكلام وتأنيثها مما تختلف به لغات قبائل العرب ولهجاتها وسببه تسهيل قراءة القرآن عليهم ، وثانيها معنوي وهو ما أفاد معنى جديداً بتغيير القراءة كلك يوم الدين ومالك يوم الدين فان الملك في اللغة هو المتصرف بالتدبير والحكم والمالك المتصرف بالاعيان ولا ولا ملك ولا مالك يوم الدين غير الله تعالى ، وبما انفرد به تفسير نادون جميع ما اطلعنا عليه من التفاسير توجيه القراءات وبيان فوائدها اللغوية والمعنوية وقد ذهب بعض العلماء ان القراءات السبعة المشهورة هي الاحرف السبعة التي ثبت في الصحيح نزول القرآن بها ورد ذلك المحققون فالصحيح انها منها لا كلها ، واختلفوا في المصاحف هل هي جامعة للاحرف السبعة أم كتبت بحرف واحد أم بمدة أحرف وهي الموافقة لرسم ؟ وهذا الاخير أظهر هذه الأقوال ، ولا يتضمن اضافة شيء من القرآن لان الاحرف السبعة لم تكن كلها حتماً على كل مسلم وانما كان الكثير منها رخصة حتى لا يثيق قراءة القرآن على غير قريش من العرب فانه نزل بلغة قريش ورخص لغيرهم قراءته بما يسلس على السنتهم وهي رخصة عارضة قد زال سببها منذ العصر الاول بقلبة لغة قريش وتربية أولاد المسلمين من جميع العرب والمعجم على القراءة بها ، وبقي المروي من غيرها أنما علمياً فيما وافق منه رسم المصحف مع صحة روايته وعريته ثبت كونه قرآناً دون

غيره وقد عني العلماء بجمع كل ما ثبت من ذلك ومنهم من يرجح مذهب
عنده بالرواية من تلك القراءات ويرد غير دكان جرير الطبري وقد يكون صحيحاً
عند غيره بشروطه الثلاثة، ومثله من أنكر بعض قراءات حمزة في مثل إطالة المد
والإمالة وتخفيف الحمزة كالأمثلة الذين ذكروا في السؤال لعدم ثبوت روايتها
عندهم، فعدم ثبوت بعض الأحرف السبعة عند بعض العلماء لا يتناقض بثبوتها
عند آخرين حتى بالتواتر، وقد كان عصر هؤلاء العلماء عصر الرواية ومبدأ
عصر التدوين والتصنيف الذي صار يسهل فيه العلم بالمروية لتغير الرواية بمراجعة
الكتب التي ثبتت نسبتها إلى مؤلفيها الثقات كدواوين السنة وغيرها

وقد نقل الحافظ في شرح حديث الأسبعة الأحرف من التفتح أقوال المحققين
فيها وفي القراءات ومنه في سياق كلام لابن أبي شامة: والحق أن الذي جمع في
المصحف هو المتفق على إزالته المقطوع به المكتوب بأمر النبي (من) وفيه
بعض ما اختلف فيه الأحرف السبعة لاجتماعها. وذكر أمثلة من ذلك. ثم ذكر
عن ابن أبي هاشم أن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات
التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة
وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل (قال) ثبت أهل كل ناحية على
ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشروط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط
امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط
للقرآن فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متسكين بحرف
واحد من السبعة (يعني لغة قريش). وقال مكي ابن أبي طالب: هذه القراءات
التي يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الأمثلة جزء من الأحرف السبعة التي نزل
بها القرآن أي لا كلها ولا واحد منها فقط.

وجملة القول أن العلماء الذين صنفوا الكتب في القراءات والمصاحف
والحديث قد أحصوا كل ما روي عن الصحابة في القرآن والقراءات والتصنيف
من متواتر ومشهور وشاذ ولكن الممنعة في ثبوت القرآنية ما تواتر ولو في
بعض الأمصار دون بعض والقاعدة الكلية هي جبروا عليه في إقراره الناس
في الأمصار هي كما قال الكواشي: كل ما صنع سنده واستقام وجهه في العربية
ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السمة المنصوصة (أي في الحديث)
فعلينا هذا الأصل نبي قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف. ومن

فقد شرط من هذه الثلاثة فتوى الشاذاه
ثم ان المشهور عند غلغلاء الاصول والفتهاء أن القراءات السبع المرسلة الى
القراء السبعة الذين اشتهروا في الامصار بالاقراء (ابي حمزة وناقع وابن كثير
وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي) تتواتر. ولكن استثنى بعضهم منها
ما ليس من قبيل الاداء كصناعات المد والامالة وتخفيف الهجزة التي خولفت فيها الاصل
كما ترى في جمع الجوامع وصرح بعضهم بأن بعض رواياتهم في هذا غير متواترة
والا مروية عن الاحاد أو من طرق ضعيفة وان القاعدة الثمانية التي ذكرنا عبارة
- كواشي فيها آتية محكمة في هذه القراءات كغيرها وتقل الحافظ هذا المعنى
عن شرح المنهاج للسبكي وعن ابي شامة وقال في آخر هذه القول : ونحن وان
قلنا ان القراءات الصحيحة اليهم نسبت وعنهم نقلت فلا يلزم أن نجزم ما نقل
عنه بهذه الصفة بل فيه الغنief لمخروجه عن الاركان الثلاثة ولهذا ترى كتب
المصنفين مختلفة في ذلك فالاعتماد في غير ذلك على الضابط المتفق عليه
فعلى هذا يكون مثل هؤلاء القراء السبعة كمثل أصحاب الكتب الستة في
السنن من حيث شهرتها وكثرة المتلقين لاحاديثها عنهم وان كانوا لم ينفردوا
بروايتها ولا كانت تكون بمجولة لولم يدونها في كتبهم ومن حيث ان
ما نسخوه منها لم يقدم العلماء به تقليداً ، بل كان جميع مادونه الشيخان في
صحيحهما معروفاً عند جماهير المحدثين من شيوخهما وغيرهم في عصرهما وبعد
عصرهما ومرويا عن غيرهما وقد ناقشهما بعضهم في توثيق بعض رجالهما وفي غير
ذلك مما هو معروف ، وطعن بعض المحدثين في بعض قراءات بعض القراء كحمزة
لا ينافي صحة قراءته مطلقاً ولا صحة ما نكروه منها كطعن بعضهم في صحة بعض
أحاديث البخاري واتفاق سائرهم بمد هذا الطعن على صحة ما طعن فيه كله أو أكثره
ذكر الحافظ الذهبي في الميزان الخلاف في جرح حمزة وتمديله في قراءته فمعظم السائل
أمر الجرح دون التعديل ومنه قول ابي حنيفة غلب حمزة الناس على القرآن والقراء
وقراءة الاعمش عند رؤيته مقبلاً قوله تعالى (وبشر الخشين) وقول الامام سفيان
الثوري : ما قرأ حمزة خرفاً إلا باثراً وقد بين أن ابن بكربن عياض مراد من قال
ان قراءته بعدة بقوله لما فهم من المد المفرط والسكت والامالة واعتبار الهجزة في
الوقف. وقال الحافظ الذهبي مع ذلك : واليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى
وقال : وقد انعقد الاجماع بالخبرة على تلقي قراءة حمزة بالقبول ، ثم قال وحسب

حزرة شهادة مثل الامام سفيان الثوري له. وتقل الحافظ ابن حجر هذه الاقوال في تهذيب التهذيب وأقرها والميرة في الجرح والتعديل من حيث الترجيح على ما يستقر عليه حكم أئمة الناقلين المحققين بعد العلم به قاطبة بحكم الاجماع. وصنفة الجواب ان عدالة حزمة لا غبار عليها وان قراءته غير مطعون فيها على الاطلاق بل لمن في مثل اطالة المد من لم يثبت عند غيره فلم يكن حزمة منفردا بشيء منه، على انه من النوع الذي اختلف في تواتر بعضه، ولا ضرر فيه لانه لا يترتب عليه اثبات معنى ولا نفيه

ب - ذكاة الحيوان والصيد

(س ١٢-١٣) منه ١ - ورد في الصحيح التذكية بالحجر فهل كان ذلك حراماً أو صلباً وهل في معنى الحجر في ذلك المحدد الكليل كمول الزراع (الأس) وممول النحت اذا أنهر الدم بالصدمة الشديد والطرق عند فقد المدة الحديدة فيحل بذلك الحيوان ويستغفر للضرورة عدم احسان القتل لعدم السكين ٢ - جاء فيه أيضاً النهي عن حذف البندق لعله انه لا يصيد مبيداً ولا ينكي عدواً وجاء فيه التفصيل في صيد المراض فأحل ما أصاب بحده وحرم ما قتل بمرضه فإذا ترون فيما حدث الآن من الصيد بمقذوف البارود . فهل يلحق بمقذوف البندق مع أنه يصيد وينكي أو يفصل فيه نظير تفصيل المراض فيقال أن صيد صغير الحيوان كالارانب والطير بما يسمونه رشا وهو ما كان في حجم حبة القمح مثلاً حل الحاقاً بحكم المراض وما كان بأكبر لم يحل الحاقاً بمرضه وكذلك في كبار الحيوان فما صيد بمثل البندقة حل وما صيد بمقذوفات المدافع لم يحل

أرشدني أريدك الله الى ما فيه رضا

(الجواب) من فقه جملة ماورد في الكتاب والسنة في ذكاة لياوان وصيده وأن أصل معنى التذكية في اللغة امانة الحيوان بقصد أكله وحقيقته ازالة حرارته الغريزية كما قال الراغب في مفردات القرآن - علم ان الشرع لم يجعل للتذكية صفة معينة هي شرط الحل أو كل الحيوان ولكنه حرم التعذيب وأمر بالاحسان في كل شيء حتى القتل والذبح وقد فصلنا ذلك فيما كتبناه في تأييد فتوى للاستاذ الامام في المجلد السادس ثم خصناه في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة فليراجع السائل يجد فيه غناً ان شاء الله تعالى. وأما ما اشبهه فيه من الفرق بين

الصيد بالبندق والرش والرصاص يعرف حكمه من حديث صيد الأمراض فإن النبي (ص) قال لعدي بن حاتم إذا سأله عنه « إذا رميت بالمراسخ فخرق فكل وإن أصابه بمرضه فلا تأكل » والرش والرصاص كما في حديث الصحيحين يخزق دون بندق الطين . وأما المدافع الكبيرة فلا يصطاد بها ولكن قد تصطاد أجيال الغزلان وبشر الوحش بالمدفع الرشاش (التراليوز) والمراسخ عصا محذوة الرأس أو الطرفين وقد يكون في طرفها حديدة كانوا يرمون به الصيد فيقتله وفي لفظ لحديث عدي عند البخاري « ما أصاب بحده فكله وما أصاب بمرضه فهو وقيد » قال وسألته عن صيد الكلب فقال « ما أمسك عليك فكل فإن أخذ الكلب ذكاة » ونقل الحافظ في شرحه عن الامام الاوزاعي وغيره من فقهاء الشام حل ما قتل بمرضه أيضاً . وقال البخاري وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وابراهيم وعطاء والحسين اه فحديث أخذ الكلب ذكاة وقول ابن عباس : ما أعجزك من هذه البهائم بما في يديك فهو كالصيد وفي بعير تردى في بئر فذكه من حيث قدرت عليه (وهو في البخاري) دلائل على ما فسرنا به الذكاة

هذا وإن كثيراً من علماء الشرق والغرب قد أفتوا وألقوا الرسائل في حل صيد بندق الرصاص بعد حدوثه فمن علماء المذنبية الشيخ محمد يريم من علماء تونس الاعلام ومن علماء الحديث الامام الشوكاني الشهير من مجتهدى اليمن والسيد صديق حسن خان صاحب النهضة العلمية الدينية الاستقلالية الحديثة في الهند فانه قال في باب الصيد من كتابه (الروضة الندية ، شرح الدرر البهية) للشوكاني ما نصه :

وقد رزق صلى الله عليه وآله وسلم الأمراض إذا أصاب فخرق منزلة الجوارح واعتبر مجرد الخرق كما في حديث عدي بن حاتم المذكور (وكان ذكر رواية الصحيحين له) وفي لفظ لاحد من حديث عدي قال قلت يا رسول الله ان اهرم نومي فما يحل لنا قال « يحل لكم ما ذكركم وما ذكركم اسم الله عليه فخرق فكلوا » فدل على أن المتبر مجرد الخرق وإن كان القتل بمثل فيحل ما صاده من رمي بهذه البنادق الجديدة التي رمي بها بالبارود والرصاص لأن الرصاص فخرق خرقاً زائداً على خرق السلاح فلها حكمه وإن لم يدرك الصائده بها ذكاة الصيد إذا ذكر اسم الله على ذلك . وعبارة الماتن (الشوكاني) في حاشية الفناء: أقول لو من جهة ما يحل الصيد به من الآلات هذه البنادق الجديدة التي رمي بها بالبارود وذواتها

فإن الرخصة يحصل بها خرق زائد على خرق السهم والرمح والسيف ولها في ذلك عمل يفوق كل آلة — وذكر مثالا لذلك — وما روى من النبي عن أكل مارمي بالبندقة كما في رواية من حديث عدي بن حاتم عند أحمد « ولا تأكل من البندقة الا ما ذكيت » فالمراد بالبندقة هنا هي التي تتخذ من طين فيرمى بها بعد أن تيبس . ثم ذكر بعده الحذف بالحصى وكونه مثل بندقة الطين

حقيقة الصيام وحكمه وفوائده^(١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

الذين هداية روحية مدنية ، ورابطة اجتماعية أدبية ، والصيام ركن من أركانه الدينية ، وشعيرة من شعائره المليّة ، ورياضة من رياضاته النفسية والبدنية ، تربي به الارادة ، ليكون لها السلطان على الهوى والعادة ، وهذا يكون سبباً لتحقيق ملكة التقوى ، وهي انشاء ما حرم الله في السر والنجوى ، وفي الملاينة بطريق الاولى

ذلك بان الصيام حرمان للنفس من التمتع بشهوتي الطعام والشراب والشهوة الموجبة للنسل من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية العبادة التي شرعها الله تعالى لهداية عباده وتربيتهم بما يساعد هداية النطرة السليمة والعقل على كبح جماح الشهوات المفسدة لها ، فمن راض نفسه على ترك الشهوات الضرورية المباحة كالأطعام الحلال عند الجوع والماء الزلال على الظما والملامسة الزوجية مع قوة الداعية يكون أقدر على

(١) طبع هذا المقال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رسالة خاصة لتوزيعه على المسلمين في شهر رمضان

اجتناب الشهوات المحرمة الضارة كأكل أموال الناس بالباطل والنمدي على أعراضهم وغير ذلك ولا سيما اذا كان ذلك الترك للضروريات تقصده به طاعة الله تعالى وتكتسب به ملكة مراقبته فيكون الوازع نفسياً في الفعل والترك، وكفى بذلك عزة للنفس وطاعة للرب، فهذه غاية الصيام من حيث هو هداية روحية وعبادة دينية

وأعظم فوائده من حيث هو رياضة بدنية ازالة مرض تمدد المدة أو تخفيفه وهو مرض قلما يسلم منه أحد من المترفين وغيرهم من متنادي الامتلاء من الطعام والشراب، وإفناء الفضلات والمواد الراسبة التي هي سبب أمراض كثيرة ولا سيما تصلب الشرايين الذي يوهن القوى ويجعل الهرم، وأعظم فوائده الاجتماعية انه يساوي بين الملوك والسوقة وبين الاغنياء والفقراء، وبذكر الواجد الموسع، بحاجة العادم المعسر، ويلزم أفراد الامة النظام الدقيق في مواعيد أكلهم اذ يتناوله الملايين منهم في وقت واحد

هذا تعريف الصيام وغايته الشريفة وفوائده العظيمة مجملة موجزة، وليس هو عبارة عن تغيير مواعيت الاكل بحملها بالليل بدلا من النهار كما يزعم الجاهلون بحقيقته، الغافلون عن سره وروحه، وقد قال أحد حكماء العرب في كتاب ألقه في تربية الارادة ان أقوى ذائع تربية الارادة الصيام ولذلك شرع في جميع الاديان، وهذا موافق لما ذكرنا من نص القرآن، وقوة الارادة أعلى ما يتفاضل فيه الناس من صفات النفس وجميع الرجال العظم كآوا من أولي الارادات القوية والعزائم الثابتة، فمن كان قوي الارادة في أصل الفطرة زادته تربيته بالصيام وغيره كما لا فيها، وحملته على توجيهه (المنار: ج ٥) (٤٤) (المجلد الثاني والعشرون)

الى اقامة الحق والثبات على الفضائل، ومن خلق ضعيف الارادة، يضعف المزاج وسوء الوراثة، أصلحت هذه الثرية من فسادة حتى يفوق ويفضل من أفسد سوء تربيته ، ما كان صالحا من سلامة فطرته

ينال الصائم من فوائد الصيام بقدر ما يقصد مما يعقل منها ، وفاقا للقاعدة الشرعية المعقولة « الامور بمقاصدها » فلا يقال اننا نرى كثيرا من الصائمين ليس لهم حظ يذكر من تلك الفوائد، وفي الحديث الصحيح « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع »^(١) ومثل هذا كمثل الدواء الذي اتفق الاطباء على فائدته في معالجة بعض الامراض أو الوقاية منها بشروط يشترطونها اذا تناوله مالم تتحقق فيه تلك الشروط لجهله بها أو حرم فائدتها بسبب آخر أو استفاد منه ثم أفسد تلك الفائدة، كمن فسدت أعضاؤه فعالجها بدواء مطهر أزال الفساد ثم اتبعه بطعام غليظ قبل تمام الشفاء ، وهكذا شأن من يصوم عن الحلال من طعام وشراب مجارة للناس لا احتسابا لوجه الله وطلب مرضاته بهذيب نفسه ثم يأكل أموال الناس بالباطل أو ينال من أعراضهم أو يصيب غير ذلك من المحرمات ، وفي الحديث الصحيح في الكتب الستة « الصيام جنة » فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإذا شاعه أحد أو قاله فليقل اني صائم اني صائم » (والجنة بضم الجيم الوقاية)

ولهذا المعنى كانت النية شرطا في صحة الصيام وسائر العبادات وقال صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » رواه البخاري في فاتحة صحيحه. وليست النية المفروضة في العمل الا ملاحظة

الغرض المراد منه والباعث عليه، لا قصد نفس العمل بتصوره عند الشروع فيه كما قال الكثيرون، فان هذا أمر ضروري في كل عمل اختياري اذ لا يمكن الشروع فيه مع غفلة النفس عنه وعدم توجهها اليه. ولكن نص على طلبه في الصيام بوجه خاص لانه أمر سلبي وهو ترك الشهوات المألومة والترك هو الاصل فلا يتوقف على قصد الا اذا عارضت داعية الفل داعية الاستمرار الترك، وهذا انما يكون بعمل نفسي وهو ترجيح الترك وقصد الاستمرار عليه ولهذا احتيج في جعل الترك المخصوص - وهو الصيام - في الزمن المعين - وهو النهار - الى توجه خاص قبل الشروع ليكون عبادة مستغرقة لهذا الزمن وهو معنى حديث حفصة في السنن الاربع « من لم يُجمِع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » أي من لم يزم عليه في الليل لا يصح منه - فنية نفس الصيام هي الزم على كف النفس عن المقطرات مدة النهار وهي غير النية فيه التي تصاحب هذا الزم فهذه أخت الاحتساب وهو الاخلاص لله وإتقاء مرضاته ونوابه بالاتيان بالعبادة على الوجه الذي شرعها الله تعالى لاجله وهو في الصيام ما تقدم بيانه في فاتحة هذا الكلام، وفي الحديث المتفق عليه في الكتب الستة « من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية - ايماناً واحتساباً ونية. وقد يصوم الانسان رياء أو تطبيقاً أو تموداً لا تبيداً، والتبيد بالصيام لا ينافي قصد منافعه البدنية والاجتماعية من حيث ان الله هدانا اليها لانه شرع لنا العبادة لمنفعتنا لا لإغنائنا وإيماننا

فينبغي لكل مؤمن أن يلاحظ بصيامه باعث الايمان بالله والايمان لدينه الذي شرعه لخير المباد لان غي عنهم وعن صيامهم وسائر أعمالهم، وإن

بلا حظ طلب مرضاته وثوابه بطاعته ، وشكره على جعل تربته له وهدايته
لنفاعه في الدنيا سبباً لنيل نعيمه وكرامته في الآخرة ، وأن يتذكر عند
النالم من الجوع والمطش ان الله تعالى يريد أن يهذه ويقوى عزيمته باحتمال
الآلام التي تطاق اختياراً ، حتى يسهل عليه حمل مثلها وما هو أشد منها
إذا اضطر اليه اضطراراً ، وحتى يكون انساناً كاملاً لا تعبت به الشهوات
الجسدية ولا الاهواء النفسية . وان تبد الشهوة التي لا يستطيع مخالفتها يحني
على بدنه فينهك صحته ، ويحني على ماله فينقله ، ويحني على عرضه فينل شرفه ،
ويحني على وطنه فيضيع حقوقه ، ويحني على دينه فيخسر دنياه وآخرته
وهبني للصائم إذا كان ملكاً أو أميراً أو غنياً كبيراً أن يلاحظ في صومه
فوق ما ذكر ان الله تعالى يحب أن يهذب بهذا الصيام نفسه بأشعاره
المساواة بينه وبين الضعفاء والفقراء من المال والصناع لكي يتقي الكبرياء
والبخل والقسوة ، ويزداد علماً بقيمة ما أوتي من الجاه والحرمة ، وما
امتاز به من النعمة ، فيشكر الله تعالى على ذلك باحترام من دونه ، والافاضة
على الفقراء والمساكين من فضل ماله ، فيحببه الله ويحببه الى خلقه ، ويرضي
كل ذي حق بحقه ، وان لم يفعل هو ومثاله هذا يحق للفقراء عليهم ، وربما
يمدون أيدي الاذى اليهم ، بل ذلك واقع ومنذر بأعظم انقلاب اجتماعي
في الارض ، ولا يدرؤه الا الاهتداء بالاسلام ، ولا سيما إقامة ركني الزكاة
والصيام ، كما ينبغي للصائم الفقير والخامل الذي لا يؤبه له أن يعلم أن الله
قد ساوى في هذه العباداة وغيرها بين الملوك والامراء وكبار الاغنياء
تكريماً له بدينه ، كما أوجب عليهم أن يشاركوه بفضل أموالهم ، فيكرم نفسه
ولا يرضى لها بالذلة والمهانة .

ما أجمل الصائمين عند ما يتحلّقون حول موائد الطعام المرفوعة عند
اناس وصحافه الموضوعة على الارض عند آخرين وهم ينتظرون في كل
قطر وكل بلد تلك الدقيقة أو الثانية التي يسمعون فيها صوت المدفع أو كلة
المؤذن، والاحشاء خاوية، والشفاء ذابلة، واللحساء جافة، ولا أحد
يعد يده الى ما أمامه من كأس دهاق، وأنواع ذواق^(١)، حتى اذا ما طرق
المسامع ذلك الصوت المنتظر، امتدت الايدي الى ما أعد لها مثل الملح
بالبصر، وانطلقت في أثرها اللسانة بالثقل والدعاء: اللهم لك صمت، وعلى
رزقك أفطرت، ذهب الظأ وأبنت العروق وثبت الاجر ان شاء
الله تعالى^(٢)

وفي الحديث المتفق عليه «لصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة
عند لقاء ربه» وليست الفرحة عند الفطر باعطاء النفس الحيوانية حقها
وشهوتها المحللة لها فقط وان كان هذا حاصلًا ولا غشاضة فيه، بل الاصل
في هذه الفرحة ما يشعر به كل من أدّى عملاً شريفاً عند اكماله له ولا سيما
اذا كان شاقاً وانتقل منه الى ما يلذ وترتاح له النفس، وقد جعل الله تعالى لصيام
كل يوم لذة وجعل عاقبة صيام الشهر كله عيداً، كما جعل يوم اتمام أركان
الحج عيداً، لأن في كل من الصيام والحج مشقة بدنية مقرونة بلذة روحية
ياحسرة على الخاسر المحروم من هذه النعمة الروحية والرياضة البدنية
والرابطة الاسلامية، نعمس عبد الشهوة، نعمس ضعيف الارادة، الذي

(١) الدهاق (ككتاب) الملاهي والذواق (كسحاب) ما يذاق من طعام وشراب
وهما مصدران في الاصل والمراد بأنواع الذواق ما يضعه الموصرون على الموائد في
رمضان لأجل الافطار به من التمر والزبيب والمرني والجبن والزيتون ويعتبر فيه
الفلة (٢) كان النبي (ص) يقول هذا اذا أفطرت رواء ابو داود في سننه

يفطر في شهر رمضان ، ويقطع هذه الصلة بينه وبين ربه ، ويفصم عروة هذه الجامعة التي تربطه بأخوة الملايين من أهل دينه ، فإذا كان يفطر لانه يشق عليه ترك طعامه وشربه ودخانه مثلاً فاشبهه بالمجاورات ، من الأنعام والحشرات ، وليتأمل ما أجمع عليه علماء الترية في هذا العصر في نظام الكشافة من الولدان ، وكيف يروضون أبدانهم باحتمال التعب وركوب أنواع المشاق ، وإذا كان يترك الصيام لإرضاء للملاحدة والمرتين ، ويرضى أن يكون من مقلدتهم العميان المنكوسين ، الذين قال فيهم الشاعر
 عمي القلوب هموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

فهو شرمكاً وأضل سبيلاً ، وان غش نفسه أو غشه شياطينه باتعمال الانقلاب الخادعة الخاطئة الكاذبة والحرية والمدنية واستقلال الفكر وتحكيم العقل ، ولو جاسب نفسه بفكر مستقل وعقل سليم من الغرور وتليس الاهواء والشهوات لعلم انه مغرور يفتش نفسه ويخضعها بهذه الاسماء التي يستر بها نفسه وعبادتها لشهواتها

الافطار في رمضان بغير عذر معصية من الكبائر ، واستحلاله واستقباحه والانكار على شرعه للناس كفر بواح ، والمجاهرة به معصية أخرى من أكبر الكبائر ، لان ضرر الافطار وحده قاصر لا يتعدى المفطر ، وضرر المجاهر متعد ، فان المجاهرة استهانة بالشرع ، وهدم للشعيرة الدينية التي يشترك المسلمون فيها ويمتازون من غيرهم ، حتى كان المفطر ليس منهم ، وقدوة سيئة لضعفاء الايمان أقوياء الشهوات البهيمية تجرؤم على الفطر وعدم المبالاة بالدين ولا باحترام المسلمين ، فالمجاهر بهذه الجريمة من الذين يطمعون ما أمر الله به أن يوصل ويسعون في الارض فساداً بازالة

المقومات المعنوية والشخصات الاجتماعية التي تتناز بها أمتهم وتستقل دون غيرها، وبالنسوق من الآداب والفضائل الشخصية التي ترتقي بها نفوس افرادها ، وتحفظ حقوق جماعاتها

أي أمة تمشي عزيزة كريمة بنير آداب ولا فضائل؟ وكيف يمكن ان تبني الفضائل على غير قواعد الدين؟ واذا كان الدين أقوى روابط الاجتماع بين أكثر البشر ولا سيما الشعوب الاسلامية منها وكانت الامم العزيزة القوية تنفق الملايين من الجنيهات على دعاة دينها لاجل استمالة أهل الأديان الاخرى اليه - واذا كان بعض كبار استهزاء صرح بان أول خطوات الاستعمار مدارس المشرىن التي تبطل ثقة نابتة الامة الجديدة بدينها فتحدث الشقاق المعنوى بينها، فتضعف وحدتها بانقسامها وتفرقها - واذا كان كل خير واقف على سير الاجتماع فينا يعلم علم اليقين أن كل هذه المفاسد الدينية والادبية لم تنسب الى أفكار المتفريجين منا الا من الطامعين في تقطيع روابطنا المليية ، واضفاف مقوماتنا الاجتماعية - اذا كان ما ذكر كما ذكر لا مصرية فيه فهل يبقى عند العالم به رب بأن المهاجرين يهدم ركن من أقوى أركان دينهم والمحتقرين لشيرة من أعظم شعائره هم من أكبر الجناة على أمتهم والمفسدين المحققين لطمع الطامعين فيها؟ فكيف اذا كانوا مع ذلك هادمين لسائر الاركان ، ويتركون الصلاة والزكاة كما يتركون الصيام؟

تنهوا أيها الغافلون، وأيقظوا أيها النائمون، ولا تمشوا أقسما بانكم تستغنون عن الرابطة المليية ، بالرابطة الوطنية، وتستبدلون الآداب الفلسفية ، بالآداب الدينية ، على ان الدين لا يتمتع من الاتحاد الوطني على

المصالح والمنافع الوطنية، ولأمن اقتباس الحكمة والعلوم العقلية، ولا شيء من هذه المصالح و ملوم بمنع من عبادة الله تعالى وإقامه شعائره دينه، وترك ما حرمه من الفواحش والمنكرات. كالسكر والزنا والقمار، وهي الموبقات التي قلما يسلم من شرورها أحد من هؤلاء المتفرجين المدعين للفلسفة والوطنية، وهي الوباء القاتل للوطن، والمذهب للدين والشرف، أيها الغافل عن نفسه وعن أهله وقومه حاسب نفسك حساب القاضي الذكي العادل المتهم المحنن المخادع تظهر لك جناياتها عليك وعلى أهلِكَ وقومك بترك أركان الدين وفرائضه، ثم اجتهد في جعلها صالحة لمصلحة، وتدوة حسنة في الدار وفي مكان العمل وكل مكان. فإن غلبتْك شهواتك فاجتهد في كتمانها قبل أن تظهر بها بأن لا تظهر الفطر في رمضان لأحد، ولا تخدعتك وسوسة شياطين الانس أو الجن بتسمية بشدة الوقاحة قوة ارادة، فإن كنت مرئياً عن هذا الدين فقوة الارادة الحقيقية ان تصرح بهذه الردة وتلتزم ما يترتب عليها من أحكام الزواج والارث وغير ذلك. ان الامم الحية تعظم كل ما ينسب اليها حتى انها تبذل الارواح في الحرب تكريماً لعلها الممثل لها وما هو الا قطعة من نسيج لا قيمة لها نذكرها بالك أيها الغافل تحقّر أشرف ما تنتمي اليه وهو الدين بهتك حرمة رمضان في المطاعم، أو التدخين في الشوارع، لاشك انه سبب ذلك الغفلة والذهول، فتى تنهت، تبت وأثبتت والسلام على من اتبع الهدى، ورجع الحق على الهوى.

تاريخ فنون الحديث

٥

كتب الجرح والتعديل

الكتب المؤلفة في الجرح والتعديل ذات مسالك مختلفة فمنها خاص بالنقات أو الضعفاء أو المدلسين ، ومنها جامع لكل أولئك . ثم منها ما لا يتقيد برجال كتاب معين أو كتب مخصوصة ومنها ما يتقيد بذلك ونحن ذاكرون من كل نوع كتبه المشهورة بتوفيق الله وإرشاده

١ الكتب الجامعة بين النقات والضعفاء — من الكتب المشتعلة على النقات والضعفاء جميعاً سبقات محمد بن سعد الزهري البصري «١» وهو من أعظم ما صنّف يقع في خمسة عشر مجلداً جمع فيه الصحابة والتابعين فمن بعدهم وقد اختصره السيوطي في كتابه انجاز الوعد المنتقى من سابقات ابن سعد ، وكذلك طبقات خليفة ابن خياط «٢» ومسلم بن الحجاج «٣» وتاريخ ابن أبي خيثمة «٤» وهو كثير التوائد ، وتواريخ البخاري «٥» وهي ثلاثة كبير وهو على حروف المدحج وابتداءً بمن اسمه محمد وأوسط وهو على السنين وصغير ، ولمسة بن قاسم ذيل على الكبير وهو في مجلد ولابن أبي حاتم «٦» جزء كبير انتقد فيه على البخاري وله الجرح والتعديل مشى فيه خلف البخاري ولأحسين بن إدريس الأنصاري الهروي «٧» — ويعرف بابن خرم — تاريخ على نحو التاريخ الكبير للبخاري ، ولعلي بن المدني «٨» تاريخ في عشرة أجزاء حديثة ولابن حبان «٩» كتاب في أوهام أصحاب التواريخ في عشرة أجزاء أيضاً ولأبي محمد بن عبد الله بن علي بن الجارود كتاب في الجرح والتعديل ، ولمسلم رواة الاعتبار ، وللنسائي التمييز ، ولأبي يعلى الخليلي «١٠» الارشاد ، وللمهات بن كثير (التكميل في معرفة النقات والضعفاء والمجاهيل) جمع فيه بين تهذيب المازي وميزان الذهب مع زيادات وتحرير في المبارات وهو أنفع شيء للمحدث والمفقيه

١ نور: ٢٣٠ ٢ ٢٤٠ ٣ ٢٦١ ٤ ٢٧٩ ٥ ٢٥١ ٦ ٣٢٧ ٧ ٣٠١
٨ ١٣٤ ٩ ٣٥٤ ١٠ ٤٤٦
(المنار: ٥) (٤٥) (المجلد الثاني والمثرون)

التالي لأثره، ومنها تاريخ الذهبي والتذكرة في أسماء الثقات والضعفاء لاسماعيل ابن عمر المروفي وابن كثير الدمشقي (١) ولبقات المحدثين لعمر بن علي بن الملقن (٢) ذكر فيها المحدثين الى زمنه والكمال في معرفة الرجال له

٢ كتب الثقات — منها كتاب الثقات للمعالي (٣) وكتاب الثقات لخليل ابن شاهين والثقات لابن حاتم بن حبان البستي وكتاب الثقات الذين لم تذكر أسماؤهم في الكتب الستة زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٤) وهو كبير في أربع مجلدات ومن هذا النوع الكتب المبينة للبقات الحفاظ وقد ألف فيها جمع فنهم

الذهبي وابن الدباغ (٥) وابن المفضل وابن حجر العسقلاني والسيوطي — ذيل على تأليف الذهبي — وتقي الدين بن فهد وذيل مؤلفه محمد بن محمد الهاشمي (٦)

٣ كتب الضعفاء — منها كتاب الضعفاء للبخاري والضعفاء والمتروكين للنسائي ولابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٧) وكتابه كبير وقد اختصره

الذهبي ثم ذيله كما ذيله علاء الدين منططاي (٨) والضعفاء لمحمد بن عمرو العقيلي (٩) وكتابه مفيد، وللإمام حسن بن محمد الصنعاني ولمحمد بن حبان البستي

وكتابه كبير، ولابي أحمد بن عدي كتاب الكامل وهو أكل الكتب في ذلك وأجلها وعليه اعتماد الأئمة وله ذيل يقال له الحافل لابن العباس أحمد بن محمد

الاشيلي المروفي وابن الرومية (١٠) والضعفاء للدارقطني وللحاكم وملاء الدين الماردني (١١) وميزان الاعتدال للمحافظ الذهبي وهو أجمع ما جمع — طبع في الهند

ثم بمصر — وقد ذيل عليه المحافظ زين الدين العراقي في مجلدين وقد التقط منه المحافظ ابن حجر من ليس في تهذيب الكمال وضم اليه ما فات في الرواة وتراجم مستقلة

في كتابه المسمى لسان الميزان وله كتابان آخران وهما تقويم اللسان وتحرير الميزان ويوجد عدا ذلك كتب كثيرة

٤ كتب المدلسين — أول من أفرد المدلسين (١٢) بالتصنيف الامام حسين ابن علي الكرايسي (١٣) صاحب الشافعي ثم صنف فيه النسائي ثم الدارقطني ونظم

الذهبي في ذلك ارجوزة وتبعه تلميذه احمد بن ابراهيم المقدسي فزاد عليه من

(١) توفي سنة ٧٧٤ (٢) ٨٠٤ (٣) ٧٦١ (٤) ٨٧٩ (٥) ٥٤٦ (٦) ٨٩٠

(٧) ٥٩٧ (٨) ٧٦٢ (٩) ٣٢٢ (١٠) ٦٣٧ (١١) ٧٥٠

١٢ المدلس من لا يذكر اسم شيخه بن عدي عن فوه: فقط يوم اسماهم من ولا يكون كذا في كتبنا
كقول من فلا ولا فلا — والحديث المدلس (يتم الام) من أنتم النطق ٧٤٥٤١٣٥

جامع التحصيل للملائي شيئاً كثيراً مما فاته ثم ذين الحافظين الدين المراقي (١) في هواش كتاب الملائي أسماء وقت له زائدة ثم سمها ولده ولي الدين الى من ذكره الملائي وجعله تصنيفاً مستقلاً وزاد فيه من تتبعه شيئاً يسيراً وصنف ابراهيم ابن محمد الحلبي (٢) كتابه التبيين في أسماء المدلسين زاد فيه عليهم قليلاً وجميع ما في كتاب الملائي ثمان وستون نفساً زاد عليهم ابن المراقي ثلاث عشرة نفساً وزاد عليه الحلبي اثنتي عشرة نفساً وابن حجر المسقلاني تسعاً وثلاثين نفساً لجملة ما فيه اثنتان وخمسون نفساً ومائة ولسيوطي رسالة في أسماء المدلسين

٥ المصنفات في رجال كتب مخصوصة — منها رجال البخاري لاحمد بن محمد الكلابةذي (٣) ورجاله أيضاً لمحمد بن داود الكردي (٤) ورجال مسلم لاحمد ابن علي المعروف بابن منجويه (٥) ورجاله أيضاً لاحمد بن علي الاصباهي (٦) ومن جمع بين رجالهما محمد بن طاهر المقدسي (٧) جمع بين كتابي ابن منجويه والكلابةذي وأحسن في ترتيبه على الحروف واستدرك عليهما وكذلك جمع بينهما هبة الله المعروف باللالكاني (٨) ومن افرد رجال السنن لابي داود حسين بن محمد الجبائي (٩) وجمع رجال الموطأ السيوطي ورجال المشكاة لصاحبها محمد بن عبد الله الخطيب ورجال الاربعة — موطأ مالك ومسنند الشافعي ومسنند أحمد ومسنند أبي حنيفة — لابن حجر المسقلاني ورجال السنن الاربع — سنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه — لاحمد بن أحمد الكردي (١٠) ومن جمع رجال الكتب الستة أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (١١) في كتابه الكمال في معرفة الرجال وتهذيبه لجمال الدين يوسف بن الزكي المزني (١٢) وهو كتاب كبير يقع في ثلاثة عشر مجلداً لم يؤلف مثله واکمال التهذيب لعمربن علي بن الملقن (١٣) وزوائد الرجال على تهذيب الكمال لسيوطي . ولتهذيب مختصرات كثيرة منها الكاشف للحافظ الذهبي قال فيه : هذا مختصر في رجال الكتب الستة الصحيحين والسنن الاربع مقتضب من تهذيب الكمال للمزني اقتصر فيه على ذكر من له رواية في الكتب الستة دون من عدلهم بما في كتاب المزني ومنها تهذيب التهذيب لابن حجر وهو أكمل من كاشف الذهبي وقد

(١) توفي سنة ٨٠٦ (٢) ٨٤١ (٣) ٣٩٨ (٤) ٩٢٥ (٥) ٤٧٨ (٦) ٤٧٨ (٧) ٤١٨ (٨) ٤١٨ (٩) ٤٩٨ (١٠) ٧٦٣ (١١) ٦٠٠ (١٢) ٧٤٢ (١٣) ٨٠٤

أضاف اليه ابن حجر بعض التراجم التي عثر عليها كما اختصره في كتابه تقريب التهذيب. وقد جمع الحافظ أبو المحاسن الدمشقي (١) في كتابه التذكرة رجال المشرة

وفيات المحدثين

«ج»

كثير من الكتب الجامعة لرجال الحديث ينرض في الاكثر لذكر الوفيات وقد أفرد الوفيات بالتأليف جمع من العلماء فقد ابتدأ أبو سليمان محمد بن عبد الله الحافظ بجمع وفيات النقلة من وقت الهجرة فوصل الى سنة ٣٣٨ ثم ذيل على كتابه أبو محمد بن عبد العزيز الكتاني الحافظ (٢) ثم ذيل على الكتاني هبة الله بن أحمد الاكفاني ذيلاً صغيراً ١٠٠٠ مل على نحو عشرين سنة وصل فيه الى سنة ٤٨٥ ثم ذيل على الاكفاني علي بن مفضل المقدسي (٣) الى سنة ٥٨١ ثم ذيل على ابن المفضل عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٤) ذيلاً كبيراً في ثلاث مجلدات سماه التكملة لوفيات النقلة ثم ذيل على المنذري تلميذه عز الدين أحمد بن محمد الى سنة ٦٧٤ وذيل على عز الدين أحمد بن ايوب الدماطي الى سنة ٧٤٩ وذيل على ابن ايوب الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٥) والكل مرتب على حسب وفياتهم في السنين والشهور لاعلى ترتيب حروف الهجاء ومن الكتب المتفردة بوفيات النقلة تاريخ البرذالي القاسم بن محمد الدمشقي (٦) وقد ذيل عليه تقي الدين بن رافع من سنة ٧٣٧ الى سنة ٧٧٤ وذيل ذيل تقي الدين بن حجر. ومنها وفيات الشيوخ لمبارك بن أحمد الانصاري. ولا إبراهيم بن اسماعيل المعروف بالحبال (٧) كتاب الوفيات

معرفة الاسماء والكنى والالقب

«د»

من رواة الحديث من يكون مشهوراً باسمه دون كنيته أو لقبه أو مشهوراً بكنيته أو لقبه دون اسمه وقد ألف العلماء في بيان أسماء ذوي الكنى وبيان كنى المشهورين بالاسماء وكذلك ألفوا في بيان ألقاب ذوي الاسماء كما ألفوا في نحو ذلك حتى لا يشتبه راو بأخر ولا يظن لقب شخص أو كنيته اسماً لئلا فيمد الثقة ضعيفاً أو الصادق كاذباً أو يمسك الاسم

فمن ألف في النوع الاول علي بن المديني والسائي والحاكم وابن عبد البر وكثيرون غيرهم وللحافظ الذهبي كتاب المقتنى في سرد الكنى وهو من أجل الكتب المؤلفة في هذا النوع

ومن كتب في بيان كنى المعروفين بالاسماء ابو حاتم بن حبان البستي ومن صنف في الالقاب ابو بكر الشيرازي (١) وابو الفضل القلي في كتابه منتهى الكمال وابن الجوزي (٢) وابن حجر السقلائي

المؤلف والمختلف والمتفق والمفترق والمشتبه من الاسماء والانساب

من الاسماء والانساب ما يأتلف في الخط صورته ويختلف في اللفظ صيفته كلام بتخفيف اللام وسلام بتشديدها ويسمى المؤلف والمختلف ومنها ما يتفق خطه ولفظه ولكن يفترق شخصه كالخليل بن احمد اسم لعدة أشخاص ويسمى المتفق والمفترق ومنها ما تتفق فيه الاسماء خطأ ولفظاً وتختلف الآباء أو النسب لفظاً مع ائتنافها خطأ أو بالعكس كحمد بن عقيل بكسر القاف ومحمد بن عقيل بفتحها وشرح بن النعمان وشرح بن النعمان الاول بالشين المعجمة والحاء المهمة والثاني بالسین المهمة والجيم ويسمى هذا النوع بالمشتبه

ومعرفة هذه الأنواع مهمة . قال علي بن المديني أشد التصحيف ما يقع في الاسماء ووجهه بعضهم بانه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا يبدءه ، ولانه يخشى ان يظن الشخصان شخصاً واحداً اذا اتفقت الاسماء وفي ذلك ما فيه من الخلط بين الرواة

ولقد ألف المحدثون في كل هذه الأنواع فصنف في النوع الاول ابو احمد العسكري لكنه أضافه الى كتاب التصحيف له ثم أفرد بالتأليف عبد الغني بن سعيد (٣) فجعل فيه كتابين كتابا في مشبه الاسماء وكتابا في مشبه النسبة وجمع شيخه الحافظ الدارقطني (٤) كتابا حافظا لهما جمع احمد بن علي الخطيب (٥) ذيل اسماء المؤلف تكملة المختلف ثم جمع الجميع ابو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا (٦) وجمعه كتابا حافظا لهما الاكمال واستدرك عليهم ما فاتهم في كتاب آخر جمع فيه أوهامهم وبينها وكتابه من أجمل ما جمع في ذلك وهو عمدة كل محدث بعده وقد استدرك عليه محمد بن عبد الغني المعروف

بأين نقطة الجنيلي (١) ما فاته أو تمجدد بمده في مجلد ضخم ثم ذيل عليه منصور ابن سليم (٢) في مجلد لطيف وأبو محمد بن علي الدمققي (٣) وذيل على ذيلهما علاء الدين بن مغلطاي (٤) لكن أكثره في أمماء الشراء وأنساب العرب وقد جهم الذهبي في ذلك كتاباً مختصراً جداً اعتمد فيه على الضبط بالقلم فكثرت فيه الغلط والتصحييف المبين لموضوع الكتاب وقد وضحه الحافظ ابن حجر في كتابه تبصير المنقب بتحرير المتن وهو مجلد واحد ضبطه بالحروف وزاد عليه شيئاً كثيراً بما أهمله الذهبي أو لم يقف عليه وقد ألف فيه أيضاً يحيى بن علي المصري المؤرخ (٥) ومحمد بن أحمد الأيوبي (٦) وعبد الرزاق المروفي بأين القوطي (٧) في كتابه تلخيص الافهام في المختلف والمؤتلف وعلي بن عثمان المارديني (٨)

ومن ألف في النوع الثاني أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب في كتابه المتفق والمفترق وكذلك ألف الخطيب في النوع الثالث في كتابه تلخيص المتقاربة ثم ذيل عليه هو أيضاً بما فاته وكتابه كثير الفائدة

علم ناسخ الحديث ومنسوخه

إذا سلم الحديث المقبول من المعارضة سمي محكماً وإن عورض بمثله وأمكن الجمع بين المتعارضين بلا تصف فذلك مختلف الحديث وإن لم يمكن الجمع وثبت تأخر أحدهما فالتأخر يقال له الناسخ والمتقدم يطلق عليه المنسوخ وقد ألف في ناسخ الحديث ومنسوخه جمع كثير منهم أحمد بن إسحاق الديلماري (٩) ومحمد بن يحرر الأصبهاني (١٠) وأحمد بن محمد النحاس (١١) وأبو محمد قاسم بن أصبغ (١٢) ومحمد بن عثمان المروفي بالجملد الشيباني وربة الله بن سلامة (١٣) ومحمد بن موسى الجازمي (١٤) في كتابه الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه وأبو حفص عمر بن شاهين (١٥) وقد اختصر كتابه إبراهيم بن علي المروفي بأين عبد الحق (١٦) في مجلد وللامام عبد الكريم بن هوزان القفيري كتاب في ذلك أيضاً

- (١) توفي سنة ٦٢٩ (٢) ٦٧٣ (٣) ٦٨٠ (٤) ٧٦٣ (٥) ٤١٦ (٦) ٥٠٧
(٧) ٧٧٣ (٨) ٧٥٠ (٩) ٣١٨ (١٠) ٣٢٢ (١١) ٣٣٨ (١٢) ٣٤٠ (١٣) ٤١٠
(١٤) ٦٤٤ (١٥) ٣٨٥ (١٦) ٧٤٤

علم تلقيق الحديث

هو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الاحاديث المتناقضة ظاهراً اما بتخصيص العام تارة أو بتقييد المطلق أخرى أو بالحل على تعدد الحادثة الى غير ذلك من وجوه التأويل ويطلق عليه مختلف الحديث وعن ألف فيه الامام محمد بن ادريس الشافعي (١) ولكنه لم يقصد استيعابه وعنده الله بن مسلم المعروف بابن ليثبة «٢» وأبو يحيى ذكرى بن يحيى الساجي «٣» والنسحاوي «٤» ولا بن الفرج بن الجوزي «٥» التحقيق في احاديث الخلاف وقد اختصره ابراهيم بن علي بن عبد الحق.

علم الحديث

معرفة علم الحديث من أجل علوم الحديث وادقها واشرفها ولا يقف عليها الا من رزقه الله فهما ثابته وحفظاً واسماً ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالاسانيد والمتون ولهذا لم يتكلم فيه الا القليل من أهل هذا الشأن، وعلم الحديث عبارة عن أسباب خفية غامضة قاذبة فيه من وصل منقطع أو رفع موقوف أو ادخال حديث في حديث أو نحو ذلك وكل هذا مما يندرج في صحة الحديث

وعن كتب في هذا النوع ابن المديني «٦» وابن أبي حاتم «٧» وكتابه قيم والخلال «٨» والامام مسلم «٩» وعلي بن عمر الدارقطني «١٠» ومحمد بن عبد الله الحارثي «١١» وأبو علي حسن بن محمد الزاجي وألف فيه أيضاً ابن الجوزي

علم مصطلح الحديث

أول من ألف في علوم الحديث أو مصطلحاته في غالب الظن القاضي ابو محمد الزاهر مزي (١٢) في كتابه المحدث الناسل بين الراوي والسامع وقد وجدت قبله مصنقات لكن في بعض فنون الحديث فقط وكتابه أحسن ما جمع في زمانه

«١» توفي سنة ٢٠٤ «٢» ٢٦٣ «٣» ٣٠٧ «٤» ٣٢١ «٥» ٥٩٢
«٦» ٢٣٤ «٧» ٣٢٧ «٨» ٣١١ «٩» ٢٦١ «١٠» ٣٧٥ «١١» ٤٠٥
٣٦٠ «١٢»

وان لم يستوعب، ثم توسع العلماء في هذا الفن وأول من تصدى لذلك الحالم محمد بن عبد الله التيسابوري وقد اشتمل كتابه على خمسين نوعا ولكنه لم يرتب ولم يهذب وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجا وأبقى أشياءه للتعقب ثم جاء أحمد بن علي المعروف بالخطيب (١) فصنف في قوانين الرواية كتابا سماه الكفاية وفي آدابها كتابا سماه الجامع لآداب الشيخ والسامع وقل من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتابا فكان كما قال ابن نقطة كل من أنصف علم ان المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه ثم جاء بعد الخطيب من أخذ من هذا العلم بنصيب فجعل القاضي عياض (٢) كتابا لطيفا سماه الالماع وأبو حفص الميمني جزءه سماه ما لا يعم المحدث جهله ثم ألف الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (٣) كتابه الشهير المطبوع ذكر فيه خمسة وستين نوعا وقد اعتنى به العلماء عناية عظيمة بين معارض له أو منتصر أو ناظم له أو مختصر أو شارح له أو مستدرك عليه ومن المختصرين له محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٤) في كتابه الارشاد ثم اختصر مختصره في كتابه التقريب والتيسير وقد شرح السيوطي التقريب بكتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي وهو من أجل الشروح. وقد عمل الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المراقي (٥) الفية لخص فيها علوم ابن الصلاح وزاد عليها أولها

يقول راجعي ربه المعتذر عبد الرحيم بن الحسين الانري

وقد أنما سنة ٧٦٨ وحمل عليها شرعا سماه فتح المغيب أنما سنة ٧٧١ وقد عمل برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٦) حاشية عليه سماها النكت الوفية بما في شرح الالفية أورد فيها ما استفاده من شيخه ابن حجر وقد بلغ الى نصفه وشرح الالفية كثيرون ولعل أحسن الشارحين محمد بن عبد الرحمن البخاوي (٧) وقد نظم السيوطي الفية جمعت كثيرا من الفوائد أولها
 لله حمدي واليه استند وما ينوب فعله أعتد
 نعم على نبيه محمد خير صلاة وسلام سرمد

توفي سنة ١٢٦٣ هـ ٢٠٤٤ م ١٢٦٣ هـ ١٨٤٥ م

١٢٦٣ هـ ١٨٤٥ م ١٢٦٣ هـ ١٨٤٥ م

وهذه الفية تحكي الدور منظومة ضمنها علم الاثر
فائقة الفية المراقي في الجمع والابحار واتساق
ومن المتون الجامعة للمتعة نخبة الفكر في مصطلح أهل الاثر لشهاب
الدين احمد بن علي بن حجر المصقلاني وقد شرحها بكتابه زهرة النظر في توضيح
نخبة الفكر وهو شرح وجيز جليل، وقد شرحها كثيرون كما نظمها أحمد بن
صدقة «١» ومحمد بن اسحاق المقدسي «٢» وقد ألف كثيرون في علوم الحديث
كمحمد بن المنفلوطي «٣» وابن الملقن «٤» وابن الحريري «٥» ولكن ما ذكرنا
مستقى كل من كتب وفيه الفية عن غيره

ولا يفوتنا قبل ختم هذا الفصل كتاب توجيه النظر في أصول الاثر
لمعاصرنا الشيخ طاهر الجزائري فانه كتاب جمع تحقيقات لطيفة ومساائل دقيقة
ووفى المصطلح من الابانة حقّه وان كان جما بما سبقه وقد كان من أم الكتب
التي عولنا على الرجوع اليها في كتابة هذه الرسالة

تخرج أحاديث مؤلفات مخصوصة

له در علماء الحديث سموا في توفير الراحة للطلاب العلم فسهلوا لهم
عبيره وكشفوا لهم عن غوامضه وكفهم المصنوع ومؤنة البحث والتنقيب
علموا انك ستتناول كتابا من كتب التفسير الشهيرة أو من كتب الفقه السائرة
أو ما نحا نحو ذلك وان سيمر بك أحاديث مختلفة لم يذكر لها سند ولم تنسب
لاصل من أصول السنة وأنت ستقف عند ذلك تتطلب درجة الحديث لتعرف
قيمة الاستدلال به وإيصاله الى النرض الذي سبق له وانهم ان وكلوك الى
نفسك كلفوك شاقا وأوردوك صعبا وربما لم يكن لك في فنون الحديث باع
فأمسكوا بالكتاب وجموا ما فيه من الاحاديث وعزوها الى رواتها وبينوا
درجاتها فاعليك سوى نظرة تحظى فيها بالبنية والتي ذاكر لك من ذلك ما
وصل الى علمي

١ تخرج أحاديث الكشف - في التفسير - لجمال الدين محمد عبد الله
الحسني (٦) في مجلد

«١» توفي سنة ٩٠٥ (٢) حوالي ٩٠٠ (٣) ٧٠٢ (٤) ٨٠٤ (٥) ٨٣٣

٧٦٢ (٦)

(المجلد الثاني، الثالث، والـ ٥)

(٤٦)

(المار: ٥)

٢ التفتح الساموي بتخريج أحاديث البيضاوي - في التفسير - للشيخ عبد
الروف المناوي «١»

٣ الطرق والوسائل الى معرفة خلاصة الدلائل شرح مختصر القدوري - في
فقه الحنفية - لاحد بن عثمان التركاني «٢»

٤ تخريج أحاديث الهداية - كتاب شهر في فقه الحنفية - لعمد بن عبد
الله «٣» وكذلك لعمد الله بن يوسف الزيلعي «٤» وقد طبع بالهند

٥ تخريج أحاديث الشرح الكبير للوجيز - في فقه الشافعية - لسراج الدين
عمر بن علي الانصاري «٥» ويقع في سبع مجلدات وقد طبعه ابن حجر العسقلاني
في ثلث حجوم مع زيادات عليه

«٦» تخريج أحاديث المنهاج - في فقه الشافعية - لسراج الدين عمر بن علي
المعروف بابن الملقن

٧ كتاب المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من
الاخبار - أي كتاب احياء علوم الدين - لعمد الرحيم بن الحسين العراقي «٦» وقد
طبعه الحلبي في مصر بهامش الاحياء فأحسن صنفاً

٨ ادراك الحقيقة في تخريج أحاديث الطريقة - في الموعظة - لعلي بن حسن
ابن صدقة المصري ثم البجائي فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٠

الختام

سنعتقد في هذه الخاتمة فصولاً يمجدر بمشاق الحديث معرفتها وبهمهم
الوقوف عليها فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

متى يحتاج بالحديث

قد رأيت أكرمك الله أن آتي بكلمة موجزة تكون لديك بمثابة ميزان
تعرف به أن كان الحديث مقبولاً فيسوغ لك الاحتجاج به أو مردوداً فترفض
الاعتقاد والعمل به فأقول ينقسم الحديث الى مقبول ومردود، فالمقبول ما رواه
عدل ضابط لما يرويه بسند متصل مع خلوه من الشذوذ والاعلال. والشذوذ
غائبة الثقة من هو أرجع منه والاعلال وجود أمر خفي يقدح في صحة

«١» توفي بعد ٩٠٠ «٢» ٧٤٤ «٣» ٧٧٥ «٤» ٧٦٢ «٥» ٧٠٤

الحديث كوصل منقطع أو رفع موقوف، ثم المقبول ان سلم من المعارضة يسمى محكماً وان عورض بمثل فان أمكن الجمع بغير تمسك فهو مختلف الحديث وان لم يمكن الجمع وثبت تأخر أحدهما عرف المتأخر بالناسخ والآخر بالمسوخ وان لم يثبت فان أمكن الترجيح بين الحديثين صير اليه والا توقفتا عن العمل بهما والحديث المردود ما وجد فيه أحداهما من الاول عدم الاتصال في السند والثاني وجود أمر في الراوي يوجب طعناً فيه . ودرجات الطعن في الراوي عشرة الكذب والتهمة به وغش النلط والغفلة عن الالتقان والوهم - بأن يروى على سبيل التوهم - وغائلة الثقات والفسق وجهالة الراوي والبدعة وسوء الحفظ . ولعلماء تفصيل في هذه الدرجات فالمحققون يقبلون رواية المبتدع في غير ما يؤيد بدعته وقال بعضهم ما لم يكن داعية ، ولهم في العمل بالحديث الضعيف الذي لم يشتد ضعفه أقوال وشروط يجيزونه بها أو يقدمونه على القياس كما يمل من كتب أصول الحديث وأصول الفقه

كيف تأخذ السنة الآن ؟

كانت السنة في القرون الاولى تؤخذ من أفواه الشيوخ وفلما كان الرواة ينثقون بالخطوط وكان اتصال سند الراوي بالرسول (ص) مع عدالة المروي عنهم وكمال ضبطهم أمراً لا يحصى عنه حتى يجوز الحديث درجة الصحة فقلان صنف كتب الصحاح المشهورة وذاعت في الاقطار المختلفة قامت شهرتها مقام تواترها فلم يبق حاجة لاتصال السند منا الى مصنفها في كل حديث دون فيها وأصبح الاعتماد على الكتاب فوق الاعتماد على الشيوخ ، قال أبو عمرو بن الصلاح (١) : اعلم أن الرواية بالاسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الاعصار قبله اثبات ما يروى اذ لا يخلو اسناد منها عن شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط ما في كتابه ضبطاً يصلح لان يعتمد عليه وانما المقصود بها بقاء سلسلة الاسناد التي خصت بها هذه الامة ، أقول وهذا هو الفرض بعينه في عصرنا والمصور السالفة قبله في محافظة الشيوخ على سلسلة السند الى مصنف الكتب الشهيرة كالبخاري ومسلم انما الواجب على أمثالنا أن يقتنبوا من أمور ثلاثة كون الكتاب الذي يروون الحديث عنده صحت نسبته الى مؤلفه أو تواترت والبحث في سند

الحديث الذي روي به في ذلك الكتاب وخلوه من الغلط والتحريف والدخيل وسبيل معرفة الثالث ان تقابل نسخة من الكتاب الذي يراد الاخذ عنه بنسخ أخرى منه مختلفة في الرواية - ان كان ثم اختلاف فيها - أو بنسخ متعددة منه - ان لم يكن اختلاف في الرواية - فاذ ذاك يطش القلب الى تلك النسخة وتبين له درجة صحتها وخلوها من السيوب فيقوم ذلك مقام تعدد الرواة

وعلى ذلك ينبغي لمن رام طبع كتاب من كتب السنة أن يقابل الاصل الذي لديه بأصول متعددة حتى تسكن لصحتها نفوس القارئین ويكتفيهم بذلك مؤونة المتابعة ان كان من المدول الثقات

وان مما يؤسف له ان كثيراً من كتب الحديث التي طبعت لم تعط من العناية في التصحيح ما ينبغي لمن جليل كالحديث ولم تضبط بالشكل الذي هو أيسر الامور واقل ما يراعى في سنة الرسول فمضى أن يقتبه لذلك الطامعون بعد ويولوا هذا الفن من عنايتهم ما يلائم كبير مقامه وعظيم شأنه

الاستنباط من السنة وأثره فيها

لم تكد المائة الثالثة تؤذن شمسها بالغروب حتى أخذ مصباح الاجتهاد ينكمش ضوءه ويتضاءل فيه بل كاد ينمحي أثره . فبعد ان كانت عقول النابيين مطلقة السراح في رياض القرآن والسنة تستنبط منها الاحكام وتفصل بها في الحوادث وتحكمها في الامور الجلى أصبح الناس منصرفين عنها لاهين أبواقيل الفقهاء ينتصر كل لآمامه ويسمى في تأييد مذهبه وان خالف صريح السنة فاقسم الناس في التفرع شيعاً واحزاباً وقامت معركة الجدل والمناظرة بينهم واستمرت عدة قرون وكانت عاقبتها ان اعتصم كل بما عنده واطمأنت نفسه اليه . وعول في العمل عليه ، ورفض أن ينظر في أقوال خصمه الا ليدحضها أو يضع من شأنها فتناسى الناس بذلك المحيط الشاسع والقاموس الواسع الذي من مائه نمت عيون فقههم ومن هباته كوت مذاهبهم اعنى بذلك الكتاب والسنة لقد كان الاستنباط من السنة أكبر عامل على احيائها وخير مشجع على خوض غمارها فانكب الناس عليها دارسين وآخذين وناقدين ومؤلفين ولم يتركوا

ناحية منها لا يتبينوها ولا شبهة الا دحضوها ولا فرية الا قتلوها
فلما ركنوا الى التقليد وتركوا الاجتهاد جانباً شغلهم كتب القروع عن
السنة وشغفوا بدراستهم لها عن ورودها ورأوا - خطأ أو صواباً - ان فيها
بغيتهم، وان السنة فرغت منها حاجتهم . ومالهم وللسنة وقد أوصدت في وجوههم
أبواب الاخذ منها وحظر عليهم ان يقولوا سوى ما قاله الاصحاب فالهم ينصبون
ولا يمنون، ويكدون ولا يستفيدون

نعم كان من الناس من يطلبها لما فيها من أخلاق ومواعظ وآداب ورقائق
أو تبركاً بحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه

على ان ذلك لم يمنع من وجود اعلام تاهين في العصور المختلفة درسوا
السنة حق دراستها وعرفوها حق معرفتها وأطلقوا لانفسهم حرية الاخذ عنها
كأبي عمر بن عبد البر وابن حزم الاندلسي وابن تيمية الحارثي وتلميذه ابن القيم وابن
حجر العسقلاني وأبي بكر السيوطي والشوكاني وكثير غيرهم فهؤلاء وأمثالهم ممن
تقدم ذكرهم تحت عنوان الجرح والتعديل - قاموا للسنة بخدمات جليلة وزادوا
الناس التفاتاً اليها وشغفاً بها فلمهم منا جزيل الثناء ووافر الشكر

حال السنة في عصرنا الحاضر

كان خليقاً بالازهر وفروعه - وهو كعبة العلوم الدينية - ان تكون للسنة
فيه عناية كبيرة ومقام عال يبرز علوم الدين ولكن للأسف بخس الحديث في هذا
المعهد الكبير حقّه - بعد ان انتهت اليه الرياسة فيه على عهد الحفاظ ابن حجر وتلاميذه
فلأوليه الازهر يوم من نشاطهم وطويل وقتهم ما أولوا الفقه وأصوله وعلوم
المرية فلأزهرهم يدرسون سوى صحيح البخاري وصحيح مسلم على قلة قراءتهم
لثاني واقتصر الكثيرين على مختصر الاول مع حجرهم على الأفكار ان تفهم الا
ما فهمه الشيوخ وسلوكهم في تفسير الاحاديث مهلك تأييد المذاهب وتنزيل المعاني
عليها كأنما القروع أصل من أصول السنة أو المنبع الاول للتشريع الاسلامي
ثم ان دراساتهم لهذه الصنوين لا تعدو المتن الى السند فلا يبحثون
فيه ولا يتعرفون رجاله ولا يتبينون ان كان متصلاً أم منقطعاً مع انهم يدرسون
قبل ذلك مسلح الحديث فا الفائدة فيه اذا لم يلبقوه في دراسة المتن
والاسانيد - ربما قالوا ذلك من باب العلم بالشيء ولا الجهل به، وربما قيل لهم

أهذا هو علم السنة المطلوب شرعاً
ولقد أخذ بعض الاساتذة الاجلاء يدرس الكتب الستة في العجلة العينية
وبدأ منها بكتاب الموطأ ونرجو ان يوفق لاتمامها وأن يتفخ ذلك في روع
الازهرين حب التفوق في الحديث والعناية بكتبه
وقد وجد بين الازهرين في هذه الايام أفراد عنوان دراسة السنة دراسة كاملة
وأطلقوا لانفسهم حرية البحث والفهم وراضوا أنفسهم في كتب السنة المختلفة
وانهم لبشير خير بتبدل الاحوال واحلال العناية بالحديث محل الاهمال
ولما كانت مجلة المنار سلفية المنهج وكانت عنايتها موجهة الى محاربة البدع
والرجوع بالدين الى ما درج عليه الرعيل الاول من السلف، وكان ذلك داعياً للعناية
بالسنة والبحث فيها وفي فنونها والاستدلال بها في الفتاوى وغيرها، كان لها أثر
صالح في نشر السنة وتكثير سواد الطالبين لها في الاقطار الاسلامية المختلفة
ولا يوجد في الشعوب الاسلامية - على كثرتها واختلاف أجناسها - من
وفي الحديث قسط من العناية في هذا المصير مثل اخواننا مسلمي الهند أولئك الذين
وجد بينهم حفاظاً للسنة ودارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث
حرية في الفهم ونظر في الاسانيد كما طبعوا كثيراً من كتبها النفيسة التي كادت
تذهب بها يد الاهمال، وتقضي عليها غير الزمان، وان أساس تلك النهضة في
البلاد الهندية افذاذ اجلاء تخضعت بهم المصور الحديثة واتجهوا في تحصيل
العلوم نهج السلف فنبه شأنهم وعلا أمرهم وذاع صيتهم وتكونت جمعيات سلكت
سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم فكان لها ذلك الاثر الصالح، والسبق الواضح،
ومن أشهر هؤلاء الاعلام ولي الله الدهلوي صاحب التصانيف في اللغتين العربية
والفارسية وأشهرها كتاب حجة الله البالغة، والسيد حسن صديق خان ملك
بهوبال صاحب التصانيف الكثيرة أيضاً وقد سبق ذكرهما في هذه الرسالة
ومن حسنات الثاني طبع فتح الباري في شرح البخاري للحافظ ابن حجر ونبيل
الاطوار للامام الشوكاني وتفسير الحافظ ابن كثير مع تفسيره فتح البيان. طبعت
هذه الكتب على نفقته في المطبعة الاميرية بمصر فكانت من أنجح وسائل احياء السنة،
وفي الهند الآن طائفة كبيرة تهتدي بالسنة في كل أمور الدين، ولا تقلد أحداً
من النقيض ولا المتكلمين، وهي طائفة المحدثين، وقد كان لم السنة سوق رائجة
في اليمن بمد كساد سوقها بمصر بعد القرن العاشر

وان من آكد الامور على المسلمين وأحقها بالرعاية وأولاها بالعناية العمل على احياء السنة ونشرها بين المسلمين فانها داعية الى التوحيد في العمل والاعتقاد ومزيلة لما بين الفرق المختلفة من الشقاق والمداها لانها رجوع الى أصل الدين وكل يقرب به وينتمى اليه وفي ذلك تقوية شوكتنا وأنهاضنا من كبوتنا التي طال أمدها واستفعل أمرها

كيف تقرب الى الناس تحصيل السنة ؟

بيننا تحت عنوان - الجمع بين الكتب الستة - ان ابا السعادات مبارك ابن محمد المعروف بابن الاثير الجزري جمع بين الاصول الستة التي بينا فيما سلف أمرها واسمى كتابه جامع الاصول لا حاديت الرسول وتكلسنا على هذا الجامع بما يفتيننا عن اعادته هنا وذكرنا اذذاك ان لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي زوائد عليه سماها تسهيل الوصول الى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول فلو اننا جمعنا بين الجامع وزوائده على نحو ما جمع بين الكتب الستة وعقبنا كل حديث ببيان درجته وذكر من ملعن فيهم من رجال سنده وجعلنا لكل كتاب ذيلًا يذكر فيه اولئك المطمعون فيهم مرتبة اسماؤهم حسب الحروف الابجدية مشفوعا كل شخص بما قاله أئمة النقد فيه من جرح وتمديد على نحو ما فعل المندري في كتابه الترغيب والترهيب

لو اننا فعلنا ذلك لكننا مقرين الى الناس تحصيل السنة وجاعلها على طرف الثمام يفتنوا ولونها من كتب ويقتبسون منها بلاعناء ولا اجهاد فكل ولا كثرة بحث وان هذا العمل الجليل وذلك التاموس الكبير يستطيع ان يقوم به فرد مارس الحديث بممارسة طويلة وكان له بفنونه خبرة مع حكمة وعزم وأناة وصبر وينبغي ان يقوم ببلعه شركة تبني بمصلها فضلا من الله ورضوانا حتى تنفق عليه بسخاء وتبرزه في خير حلة وأجل جلباب

ولو شفع ذلك بشرح واسع يلائم روح العصر الحاضر يقوم به جماعة كل فيما ينبغي وبذل حياته في اتقائه لكان ذلك من خيرا الامور وأجل الخدمات ولا اظن فردا يقدر على ذلك كله مع الاحسان لان السنة فيها طب واحكام وآداب واخلق واحاديث صفات وكل هذي فروع واسعة لا يتسع في واحد منها الا من بذل فيه جهده، وحبس على تعلمه نفسه. فعلى الطبيب ان يشرح ما

ورد في الطب، وحرى بالتفقيه الحاذق ان يبين احاديث الاحكام، وجدير بالواعظ
الاديب ان يوكل اليه الكتابة على احاديث الآداب والاخلاق والمراغظ والرفائق،
وعلى المتكلم ان يوضح احاديث الصفات سالكا طريقة اهل السنة من السلف
الصالح. وهكذا يقوم كل خصيص بفن يشرح ما يناسب فنه من احاديث
الكتاب على شرط ان يكون متشبعا بروح الدين عليا بنفثون العصر الحاضر
خيرا بالامور المعدنة والمعاملات المستجدة

ويوجد كتابان جليلان يسد كل منهما حاجة طالما تاقت النفوس الى سدها
احدهما المنتقى لابن تيمية مع شرحه نيل الاوطار للشوكاني وثانيهما الترغيب
والترهيب للمنفذري فالاول يعني كل من رآه الوقوف على احاديث الاحكام
وشرحها بشرا وانما مع ذكر اقوال العلماء فيها والثاني يعني الوعاظ المرشدين
وبهم مادة واسعة ليس فيها من شبهة ولا يعتري صحفها فقرة، وحرى بالتفقيه
والمتفخيلين بالقانون ان يدرسوا الاول دراسة وافية ويشرفوه معرفة كاملة،
وجمل بالناصح الامين ان يحمل الثاني اسوته في ارشاده وان يحفظ من احاديثه
ما يمينه على القيام بعمله ويسهل عليه أداء مهنته

ماذا نعمل لنشر السنة ؟

كل عمل يقوم به جماعة متماسكة خليق ان يبقى ويظهر له في الناس اثر
بين، وامام يقوم به الافراد انه يبقى مابقي العزم فيهم ماضيا وعاملا الاخلاص
في نفوسهم قائما، ثم هو بعد ذلك ضئيل الاثر قليل الجدوى وماذا تبلغ نفس واحدة
من نفوس المسلمين، الذين تجاوز عددهم مئات الملايين. فاذا مارمنا لسنة نشرها
ولسطلانها بسطا ولعبرها اذاعة فطينا ان نكون جمعية دينية يكون افرادها
من خلاصة المقتصمين بالسنة والمتشبعين بروح هذا الدين ويكون مركزها في صرة
البلاد الاسلامية وقطب الرحي منها أعني بلادنا المصرية. ويكون لتلك الجمعية
فروع في الممالك الاسلامية ويكون للفروع اعمان في الولايات الصغيرة والمدن
الكبيرة ويكون شمارها قوله تعالى (واغتسموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
وقوله (ص) (شيثان لن تفلوا بمدي ما تمسكتم بها كتاب الله وسنة رسوله)
وان هذه الجمعية يقوم صرحها على أمور أربعة اخلاص وعزم وحكمة
وصبر ومضى وجدت هذه الامور سهل تكوين ثروة لها تكون مآذنها وعضدها

في نشر مبادئها، وأرى ان تكون الثروة من اشتراكات يدفها الاعضاء
الجمعية وفروعها وأغصانها وما يوجد به أهل البر والاحسان واذاسعى الاعضاء
وضموا الى جانبهم بعض الملوك أو الامراء كان ذلك خير مشجع لهم وتم لهم
وعلى الجمعية ان تقوم بطبع كتب الحديث القيمة مقدمة الامم على المهم
وعلى كل عضو أن يقوم بتعليم العامة والخاصة وارشادهم الى ينبوع هذا الدين
كتاب الله وسنة رسوله (ص) ولا يقصر ارشاده على الوعظ في المساجد بل
يعمه في الاندية المختلفة والجمعيات العامة ودور العلم ومدارسه فان في هذه
نوعاً أخرج الى الموعظة وأجدر بالارشاد من الركن السجود

وليكن للجمعية حرص بالغ على ان تضم اليها المدرسين والمعلمين والخطباء
والوفاة فان اولئك اذا رشدوا هددوا كثيرين فيذبح اثار السنة بين الناس
ويكثر أنصارها حتى يكونوا أمة يمينها القرآن ويسارها السنة وانهم السيفان
ماضيان يكتسحان الفساد، ويقضيان على الفساد، ويبصران طريق الرشاد
وينتشان المسلمين من الضعف والذلة، الى حيث المنعة والعزة

فالهم بصراً بديننا، واهدنا سبيل سلفنا، واجعل عمالتنا خالصاً لوجهك، لا نبني به
الاخدمة دينك، وورقة سنة نبيك صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه
الطاهرين، ومن تبهم باحسان الى يوم الدين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين... تم تأليف هذه الرسالة ليلة الجمعة ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ ١١
فبراير سنة ١٩٢١ م

محمد عبد العزيز الخولي

(المنار) حمد الله عمل صديقنا مؤلف هذه الرسالة وأجزل نوابه وأحسن
مآبه وحشرنا وإياه في زمرة أنصار السنة واب جميع الاعمال التي اقترح
تأليف الجمعية لها في خاتمة رسالته هي بعض ما كنا نبني من جماعة الدعوة
والارشاد، الا طبع الكتب فانه محل أصحاب المطابع والشركات، وقد كان
عزيز مصر العباس أعز الله به العلم والدين، ملتزماً بمدادها الدائم من أوقاف
المسلمين، الاوقاف الخيرية العامة، وأوقاف أسرته المالكة الخاصة، فكان من
سيئات الحرب العامة ومفاسدها، ان قطعت الحكومة المصرية اعانة الاوقاف
التي كان قد أمر بمضاعفتها، فوقف عمل الجماعة وأقفلت مدرستها، ولا نياس
من روح الله ان يمن بأعدائها، ويوفق أهل البصيرة من أغنياء المؤمنين بمساعدتها،
فهم والله الحمد كثيرون، ولكن أكثرهم غافلون

(المجلد الثاني والعشرون)

(٢٧)

(المنار: ج ٢٠)

الخيال في الشعر العربي

٥

التفاضل في التخيل

اتينا في الفصل الذي كنا بصدد تحريره على الوجوه التي تفضل بها صور المماني التخيلية اعني غرابة الجامع بين الاجزاء المؤلفة ثم التوسع في الخيال وبمده عن البساطة مم الالتئام بالدوق السليم ، فيصح لمن انتصب للموازنة بين الشعراء في التخيل أن يتخذ هذه الوجوه مدخلا للحكم وأساساً يبنى عليه في التفضيل

تمتد الموازنة تارة بالنظر الى معنى خاص يتناوله كل من الشعارين وهذا اما أن تتحد الواقعة فيه أو تختلف . وتارة تجري في غرض خاص يصوره كل منهما بغير ما يصوره به الآخر ، فهذه ثلاث حالات تضاف اليها حالة رابعة وهي المقاضلة بين الشعارين يختلفان معنى وغرضاً ، وحالة خامسة وهي أن تقام الموازنة بين الشعارين على ان يقضى لاحدهما بالافضلية المطلقة

(الحالة الاولى) اعني ماتمقدفيه الموازنة بالنظر الى معنى خاص والواقعة واحدة كقول أبي عبد الله بن الزين النحوي يصف بركة نثر عليها الياسين:

نثر التلام الياسين ببركة مملوءة من مائها المتدفق
فكانه نثر النجوم بأسرها في يوم صحو في سماء ازرق (١)

فاذا قسته بقول علي بن ظافر في هذه البركة نفسها

زهر الياسين ينثر في الما .. أم الزهر في اديم السماء
ظل يحكي عقود در على صد .. و فتاة في حلة زرقاء

رأيت كلا من الشعارين شبه الياسين بالنجوم يادية في السماء وتشبيه ابن الزين في هذا الوجه اجود لانه ذهب به الخيال الى تفاصيل لم يأت عليها ابن ظافر فاذا التفت الى تشبيه ابن منفر في البيت الثاني رأيت خطوط هيئة النجوم والسماء

(١) المنار: فيه تذكير نمت السماء وقد أراد باليوم ما يم الليل وكان يمكنه التعبير به

عند مشاهدة الياسمين يلقو فوق الماء، أقرب من خطوط عقود الدر تتقلدها
الفتاة المتبرجة في حلة زرقاء، فيكون تشبيه علي بن ثاغر أجود لندره المشبه به
وقلة ابتذاله بمشاهدة كل ذي عين بأصره . ولولا أن ابن الزين أسند ثر النجوم
إلى الغلام وثبه على كثرة الياسمين بقوله: ثر النجوم بأسرها لا تنفت عنه
المزية وكان تشبيهه من التخييلات الموضوعة في طريق كل من خطر على باله أن
يذهب في تصور المعنى من باب التشبيه . ومن هذا الضرب قول ابن المنجم
يصف مطلع الهلال عند غروب الشمس

وعشاء كأنما الأفق فيه لا زرود مرصع بنضار
قلت لما دنت لمربها الشمس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه القرب دينا رأ فاعطاء الرهن نصف سوار
م قول ابن قلاص ولم يطلع على ما قاله ابن المنجم
لا تظنوا الغلام قد أخذ الشمس وأعطى النهار هذا الهلالا
أنما الشرق أقرض القرب دينا رأ فاعطاء رهنه بخلخال

فقد سار الشاعران في التخييل على طريق واحد وزاد ابن المنجم على ابن
قلاص نظرة في السوار فلم يأخذ منه إلا المقدار الذي يطابق حال الهلال وهو
الشرط فكان تخيله أحكم وقماً

(الحالة الثانية) وهي ما تكون الواقعة فيها مختلفة كقول بعضهم
خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسر القنا والبعض عيناً وحاجباً
مع قول ابن نباتة

خرقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لما وقع السيوف حواجب
فقد اتفق الشاعران على تصوير المعنى وهو تأثير السيوف والرماح في
أجسام الاعداء ولكن تصوير ابن نباتة أجود لأنه يزيد على الاول بما فيه
من الإيحاء إلى انهزامهم وتوليهم بظهورهم حتى تصنع فيها الرماح والسيوف
عيوناً وحواجب

ولا ينبغي عنك أن تفضيل بيت ابن نباتة إنما يتم إذا تأملت الواقعتان أو
كان كل من البيتين سادراً عن تخييل محض . وإنما إذا قصد كل من الشاعرين
وصف الواقع وكان الاعداء المشار إليهم في البيت الاول لم ينهزموا، بل بنوا
للطنن في وجوههم إلى أن وقموا على مضاجعهم أولم ينلهم السلاح بعد أن ولوا

مدبرين لم يكن لك ان تفضل عليه بيت ابن نباتة من جهة التخييل وان اشار
الى معنى يعمود الى مدح قومه بالشجاعة والمهارة في الطعن والفرب
ومن قبيل هذا الفرب قول عبد الرحمن الننداقى في وصف حال الندى
وتقاطره من زهر النرجس

والندى يقطر من رجه كدموع اسكبهن الجفون
وقول ابن زيدون في مثله

تلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقنا
كان أعينه اذ عاينت ارقى بكت لما بي لجال الدمع رقراقا
وما يفضل به هذان البيتان على بيت الننداقى ايماءهما الى سبب ارسال
الازهاد للدماع وهو معاينتها لارق الشاعر واعناقها عليه
(الحالة الثالثة) وهي ما يقصد الشاعر ان فيه الى غرض واحد ويختلفان في المعنى
الذي يصورانه فيه، ومثال هذا ان يكون الغرض وصف شخص بالندى فيقيم
الاختلاف في الفريق الذي يقرر به هذا الوصف كما قال بعضهم
سألت الندى هل أنت حرق قال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثني عن والد بعد والد
وقال الآخر

ولما رأيت البحر في الجود آية ومن جوده الدر الثمين المقلد
سألت من في الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد

ومثل هذا مما يرجع بالتفضيل فيه الى القوانين السابقة فا كان أقل خطورا
على الذاكرة أو أوسع نطاقا في التخييل أو ألد وقعا على الذوق فهو المشهود له
بجزية الرجحان . ومن الجلي أن تشبيهه الكريم بالبحر من المعاني التي وعها
كل قلب وتناولها كل لسان فصاحب البيتين الاخيرين بني معاورته على أمر
اشتهر ذكره عند الحديث في هذا الغرض وانما زاد عليه شيئا من التخييل
ف تكون المحاورة الاولى أبعد لانها قائمة من أول حالها على شعور غريب فضلا
عما امتازت به من الانماء الى دعوى قصر الندى على المدح وهذا ما يجعلها أبلغ
في الدلالة على ما رمي اليه الشاعر من غرض الوصف بالسخاء

ويدخل في هذا القسم قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني ويبيض المند قطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانه لمعت كبارق ثفرك المثبم
 مع قول بعضهم
 ولقد ذكرتك في السفينة والردى متوقم بسلامم الامواج
 وعلى السواحل للاعادي جولة والليل مسود الدواب داجي
 فعلت لاصحاب السفينة ضجة . وانا وذكرك في الذ تناجي
 ففرض الشاعرين واحد وهو انما ذكر الحبيب في حال تقتضي لشدة هولها
 عظام خطرها دهشة القلب وتفرغه لانتظار الفرج أو الاحتياال على وسيلة
 نجاة ، وانما يصح لنا أن ندخل للمفاضلة بين الشعرين اذا كانا من التخييل المحض
 نقول ان شعر عنتره أبلغ لانه صور ذكره الحبيب في حال انتشاب الخطر به
 حيث تزوي الرماح وتقطر السيوف من دمه الذي هو مادة حياته ثم تمنى
 بادة الاتصال بالسيوف التي هي مبيط المطلب حين خيأت له نغره الباسم بيريقتها ،
 أما شاعر السفينة فأقصى غمراته توقع الهلاك بما أحاط به من اسبابه القرية
 زية من تذكر الحبيب وقد انشب به الردى غالبة أعظم من مزية من يتذكره
 وهو يبصر الخطر ولم يبسط اليه يده : فان كان كل من الشاعرين حكى واقعة
 عرضت له في حياته فلا تفاضل بينهما الا من جهة تأليف اللفظ وصفاء ديباجته
 (الحالة الاربعة) وهي ما يختلف فيه الشعران معنى وغرضاً ، وعقد المناضلة
 في مثل هذا النوع فلما يخطر على بال الاديب ، ولو قصد الى ذلك لوجد المسلك
 وعرا اذ من المحتمل أن يكون كل من الشعرين ورد على ابداع غاية ممكنة في
 المقصد الذي سبق اليه وان كان أحدهما أوسم نطاقاً في الخيال . فلر نظرت الى
 أقول بشار

كأن منار النقع فوق رؤوسنا واسيافا ليل تهاوى كواكبه
 سهل عليك الدخول الى المناضلة بينه وبين قول ابن المعتز
 وعم السماء النقم حتي كأنها دخان وأطراف الرماح شرار
 ولو عمدت الى الموازنة بينه وبين قول أحمد بن دراج يصف حالة وداعه
 لزوجته وابنه الرضيع

تناشدني عهد المودة وأهوى وفي المهد مبثوم النداء صغير
 عني . نرجوع المطلب ولحنه بموقع أهواء الشرير .
 أو قول بعضهم

لثربكيت دماً والمزم من شيعي على الخليط فقد يكيي الحسام دماً
لم تجد الطريق الى التفضيل أمراً ميسوراً . وليس لك أن تقول على ابتهاج
النفس واهتزازها وتجمل تفاوته ميزاناً للتفاضل لان شدة الابتهاج لسماع
الشعر قد تكون تابعة للمواطف والاهواء ، فن رقت عاطفته لولده الصغير
حتى كاد قلبه يذوب لنظراته المكعولة بالتبسم يهتز لقوله أحمد بن دراج
« ولحظه بموقع اهواء النفوس خبير » بأشد مما يهتز لفنيره ، ومن لم يذق حلاوة
العطف على البنين وكان كلفاً بمواقع الحروب مفرماً بالحديث عن آثارها يلهث
ببيت بشار أكثر من التذاذذ بيت ابن دراج وما ذكر بعدها

فلا أنكر ان يكون بين التخييلات المختلفة في المعنى والفرض فرق جلي
وتفاوت واسع من جهة التركيب أو الفرابية فيبني عليه الاديب حكمه بالتفضيل
وانما أعني أن الاشعار المتفقة في معنى أو غرض نجد المدخل للمفاضلة بينها سهلاً
اذ يتبين لك التفاوت بينها في التركيب أو الفرابية من غير اطالة نظرو على فرض
اتحادها في ذلك يمكنك الرجوع الى وقعها على حاسة الذوق واخذها بالروح التي
يتقوم بها المراد من الكلام ، وأما المختلفة في المعنى والفرض فيتيسر القضاء
فيها متى كان التفاوت بينها جلياً . وأما اذا كانت في مراتب متقاربة في الفرابية
والتركيب والتمكن من روح المعنى أو الفرض الذي افرغ فيها فباب الحكم فيها
لا يطرقة الا الماهرون في هذه الصناعة حيث وصلوا الى أن هذا الشعر لم
يتجاوز في الفرض الذي عبر عنه الدرجة الوسطى مثلاً وان الآخر انتهى في
وجهته الى غاية ليس وراءها مرتقى

وقد يكون مناط التخييل إسراً واحداً ويختلف نظر الشاعرين بتوجه
احدهما الى حال او صفة قد اخذ نظر الآخر بشيها فيصير التخييل بهذا من
قبيل التخييل في امرين مختلفين في خفاء التفاضل بينهما وهذا كما قال الوزير ابو
فارس يصف النهر من جهة منظره

فنضض ما بين النروس كأنه وقد رقرقت حباؤه حية رقطا

وقال ابو القاسم الابروش يعنه من جهة خريه

وقال النهر يشكو من حماء جراحات كما أن الجريح

وقد يمجيد احد الشاعرين من جهة الفرابية ويغيد الآخر من حيث
التركيب كقول الصنوبري يصف الشجرة

كانها عمر الفتى والنار فيها كالاجل

مع قول الارجاني يصفها ايضا
تفتت نقر المهجور اذ ذكرت عهد الخليل فبات الوجد يذكها
فان تشبيه الشمة حين تدب فيها النار وتتناقص شيئاً فشيئاً الى ان تذهب
في الجو هباء منتورا بعمر الفتى حين ينقضي ساعة فساعة الى ان يلتقي الاجل
بآخر نفس منه فيمود الى الفناء تشبيه ادق واخفى من تشبيهها بسبب ذكر
عهد الخليل فقد دحت الذكرى في مهجته وجداً بات يحترق بلوعته الملتبئة
ولكن هذا التشبيه اوسع نطاقاً وأحلى مساقاً
وربما فاق احدهما من جهة الترابية وفاقه الآخر من جهة المطابقة لحال
المعنى كقول ابن الخطيب يصف ليلة
وعنت كواكب جوها فكأنها ورق تقلبها بنان شحج
وقول عنتره

اراعي نجوم الليل وهي كأنها قوارير فيها زئبق يترجرج
فتشبيه ابن الخطيب ادق واخفى وتشبيه عنتره اشد مطابقة لحال النجوم
(الحالة الخامسة) وهي ما يجري فيه تفضيل احد الشاعرين على آخر بالملاقه
وهذا لا يستقيم الا من اتى على معظم شعرها حتى عرف الذين يستوفى في
تخيالاته شرائط الجوده اكثر من غيره ولا سيما اذا اهتمدى للمقايسه بينهما في
كثير من المعاني أو الاغراض التي يتفقان فيها
ومن الخطأ الحكم بتفوق شاعر على غيره لمجرد تجميل بديع يتفق له في
بيت أو ابيات فربما ترجح شاعر في معنى سره وفاقه غيره في معان اخرى فلا
يصح لك متى وقفت على قول ابن زمرك

وجرد من غمد الغمامه صارما من البرق مصقول الصفيحة صافيا

ورأيت متوغلا في الخيال اكثر من قول ابن الخطيب

لك الله من برق كأن ومينه يدالسا المرقور قد قدحت زندا

ان تقضي بتفضيل ابن زمرك على ابن الخطيب اذ قد يكون لابن الخطيب
تخييلات اخرى ادرك فيها شأوا لم يلحق ابن زمرك غباره بل تجدد له في هذا
المعنى تشبيه لا سبق فيه الى النايه القسوي وهو قوله
وميض واي برد الغمامه مفعلا فد بدا بالتر اعلمت البردا

ومما يصدق أن تكتفي في تفضيل الشاعر بأجاده في البيت أو الايات
أنك ترى حازما الاندلسي قد فاق ابن هاني في وصف التقاء الصبح بأخر
الليل حيث يقول الاول

كان يياض الصبح معصم غادة جنت يدها ازهار زهر الدحي لقطا
ويقول الثاني

كان عمود الصبح خافان عسكر من الترك نادى بالنجاشي فاستغنى
وترى ابن هاني يقول في وصف التريا
وولت نجوم للتريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفي
ففاق حازما حين قال

كان التريا كعب ازمنت نوى وامت بأقصى الغرب منزلة شحطا
وقد لوحنا فيما سلف الى بعض الاسباب التي تقوم للشاعر فيفضل في
بعض المعاني أو الاغراض من هو كمثوله أو أرسخ منه قدما كالتفاوت في قوة
الباعث على النظم فن يخاطب انسانا وقد ماجت مهجته بمواطف وده الخالص
واضمرت النوى في فؤاده شوقا اليه يقع على دقات من المعاني يقف دونها من
يخاطبه تقصيا من ملامة أو تمرضا لمسألة ليست بذات بال . ويضاف الى هذا
أن أحد الشعراء قد يمتاز بمعرفة العناصر التي يؤلف منها المعنى كما امتار البارودي
عن بعض ادباء عصره بمشاهدة الكهرباء واشراقها في اجرام كروية فقال يصف التريا
وكانها اكر توفد نورها بالكهرباء في سماوة مصنم

وقد يستوي الشاعران في الاطلاع على العناصر البسيطة ولكن أحدهما
يشاهدها مؤلفة في صورة لم يشهدا الآخر فيساعده استحضار تلك الحياة على
انتراع معنى لا يخطر على بال غيره ، قصفوان ابن ادريس الاندلسي عاش في
مطري يرى فيه المقلدة الزرقاء تلوح عليها حمرة الرمد فقال يصف الورد مفتحا على
شاطيء الخليج

والورد في شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلدة رمداء

ومس الشعراء من لم يأخذ في حافظته صورة المقلدة الزرقاء وعليها مسحة من
الرمد كن نشأ في ناحية الجنوب وانما رأى المقلدة الرمداء ولون الزرقاء ينفرد
احدهما عن الآخر . وانظر الى ابن الرومي حين قال له بعض اللامعين لم لأنشبه
تشابه ابن المعتز وانت أشمر منه ثم قم عليه تقبينه لللال بزورق من فضة

ليه حولة من غير، وتشبيه الآ ذريون بمداهن من ذهب فيها بقايا غالية قال
الرومي (لا يكلف الله نقداً الا وسماً) ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن
يغفة وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا اذا انا وصفت ما أعرف أين يقع
لي من الناس

وقد يتفق الشاعران في معرفة العناصر والهيئة المثلثة ويكون احدهما
مدعلقة بها وأكثر تردداً عليها فيكون خطورها على قريحته أكثر من خطورها
، فريحة من شاهدها مرة أو مرتين . كنت رأيت مرة الآلة المصورة وعرفت
يف رسم الصورة في زجاجتها ولم يسع لي أن أستمد منها معنى خيالياً حتى زل
راري في بعض البلاد أحد المولمين بها وتكررت ملاحظتي لها فربما جال في
فري معنى الخطأ في فهم الحقيقة هجمت علي صورة الآلة والزجاجة فقلت
عذرتك اذ صورت في تدهلك الهدى ضلالا وسورت الضلال رشادا
فإن زجاجات المصور تقلب الـ سواد بيضاء والبياض سواداً



بـ يستمد الشاعر من غيره تخيلاً يضيف اليه ما يوسع في تشافه ولهذا ثلاثة أحوال
(أحدها) أن يكون الاصل من المعاني النادرة والزيادة تساويه في غرابتها
تنقص عنه وهنا لا يكون صاحب الزيادة ارجح بمن أنشأ أصل المعنى قطما
من المحتمل ان شبهه لهذه الزيادة وادراجه لها في صورة المعنى انما تيسر له
، تلقية له ذلك الاصل الذي أقامه له الشاعر الاول بحيث لا يكون في قريحته
ملقوة على تفصيل هذا الاـ اس بنفسه ومثال هذا قول عني الكوفي يصف النجوم
كأن التي حول المجرة أوردت لتكرع في ماء هناك صيب
ول البارودي يصفها أيضاً

وكأنها حول المجسر حمام بيض عكفن على جوانب مشرع
فلم يزد البارودي مما خيل اليك الكوفي سوى أن جعل تلك النجوم
أردة حمام بيضاً

ومن هذا القبيل قول المعتمد بن عباد يصف نهرا في روض
ولربما سلت لنا من ماها سيفاً وكان عن النواثر منهدا
وقول أبي القاسم البخاري
والنهر شق بساط الروض تحسبه سيفاً ولكنه في السلم مشهور
(لنارج •) (٢٨) (المجلد الثاني والمثرون)

فهذا البيت اخذ في ضمنه معنى البيت الاول وانما زاد عليه بان السيف
يجرد في حال السلم
(ثانيها) ان يكون المعنى الاصلي غريباً وتكون الزيادة ادل منه على البراعة،
ويصح لك في هذا الحال ان تقضي بفضل الثاني اذ في يدك ما ينهض بمجربتك
على ان في قريحته قوة تمكنها من انشاء الصورة من اصلها ، ومثال هذا قول
الخفاجي

كان الدجى لما تولت نجومه مدبر حرب قد هزم له صفا
وقول البارودي يصف الليل ايضاً

متوشح بالنيرات كباسل من نسل حام بالهجين مدرع
حسب النجوم تخلفت عن امره فوحى لمن من الهلال باصبع

فان كان البارودي قد تنبه الى تشبيه الليل بامير حرب من بيت الخفاجي
فقد زاد عليه ما هو اغرب منه اعنى ظنه ان النجوم تخلفت عن امره ثم اشارته
اليها باصبع من الهلال

(ثالثها) ان يكون الاصل من المعاني التي تتناولها العزائم لاول لفظة اذ
اصبحت مبذولة ابتذالاً تمثلك جميل الطلعة بالقمرة والمقدام بالاسد، ويسوغ
لك بدون شبهة ان تعد التخييل فيما يرجح به وزن صاحب الزيادة البديعة ،
فالذين شبهوا الزهر بالدرهم كثير ولكن ابن زمرك اضاف الي ذلك ان جعل
النسيم جابيا لها فقال

كانما الزهر في حافاتنا سحرا دراهم والنسيم الدن يجيبها

ومن المتداول تشبيه الاقحاح بالنفور وقد بنى عليه ابن رشيق ان جعل
الشمس ترشف منه ريق النوادي فقال

باكر الى اللذات واركب لها سوابق السهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق النوادي من نفور الاقحاح

ومن المهور تشبيه الليل بالغراب فساو له عبدالرحمن الفندقي الاندلسي
ورفعه في الحسن درجات فقال

وازبرى جنح الدجى عن صبحه كغراب طار عن بيض كنين

وقد يذهب الشاعران الى محاكاة امر فيحاكيه احدهما ناظرا اليه باقراده
وبحاكيه الآخر ناظرا اليه في حال اقترانه بامور اخرى ، فلابح في لك معنى

قالت بينهما ورايت الاول احكم ان تقضي لمحابه بالرجحان اذ قد تكون
محاكاة الثاني انما جازتها الجوده من ملاحظة ما اتصل به من المعاني ولولا هذه
المقارنة لم يقدم صاحبه على هذه المحاكاة . ربما تسمع ان ابا جعفر الاندلسي
خيل اصوات الحمام في الصباح بالخطام فيبدو لك ان تشبيهه بالفناء أو النواح
اقرب الى الجوده واشد مطابقة لحالها ولكنك اذا وقفت على قوله

فالصبح قد ذبح الظلام بنعله ففدت تخاسمه الحمام فيه
ادركت جودة التخييل التي احرزها بما انغم اليه من تمهيد سبب الخطام
وهو اعتداء الصبح على الظلام وقتله بالنسل ذبحا

يمدون في تخيلات (فكتور هيغو) تشبيه الموج بالغم فاذا قيل لك
ان الشاعر العربي معروف الرصافي قد شبهه بالرجال حسب انه وقع التشبيه
الى الحضيض حتي اذا قرأت قوله يصف قصر البحر في بيروت

كان الموج في الدأما رجال . وهذا القصر بينهم خليط

نحاطهم مبانیه فيعلو من الامواج تصفيق رحيب

تيقنت ان الرجل قد ذهب في التخييل البديع الى الدرجة القصوى . فتشبيه
الموج بالغم هو احكم من تشبيهه بالرجال متي نظرت اليه مستقلا ولكنك
اذا راعيت ما انغم اليه من تشبيه القصر القائم على شفة البحر بالخطيب وتلاطم
الامواج بالتصفيق لم يكن في وقوعه على ذوقك اقل تأثيرا من تشبيهه
بالغم السائمة (١)

باب المراسلة والمنائرة

بحث أبدية النار

حضرة مولانا السيد السديد ، الاستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد : ادام
رشد الرب الفعال لما يريد ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد انطلمت على جزئي المنار
الاعبر الاول والثاني من الجلد الثاني والعشرين فأنقبت بهما وبرز الفرق بين

(١) المنار: بل هو أكبر تأثيرا ، وأعز نصيرا

الجنة والنار المنقولة عن ابن القيم رحمه الله بدوام الجنة وفناء النار بخلاف ما عليه المسلمون (١) من دوامهما مبادوام الله تعالى وهو الحق الموافق للمعقول والمنقول والحكمة وأما الشبه التي ذكرها ابن القيم فهي الا مراب وقد عجبنا من تحمين فضيلتكم لتلك الوجوه وأنها تفيد المارقين وأنها الموافقة للغة دون الاصطلاح الكلامي مما كاد يكون صريحا في الميل لها ، ومما زادني عجبا قول فضيلتكم في نهاية تمقيها بأنها تنفع المارقين ، ولا تضر المؤمنين بقول الجمهور مستدلين أو مقلدين ، فكيف الجمع بين متنافيين في عقيدة يجب توحيد الحق فيها (٢) على أن ابن القيم نفسه لم يجزم بتلك الوجوه بدليل قوله عقبا (فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل إلى قوله تبارك وتعالى (إن ربك فعال لما يريد) الخ وليس في هذه الآية ما يدل على فناء النار أصلا وإذا جاز تأويلها مع آيات التأييد الكثيرة فأني مانع يمنع من تأويل قوله تعالى في الجنة (عطاء غير مجدوذ) بأنه غير مقبوع مادامت الجنة كما قيل في المذاب فالترق بينهما تحكم به دون موجب أصلا ودعوي أن الجنة مقتضى صفات القات والنار مقتضى صفة الفعل ليست بشيء لأن المذاب الدائم مقتضى صفة القهر الدائمة كما سيأتي وقد ذكر ابن القيم تلك الوجوه أيضا في كتابه شفاء العليل وتوقف فيها ثم قال أنرها أو من كان عنده فضل علم فليحدثه (إشارة إلى عدم كفايتها في الدلالة مع الاجتهاد في تحمينها كل التحسين بذكر أشياء حسنة في نفسها لكنها بمسيدة عن المقصود، ولقد وجدنا تلك الوجوه يناقض بعضها بعضا فتارة يذكر فيها استحالة دخول الكافر الجنة كقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى ياج الجمل في سم الخياط) وتارة تجوز العفو عن الكافر بعد تطهيره بمكة طويلا في المذاب وبعد فناء النار ، ولا معنى للعفو والتطهير إلا ادخاله الجنة بعد ذلك فخالف في ذلك صريح قوله تعالى (إن الله لا ينظر أن يشرك به) هذه بعض ملاحظاتني على ذكر تلك الوجوه الفاسدة والشبه الكاسدة بمجلة المنار الاغر ولم يكن بد من البحث وراء الحقيقة فتقول بالاختصار: إن تلك الوجوه ترجع إلى خمسة أمور

(١) المنار: أي جهورهم والا كان خطأ فالخلاف معروف

(٢) : بينا في الجزء الماضي مرادنا بهذا القول وغيره نالم يفهمه المستقدون

من كلامنا وكلام ابن القيم أيضا

(أولها) مخالفة ابدية النار للمقتل (ثانيها) النفل لا يفيد الابدية (ثالثها) الابدية مخالفة لتكون دائرة رحمة الله أوسع من دائرة غضبه (رابعها) لامانع من توبة الكافر بعد ما هارته بالذئاب ولو بعد حين (خامسها) مخالفة الابدية لحكمة وسنين بطلان الجميع ان شاء الله فنقول

(أما الاول) فهو ان هؤلاء الكفار لما زاولوا الكفر أو المعاصي عناداً أو اهما لا مرة بعد مرة منع الاصرار عليها حتى اشدت ملكة راسخة في قلوبهم خبت دائماً واصروا على كفرهم وعصيانهم أبد الآباد وعزموا على أن يذنبوا عليه ولا يتركوه بحال من الاحوال ، كما يرشد الى ذلك قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) ودعوى أن ذلك بالوقوف فقط وعدم المذاب بانفعل (١) مردود بأنه لا فرق بين رؤية المذاب واقتحامه على أنهم لم يطلبوا لرحمة عند رؤيته فقط بل طلبوها مراراً بعد مكثهم في المذاب لقوله تعالى زجراً لتقائل منهم (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً في ما ركت كلاً انها كلمة وقائنها) وقوله تعالى (ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال اخشوافها ولا تكلمون) ونحو ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الصدد. فكان دوام المذاب جزاء ومافاة على قدر الجريمة والمصيبة. الا ترى لو أن ملكاً وضع قانوناً لرعيته بين فيه عقاب كل جريمة واقتضى نظام رعيته وأمن كل واحد منهم على نفسه وماله وعرضه انه جمل عقوبة جريمة القتل مثلاً السجن الدائم مع الاشغال الشاقة واعلن ذلك على رعيته ثم ارتكب بعد ذلك واحد منهم تلك الجريمة فاقبه عليها بمقتضى قانونه الذي علم الجاني قبل اقدامه على الجريمة فالعقل لا يستقيج ذلك بل يمدد العقلاء عدلاً وحسناً فكذلك صنع الله الحكيم في خليفته جمل عقاب الكفر عذاباً الجماً دائماً في دار الآخرة لانه جحد بنفمة من لا تتناهى كبرياؤه ولا تنحصر عظمتة ، وقد بين كل ذلك على لسان رسله ونصيب الادلة في الانس

(١) المنار: يشير الى ان الله تعالى قال فيهم هذا حين وقفوا على النار فنبأوا الرد الى الدنيا هم يقولون ان هذه دعوى مرددة بعدم الفرق بين رؤية المذاب والوقوف فيه. واليكن الدعوى حق وما ردها به باطل فليس سواء ذوق المذاب ورؤيته. ومن الغريب استشاده على طلب الرجوع الى الدنيا بعد المكث في المذاب بما حكاه الله تعالى في قوله (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) وأول الآية (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) الخ وأما الشاهد الثاني في محله

والآفاق ووعد أولئك الكفار أنهم ان تابوا (أي في الدنيا) يفر لهم ما قد سلف فضلا وكما وقال سبحانه (قل للذين كفروا ان يقتلوا يفر لهم ما قد سلف) ثم انه لاشك أن الملك اذا وضع قانونا وجعل فيه لكل جريمة عقابا فاذا لم يحزم الناس بأن ذلك الملك يوقع عقاب كل جريمة على فاعلها كان جعل تلك العقوبات في ذلك القانون عبثا ولا يفيد فائدته المطلوبة ولولا قوله تعالى (ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) ما كان العقل يميز البغف عن غير المشترك ولكنه حيث قال وقوله الحق قلنا بجوازه

(واما الثاني) فلا شك انه جاء ما لا يحصى في القرآن والسنة المتواترة بما يدل على خلود الكفار في النار والعذاب دلالة واضحة لا خفاء فيها ودعوى عدم صراحة الآيات والاحاديث في دوام العذاب فهو يفرض تسليمه رد بأنها ان لم تكن صريحة فيه فهي ظاهرة وقد صرح الأصوليون بأن دلالة الظواهر الكثيرة على ما يظهر منها قطعية. على أن قوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) بمد قوله (وما هم بخارجين منها) كما ينفي موتهم فيها مع بقائها ينفي فناءها حيث وصف نفس العذاب الحاصل بالنار بأنه مقيم اي دائم، ولولا هذه النكتة لم يكن له فائدة بمد قوله (وما هم بخارجين منها) كما لا يخفى

(وأما الثالث) فبني على أن الكفار أكثر من المؤمنين كما يقتضيه قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيكون المذبذبون الظالمون أكثر من المنعمين فكيف تكون دائرة رحمته أوسع من دائرة عقابه؟ نقول ان هذه البكثرة بالنسبة الى بني آدم فقط وبني آدم قليلون بالنسبة الى الملائكة والجن والولدان (وما يعلم جنود ربك الا هو) ويخلق ما لا تعلمون) فيكون أهل الرحمة أكثر أهل من أهل النضب على أن أهل النار مردودون في عذابهم فان ما عند الله من كل شيء لا يقناهي وبعض الشر أهون من بعض، وهم مختلفون في العذاب وان ظن كل واحد من أهلها انه أشد الناس عذابا لكن الكلام انما هو في الواقع ونفس الامر، على ان الجميع ما داموا في دائرة الوجود والحياة فهم في دائرة الرحمة والقبض الميم، فان كلا منهما من النعم التي يحافظ عليها الانسان ويتجشم لاجلها أبشع الأدوية

(وأما الرابع) فلم يقل أحد ان التوبة تنفع في الآخرة فأما من تاب في هذه الدار دار العمل من الكفر فقد أبدل الكفر القبيح بعنده الحسن اختيابه

منه وامتنالا لاسر الله تعالى فهناك كفر قبيح زائل وإيمان حسن ثابت وقد انضم
إلى هذا الإيمان ندم على ذلك الكفر في دار ينفع فيها العمل أو يضر ويمكن للعبد
بأخيه ان يتدارك ما فات من الاعمال الحسنة وان يندم على ما عمله من الاعمال القبيحة
فيسير الكفر بهذا الإيمان كأن لم يكن قال تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين) فلا بدع في مغفرة الله جودا وكرما ورحمة وفضلا، واما في
الدار الآخرة التي هي دار الجزاء على الاعمال لا دار عمل فلا تنفعهم التوبة أصلا فقد
اختلفت الداران وامتاز الفريقان (فريق في الجنة وفريق في السمر) وانتهى
الامد بمد الذي ضربه الله على لسان رسله للعمل وقبول التوبة وقد رأينا في هذا
ان الدواء ينفع وقتا وعدودا فاذا مات ذلك الوقت واستحكم الداء فلا ينفع الدواء
(وأما الخامس) وهو أهمها فسنبين بعون الله تعالى من وجوه الحكمة
في دوام عذاب الكفار وعدم فنائها ما يكون ناقضا للأساس الذي بنى عليه
ابن القيم تلك الملاهي من مخالفة دوام المذاب للحكمة فنقول : أما حكمة النهي
عن الشرور والوعيد عليها أي وعيد الكفار بتأييد المذاب وغيرهم بالمذاب
المؤقت فهي ارادة تقليل وقوعها حتى لا يفسد الكون ويتم له ما قدر من
الاجل ونحن نرى المؤمن المصدق بوعيد الله ورسوله تصده الشهوات والشياطين
عن الانزجار بالوعيد مهما يبلغ من الشدة والصرامة اغترارا بكون المذاب مهما
طال ينقطع فكيف بالكافر المكذب بالوعيد اذا كان المذاب الذي توعد به
منتھيا أفيصح أن يكون توعدهم به زاجرا لهم عن كفرهم كزجر الوعيد بالمذاب
الدائم ؟ أفيصح أن يكون العليم الحكيم قد علم أنه لو لم يجعل عذابهم دائما لما
آمن من الناس من يكون إيمانهم مانعا من مصير الكون الى الغرابة والتفاد
قبل انتهاء الاجل المقدر له ؟ ثم في دوام عذاب الكفار دوام ظهور آثار طائفة
من أسمائه تعالى كالتقهار والمنتقم كما أن في بقاء نعيم المؤمنين بقاء آثار جملة أخرى
منها كالجود والكريم ومعلوم أن جميع مدلولات أسمائه تعالى صفات كاللهجب
بقاؤها له وفناء النار وأهلها ينافي ذلك ، ولا جائز أن يقال يمكن أن يخلق بمد
هذا الفناء خلق يكفون فيما قب المخاب منهم فيكون مظهر أسماء التقهر لان
هذا لم يقل به أحد ولم يدل عليه دليل (١) ثم من المعروف المأثور أن الانسان بمد
(١) (النار) ليس من أسمائه تعالى الخالق الباري والغلاق فكيف جزم بتضعيف
بأهلها وخالف قوله في صفتي التقهار والمنتقم على أن التقهار ليس بمعنى المذهب =

طول النعيم عليه يسير فليس تأخذ العادات نيس فيه كبير لذة وإذا كان مسبوقاً
بآلام نسبت الآلام بتتابع النعيم فلو فئت النار وأهلها لحقت لذة أهل الجنة
وقلت قيمة نعيمهم في نظرهم بمد طول المهل فكان في دوام تعذيب الكفار
الذي استحقوه بكفرهم الذي لاحد لحبته بعد إقامة الحجج وإزالة الاعتذار
دوام عليم اغتباط المؤمنين بنعيمهم واستمرار كمال شكرهم لهم ومعلوم أن
المؤمنين أكثر جداً من الكافرين إذ منهم الملائكة الذين لا يحيط بمشعر
عشرهم إلا خالقهم جل وعلا ، وقد تقرر في المقول أن إجماع الشر القليل لاجل
الخير الكثير خير وقد اعترف هو (ابن القيم) بنحو ذلك فظهر أن لدوام
عذاب الكفار عدة حكم

(١) جعل المقاب بحيث يترتب على العلم به غايته التي أريد لاجلها من منع
انتشار الكفر الى حد يفسد الكون قبل أجله المسمى
(٢) جعل المقاب مناسباً للجريمة في عدم التناهي لما علم من أن خبت
الكفر لاحد له

(٣) دوام ظهور آثار الاسماء الالهية التي بها تتحقق الالوهية
(٤) دوام ابتهاج المنعمين بنعيمهم بالمقايسة بينه وبين ما فيه المذبذون
وقد يشير الى هذا قوله تعالى (وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم
أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً) فأدخل أعداد
العذاب الاليم لغير المؤمنين في بشارة المؤمنين وما هذا إلا لأنه يعظم اغتباطهم
بنعيمهم بالمقايسة بينه وبين عذاب أعدائهم . هذا وبقي أن بعض النفاصرين يقول
إذا كان المخلوق لا يسمح ببقاء عدوه في العذاب الصارم الطويل مهما بلغت
عداوته له وإن سمح عد غليظ القلب فكيف يسمح أرحم الراحمين بدوام العذاب
البالغ غاية الصرامة؟ فنقول هذا قياس ثنائى على الشاهد وهو فاسد فإن
المخلوق يتألم قلبه برويته المعاقب فإذا سسى في إزالة عقابه كان ذلك بالحقيقة
سمياً في إزالة الألم عن نفسه والله تعالى متفرد عن القاب والاعتلالات كما لا يخفى .
وبقي أيضاً أن ما ينقل عن بعض السلف وما يذكر في بعض كتب الصوفية بمدام
المخلود في النار فذلك محمول قطعاً على عدم خلود عصاة المؤمنين الموحدين في

= والانتقام يصدق بكل عتاب ويرد عليه أسماء أخرى كالغفور والنفور أيضاً

النار ومتى كان الكلام محتملاً تعين حمله على ما لا يمارض القطعيات. هذا ما عن لي ذكره في هذا الموضوع الخطير. مؤمل تحقيق الحق فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ابراهيم محمد عمر بقات

امام وخطيب مسجد عز الدين

بيرنيال غربية

(المنار) قد آمن الكاتب بالانزاه شروط المنار بمصدر الكلام في موضوعه وجل ما ذكره قد سبق للمنار قول فيه وفي كثير من مسائله نظرنا أثرنا الى بعض ما يتماق بالتفسير وأسماء الله منه لذاته لا لملقه بموضوع الرسالة فأننا وعدنا بعدم مناقشة المثقدين في أصل هذه المسألة، ولا يمننا هذا من ان توجه نظره الى التأمل في الحكم الرابع هل الاولى واقعة والثانية ثابتة؛ وما حاد الكفر المذكور فيها وهل اسماء الافعال كالقهار والمحبي والمحييت ابدية كاسماء الذات خلافا للعلماء الذين قالوا بأبدية اسماء الذات فقط وما دليل ذلك؟ وهل تعذيب بعض العباد ليتنم غيرهم أو ليزداد نعيمه بمذابهم من الحكم التي لا تنافي المدل ولا الرحمة وقوله تعالى (جزاء وفاقا) وقوله (لا يظلم مثقال ذرة) وأمثاله؛ وكون العقاب بالمدل والنواب بالفضل؛ وهل ملائكة الجنة من الذين ينعمون فيها جزاء على أعمالهم وما القول في ملائكة النار اذا؛ نرجو أن يتأمل أخوانا الكاتب الفاضل في ذلك كله حق التأمل وان شاء بعد ذلك ان يبين ما يحققه فيه بمقال فعل

رسالة أخرى بغير عنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزه عن الخطأ والنسيان، وجعل ذلك في الانسان دليلاً على كمال ربوبيته وأنه الواحد الديان، وأشهد ألا اله الا هو منزل القرآن بالوعد والوعيد على سيد الاكران، محمد خاتم النبيين وامام المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله ومن اقتفى أثره واتبع سنته الى يوم الدين، أما بعد فقد رأيت لاستاذنا العلامة صاحب المنار نقلاً في فناء النار معزوا لابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الارواح اعقب به تفسيره آية الانعام (ويوم يحشرهم الخ)

قد عشت من قول ابن القيم وأنكرت عليه ذلك القول كما أنكرت على استاذنا صاحب المنار نقله في مناره ونشره بين الناس وقد كتبت له في ذلك

(المنار ج ٥) (٤٩) (الجلد الثاني، المشرود)

وكتب لي وقد ذكر الأسباب التي دعت لايراد ما نقل: ولما رأي مصراتينكاري خاشعاً عواقب هذه النقول على العامة كتب لي حفظه الله بأن أكتب ما يدغم الضرر الذي أخشاه ريثما يدود هو للموضوع نفسه في تفسير آية هو إذا كتبت أظن أن المدة إلى ذلك الوقت تطول ، فكنت ماسياً في مستعينا متحزباً الاختصار المفيد رغباً عن التلويل المل الامدعت اليه الحاجة. وفي البدء في كتابة بالردت أقدم يشكري لاستاذي العلامة السيد محمد رشيد سبعة صدره لي وقبوله تقدي واحترامه رأيي (مع أني تلميذه) ولولم يكن هذا الانتقاد الا بيان فضل الاستاذ السيد محمد استاذنا في سنة سنة أمام الله لا يحبون الحق ويخافون أن تظهر عيوبهم أو تنتقص شيوخهم — لو لم يكن إلا ذلك لكفاه غمراً ولا سيما أن المنتقد تلميذه وقد افسح له صدره منا للإنتقاد عليه وعلى شيخنا ابن القيم العلامة رحمه الله ، فليحي النار وحياتها رافعاً راية الحق مرشداً الناس اليه بالقول والعمل والسلام

قال استاذي صاحب المنار بعد تفسير الآية على الوجه الاكمل: وقد استوفى ذلك بالاسهاب المتحقق ابن القيم في كتابه هادي الارواح فقال (فصل) وأما به النار الخ وساق اقوالاً سبعة وكأنه لم يرض الا القول السابع وهو فسأؤ وقال — قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبو هريرة وأبي سعيد وغيرهم وساق رواية عبد بن حميد في تفسيره. وطلق بقوله السند بما يشيد من ذكر بعض الشيوخ ويقول وحسبك بهذا الاسناد جاء ونحن نقول له حسبك أن الحسن لم يسمع من عمر وان اعتذر عن ذلك بقوله وان لم يسمع من عمر الخ وجزم الحسن بصحة الخبر عن عمر ، بل صحت عن نفسه لو صح لم يجر التعلق به في مسألة سمعية اعتقادية غيبية ، زد على ذلك عمر ليس رسولاً ولو كان رسولاً وروي عنه يمثل هذا الاسناد المملول لما لنا الاخذ به والتعميل عليه فابالك وعمر رضي الله عنه ليس رسولاً السند اليه صحيحاً وكيف يقول عمر هذا القول وروي عنه وهو الذي عر شدته في الدين وهو الذي ضرب اباً هريرة في صدره بين ثديه ضربة ألقاه استه وفي يده فلما رسول الله (ص) اذ بعثه يخبر « من لقي الله يشهد ألا الا الله مستيقناً بها قلبه دخل الجنة » فذهب ابو هريرة مجهشاً الى النبي (ص) شاكياً له من عمر خذاً عمر في خلف ابى هريرة فقال (من) ما حملك على ما فعلت

يارسول الله باني أنت وأمي أبعت أبا هريرة الخ فقال (س) نعم قال فلا تعمل فاني أخشى أن يشكل الناس عليها فقام يمشي قال رسول الله (س) فقام. هذا معنى ما رواه مسلم في صحيحه : فهل عمر بعد هذا يقول ما رواه عنه ابن حميد والحسن وأبي الاسودين أصح وأيهما أحق أن نأخذ به عن عمر : على أن شدة عمر في الدين لا تنقضي على أحد ممن شتم رائحة الاسلام

وقد روى عنه أنه كان يقول باليت أم عمر لم تلد عمر وكان يقول ليتني شجرة تمضد ونحو هذا كثير في السير ثم كيف يقول هذا القول أبو هريرة وهو صاحب القصة ويتكلم في فناء النار وهو وغيره من الصحابة كانوا أحرص الناس على قول رسول الله (س) وارغبهم عن الخوض فيما ليس لهم به علم وقد كانت يكون عند بعضهم الظن عن رسول الله (س) بكتبه خشية افتتان الناس به فلا نفسه الا عند موته تأمناً؟ يعلم هذا كل من قرأ الصحيحين وغيرهما من كتب السنة ولست اظن ابن القيم لم يرد ذلك وهو الامام الحافظ المظهر على ما لعلنا لم نطلع عليه ولم زه الان ولكن لم يكن معصوما من الخطأ والنسيان . ومن لم يكن عنده علم بالصلاحيات المحدثين وتحريم صحة السند وقولهم في الرجال وقبولهم الحديث الصحيح وردهم ما لم يصح ولو كان في سنده أقل غلّة — من لم يكن عالماً بذلك لحسبه مقدمة صحيح مسلم ليعلم ما شره وهو دون البخاري وهذا كله دأب حول حديث الرسول (س) لا عمر ولا غيره

فلهذا يرى مرید الحق أن هذه الروايات غير صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم وهي أشبه بقول اليهود الذين غرّم في دينهم ما كانوا يفترون وأرادوا تغيير المسلمين وخذعهم : وقوله قال النبي (س) من ١٨ من الجزء الاول منار (أما أهل النار الذين هم أهلها الخ فلم ندر حاله ولم يسنده ولم يميزه . ثم قال ولا يناقض هذا قوله تعالى خالد بن فيها وقوله (وما هم منها بمخرجين) هكذا قلت والصحيح وما هم بمخرجين منها ولم أدر من الخطأ في الآية . لان (وما هم منها بمخرجين) قيلت في أهل الجنة من سورة الحجر فليعلم يقول رحمه الله لا تناقض بين أخباره تعالى عن أهل النار بأنهم خالدون فيها وما هم بمخرجين منها ولهم عذاب مقيم (بعد التصحيح) وبين فنائها : أي أن خلودهم فيها يكون مادامت — وبالله المعج ومن أين له عدم دواصها وقد دلت الآيات والاحاديث على بقائها بالزوم وان كانت لم تصرح ببقائها لانها

ليست مقصودة بالذات ولانها لم تخاق الا لاهلها فاما فيها فهي دائما فهم
المعنى الذي يدور عليه الجزاء بقاء وفساء لا النار التي لم تكن لولاها ولم توجد
الا لهم فكيف عكس الامر رحمه الله وجعل الاخبار دائرة حول النار ولها فان
قبل انهم خلقوا لها كما قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لم
فلنا هذا يدل على بقائها ايضاً وكان خلقهم أدل على بقائها اذ قال الله تعالى
(وهم هم بخارجين منها ولم عذاب مقيم) وقد أخبر الله تعالى عن بقاء النار
وأهلها بكل لفظ أخبر به عن بقاء الجنة وأهلها يدلم هذا من قرأ القرآن وتديره
فكما قال تعالى في الجنة خالدون فيها ابداً كذلك قال في النار فلا يستطيع أحد
بعد هذا ان يوجد فرقاً بين الخبرين واللفظ واحد ولئن قال في الجنة (عطاء غير
مجدود) فقد قال في النار (عذاب مقيم) بل قال في الجنة بهذا اللفظ (نعيم مقيم)
ولا ريب ان النعيم المقيم هو وغير المجدود شيء واحد في الدلالة زد على ذلك
أن الله تعالى أخبر أن أهل النار لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط
وهذا نحو قوله لا يدخلونها أبداً وليس بعد هذا قاطع لا ملحق بالاميين في الجنة
المبارين من النار فقد عبر لهم بأعظم محال وهو دخول جسم عظيم لي خرق
صغير ، ومضى يبلغ الجبل في سم الخياط ويسوغ في القفل دخوله فيه حتى يسوغ
دخول الجنة لمن ليس من أهلها ولم يخلق لها ايكذب الله نفسه أم تكون عبثاً
حكته . يقول (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ثم يبيدكم الى الجنة)
هذا محال وقد ذكرنا ما قلناه في الاستثناء (بالا ماشاء الله) ورد أقوالهم كلها
ولم يختر الا الوجه الذي يدل على مخالفة الا لما قبها وذكر المشيئة هنا وفي هود
دال على ثبوت هذه الصفة لله تعالى لا غير وانه لا مكره له فيما يفعل وقد أكد
هذا المعنى في سورة هود بقوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) وكثيراً ما تذكر
المشيئة في القرآن لهذا الغرض كقوله تعالى (وما تشاءون الا ان يشاء الله) ومن
أهل العربية من قال في استثناء سورة سبلح (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله)
- وهو كالتي هنا - لم يشأ الله أن تنسى شيئاً وذكر ابن جرير هذا القول وقال
وهو كقوله (خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) ولا يشاء
قال وانت قائل في الكلام لا علميتك كل ما سألت الا ماشئت والا ان شاء ان
أمنك والنية ألا تمنعه ولا تشاء شيئاً قال وعني هذا بغيري الايمان يستثنى فيها
ونية الخائف التمام اه

وترى المحدثين يقولون في السند صحيح ان شاء الله ويذكرونها غير مقصود بها تعليق شيء عليها بل يذكرونها فيما وقع تبركا واستذكارا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهو سبحانه لا يشاء الا ما وافق الحكمة فأنت أيديكم الله ترى أن الاخبار عن الصحابة غير ثابتة ولو ثبتت لما كان فيها دليل على الفناء بل تقول على الخارجين منها وترى الآيات القرآنية مصرحة بالخلود وأبدية أهل النار فيها وان الجنة محرمة عليهم ودخولها محال عليهم كدخول الجبل في سم الخياط ولئن لم تبدل هذه الآيات على كثرتها وذكر ألقاظ بقاء أهلها فيها وتنوعها من الخلود للآفة للأبدية الى غير ذلك — لئن لم تبدل على بقاء النار وعدم فنائها بالمتابعة فلمع الله لتدلت عليه بالازوم والاضطرار كدلالة وجود السقف على الجدار : فاداءه وخالدين فيها أبداً فهي خالدة أبداً الا ان ادعى مدح أن خالدين وأبداً ومقبيا وما شاكها لا تبدل دائماً على البقاء وعدم التحول فيكون لنا اذن أن رد هذه الدعوى بالكتاب والسنة أيضاً واللغة التي بها نزل كتاب الله . وسنة تفسر ما عده ابن القيم رحمه الله من الواجه في فناء النار وما أورده من الشبه ان اتسع المنار لذلك وما قصدنا الا ازالة شبه الذين يفترون بقوله والبقية تأتي ان شاء الله

عبد الظاهر محمد ابو المسبح

معلم برمل الاسكندرية

(المنار) نشرنا هذه الرسالة بنفسها وفيها تكرار وتطويل بالاستطراد ليس من الموضوع كالكلام في شدة عمر في الدين وضربه لابي هريرة على تبليغ الصحابة حديثنا صحيحاً حدث به بعد ذلك ونقله أئمة الحديث وغيرهم حتى الكاتب لمن يخشى عليهم من الفرو والافتكالم لم يكن يخشى على اصحاب الرسول (ص) ورضي عنهم، وكان جمهور الصحابة يتكرون على عمر هذه الشدة ولا حاجة الى هذه الخطايات مع انكاره صحة الرواية عن عمر وعدم الاحتجاج بقوله فان دفع هذه الخطايات سهل بأن يقال اذا كان عمر قد قال ذلك فاقاله وحاله ما ذكر الكاتب الاثبوت عند اعتقاده انه لا فتنة في ذكره وكذا أبو هريرة فلعله في بقية الرد يجتنب التكرار والاستطراد وحكاية أقوال ابن القيم على الطريقة التي جرى عليها في هذه أسئلة فان القراء لا يرجعونها ليفهموا المراد وخير منها ان يقسم الكلام الى مسائل يبين ما يراه الحق فيها

الرحلة السورية الثانية

٥

حال مهجري بيروت الاجتماعية

٢٠٠ - قد أصاب مهجري بيروت في سني الحرب ما أصاب سائر البلديات في جميع البلاد من تأثير فاسدها التي أضرنا إليها في الفصول السابقة ولكن حسنت حالهم الاقتصادية فسبقوا غيرهم بمراحل وهم وإن كانوا مع أكثرهم في الوطن فمسي رحان في البراعة بالتجارة قد امتازوا على الصغار واليهود في زمن الحرب ياكرون ثروهم في مصاديقهم ويحل نفود أولئك في المصارف الأوربية التي انقطعت المعاملة بينها وبين البلاد اللبنانية ويكونهم أجبراً على المجازفة فأتبعهمهم وأعظم وبهمهم واشتروا ثلثاً كاصيلة في بيروت ولبطال دولتش بعلقوا نبيهم على هذا هذا القمائل وبما عطفناه للالام بخالهم المدنية والاجتماعية ما عطفناه

٢٠١ - كانت بيروت في السنين الماضية دون دمشق وطرابلس في العناية بالعلوم الغربية من ناحية وأدبية وإنما كان يمتاز فيها في الخليل أو الأحياء الواحدة بعد الواحد كالشيخ محمد الحوت الكبير الذي فاق علماء شوزية المتأخرين بالثبات في علم الحديث والشيخ أحمد البريز في الفقه والأدب وانتهت الشهرة في الجبل الماضي إلى ثلاثة من قضاها وأدبهم الشيخ عبد الباسط الفخوري الذي والشيخ يوسف الأمين والشيخ إبراهيم الأحمد وهذا طرابلسي المولد والنشأة واختار الإقامة في بيروت بعد أن تخرج في طرابلس بالشيخ غيبي الفقيه الزاقي الشهير. وليست بيروت الآن بأقل من طرابلس في عدد طلبة العلوم الشرعية والعربية ولا في أصفهم فيها ولكن دمشق تفضاهما في ذلك بما حشته كونه بهذا. وأما الحال الاجتماعية فقد تجد فيها للمسلمين ثلاثة أمور ذات شأن كبير (أحدها) في ترقى النساء المدني (والثاني) الاشتغال للتعايش مع النصارى والاتحاد الوطني منهم (والثالث) الميل إلى عبادة من حولهم في التعليم والترقية المدنية وانتقل قول في كل منها كلمة

مسلمات بيروت

كانت المسلمات في بيروت أشد محفظة على التقاليد القومية من أمثالهن في سائر المدن السورية فلم تؤثر فيهن عوازل التفرج الذي قلب على لسان

النصارى لا الباعه الصالح منها ولا البصار المسد ولا سوا من التترك الذي سرى
الى مسلمات دمشق ، فكان أشد مهلمات بسورية جهدا وكان رجالهن راضين
بدلتهن ، ثم رغبوا في تعلم البنات فأنشأوا لهن مدارس ابتدائية وأنشأت
الحكومة العثمانية مدرسة للسنة في بيروت كان جميع تلميذاتها من
المسلمات لأن النصارى لا يرغبون الا في مدارس الاورنج . ثم وجد في
بعض مشايخ المسلمين الذين تعلموا في المدارس الاوربية والامريكية
وأفريقهم التفرج ميل فرحة النساء كان الرأي الاسلامي امام يقاومهم فيه وما زال
صديقها الاستاذ الشيخ مصطفى نجاف في بيروت رعيهم هؤلاء المقاومين على
عنايته بتعليم البنات واشرافه عليه في عدة مدارس حتى انه شديد الانكار
على تعليمهن العزف بالة (البيانو) التي لا يكاد يخون منها بيت من بيوت الطبقات
الوسطى في مخرج الطبقات العليا في الثروة . ولما عني الاتحاديون من التترك
بافساد آداب مسلمات سورية حريا على خطتهم التي جعلوا من أوائل قولعدها أن
الامة لا يمكن عموما من حال الى حال الا بهدم عقائدها وأخلاقياتها وتقليدها
وجها . أكثر من هذه العناية الى مسلمات بيروت وحاولوا تعويدهن السكو
والتهتك مع مخالطة الرجال فكان الرأي العام وتشدد الفتى وانصاره مضغفا
لتأثير هذه العاصفة التي كان يخشى أن تدمر الدين والآداب تدمير لا يتوهم
للامة بعينه قائمة بالأباصلاح جيل جديد اذا تيسرت وسائل الاصلاح

لا نيك في أن عادتنا وتقاليدنا القومية في النساء والرجال منها ما هو حسن
وهو بقايا آداب الشرع واصلاح الذين ومنها ما هو قبيح ضار يجب تغييره بالتدريج .
ولمي أن ما يراد من التغيير والتجديد في الامة منه ما هو حسن نافع لا يمكن
للامة الاسلامية ان تجاري ساثر الامم في سعة المعيشة والعزة والاستقلال بدونه ،
وهو ما هو قبيح ضار يفسد لامري الدين والدنيا جميعا ، ومن سن الاجتماع
المطردة في البشر ان الافراط في الامور المتقابلة تظهر به مزية الوسط المعتدل
بينهما وان اشتداد الجمهور الاعظم هو الذي يرجع أحد الطرفين المذمومين
أو الوسط المحمود في العدل ، والذي رأيت أن حظ بيروت في المسألة النسائية
كان أقرب في هذا النور الى الاعتدال

في كل طبقة من المحافظين والمتفرجين والمتوسلين فرب وسريع
واعتدال ففلاة الاتحاديين أكثرهم فرط اذا كانوا يرون التجميل باطل جميع

المقائد والمبادئ والمبادئ وتكوين الامة تكويناً جديداً في كل د
وزعيمهم الدكتور ناظم وطلعت باشا . وكان من المعتدلين منهم أنور ؛
اذ كان يرى احترام الشعارات الدينية والاستفادة من الرابطة الاسلامية بدلا
قطم روابطها ويستمد بعض مافي أمره أنه صار بمقامه في بركة صحيح المقي
محافظاً على الصلوات ايماناً واحتساباً لاسياسة ورياء وبذلك اتست مسافة الخا
بينه وبين أولئك الغلاة وزعيمهم . ومن رجالهم المعتدلين عزمي بك الذي
كان والياً على بيروت في زمن الحرب وقد رأيت الناس فيها معجبين بما كا
عليه من الخزم والعزم والعدل والدقة في النظام ويرون انه لو كان عندالدو
كثير من أمثاله لتماقت بها دول أوربة

وجه عزمي بك عنايته في بيروت الى ترقية المسلمين في الحضارة المصرية
بالتدرج الذي تؤمن معه الفوضى الادبية وتمويدهن حضور مجامع الرجا
العلمية والادبية وسماح مايلقون فيها من الخطب المبيدة والشر المصرية
واسماهم مانجود به فرائع التملات منهم ، ومشاركتهن لهم في الامو
الاجتماعية — ولولا أن وجد في بيروت احمد مختار بك بينهم يساعده على ذلك
لضاع عزمه وغاب سمي على ماأوتي من قوة ارادة وسلطة كادت تكون مطلقة
كان لاحد مختار بك بينهم جماعة من المزايا لم تجتمع في وطنه لغيره في عصره
كان على كرامة بيتسه ومكانة عشرته ذكي الفؤاد طلق اللسان جريء الجنان
صادق الوطنية والغيرة القومية عالي المهمة كبير المروءة حسن المعاشرة عارفاً
بزمانه وفيما لاصدقائه ، فكان بذلك من زعماء مسلمي بيروت الذين يرجع
اليهم في المهمات كما كان محترماً عند سائر الطوائف بأدابه وحسن معاشرته
فكان الناس يحبونه ويحترمونه ويحسنون الظن باخلاصه حتى فيما ينكرونه من
شدوذ في بعض احواله وميله الى التفرنج ، فلم يكونوا يهتمونه بأنه يقصد بهذا
اضعاف مقومات امته ومخمساتها المالية ولا تقوية النفوذ الاجنبي فيها فهذه
المكانة التي كان يعرفها لنفسه في قومه جرأته على موانة عزمي بك ومساعدته
على ما قصد اليه بل استعان كل منهما بنفوذ الآخر على عمل رياته نافعاً للمسلمين .
بل لا بد لهم منه في حياتهم المدنية المصرية ، بل كانا يريان ان نساء المسلمين لا بد
أن يتركن الحجاب ويحاربن غيرهن من نساء الملل في الحضارة المصرية وان الظهير
لنا أن نبني ذلك على أساس متين ، أي جامع بين مصلحة الدنيا وصالح الدين ،

والانقل التيار المصري فعلة فينا بذير اختيار . منا فكان الله اكبر من نعمه
 أنشأ الزعيان نادياً للنساء في سنة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) وألقاه جمعية من
 كراثم المتعلقات منهن باسم (جمعية الامور الخيرية لتفتيات المسلمات) ثم أسس
 هؤلاء الكراثم مدرسة لتعليم البنات ، وكان النادي يعقد اجتماعات نسائية
 يحضرها النساء والمستحسنون لهذا العمل من الادباء والاطباء ويلقون فيها الخطب
 والدروس التي اصطلح كتاب المصري على تسميتها بالمحاضرات ، ويسمونها من اعضاء
 النادي الكراثم ما يلقبونه فيه ويتحدثون معهن في المسائل الادبية والاقتصادية
 والصحية وتدير المنزل والتربية ، وانما يكن مع الرجال سادات على وجوههن
 النقاب الاسلامي الاسود لاسافرات ، ويجلسن في جانب والرجال في جانب .
 فهن قد سبقن في بدايتهن نساء مصر الى هذه الخافق والجماع التي كان يتمنعها
 قادم أمين واخوانه من زهاء ربع قرن مع مبانئهن في الحجاب وكثافة النقاب ،
 حتى ان بعض الاوانس من اعضائه حضرن حفلة ذكرى مرور قرن على المعلم بطرس
 البستاني في الجامعة الامريكانية ببيروت وأقيمت فيها غيرة سلام وعادلة بينهم فيها
 ما جادت به قرائنهن في الموضوع على الجهم الفقير من الرجال والنساء
 دعاني احمد مختار بك رحمه الله (١) الى زيارة هذا النادي والقائه التناجح
 والحكم فيه تمضيدياً له وارشاداً للسيدات المسلمات فنهن يتمينن الاستعادة مني
 كالرجال . وقد جرت العادة بأن التقي في بعض مساجد بيروت وجامعها خطباً
 ودروساً في كل زيارة من زياراتي لها فاجبته الى ذلك ،

زرت النادي أولاً ثم أجبت دعوته الى القاء نسيحة عامة فيه وكان هذا في
 يوم مشهود حضره بالدعوة كثير من النساء والرجال ومنهم من لم يكن يلم به ولا
 يسمع لاحد من اهل بيته بالامام به والقيت فيه خطاباً مطولاً ذكرت فيه خلاصة
 وجيزة عن حال النساء في مصروفوائد نهشتن وغوائلها ، وما ينبغي للمسلمات
 السوريات في بيروت وغيرها من الاعتبار بها ، وبينت فيه حالة العصر الاجتماعي
 وما ينبغي للمرأة المسلمة فيه من الجمع بين فضائل دينها وآداب ومعرفة ما يجب عليها
 لبيتها ووطنها وامتها ، وما يجب من تقديم الاخ لا لعم وهو تدبير المنزل وتربية
 الاولاد وما يتوقفان عليه من العلوم الكثيرة . فنال هذا الخطاب استحسان جميع

١٥ ، توفي في العام الماضي فكان لوفاته وقع كبير في بيروت وشركائه به سائر
 البلاد السورية وقد اجتمع بمبناؤه بما لم يسبق له مثل في ذلك التطر

(المنار : ج ٥) (٥٠) (المجلد الثاني والمشرور)

الاحزاب المختلفة في هذا الموضوع . واثني انشر هنا ما ألقته رئيسة (جمعية الامور الخيرية للفتيات المسلمات) التي تدير المدرسة والنادي السابق ذكرهما ترحيباً بي ، وسأنشر في فرصة اخرى بعض ما ألقى في حفلاته السابقة ليقف قراء المنار على افكارهن ودرجة تقدمهن

ترحيب الرئيسة الفاضلة

سيدات النبلاء والسادة الفضلاء

ان جمعية الامور الخيرية للفتيات المسلمات ترحب اليوم بضييفها الكرام . العالم الناضل صاحب السيادة الاستاذ رشيد رضا فهو الخطيب البليغ الذي طالما لمحت الالسن بذكر مناره الذي أنشأ العالم الاسلامي بابحاثه العلمية المفيدة . وقد رأيناه عند اجتماعنا به للمرة الاولى في مدرستنا خير نصير للمرأة اذا فاض علينا من بعض حكمه ما يجعلنا نزداد نشاطاً بل أن نعبد مجد السلف الصالح فنستفيد منه تلك القوة الادبية والمعارف السامية التي طالما نالت النفوس اليها . ولغفم الى ذلك ما يلائم حالتنا وتقاليدنا من الرقي المصري ، غلباً بالابتعاذ من يتابع علمه وفضله فقد قامت هيئة جمعيتنا بدعوة حضرت ليالي على هامشها بمجاضرة علمية تكوّن خير ذكرى يحفظها نادينا لسيادته .

فباسم جمعيتنا أقدم الشكر لساحته ولكل من يعاضد صروح العلم والادب ونحس منهم بالشكر حضرة الوطني النور الوحيه الفاضل السيد عارف النعماني الذي تبرع بمبلغ مائتي ليرة لمدرستنا لتصرف في سبيل تعليم الفتيات اليائسات اللواتي يدعين الى الله بأن يديه عضداً للاحسان . فسلام على كل روح أوقفت لاعلاء الوطن وأهله . بيروت ١٢ ربيع ١ سنة ١٣٣٨ خديجة بريز

خطبة النابغة الفاضلة الأنبة عنبرة سلام

سيداتي الكرميات وساداتي الافاضل

خلق الانسان للجهاد في هذه الحياة، فهو لا يزال يكافح الخطوب وينازل المرات ، فتارة يروح تحتها، وتارة تكون له الغلبة عليها . وهو دائماً في نزاع مستمر مع القوى المحيطة به . ولكنه اما ان يجاهد في كسب مبادئ وموارد وزقه فيدل على أنه انسان حي في جسم المجتمع البشري، واما ان يقوم بالنصرة العامة على طرق مختلفة، وأشد هذه الطرق صموية ما كان يقصده منها تقيير معتقدات فاسدة كتبت في ثمرس الناس أجيالا طريفة حتى يقض الله نأفته بملج

هذه المعتقدات ويكافها بأحسن منها فهو العالم الحكيم والمجاهد العظيم .
 لقد مضى على الامة الاسلامية حين من الدهر كانت تكتنفها به الجهالات
 وتصل في أعضائها ايدي الفساد فقد ابتلاها الله بمن أضاعوا رشدها وأضلوا
 سواء السبيل . أولئك قوم نصبوا أنفسهم لهدي الامة ففبقوا عليها المسالك
 وأضفوها الدين بصورة لا تنطبق على الدين الخفيف بشيء ، فغدروا أعصابها ،
 وأضفوها بفتانها ، حتى جاد الله عليها بحكماء يفتبون أعصاب العامة ويهدون
 روح العقلاء ، فأعجمت الافئدة للامة وكننا وسنداً . وتفتتها معسكر الكرمية عضداً
 ومرشداً ، ولم تكن سوريا بأقل منهما حظاً ، بل هي تفتخر بأن كان من أبنائها من
 غدا للامة هادياً ولضمتها مداوياً ، تنجحه نحوه آمال المسلمين في أقطار المعمور
 فيجدون به مضي سبيلهم والآخذ بأيديهم الى محجة السواب . ان الامة
 الاسلامية بحاجة الى من يفهمها الدين المبين بأسهل الطرق وأقربها تناولاً . اننا
 بحاجة شديدة الى علماء يوفقون بين الدينيات ومبادئ العمران التي وضعت
 عليها اساسات الدين فلا يحملون الدين بعزل عن كل ما من شأنه ان يدعو الى الحضارة
 والتقدم حتى يخال لتناظر البعيد كاللورد كرومر مثلاً ذلك الرجل العظيم الذي
 لم يكلف نفسه مؤنة البحث بل اكتفى أن يحكم على الاسلام بالمسلمين) انه
 ينافي روح العصر والمدنية وهو الدين الكريم الذي ملا الأرجاء نوراً وتغ
 في العالم روح حياة مدنت الامصار

ولن تنسى الامة الاسلامية ما أحدثتها في نفسها تعاليم المرحوم السيد جمال
 الدين الافغاني الذي نسميه بحق المصلح الكبير وفيلسوف القرن الاخير . والذي
 جدد للاسلام روحه وبهائه . وقد لاق في حياته الاصلاحية من المثرات
 ما يقني عزم الضعيف ويشجعه العظيم . فر عليها جيماً معلياً شأن الدين
 ومبشراً فلسفته الدينية على أمتن الاركان حتى شهد له فلاسفة العالم الاوربي
 بمقدرته الفائقة وعلوكبه في مباحته الدقيقة فأحطوه من الاكرام المقام الاسمى
 وكان من التواضع الذين لا تجودهم الطبيعة في كل حين .

ثم داوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ذلك الجهاد بتعاليم تروق للنفوس
 فتغذيها بأبدع الاساليب ففسر آيات الكتاب الجيد بصورة سهلة رائقة وعبارات
 بسيطة واضحة لم يسبق لها مثيل اهتزلها العالم الاسلامي اجلالاً واعجاباً وان من
 فتاويه الكثيرة لما يأخذ بالالباب . ولست بالمحدثه الشهيرة فأحدثكم عن تعاليمه

ومبادئه، وأوروي فاسفته، وفتاويه، بل يروقي أن أذكر هنا قصة صغيرة تدل على السبب البسيطة التي سار عليها الاستاذ الامام ودي في سبيلها الآن سماحة خلفه استاذنا الكبير: «أسلم أحدهم مرة لجاء الاستاذ الامام يطلب اليه فقيها يعلمه أسرار الدين فقص عليه عدة أيام وهو يماه الشروح عن الماء الطاهر منه وغير الطاهر والمطهر، جاء بهما يشكو أمر هذه الشروح العويلة الى الاستاذ رحمه الله فأجابته «اذهب يا بني فالماء الذي تشرب منه توشأ به». على هذه الطريقة السهلة الفنية ثبت في أذهان القوم الدين القويم، ويسار بهم الى الاصلاح على صراط مستقيم. وقد جاهد رحمه الله في اصلاح شأن الامة في عدة سنين ما أنفده عليها غيره في قرون، فقال عنه السيد الافغاني «انه لمصر أعز من جيش وأقوى من أسطول» وكان للامة بأجمعهما مبرز جيوش عمراتها وقائد أساطيل تجدد بنيانها. ولم تحرم الامة بعد ما يبدأ قوية على الاصلاح ولا عدت حمة عالية تلم شعنها وتقوم موجهاً فكان من فضيلة الاستاذ الكريم الذي تشرف بالاحتفال به اليوم ومن مناره الاغراءات رابطة بين المسلمين في انحاء الارض المترامية الامراف. يؤثر في تقوسهم بجهد متواصل عرفه له الخاص والعام: فقام أهل الهند يحتفلون به ذلك الاحتفال الكبير يظهرون به مشاعرهم نحو الجهاد العظيم. وقامت البلاد الاسلامية تردد صدى آرائه السامية وتقدم لجهاده ألوية شكرها وتسابيحها. وأقر له بالفضل كثيرون، وشهد بجهاده العظيم الطبيعيون، فذكر الدكتور شميل في كتابه فلسفة الفسوف والارتقاء ما يعاينه استاذنا الكريم في سبيل افهام جهلة المسلمين وعامتهم واصلاح أحوال دينهم وديارهم. وانا جريماً نعمد على اصلاحاته آمالنا لما له في القلوب من المقام الرفيع ولان لعلماء الدين من المقدرة على السير بالامة الى أحسن سبيل والاخذ بها في معارج الرقي ما ليس بقدرة غيرهم القيام به. فعلى علماء الامة تعلق الامة الرجاء، يتقدمهم نبراسها المضيء بمناره الواضحة.

وان لي اخيراً رجاء أقدمه لسماحة صاحب الفضيلة والفضل وهو توجيه عامة المسلمين الى حالة المرأة وحنهم على الاهتمام العظيم بأمر رفقها واصلاح شأنها لانها أم الامة ويدها تنرس شجيرات الخير والدلاح فلأخذوا بها في سبيل الفلاح بطريقة مثلى وليمدوها للسير الى ما تتطلبه طبيعة الايام مع المحافظة التامة على اخلاقنا الاساسية فيكون لها في رقي الامة شأن وتكون في اصلاحها.

المعون والمساعد . واني أرجو انه أن يبقى لهذه الامة عالمها الكبير يحمل لواء جهاده العظيم في رأسه قبس تستضيء به الامة جماء في مشارق الارض ومنازلها
٤ ديسمبر سنة ١٩١٩
عبد السلام

المسألة المصرية في طورها الاخير

بيننا وبين فرنسا في ١٠ ايلول ١٩١٩ انزل الوحد المصري وفي لجنة لورد ملتر وما كان من أمرها مع الوحد ولجنة الوفد التي جاءت من باريس لعرض المشروع على الامة وخلاصة رأي الامة فيه

ثم ان تقرير لجنة ملتر صدر رسميا بنصه في ١٧ جنادي الآخرة هذه السنة (٢٠ فبراير سنة ١٩٢١) وفيه فوائد وعبر كثيرة ربما نلم بشيء منها في فرصة أخرى ، وتلا صدوره بلاغ رسمي من الحكومة البريطانية هذا نص ترجمته القااهرة في ٢٦ فبراير سنة ٢٩٢١

الى حضرة صاحب العظمة السلطان يسري عابدين

يا صاحب العظمة

لم أتاخر عن ابلاغ حكومة جلالته الرأي الذي أبديتموه عظمتكم مرارا عن ضرورة وصول الحكومة الى قرار في موضوع اقتراحات اللورد ملتر يتفق مع أمانتي مصر والشعب المصري تلك الاماني التي اشتد عطف عظمتكم عليها ويسرنى أن ابلاغ عظمتكم قرار حكومتي واني متأكد ان هذا القرار يطابق رأي عظمتكم وهي تعيين وفد رسمي لاجل الشروع في تبادل الآراء مع حكومة جلالته في ما يختص بالاتفاق المنوي عقده

واني أود بسنة خاصة أن أوجه نظر عظمتكم الى روح حسن النية الذي أظهرته حكومتي بقبولها التساؤل في أمر النهاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية وستقدرون عظمتكم أن هذا التساؤل الكبير دليل صريح على الاهمية التي تعلقها حكومتي على اقامة علاقاتها مع الشعب المصري على أساس ودي دائم وهذا نص قرار حكومتي الذي كلفت ابلاغه الى عظمتكم

« ان حكومة جلالته الملك محمد درس الاقتراحات التي قدمها اللورد ملتر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية ينبغي دواءه بحجة بربرية العظمى . ومع ان حكومة جلالته لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص

٣٩٨ قرار حكومة بريطانية في شأن الاتفاق مع مصر المنار : ج ٢٠٥

بأقترحات اللورد ملتر فانها ترغب في الشروع في تبادل الآراء في هذه الاقتراحات مع وقد يعينه عظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاوة تضمن المصالح المخصوصة التي لبريطانية العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية وتطابق الاماني المشروعة لمصر والشعب المصري ، واني اغتنم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامي الفائق لكم (انهمي) وبناء على هذا البلاغ والاتفاق غير الرسمي في لندره على ان يكون عدلي باشا يكن هو رئيس الوزارة التي تتولى تأليف الوفد الرسمي الذي يتقدم للاتفاق بين انكلترة ومصر لستقالت وزارة محمد توفيق باشا نسيم وألف عدلي باشا الوزارة بالامر السلطاني كما ترى :

الامر السلطاني لعدلي باشا يكن بتأليف الوزارة ﴿

عزيزي عدلي يكن باشا

لقد كان من أقوى بواعث السرور لدينا ابلاغ امتنا المحبوبة قرار الحكومة البريطانية الذي تبلغ اليها بواسطة حضرة صاحب المقام الجليل مندوبها السامي فيما يتعلق بالنهاء الحماية وتعيين وفد رسمي من جانبنا للمفاوضة في وضع اتفاق بين البلدين وانا لنبتج هذا القرار الذي فتح الطريق لتحقيق الاماني القومية وبما لنا في ذاتكم من الثقة الكاملة قديما وما نمهده فيكم من الرؤية الصائبة التي تستدعيها مهام الامور قد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه مسند رآسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرآسة الجليلة لهذه لياقتكم . . وأصدرنا أمرا هذا لدولتكم للأخذ بتأليف هيئة وزارة جديدة تقوم بالتحاذ الوسائل السياسية التي تقتضيها الظروف الحاضرة وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا العالي به واني أضرع الى الله عز وجل بأن يحمل التوفيق رائدنا فيها يمود على بلادنا ورومايانا بالخير والسعادة بحوله تعالى وقوته

٦ رجب سنة ١٣٣٩ (١٦ مارس سنة ١٩٢١) (فؤاد)

(جواب حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا)

يا صاحب العظمة : أقدم لعظمتكم بحمزيل الشكر على ما أوليتوني من الثقة العالية اذ تفضلتم بتكليفني بتأليف الوزارة في الظروف الحاضرة وشرفتموني بتقليد رتبة الرآسة . . لقد كان لي من جليل عواطف عظمتكم اكبر مشجع على قبول هذه المهمة ووضع اخلاصي كله في خدمتكم وفي خدمة البلاد

لذلك أتشرف بأن أعرض على عفاكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل حتى اذا صادف ذلك الاستحسان العالمي يصدر الامر الكريم بالتصديق عليه

حسين رشدي باشا نائب مجلس الوزراء عبد الخالق ثروت باشا وزير الداخلية اسماعيل صدقي باشا وزير المالية أحمد زيور باشا وزير المواصلات جعفر والي باشا وزير المعارف العمومية أحمد مدحت يكن باشا وزير الاوقاف محمد شفيق باشا وزير الاشغال العمومية والحرية والبحرية نجيب بطرس غالي باشا وزير الزراعة عبد الفتاح يحيى باشا وزير الحقانية ان الوزارة ستجمل نصب عينيها في المهمة السياسية التي ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يحمل محلا للشك في استقلال مصر وستجري في هذه المهمة متشعبة بما تتوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض

وبما يوجب الارتياح أن تصرح الحكومة البريطانية بان المفاوضات ستجري على اساس الغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة فان ذلك التصريح الذي يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدهو الى الامل بأن المفاوضات التي ستحصل بهذه الروح ستفضي الى اتفاق يحقق للاماني الوطنية وتكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شمهارة المودة وتبادل الثقة وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق

وبما أن هذه الجمعية ستكون أيضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للانظمة الدستورية وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظيم بكيفية تحقق تمثيل رأي الامة تمثيلا صحيحا

وفي هذا المقام تحرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام المادي وبأنها ستتمكن بفضل تفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب الماجل . وانا نتمند على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذي يحق نجاحه امر اُماني الوزارة وانا لنندرك حق الادراك ما نحتاج اليه البلاد من الاصلاحات الكبرى

يبدأ أننا لم نكننا باشتراك الامة في وضعها نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابي الجديد . على أننا بتأييد عظمتكم لنا سنسنى بأدارة أمور البلاد وننشط في خير الطرق واصلاحها للمحافظة على مراقبتها وتوسيع نطاق رقيها وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة على يقين من أن هذا المنهج يوافق المقاصد التي مازالت عظمتكم تصبو اليها لغير رعاياها وهي مع ما نثمر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود معتزة بعطف وتمييز عظمتكم ومتمسدة على ثقة البلاد

واني لفنظتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين

القاهرة في ٧ رجب سنة ١٩٣٣ (١٧ مارس ١٩٢١) عدلي يكن

وقد قابل الشعب هذا البيان بالسرور والابتهاج لتصرحه بالسمي الى الاستقلال الذي لاشك فيه بالاتفاق مع الوفد الذي يرأسه سعد باشا زغلول ونفلا لرغائب الامة بل تنفيذها لطلبها والغاء الاحكام العرفية التي كان قد اشتد ختامها بمعاناة المواطنين الذين اتهموا بالارهاب والانتقام من المخالفين لهم في اثر مظاهرات سني ١٩١٩ و ١٩٢٠ وحكم بالاعدام على أفراد منهم في مقدمتهم عبد الرحمن بك فهمي سكرتير الوفد المصري ذو المكافة العالية في وطنيته ولكن بدل بحكم الاعدام الحكم عليه بالاشغال الشاقة خمس عشر سنة . وقد سميت هذه الوزارة وزارة الثقة وقام الشعب لها وفي مقدمته طلبة المدارس الذين هم دمه الحلي وعصبه الحساس بمظاهرات عظيمة . وقد بلغت رئيس الوفد المصري سعد باشا زغلول بيانها الوزارة ودعته لتأييدها في عملها - وكان في باريس - فعاد بمن بقي معه من أعضاء الوفد ليتولى العمل في الوطن بعد ان يقف على حال الشعب وآرائه بعد ان غاب عنه زهاء عامين فتلقته البلاد بضروب الحفاوة والاحتفال ما لم يسبق لها نظير فيها وربما عز نظيره في غيرها أيضا فكان ذلك أكل مظاهر الوحدة واجماعا من السواد الاعظم على زعيم واحد ولكن جرائم التفرق والاختلاف التي لاقح بها الوفد في أوربة فجعلته فرقتين احدهما يظاھر عدلي باشا والاخر يظاھر رؤيسه لم تلبث ان فعلت فعلها قبل ان تتم الاحتفالات بالرئيس وسنين ذلك عما يزيل كل تلبس ضللت الصحيف به الجمهور



— قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صدى « وما را » كمار الطريق —

٢٩ رمضان ١٣٣٩ - ١٥ الجوزاء (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٦ يونيو سنة ١٩٢١

تَسْأَلُكَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المنشكرين خاصة اذا ذيع الناس دمة. ونشرط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . واما نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا ، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاجتلافه

أسئلة مغربية ، من عاصمة البلاد الاسبانية

(س ١٢ - ١٤)

الحمد لله

فضيلة العلامة الاستاذ الشريف السيد محمد رشيد رضا الحسيني حياكم الله
توجد جماعة من المسلمين بأسبانيا دعيت دواعي اقتصادية وسياسية ان
يكون لباسها اللباس الافرنجي يسائر أنواعه من البرنيطة وغيرها .
ولقد اطلعت على فتوى العلامة المقدس الاستاذ الامام مفتي الديار الاسلامية
بمصر برود الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه ، الا ان الجماعة المذكورة على
مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعمدة كتب المالكية النخبة هو مختصر
أبي الفناء خليل وما كتب عليه ، والشيخ المذكور يقول في كتاب الردة
« وشذ زنا » كتب عليه الزرقاني ما نفسه : ونحوه مما يحتس بالكافر كلبس

بريطة نصراني ومراور يهودي ان سعى بذلك للكسبة . قال بناتي عنيه المراد ملبوس الكفار الخاص بهم ، وكلام المصنف ان فعل ذلك محبة في ذلك الزم وميلا لاهله واما ان فعله هزلا ولما فهو محرم اه

نحن زريد زيادة ايضاح في المسألة سواء كان ذلك داخل المذهب المالكي أو خارجه من بقية المذاهب الفرعية وذلك فيما يتماق باللباس لامن جهة الحب فيه والميل لاهله بل من جهة الاقتصاد والتسهيل ليس الا

كذلك زريد بيان الحكم في مسألة السيام والافطار على حساب النتائج المصرية والتونسية لتعذر رؤية الهلال علينا هنا في حينه ، والشيخ خليل يقول « لا ينجح » فهل يجزي الصيام والافطار بمقتضى تلك النتائج أم لا بد من الرؤية أم ماذا

وكذا زريد الحكم في حلق اللحية هل يحل شرنا أم لا ، واذا كان يحل فهل الحديث الوارد في الموطأ الذي من ضمنه « اغنوا اللحية وقصوا الشوارب » صحيح أم لا واذا كان صحيحا فما حجة من يحذفها من المسلمين بما فيهم من حلة الشرعية الاسلامية في جل الافطار :

وحيث شاء الله تعالى اتفردكم في هذا المصير بالوسومة في العلوم الدينية وغيرها وتمكنكم من زمام الفتاوى أملنا من فضيلةكم الكريمة اثارة ظلمتنا على صفحات مجلة المثار - افتونا مأجورين ولكم الفضل سلفا ، والله المسؤول ان يديمكم مصباحا يستضاء به (في) الاسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام

مدريد - في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ غلص الود لكم

محمد البلقيشي العلوي الحسني

تمهيد للجواب عن هذه الاسئلة

تشديد العقاب وعاقبة تقليد

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه وجعلنا من المعتصمين بهداية كتابه وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح من هذه الامة الوسط - أن عقاب المذاهب كلها قد توسعوا في فروع الشرعة بأقيستهم واختلاف افهامهم وتأثير الازمنة والامكنة التي كانوا فيها لجعلوا الخفيفة السمحة التي رفع الله عنها الحرج وبنائها على أساس اليسردون المبرمن أعر الشرائع فهما وأثقلها على البشر حملا حتى هجر حل أهلها دراستها وترك أكثرهم العمل بأكثر أحكامها وما جاء هذا

ار: ج ٢٦ ٢٢ تحريم لائحة لتقليدهم ومعنى اتباع مذهبهم بحث ٢٢١

به الا من توسع هؤلاء المصنفين في تلك الكتب المنولة في الفقه التي يقل بها ذكر القرآن والأحاديث النبوية ويكثر فيها قال فلان وصح فلان ورجح فلان . ومن معجزات هذا الدين ان كل ما صح في كتاب الله تعالى وما بينه من سنة رسول الله (ص) في منتهى اليسر والسباحة ، كما صح في وصف هذه الشريعة ، وكل ما أشرنا اليه من العمران ما هو اجتهاد من أولئك المصنفين في بقية بعد عصر السلف الصالحين وأتوهم غير مجتهدين ، ولا على سيرة من عوا اتباعهم من المجتهدين ، فن تقيد بتقليد هؤلاء يتعذر أو يتعسر عليه . لا يكون ملزمًا بأمر دينه كما يجب ، ولقد كان الاعرابي في عصر السعادة بين يدي الرسول ويشتمل دينه في مجلس واحد ويقسم أنه لا يزيد على ما علم وجوبه عليه ولا ينقص منه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « أفلح ان صدق . أو - دخل الجنة ان صدق » كما ورد في الصحيحين وغيرهما

وأنت تعلم أن الأئمة المجتهدين من علماء الامصار المتبينين لم يجزوا لانفسهم ان يكونوا شارعين وان يكون كلامهم دينًا يتبع لان من اتحل هذا فقد جعل نفسه شريكاً لرب العالمين كما بيناه في التفسير من هذا الجزء والذي قبله . وانما استنبطوا ما استنبطوا لاجل فتح أبواب الفهم في النصوص مما ارشاد الناس الى انه لا يجوز لاحد ان يقلد في فهمه ، وانما يعمل من ظهر له مع النظر في الكتاب السنة انه هو الحق الذي شرعه الله ، وقد بين ذلك الجزئي صاحب الامام الشافعي في أول مختصره الفقهي بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من ان علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لاقربه على من اراده مع اعلاميه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه بالله التوفيق »

وكان جميع الأئمة على هذا ولو لم يكونوا عليه لما صح ان يكونوا أئمة مجتهدين مجتهدين وقد دخل القمني على الامام مالك وهو في مرض موته فقرأه يسأل نفسه عن سبب بكائه فأخبره أنه ما بلغه من ان الناس يعملون بأقواله مع انه قد يقول القول ثم يظهر له خلطه فيرجع عنه ، فقد خشي ان يضل الناس به عن شرعهم ونصوص كتاب الله وسنة رسوله (ص)

واذكرك مع عدم بهذا ان مذهب المجتهدين عبارة عن الطريق الفقهية في فهم الشريعة من الدلائل وأصول الاستنباط المعروفة في الأصول . فهذا

ما يصح للفقهاء على مذهبه أن يجري عليه إذا كان مقتنعا بصحته وليس معناه أن يأخذ فروعه المستنبطة فيجعلها أصولا للدين يستنبط منها أحكاما ويقبس عليها أخرى بحسب فهمه ويسمى هذا شرعا في الإيمان والكفر وعبادة الله والحلال والحرام، مع ما علم من أمر التشريع وجعل استحاله واتباع منتحلة من الشرك والافتراء على الله. وبهذا تعلم أن هؤلاء المقلدين المؤلفين في الفقه ليسوا متبیین في كل ما قالوه في كتبهم لمذاهب الأئمة الذين يدعون أن هذا الفقه فقههم

مثال ذلك أن مذهب الامام مالك أتباع نفوس الكتاب والسنة في المباديات والوقوف مع ظواهر النفوس وفهم أهل السدر الاول لها ومصلهم بها - ولا سيما أهل المدينة في زمنه - دون الدوران فيها مع الطل والحكم وما يسمونه المعنى المناسب. ومذهبه في أحكام المعاملات والمنازات صراحة مقاصد الشرع والمصالح العامة المعروفة من أصوله لا مجرد ظواهر اللفاظ كما بينه العلامة الشافعي في الاعتصام (١) وغيره وهو معروف مشهور عنه - وترى بعض الفقهاء خرجوا عن أصل مذهب المذکور في مسائل كثيرة من المباديات بحجة اتباعه والعمل به وأكتفي بشاهد من الشواهد على ذلك :

رأيت رجلا مالكيّا ممعلا لا أحرفه يذكر لفقه مالكي أعرفه ما ذكره هؤلاء من الشروط في ماسح الخلف وفي الخلف الذي يجوز المسح عليه ككونه من الجلد وكونه مخروزا وأنه إذا كان ملصقا لا يجوز المسح عليه الخ

فقلت له ما الدليل على هذه الشروط في المذهب ؟ قال قاعدة الامام مالك في الاتباع في المباديات والقرام ما ثبت في الكتاب السنة وهكذا كانت الخفاف في عصر النبي (ص) قلت أن هذا مخالف لمذهب الامام مالك كل مخالفة فانه لم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الخلف الذي يجوز المسح عليه يجب أن يكون جلدا وأن يكون مخروزا، ولا دليل على أن الخفاف كلها كانت كذلك، وإذا ثبت كونها كذلك بالفعل فذلك لا يدل على الشرطية لا عند أهل الاتباع المحض ولا عند أهل الرأي في التمسك. مثال ذلك المطابق له المسح على الهامة قد ثبت في السنة فهل يشترط في مسحنا الهامة أن تكون كهامة الرسول (ص) في صفات نسيجها ككونه من القطن أو الصوف وكونه من نسيج الخمين أو غيرها وكون ملولها كذا ذراعا ؟

ان من الاصول التي لا تجارى فيها عاقلان ان أمثال هذه الصفات والاحوال التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه في لباسهم وأكلهم وشربهم وهياتهم حتى في وقت أداء العبادة لا تعد من فرائض الدين ولا من شروط صحة العبادة ولا من المتدوبات الشرعية لمجرد كونهم عليها وانما يتحقق كون الشيء واجبا أو شرطا أو مندوبا بنص شرعي يدل عليه دلالة صحيحة والجمهور لا يعدون فعله (ص) دالا على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل

وجملة القول ان جماهير المصنفين من خلف هذه الامة قد خالفوا سلفها وعسروا يسر شريعتها حتى أدخلوا الامة في جحر الضب الذي حذرهم منه الرسول (ص) في الحديث المتفق عليه « ولتبتعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد صبر المسلمون قرونا على الحبس في جحر الضب ثم ضاقوا به ذرعا حتى خرج بعضهم منه من غير الباب الذي دخلوا منه فرقوا من الاسلام وحسبوا انه هو جحر الضب لاسواء وانه لا قبل لهم به — ودعاة الإصلاح يريدون أن يخرجوهم الى حقيقة الاسلام وهو الباب الذي دخلوا منه اذ أوهمهم المصرون انه هو الاسلام . وما الاسلام الا القرآن وسنة الرسول في بيانه على الوجه الذي كان عليه جماعة السلف الذين أمر الرسول بلزوم جماعتهم فكان اجماعهم حجة فيما اتفقوا على انه دين

وفي هذا المقام احتج على المقلدين بعلم امام من الائمة المجتهدين واجمله شاهدا ثانيا على ما ذكرته من معنى مذاهبيهم ومخالفة من يدعون اتباعهم لها .

قال الامام الشافعي رحمه الله في أول باب الاجماع من رسالته بعد تفصيل الكلام في الكتاب والسنة « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحمل المسلم علم كتابا ولا سنة ان يقول بخلاف واحد منهما » فقال لا يحمل المسلم ولم يقل لمجتهد وهو منكرة متفية بقيد العموم ثم بين في هذا الباب لمن سأله عن الحجة على العمل بالاجماع ان الجماعة التي أمر الرسول (ص) بلزومها هي جماعة الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم الذين لا تمزب سق رسول الله (ص) عن عامتهم (أي جلستهم وسوادهم الاعظم) وقد تمزب عن بعضهم . وقال في آخر الفصل « فلم يكن لزوم جماعتهم معنى الاماعليه جماعتهم من التحليل والتحرير والطاعة فيها » وهذا ظاهر كالشمس وهو غير الاجماع الاصولي الذي لا تقوم عليه حجة

(المنار: ج ٦) (٥٥) (المجلد الثاني والعشرون)

اذتعمد هذا فهناك أجوبة الاسئلة :

(الجواب عن مسألة الزي)

ان ما قاله الفقهاء في النار ونحوه لا يطبق على سائر الناس في لبس ثياب الافرنج لانها ليست من الزي الديني ولا تلبسونها بالقصد الذي قالوه وتوضح المسألة ببعض ما سبق لنا تفصيله في المجلد الاول والسادس وغيرهما فنقول

ان الاسلام لم يقيد المسلمين بزي خاص فقد كان النبي (ص) يلبس زي قومه الذي كانوا عليه في الجاهلية في عامة أيام رسالته وقد عرضه لبس أزياء غيرهم من الامم فلبسه بيانا للجواز كالجبة الرومية من لباس النصراني كما ثبت في الصحيحين وجبة الطليالة الكسروانية من لباس الجوس كما ثبت في صحيح مسلم فالاصل في الازياء الاباحة كما نالها من المبادات وقد تعتبرها الاحكام الحقة بما يمرض عليها من دفع ضرر يفتني أو ظني أو وقوعه أو تحصيل نفع كذلك. ومما سبق لنا بيان غير مرة ان بعض كبار المذاهب من المسلمين قد تنبهوا ونهتوا لما في مسألة الزي من التأثير السياسي والاجتماعي فكروا ان يقلدوا غيرهم من الامم في أزيائهم في أثناء الفتوح العربية وغيرها لئلا يندغموا في الامم التي فتحوا بلادها بسبب قتلهم فيها ولا يهلكوا ائمة هادين متبوعين لانابمين مقلدين، وقد اتبهم الاوربيون في هذا المعنى

وأول من تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى مسلم انه كتب الى جيشه وهم في أذربيجان مخاطباً قائده : يا عتبة بن فرقان انه ليس من كد أهلك ولا من كد أمك فاشيع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك واياكم والتنعم وزي أهل الشرك الخ قال النووي في شرح مسلم : وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرايني باسناد صحيح قال : أما بعد فأنزروا وارشدوا وألقوا الخفاف والسرابلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل، واياكم والتنعم وزي الاعاجم، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وعمدوا واخشوشنوا واقطعوا الركب (١) وبرزوا وارموا الاغراض ارم وقوله تمتدوا امتناه تشبهوا بجدكم معد بن عدنان في أسباب القوة والصلاة ، وهذا نحو مما يعرف في تاريخ اليونان عن الاسبرطيين والتشبه بهم في مصارعة الشدائد. ثم ان المسلمين لبسوا كل زي في بلاد اهل وفي بلادهم وقد لبسوا في زمن المنصور بأمره قلائس قتلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد من العلماء كما أنكروا

على السلطان محمود الثاني استبدال زي الافرنج زي قومه المعروف ثم زال
الاستنار ، وللسلدين في الاقطار المختلفة أزياء كثيرة ملبت مدورها حديثا في
مدينة كبيرة احدى ادارات الجرائد الاسكندرية وفيها يرى الناظر ما يرى من
المشابهة بينها وبين أزياء الملل الاخرى

وما قاله الفقهاء في حكم من لبس ملابس الكفار فهو مبني على مدرك
نظري معروف وهوان من يلبس ملابس أهل مله مما هو خاص بدينهم تقصيرا
لتلك الملّة على ملته كان مرتدا وهذا اللبس بشروطه دليل على الردة عنها
والانضمام الى غيرها ولكنه غير مطرد واذ اصح للفقيه ان يذكره للتنبيه والتذكير
والتشهير فلا يصح للمفتي ولا القاضي أن يأمر به عند الفتوى والحكم في النوازل
والشكاوي المعينة على علانته ولا يصح بالاولى أن يحمله على نفسه من يلبس
لبس أهل مله لاسب من الاسباب التي لا تنافي الدين ولا تحمل بالايعان
كالاسباب الصحية ومنها انتقاء الحر والبرد أو الاقتصادية أو السياسية
كالميون والجوايسيس أو العسكرية أو الاجتماعية كمن وجد مع قوم وهو يعلم
انه اذا ظهر زي مخالف لزيهم يتأذى باحتقارهم اياه أو تشهيرهم به أو كثرة
التسلع اليه والاستغراب لزيه وقد ورد في السنن الشعبي عن لبس الشهرة
والوعيد عليه في حديث أبي ذر عند ابن ماجه والضياع وحديث ابن عمر
عند أبي داود وابن ماجه وحسنهما ، وأكثر من يميز زيه من المسلمين الذين
يذهبون الى أوروبا فانما يميزونها للسبب الاخير ولا سيما التغيير بلبس القبة
المروقة بالبرنيطة فانه لم يبق فارق بين كثير منهم وبين الاوربيين الا فيما يوضع
على الرأس ، والبرنيطة عنده ليست شعارا دينيا للافرنج ولا هي خاصة بهم وقد
نفت ان بعض حرب الجن صنعوها لوقاية من الشر وسموها المظلة ولا يخطر
ببال أحد من يلبسها من المسلمين أنه فعل على دينه دين القوم فلا وجه اذا جعلها
امارة على الردة ولا للقول بتحريمها بل هذا التحريم شر من لبسها وأشد خطرا
على دين القائل به لان معناه ان الله تعالى آوّل وحيه بخطاب يقتضي ترك لبسها
اقتضاء لازما ويحبر بأن جزءا من لبسها العقاب في الآخرة . وهذه جرأة على
لافتراء على الله تعالى والقول عليه بغير علم وهذا كفر يتعدى شره الى حمل
الناس على العمل به فهو أغفل من التارك القاصر ضرره على صاحبه كما قاله
بعض العلماء في تفسير آية (٧ : ٣٦) قل انما حرم وبني التواضع ما ظهر منها وما

بطن والآنم والبني بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون) اذ قال ان غلظ هذه المحرمات جاء فيها على طريق الترمي
وانما كان الاخير أغلظ مما قبله لانه شرك متمد وما قبله شرك قاصر - وهو
اتباع قائله به بغير علم من نبي الوحي فقد اتخذ ربا وشريكا كما علم بالتصميم
من تفسير هذا الجزء من المنار والجزء الذي قبله . وقد حققنا مسألة الردة
بعض الفتاوى من أجزاء هذا المجلد وفي مجلدات أخرى من المنار

(الجواب عن مسألة الصيام والفطر)

بقول أهل الحساب أصحاب النتائج)

هذا السؤال غريب من مثل سائله الفاضل فهو يعلم ان حكم الشرع في
صيام رمضان والافطار منه منوط برؤية الهلال اذا تيسر والا فبالكمال عد
شعبان في الصيام وعدة رمضان في الافطار ثلاثين يوما ، وحكمة ذلك جعل
المادة ابتداء وانتهاء مما يتيسر ان علم بمواقته لكل جماعة ولكل فرد من الامة
وحكمة عدم نوط هذا التوقيت بالحاسبين من علماء الملك هو ان لا يكون أمر
المباداة مترقعا على أصحاب الفنون الذين لا يجدون في كل مكان وان لا يكون
لامثال هؤلاء الافراد حكم فيها ولا رياسة أو شبه رياسة دينية بسببها . ولعله
لا يعلم ان اهل مصر وتونس أنفسهم لا يعملون بهذه النتائج في الصيام والافطار
بل بآليات رؤية الهلال أو اكمال المدة ولكن قد يستعينون بها على الاستهلال
فيرصدون الهلال في الليلة الذي تنص على انه يرى فيها وفي المكان الذي يرى
فيه بالنسبة الى مغرب الشمس

وقد استغربنا بناءه السؤال على تمذر رؤية الهلال عليهم في أسبانية وهو
لم يبين سببه وقد كانت هذه البلاد (الاندلس) في حكم الاسلام وكانوا يرون
الهلال فيها ولعل السائل ومن معه يقيمون في فندق أو دار لا يمكنهم الصعود
الى سطحها أو لا يرى مكان الهلال من الافق لتواقف على سطحها ويتمذر عليهم
رؤيته من سطح آخر أو من ضواحي البلد ، فاذا تمذر عليهم ذلك بالفعل فلا
يبيد ان يقال انهم يعملون بحسابهم أو حساب من يشقون بعلمه اذا قال ان
الهلال في ذلك البلد أو في افقه يولد في وقت كذا ويمكن رؤيته بالابصار في
ليلة كذا - فالليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال بالفعل هي اول الشهر الشرعي .

واختلاف المطالع ثابت قطعاً فلا يصح اعتماد من في أسبانية على نتائج مصر أو تونس بجمل أول الشهر فيها هو أول الشهر في مدريد

(الجواب عن مسألة خلق الله)

هذه المسألة وامثالها مما سيأتي ليست دينية مما يعبد الله به فعلاً أو تركاً وانما هي من الامور المادية المتعلقة بالزينة والتجمل والثقافة وقدسية في الاحاديث الواردة فيها سنن الفطرة أي الماديات المتعلقة بحسن الخلقة ففي حديث أبي هريرة عند الجماعة (أحمد والشيخين وأصحاب السنن الاربعة) قال رسول الله (ص) «خمس من الفطرة الاستعداد (أي خلق المانة) والختان وقص الشارب وتنف الابط وتقليم الاظفار» وفي حديث عائشة مرفوعاً عند أحمد ومسلم والترمذي والنسائي «عشر من الفطرة: قص الشارب واغفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وخلق المانة وانتقاص الماء» أي الاستنجاء قال مصعب بن شيبة راويه: ونسيت المائسة الا أن تكون المضمضة

وورد في الحية والشارب أخبار مملئة بملة أخرى وهي مخالفة المشركين والمجوس ففي حديث ابن عمر في الصحيحين ومسنده أحمد مرفوعاً «خالفوا المشركين: وفروا الله واحفروا الشوارب» زاد البخاري وكان ابن عمر اذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فافضل أخذه. أي قصه. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جزوا الشوارب وارخوا الله خالفوا المجوس» وقد كان النبي (ص) في أول الاسلام يحب مخالفة المشركين ومواقفة أهل الكتاب ثم صار يمد المجرية بأمر بمخالفة أهل الكتاب حتى في الامور الاجتماعية والمادية لان المسلمين كانوا في أول الاسلام مع المشركين في مكة فكان يجب أن يمتازوا عنهم وكانوا يمد المجرية مخالطين لأهل الكتاب فكان يجب ان يمتازوا عنهم. مثال ذلك امره بصيغ الشيب في حديث ابن عباس في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي «ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» وفي لفظ عنه للترمذي «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»

والامر في مثل هذه الامور المادية ليس لاوجوب الديني والنهي عنها ليس لتحريم كما قال الامام الطبري والظاهر أن الامر فيها للارشاد الذي يتعلق

بمنافع الدنيا ومعالجها كحديث « كلوا الرث وادهنوا به » رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح وتشته « فانه طبيب مبارك » وعنه وعن غيره بأسانيد ضعيفة وتتمه أخرى . هذا ما يوافق أصولهم والمشهور عند أكثر الفقهاء ان هذه الخصال كلها مستحبة الاختان فقد قالوا بوجوبه للذكر وقالت المالكية بوجوب اغفاء اللحية وقال الجمهور باستحباب ارسال شعر الرأس وفرقه واستحباب صنع الشيب وخضابه لمخالفة الكفار كما ورد . فأما ما وصف بأنه من سنن الفطرة فالفرض منه أن تكون الامور الفطرية أي أمور المخلقة على أحسن حال في حسن المنظر والنظافة والصحة . وأما ما ذكر لمخالفة أهل الملل فلاجل ان يكون لمسلمين مشخصات وعادات حسنة خاصة بهم من حيث هم أمة جديدة جعلها دينها اماما وقدرة لسائر الملل في اصلاح امور الدين والدنيا وقد كان التمسك بالدين والاجتماعي عام في جميع الامم بأجماع المؤرخين اما قس الشارب واقل ما قال الفقهاء فيه ان تظهر الشفتان وأكثره استنشاله ولو بخلقه فحكمة فاهور الفم وجماله ومراساة الصحة والنظافة فان شعر الشاربين يملقه النبار ودم اللعاب وما فيه من جراثيم الامراض فاذا شرب صاحبه من اناء دخل شعره فيه فيؤثر في الشراب كما يؤثر الشراب فيه وقد يتعذر الاسراع بتنشيفه كما يؤثر في الملاعق اذا اكل بها ثم لا يزال اكثر الناس يضطرون الى الشرب من اناء واحد والاكل من صحفة واحدة كاهل العصور القديمة ولا يخفى ما يترتب على ذلك . وأما كون اغفاء اللحية من سنن الفطرة فمعناه انه زينة خص بها الرجل الذي هو اكل من المرأة خائفا فامتاز به عليها كامتياز أكثر ذكور الحيوان على انثاه ، ولم ترد مبالغة في اغفائها كما ورد في احفاء الشارب بل قال ابن السيدجل بعضهم قوله « اغفوا الاحي » على الاخذ منها باصلاح ماشد منها طولا وعرضا واستشهد بقول زهير على آثار من ذهب الغفاء وهو شاذ وظاهر الرواية ان المراد به ترك حلقها كما كانت تفعل الاعاجم أو قصها قصا يقرب من الحلق بحيث تزول هذه الزينة وما فيها من المهابة . قال الحافظ في شرح ما ذكرنا من زيادة البخاري في حديث ابن عمر المذكور آتيا : الذي يظهر أن ابن عمر كان لا يخش هذا التخصيص بالنسك بل كان يحمل الامر بالاغفاء على غير الحالة التي تنشوء فيها الصورة بأفراط طول شعر اللحية أو عرسه فقد قال العنبري : ذهب قوم الى ظاهر الحديث ففكرها تناول شيء من الاحبة من

سولها ومن عرضها وقال قوم اذارك على الفبضة يؤخذ الزائد - وذكر عنه الاستدلال بحديث ابن عمر وغيره ثم قال - ثم حكى الطبري اختلافه فيؤخذ من الاحبة هل له حد أم لا فأسند عن جماعة الافتداء على أخذ الذي يزيد منها على قدر انكف وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما ينحش وعن عطاء نحوه قال وحمل هؤلاء الذهي على منع ما كانت الاساجي تقفنه من نفسها وتخيفها قال وكذا آخرون الترض لها الا في حج أو عمرة وأسند عن جماعة واختار قول عطاء وقال ان الرجل لو ترك لحيته لا يترض لها حتى خش طولها وعرضها لمرض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن حده أن النبي (ص) كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها ، وهذا أخرجه الترمذي ونقل عن البخاري أنه قال في راويه عمر بن هارون لا اعلم له حديثاً منكراً الا هذا وقد ضعف عمر بن هارون مطلقاً جماعة . وقال عياض كرهه حلق الاحبة وقصها وتخفيفها وأما الاخذ من طولها وعرضها اذا عثمت فحسن بل تكره الشهرة في تمثيلها كما تكره في تفسيرها ، وتعبه الثوري بأنه خلاف ظاهر الخبر في توفيرها اذ المراد منه

وجملة القول أن حديث مالك في المسألة مؤيد بأخبار السجيين والسق
فهو صحيح واكثر انماء على كراهة حتى انتهى وهذا ترك الشارب الى
ستر الشفتين والمسألة عادية دينية تتركى بها النفس لتكون أهلاً لجوار
له ونوابه في الآخرة كما قلنا . وان كان فعلها بنية الاتباع وتقوية رابطة الامة
ما يثاب عليه كسائر الامادات والمباحات التي تحسن فيها النية، ولكون هذه المسائل
غير دينية لم يمن المسلمون بالخصاب ومسبغ الشعر كما غنوا بارسال اللهى مع
سعة الاحاديث بالامر به وكونه زينة ومخالفة لاهل الكتاب بل كرهه بعضهم
وحرمه آخرون بالسواد، وقد صرح أن ابا بكر كان يخضب بالحناء والكم وفي
حديث أبي ذر عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي « ان احسن
ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكم » (بوزن الجبل) نبات يمتلي
سبغه اسود ضارب الى الحمرة نعم صرح كثير من باستحباب صبغ الشعر
بخضابه مطلقاً وبعضهم بما عدا السواد لحديث امره (ص) بتغيير شيب ابني
بحافة مع قوته . وجنبوه السواد « ولا احاديث اخرى لا يصح منه شيء
لرفوع وقد سبق لنا تحقيق ذلك في المنار وحديث « جنبوه السواد » لا يبدل

على تحريم السواد ولكنه لم يستحسنه (ص) لشيخ بلغ من الكبر عتياً كابي قحافة وكان شعر رأسه ولحيته كالنظام في بياضه كما قال بعضهم فاعلة ذوقية واضحة كما يأتي عن ابن شهاب قريباً. وذكر الحافظ في الفتح ان الذين اجازوا الصبغ بالسواد نمسكوا بالامر المطلق بتغييره مخالفة للاعاجم (ثم قال) وقد رخص فيه بطائفة من السلف منهم سعد بن ابي وقاص وعقبة ابن عامر والحسن والحسين وجبر و غير واحد (اي من الصحابة) واختاره ابن ابي عاصم في كتاب الخضاب له واجاب عن حديث ابن عباس عند ابي داود «يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد كخواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة» بأنه اخبار عن قوم هذه صفتهم وذكر عن ابن شهاب انه قال : كننا نخضب بالسواد اذا كان الوجه جديداً فلما نفى الوجه والاسنان تركناه .

وجملة القول ان اكثر العلماء كرهوا الخضاب بالسواد وجعل النووي الكراهة للتحريم وهو كثير التشديد وقد حقق ابن الاثير وغيره ان الخضاب بالحناء والكنم مما يكون اسود وقد صح استحسان النبي (ص) له قولاً وفعلًا اذ رأى من خضب به وان ابا بكر كان يخضب بهما معا أو منفردين ، وهل يعقل اذا صح أن- واد خضابه يضرب الى الحمرة ان يكون السواد الحالك سبباً للحرمان من رائحة الجنة ؟ أو ليس الموافق لاصول الشريعة ان صح هذا ان نقول انه علامة لقوم من المبتدعة المجرمين في آخر الزمان يجرمون الجنة باجرامهم لا بخضابهم كما جعل خلق الشعر علامة للخوارج - والا كان سعد بن ابي وقاص واحداً عشرة وسيدا شباب اهل الجنة أول من يتناولهم هذا الوعيد الشديد ؟ أو ليس من علامة وضع الحديث ترتيب الثواب العظيم أو العقاب الشديد فيه على التافه من العمل ؟ وقد قال ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وخطأه من صححوه وحسنوه من حيث السند على ان فيه عبد الكريم غير منسوب قيل ان كان الجزري فقد روى عنه الشيخان نقول ومنع ابن حبان الاحتجاج بما يتفرد به كهذا الحديث وان كان ابن أبي الخوارق فضيف . وقد اضطروا الى تأويل الوعيد فيه بالتكلف

وأما قول السائل اذا كان الحديث صحيحاً فما حجة من يخلق لحيته من المسلمين بما فيهم من جملة الشريعة - تجوابه ان المسلمين قد ترك الكثيرون منهم ما هو اعظم شأنًا من قص الشارب واعفاء اللحية من السنن والآداب

الاسلامية من دينية اجتماعية ودينية وكثيرا من الفرائض أينما وقتا يحتاجون
 شيء من ذلك الا اذا قال أو عمل به بعض شيروخهم في الثقة أو التصوف
 وقد يقولون ان جمهور غلبتهم يقولون باستحبابه لا وجوبه ، نلا والدواب أن كل
 قوم يعملون بما ألفوا واعتادوا من هذه السنن حتى ان بعض السلف تهاونوا
 في بعضها ولاجل هذا توسمنا في المسألة بذكر سنة السلف التي لم يتمودها
 الا القليل منهم منذ عصر السلف فقد روي ان الامام أحمد رأى رجلا قد خضب
 لحية فقال اني لأرى رجلا قد أحيا ميتا من السنن وفرح به . وروي عنه في ذلك
 أقوال أخرى . ونسرب له مثلا من المتبدلة غلبت من هذا لافي في مسألة عملية
 تتعلق بمقيدة التوحيد وهو . وروى عن حضراته وروى عن الاميريين بها وحضر
 اشرف القبور ولاسيما قبور الصالحين واتخذها مساجد ووضع السرج عليها والامر
 بتسوية القبور المشرفة المرتفعة عن الارض بالتراب . نذكر ذلك صرح في الاحاديث
 وعلمه انها من أعمال الشرك والوثنية التي سرت الى عمل السكتاب من الوثنيين -
 ولكن المسلمين زكروا العناية بالتدوير والدور والتأويل حتى ما لا دخل له
 في الوثنية وأمور الدين بوجه من الوجود وان كان من أهم منافع الدنيا
 ومصلحتها كاللغة والعلم والحرب - وغنوا بتدوير الصالحين حتى اتخذوها مساجد
 وشرفوها ورفعوا بنيانها وحبسوا الاوقاف على ما وضع السرج والمصابيح
 عايتها وصاروا يشدون الرجال اليها ويلطفون بها تدنيا فوقعوا في مل من حرم
 الشرع بناءها وتعميرها لاجله والفقهاء يقرؤونهم على ذلك والفتنة يحكون
 بصحة أوقافهم وهم يقرؤون الاحاديث الصحيحة في لمن من فعل ذلك
 أكبر أسباب تهاون المسلمين بأمر دينهم وآدابهم ومشخصاتهم المالية في
 أكثر البلاد أرا ان (احدهما) ترك العلماء فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (وثانيهما) عدم وجود حكومة اسلامية تحافظ على الشرائع
 الدينية ، ومقومات الامة ومشخصاتها المالية ، ولذلك لا ترى مثل هذا التهاون
 في بلاد نجد وبلاد الافغان وكذا بلاد الهند التي لم يتولى الترك الحكم فيها كجبال
 الزيدية ولكن بعض هؤلاء المتدينين قد غلبوا في دينهم حتى وقعوا في مثل
 ما انكروا وفيما هو شر منه كتحريم ما لم يحرم الله ورسوله افتراء على الله وقولا
 عليه بغير علم وتكفير المسلمين بما ليس كفر ولا عسما
 وقد فتن أهل البلاد العشائية والمدنية بتقليد الامم الغريبة فيهم كما هو
 (المنار: ج ٢٢) (٥٦) (الجلد الثاني والعشرون)

معروف ومن الجواب ان كثيراً من الذين يتكلمون ازياً هم من المسلمين ولبسوا الزي الافرنجي يشاءون بأمر الدين ويتجرون على العقوق والتجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة المالية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غير زية لاجل التوسل به الى المعاصي كان تغييره معصية ومن حاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يبالون بهذا اذا كان لمدح افعالهم وللأمر والنهي فليسوا على شيء من الدين - ولعل هذا ما كان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في الامادات ولكن الجرأة على التحريم والتكفير للاشخاص المعينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره وينكره الثلاثة فالافراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجنابة عليه والاضاعة له فنسأل الله الحفظ والسداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة للعبارة والتاريخ

تمهيد ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية - مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشر في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقريرنا جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر الحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذفت منه المراقبة الانكليزية ما حذفت ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السادة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل معينة من أهمها المسألة العربية والحجاز . على (١) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا ننقل بعض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمنار ألبتة أو يحذف بعضه حتى نحذف بعض تقرير مشيخة الأزهر الرسمي في اعتقاد مشروع التعليم الاول عند نشرنا اياه قلنا عن الجرائد

أذاراعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الرمان. فكتبتنا عن بعض الحقائق وبيننا بعضها بالتصريح ، واضطررنا في البعض الآخر الى الايماء والتدريج: وانا نذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الفناء المراقبة على الصحف في مصر بعض الحقائق وزججى ، بعضها الى فرصة أخرى ، قاصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعنة والتدكري ، فنقول

اتنا كننا تتوقع وقوع الحرب الاوربية الكبرى قبل وقوعها بزمن بعيد ولا سببا بعد حرب البلقان خلافا لجماهير المنكرين الذين كانوا يستمدونه أو يحيلونه ظنا منهم أن الدول العظمى وصات المدرجة الكمال في القتل والتفنية ومراعاة المصالح الانسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالاساليب انسياسية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بامكان وقوع هذه الحرب الا بعد اشتعال نلرها بالقمل

وكنا نعتقد أن الدول الاوربية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناما لفرصة تهور الاتحاديين وتغييرهم للمناظر المنيانية بفلوهم في المعصية التركية ، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات العشر التي كتبناها بعنوان (المساءلة الشرقية) بمناسبة استيلاء ايطالية على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المنار ، وكأنت نشرها في المؤيد مثيرا لبعض وكلاء الدول الاوربية وحاملا لهم على مراجعة العميد البريطاني بمصر وإيعاز العميد الى رئيس الوزارة المصرية بايذان صاحب المؤيد بالامر ووجوب مطالبة اياي بتخفيف الحلة عن الدول بمجانبها وحصر الكلام في ايطالية ومساءلة طرابلس وقد حملنا في المنار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضته من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقة تقوذا اقتصادي لها وشروع الاتفاق مع فرنسا على مثل ذلك في سورية كما حملنا عليها في اتفاقها السري مع ايطالية واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في الحرب بعد أن أخذوا غير واحد من زعمائهم بأنهم يقيموننا ويرقون شعبيهم بشتنا ، ولأجل هذا اندفع العرب المنيانيون الى طلب الاستقلال الاداري من الدولة لولاياتهم على طريقة اللامركزية

ولما أعلنت المانية الحرب على روسية جزمنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وان دولتنا تستعمل نلرها مع المانية لما كننا نعلم من الروابط بين زعماء

٤٤٤ وعد الانكليز بعدم أخذ شيء من بلاد العرب المثار: ٢٢ م

الاتحاديين وبينها وتوقعنا أن نكون الحرب سبباً لحل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يمتنون به العرب من الإصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الاول ببائيس ، لآل الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبعث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما احدثوه من المصيبة الجنسية سبباً للنزاع الموجب للفصل ، ولأجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في اثمار برصية الشعب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالاصلاح ويكون مع الترك يداً واحدة وكلمة واحدة فيما تقتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للثغر ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكليز باستقلال العرب ومساعدتهم

في هذه الاثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عزمت على المطف على العرب ومساعدتهم بنفوذهم الادبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الإصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تتظاهر به واما اذا انضمت الى المانية في الحرب فانها تساعدهم على الاستقلال وتكوين دولة عربية ولما اصلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نخاف عليه بلادنا العربية لان حالية من المحضون والمنازل الحربية وبميدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة، ولم نلبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق لاجزاب مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانما لا ينبغي أخذ شيء منها وإذا اضرت الى محاربة الترك فيها فانها تترك لهم كل ما تدخله منها بمد اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مسلمين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخفونهم أعداء، وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان يمثل ما بلغنا بعصر عن بلاغ من لندن. ثم اطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم نر عبارته مفيدة ما وعدونا به بل هي ايهام محض فاقترحنا عليهم أن يصرحوا فيهم بالمراد تصريحاً لا يخلل التواويل ككونهم يتمهدون باستقلال هذه البلاد إذا طمروا في الحرب ونحمن حشدته على ذلك وبعدم أخذ شيء من البلاد العربية لا باسم الفتح والامتلاك ، ولا الحمية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالفار

البصرة والتي سيدخلونها من بعد بلا شرط ولا قيد . وبعد التشاور بينهم ومراجعة حكومتهم العليا بلندن في ذلك حذفوا هذه القيود . وكما يرجى منا مساعدة بناء على تلك الوعود فكنتنا لهم مذكورة بعد مذكورة في الاحتجاج على ما نهرلنا منهم . وبيان خوف العرب على بلادهم من انكثرة دون سواها واعتقادهم انها هي الخصم لهم وتحذيرهم من الغرور عما كتب جرائده وبعض الجرائد المداعنة لهم من وصفهم بأنهم أصدقاء العرب وان العرب اصدقاءهم - وبيان مكان الدولة العثمانية من الاسلام والمسلمين وما به - . فون له من غداوة العالم الاسلامي لهم وفي مقدمته مسلموا الهند وجعلهم ابنا واحداً غيهم اذا هم استولوا على بلاد العراق وسورية ومنها البلاد المقدسة وما يترب على ذلك من مبرورة الحجاز تحت رحمة تصرفهم مع محاربهم للدولة التي يترف لها السواد الاعظم من المسلمين بانها دولة الخلافة اذ يعتقدون حينئذ حقيقة ما هم به دولتهم من عزها على ازالة الحكم الاسلامي من الارض - وان السطة الاسلامية في نفس المسلمين اهم المعتم وثانية عتيدة التوحيد لانها سياجها وخفاها وان غداها السبب في تعلق مسلمي الارض بالدولة العثمانية وجها . وبينا لهم في أول تلك المذكرات ان الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا بالمركب المذار بل يحتاج الى قوة كبيرة جدا لمنع الثورات الخ

كان غرضنا من هذه المذكرات افتناع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها ان تقنع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدواناً على الاسلام وسلطانه لاجل تقليص ظله من الارض بل لتحيزها الى أعدائهم الالمان عليهم وعلى احلافهم الا اذا أعطت العهد والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد الاسلام وفيها معاهده المقدسة الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى في القدس ومعاهد العلم ومشاهد الائمة الشيمة في النجف وكر بلاه وهي مظهر حضارة الاسلام العربية ، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية ، مع بيان ما في ذلك من القوائد السياسية والاقتصادية والادبية التي شرحتها لهم بالمصدق الحالي من شوائب الايهام ، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام ، مم مكتوبات أخرى في المسألة عظيمة الشأن

خاب سينا الى ما سمينا اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم نقترب بالاهايات التي كانت تصدر أحياناً من رقيات روتر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانيا العظمى بالمصطف على العرب وما ينتظر من سعادة البلاد العربية إذا تحررت من سيطرة الترك وأعادتها عبد هارون الرشيد والمأمون. وعفنا عما دار بيننا وبين رجالهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السرمارك سايكس الذي أرسلته السلطة العليا من لندن إلى مصر والعراق لدراسة المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم ثابتون على شملهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بسنين كثيرة ونوهنا به في المراسم وأما كان لهم شئ في مساعدتنا بأنهم على أوضاع العرب بما أشرنا إليه آنفاً ولو بكسنة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لأجل هذا الخداع غاب أملهم فينا كما خاب أملنا فيهم ما كان بين الانكليز وأمراء العرب

ولى الانكليز وجوههم شطر أمراء العرب ورعائهم في الجزيرة والعراق وسورية للاستعانة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم أمام الدين ووالى الدولة في الحرب كما عاهدوا في السلم، واثام أمير نجد وسيد حيدر على الوفوف على الحياض. والاثام شريف مكة باعلان استقلال نجد ووعده بمساعدة الاتحاد والترقي الفاضحة بالغة الاثام بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والشام، وقد اتخذه من سورية والعراق بريد الموالاة والمخالفة وسدقوا التقرير الذي كان يوجه اليهم في المشورات والبراند ولا سيما جريدة الكوكب - ووافق ذلك شدة ميثاق الاتحاديين وتنكيتهم سرب سورية والعراق تقتيلاً وتسليةً وتغريباً وتغديباً فرجد المضطهدون منهم مهرباً ولجأوا من المذاب فقروا اليه بأمال كبيرة اذ ظنوا أن حوادث الزمان قد مهدت السبيل بهذه الحرب واشتغال الدول الأوروبية الطامعة بعضها ببعض لاستقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية العالية التي يفنخ بها التاريخ، ولعمري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاء يفتنمونهم من غير أن يجنوا على الجامعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية ثورة الحجاز والاتفاق مع بريطانيا

كانت حركة الشريف الأولى في الحجاز من النتائج التي تقضيها المصالح التي سبقتها بحسب سنة لاجتماع وكان يمكن أن يكون أقر ما يقال فيها ما قلناه عقب حدوثه

اما أن تنفع وأما ألا تنفع — واكبر ما يرجى منها ان تتخذ وسيلة لجمع كلمة العرب في الجزيرة وتظيم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سيطرة دولة أجنبية اذا غلبت الدولة بالتبع لانكار حليفتيها الكبيرين المائة والخمسة . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع اليه سبيلا من كل عربي وكل مسلم أيضا ولرؤاى من العرب الذين همموا شأن الاسلام . ولما ذهبت الى الحجاز عقب ثورته لاداء فريضة الحج صرحت لاميعة (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبني من جعل غروجه وعدائه خاصا بالأتعاديين الذي فرقوا الكلمة ونكثوا بالعرب السوريين وغيرهم في الوقت الذي هم اخرج فيه الى التآليف والاتحاد وما يجب من اتقاء عداوة الترك واضاف الدولة وحصر السعي في جمع كلمة العرب وابتعاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ حياتهم والى هوض بأمر استقلالهم اذا انكسرت الدولة وحفظ حقوقهم مما اذا هي انتصرت كما يتنى كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد العام بمي وتصديقه اياي في كل مقاسد ما برع ان رسمي على ذلك مطبوع في جريدة القبلة وبجملته النار^(١)

على انني لما عرضت عليه الشروع في مخطبة أئمة الجزيرة حوله الى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك الى أن يستولي على المدينة المنورة للتلايقن جبرانه انه يخطب ودمم خوفا منهم لارجاء وسعيًا للمصاحبة العامة — ولم يرضني هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السعي من قبل بعض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم اذا هم واقفوا فأبى الا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت الى مصر اخبرني واخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم اليوم يوجد في الدين الامير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذلك — وذكر أسماهم — ولكن هذا الناقل ممن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وهابنا وله وعليه . وقد يصدق الكذب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان تقايل مع ابن سعود بدلا من ان يتحدا

ثم إن الشريف بعد ان بايعه أهل الحجاز باسم ملك العرب — واعترف له جلفاؤه

من الانكليز والفرنسيين هناك الحجاز فقط - جاهر بمداورة الدولة العثمانية والترك وبذل الجهد في قتالهم فخاب املا في وقوف ثورته عند اخذ الادنى مما رجوا منه. بعد ان رفض السعي الى اخذ الاهل أو السماح به وقد اشرفنا الى ذلك بقولنا في بيان الحلة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨١ من المجاهد العشرين) عند الكلام على ما كان يراد من مبايعة الشريف بالخلافة وسعيها الى مقاومة ذلك: «بت لاني أفكر في هذه المسألة ... وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قبل لي في هذه القليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد أكرمه لذلك وكان أعجبي من منشوره الاولين جعل هذا منه غنة لاتعادي بين الثغاة لالاشعيركي كمال الدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت اشيرة في أول عهدا - »

فهم هذه الجملة لاختيرة ان الثورة الحجازية تحركات عند كتابة هذه البذة من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في أول عهدا ومنه الوقت الذي كنت فيه بمكة، وهذا كل ما كان يمكن التنبيح اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ - فبراير سنة ١٩١٨) ولحقته قبله في (ص ٢٨٠) الى الحديث الذي دار بيني وبين الشريف الامير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بتولي اني ذكرت له رأيي مصلافه صلا، وأقول لأن ان ذلك - لم يزل كان في بيان محاورات أتجه له لمصعب الخلافة وما يرتب عليه من الفساد مع كونه هو مبايعة لاطان محمد رشاد - وحديث «اذا بويغ الخليفةين فقتلوا الآخر منهما» (رواه مسلم في صحيحه) - وكون بيعة أهل الحجاز له لانصحب لانهم ليسوا أهل المال والعقد في الامة الاسلامية وهم خاضعون لسلطته وحكمه غير احرار في اختيارهم - وكراة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز وفيه هذا عما لم يكن التصريح به بمكة في عهد المراقبة . وقد كان الشريف يؤمل أن أذن من أنصار الثورة وأعمال الحجز وكان هذا ما يجب على لوجرت الاعمال على ما أعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ولم أقول أنظرت حكومته لي الدماء وأمرت بمنع الناس من دخول الحجاز بحجة اني طمنت في رجالها بما يرفع الثقة منها ونشر ذلك في جريدة القبة وشه لحد - فتعادت به كان أول ما خطر على قلمي قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) فانه يدفع هني اتهم كثير من الناس اياي

بشاعة هذه الثورة مطلقا وادعت نشر بلاغ المم في المار انه مني الراقية لا سكرية
 الى انه كان شرقي جريدة (وادي النيل) في الاسكندرية وسمى مضر حال الخشب
 العربي في الصباح بحلي على تأويل لما كتبت افترحوه فلم قبل وكنتي نشرت في
 سبب ما كتبتة وفرضي الصحيح منه بما لا يرضى الشريف على ان غضبه كان اسبب حر
 والسبب الذي جراً أمر مكة بالامس وملك الحجاز اليوم على ما فعل وجهه
 لا ينال بالترك ولا بأمره جزيرة العرب هو لاتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى
 قبل الثورة فانه كان يظن ان يحكم به جزيرة العرب وسورية وتفرق قوة بريطانيا
 العظمى التي لاتملوها قوة في العالم وقد اشرف في ذلك في بيان صفته من رحلة
 الحجازية بقولنا (ص ٣٥٧ م ٢٠) «ومنها ان ثقتنا بالدولة البريطانية وتفردها
 وعظمتها لا حد لها ولا سلطان لشيء عليها» فهذا لم يمكن لاحداث ثقتنا بغير مدعته
 وجرى عليه لا يبرهن العقل ولا بحجج العقل ، وله في جريدة القبلة أقول في ذلك
 حرية قلنا بضما وفيما لم نقله ما هو أغرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له ولولده
 فيصل غير مرة - وهذا الايمان واتسلم لما في حالي الرضا والغضب هو الذي
 عطفا على وعلى أولاده أخيرا كما أي بيانه . على انه كان يكتم نفس هذا لاتفاق
 حتى عن أولاده حافظا اباه مع المكتوبات الرسمية الاخرى في الكيس الازرق
 الذي لاتنله غير يده . وقد كان بعض البريطانيين اعلمني على نص هذا لاتفاق
 بالمرية قبل الثورة وسألني عن رأيي فيه فقلت واجامته : هذا اتفاق لا يرضى به الا
 هدو للعرب أو حار لا ينهم مناه . فاسحر وجهه ووقمت بيني وبينه منقشة حادة فيه لا
 أني نالت في نفسي لجران كاة حمار على لاني . وما رأيته قريب مما يلمه الشريف
 فيصل في دمشق لجريدة المبد ونشر فيها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد لا
 أن فيه تصريحاً بأن غربي سورية ليس عربيا وانه لا يدخل في الاتفق لما تدعيه فرنسا
 من الحقوق فيه وان اعداه من البلاد العربية التي لا ينزع انكثرة أحد في نفوذها فيه هو
 الذي تعرف بالاستقلال يستولي على الشريف منه بشروط منها استئذ دولة البصرة
 الخاصة لا تكبر وكون جميع ما يحتاج اليه هذه البلاد التي تستقل باستقلال الشريف
 (المنازع ج ٦) (٥٧) (المجلد الثاني والمشرور)

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد فاعطاه من انكسرة -
 واعترافه بجمع ما بينها وبين امراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمكاتبات
 (وان لم يسلم على شيء منها) فالشروط خسة هذا مضبوته ولا أدري هل عدل
 شيء منها أم لا ، وقد قيل ان لديه ماعدات ومكاتبات أخرى وأما البقرة
 بالعدل ، فهو الذي لا ياري أحد فيه ، وسيأتي ذكر ما انتهي الى شوطه وشوط
 أولاده فيه ، على انه قد ظهرت قواده وخوافيه

ما ائتمر به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب
 لاجل التشاور في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان
 رأي جمهورهم ان الحلفاء سيكونون هم المنتصرين وسيستولون على بلادنا فينبغي ان
 نخطبهم فيها نحب ان نكون عليه حكومة البلاد في ظاهم احتياطا اذ يرجى ان يتساهلوا
 الآن فيما لا يتساهلون بمثله بعد النصر — فمارضت في ذلك جازما بأنه لا يجوز لنا
 ان نخطب أحدا في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مسئوليا علينا — وقد تكرر
 هذا الاجتماع في عدة محالس من دورهم تمحصت فيها الآراء وكان الرأي الذي
 انفرد كاتب هذا المقال بعرضه عليهم والاحتجاج على صحته والنضال عنه هو
 وجوب السعي الى الاستقلال التام وتكوين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلناؤهم ،
 وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم
 رأيي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الاوربية وتجنسها
 بجنسيتها وتجهلها جزئا منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة
 أوربية (الثالث) — وهو رأي المعدل — ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رهاية الدول
 العظمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول . وأنا لم
 أوافق على هذا التعديل لان الاستقلال فيه ضروري لاحقتبي ، ولم أقبل في وقت
 من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان ، ثم وجدنا من غير هذه
 الحاجة أفرادا واتمونا على طلب الاستقلال التام المطلق كما سنذكر بعد

وفد وضع هؤلاء المؤثرون مواد أساسية لتشكيل حكومة البلاد على نسبه استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الإداري تحت الحماية برعده وفوقها وكتبوا العشر وعين معاً مقدمه وورعت نسخ ما كان من المؤثرين وبعد ما قاما دارت المناقشة فيها وعدل بمصر موادها. ولما ردت من الاستقلال بالدم وتكون دولة عربية في نسختي كتبت في حاشيتها ما يأتي للاطلاع به ذكرها من اجل به طاب الانضمام الى الدولة الأجنبية وطلاب الاستقلال الإداري في من دولة أجنبية وهذا نصه :

« وبمحتج أصحاب الرأي بأن من ومن نفسه حتى أن يكون ناصراً لغيره لا يرجح له الارتقاء والوصول الى الكمال الاجتماعي كمال الاستقلال والحرية الذي تبدل الامم دماءها وأموالها في سبيله . وان عند الله سر سركاوين الجنسيات فاذا كانت الامم المنزلة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى جنس من الاجناس أن يساوي غيرها باختيارها سواء كانت من عناصر دولتها أو باستقلال دولتها . وبما كان مثلاً أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية - فهل يعقل أن ترضى أمة من الامم أن ترفع شعباً ضعيفاً تستولي عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها ؟ هذا محال لا مضمع فيه فالواجب على السوريين وهم أرق الأمة العربية . والحضارة لا يسخروا أنفسهم وأمتهم ما ساء لهم وانما ساءها من الاستبداد ولا يرد . اني يكونوا دونهم الجليل الاسود والبلغار واليوماز . من يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم الى أغنى ما قبلهم الامم من السكان . يبدلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال . فان نالوا بالسعي الى فقد تم القصد . وان صدمهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة مخوطة كغيرها عندي وتم نسخة عليها تعليق مهم قلبي عند باشا من باشوات أولئك المؤثرين . وقد كان ذلك كل ما نمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سمينا الى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكون أمة عربية فلم تقنع الا نفراً قليلاً من النصارى في مقدمتهم اسكندر بك عمون الخالد الذكر باستقلال فكره وكرم أخلافه ، وكان هذا قبل تأليف الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بعد جهاد في تأليفه دام ستة اشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه غير طلاب الاحتلال

وبمائه بأن فرنسا تحفظ له - واحل سورية من التمدي عليها الى ان يصير للدولة العربية استقلول يحميها به على انها تدفع مبلغا معينا للدولة العربية في كل عام مادامت محتلة في تلك السواحل

وجله يقول انه قد تألف بمصر في سنة ١٩١٧ جمعيات ولجن بايعار الانكاري والرييس بعضها لوضع أساس الاتفاق بين الشوائف على ما سيكون عليه نظام البلاد بعد تنفيذ ما علم بالاجمال أن الدولتين الحليتين انصت عليه وانه جعل فلسطين وسنقوميا لليهود وبمعضها لوضع أساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن هذه الجماعات جمعية فندق تاسيونال ولم يكن فيها الا مسنوا واحد - وقد كست كل - سمعت من أحد خبراً من الاحبار في هذا الشأن لجأده بالتي هي أحسن الا أن يكون مسلماً فأنني انشره سوء عاقبة السمي مع التسعين في هذه السيل وما يقبه من لعة الملايين لو الى يوم الدين

وفي أول سنة ٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمظهره الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر ربيع ارمها ريد أورية شارحاً ذلك فأمرت المراقبة بمنع الخوض فيه في الجرائد الى أن تمهله السياسة ما ترجو أن يكون به مقبولا عند جماهير السوريين المختلي الاحزاب وتآراءه - وكانت وصلت الي في هذا التبريد جريدة المستقبل العربية التي تصدره في باريس جمعية موسيو وشكري غام السورية بنفقة الحكومة الفرنسية مفعلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرنا بعد ذلك في الجزء الاول من مجلد المنار الحادي وعشرين (فليراجعه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المستقلين بالسياسة مع الانكاز كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره مع أخلص المحبين - في مساء ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع أن تكون لتأييد الاتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك مولداً تسمي على الذي من مدرسه المقاومة مستمداً للثمة - وقدر أيت في المكان ما قوي حدسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأفراداً من المستقلين طلاب الاستقلال - وبعض العراقيين من الشباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك القريب والاستاذ الكاشي وزيك السعيد - وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والتاكة اقترح على شاعر

العرب الكافري أن يسمع الحاضرين ما تجود به فريحتته من الشر الاجتماعي
فاعتذر بانحراف صحته ثم ارتجل أياتاً صفق لها القوم تصفيق الإعجاب مراراً
لا نذكر منها الآن الا قوله

قد منعنا الحق الصراح وأعطى غيرنا حقنا بلا استحقاق
ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقام (١) ان يلقي خطاباً في
موضوع الحال الحاضرة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه انه مضطر الى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال
التي انتهت اليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار الى ما دار بين الدولتين
في مسألة البلاد العربية وقال ان رجالهم المقام صرحوا بأنهم لا يمكنهم ان
ينفموا سورية حول البساط الاخضر في مؤتمر الصلح الا اذا كان زعماءها متفقين
على أمر مستقبلهم فهم يهتموننا بعدم الاتفاق وان الفرصة الآن سانحة لنا اذا أردنا
اتخاذ بلادنا من حكم الترك واذا فأت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لنا ولا
لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول اننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون
ولاجمال للخلاف في هذا الامر الجوهري للبلاد وهو اتخاذها من ملأه الترك
وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمر سهل متى تم لنا اتخاذ البلاد -
(وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني فرايت ان الخلاف بينها وبيننا
بسيط يمكن تلافيه بتعديل خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال
لبنان وسورية والعراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم
نوه بأننا كلنا عرب ومصاحبتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالاسباب حاول ان يأخذ قراراً من الحاضرين بالامرين
الذين زعم السم مارك سايكس بمقتضاه في الجمية السورية بباريس انه يمكن
للسوريين الاحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وازالته -
واعتماد السوريين على مساعدة فرنسا في السير بأنفسهم في طريق الحياة - أي
كاعتماد المراقبين على انكسار في ذلك : (راجع ص ٢١٣ م ٢٢) فقال:

وهنا صرحت هنا باسم الخطيب مع التزامي كيان امهات الافراد في هذا المقام
ولا سيما من كنت متقدراً بهم وعملهم في شأننا في كل ما كسبت لان هذه الخطبة
قد ذكرت اخيراً في خذل كبر خطاب فيه الخطيب ورددت عليه كما يلي

السناكلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الاتراك واخراجهم منها ١- وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم نعم وسكت الاكثرون - فقال - ليس بعد هذا أمر يقتضي الاتفاق عليه من الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلقاتنا الكرام ولا سيما انكلترة وفرنسة ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار البعض منا - فن العقل الآن ان نترك البحث في ذلك ومتى صار السوري في سورية واللبناني في لبنان والعراقي في العراق فعمد ذلك يكون المجال امامنا واسما في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم ومنه قول الكاظمي

قد منمنا الحق الصراح وأعني غيرنا حقنا بلا استحقاق
وقال ان هذا في غير محله وان حقنا لما لم يأخذه أحد بغير استحقاق الخ
خطاب الكاتب صاحب المنبر

ولما اتم خطابه ظهر لي ان شئني في هذا الاجتماع المدير عين اليقين وان المراد منه ان يؤخذ من جهور زعماء السوريين - وكذا العراقيون على قلتهم هنا - اقرار بما قرره الدولتان كما أخذ من جمعية مود - وفاتم بباريس وهو انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم وينفوضون أمرها الى انكلترة وفرنسة - فنهضت في أثره متصديا للرد عليه فصعق الاكثرون - وألقت خطابا حماسيا تدفق من قلب يقطر دما افتشحته بقولي انني اضطرت الآن الى مواجهة صديق بالرد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطرت من قبل الى مواجهة صديق آخر بالرد عليه في وجهه لمصاحبة الوطن وهو سليمان افندي البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتفال الذي أقيم للبستاني في فندق الكوكتنتال عقب زيارته لسورية ومصر وأرادة العودة الى الآستانة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردي عليه في ذلك الاحتفال) ثم قلت ان صديقتنا الخليلية المفوه قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بمراحة غير معتادة وانا أقول انني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح بما خاطبكم لانه لا ينبغي أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم الذي تمدون أرق اهلها علما واختبارا كما كنت

في تمثيل ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتفال المشهور قال الخطيب ان الدولتين الخليفتين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين لهما بأنهما لانتظيمان مساعدتا في مؤتمر الصلح اذا بقي العدو في بلادنا الا اذا اتفق زعمائنا في أوربة ومصر وأمريكا على الامرين الذين ذكرهما تبعاً للسر مارك سابكس أحد ذبلك المندوبين وهذا ما كتبه الخطيب عنكم أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الخليفتين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما لاستمبادكم باستعمارها فقد جاءتني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطمات فيها على تفصيل هذا الاتفاق (وطعته لهم كما نشرته بعد في الجزء الاول من الجلد الحادي والعشرين) فقاموني الدكتور ثم قالوا انهم صرحوا بأنهم لا يعاملوننا بالضغط والتوسع الاستعماري ووافق الدكتور شهيد فوات للدكتور فمر لاتقاضي ذاتي ما تشاءك - قال أريد تفسير العبارة وإيضاحها كما قلت - قلت آخر ما تريد ان تقول الى أن أتم كلامي - قال سحبت كلامي - قضيت في كلامي وهذا ما يخبره

ان الترك ضعماء وجاهلون مثلهما فلا يستطيعون أن يستبدوا فاذنا نحن تنبهنا لحقوقنا وأما انكثرة وفرقة فها أقوى منا في كل شيء فلا نستطيع أن نتفدى من عقدها اذا ما استولت علينا - هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب - وذكرت الجيوش والسلاح والاساطيل البحرية والجوية - ذاتي لنا أن نتفدى من سلطانهم القاهرة؟ نعم قد قالوا أنهم لا يريدون أن يشقوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان فرنسا تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تفعل بريطانيا في العراق وامل مرادهم أنهم يحلمون لنا اميراً منا وكثيراً من المستخدمين، وهذا نصريح بأنهم يريدون استعمار بلادنا والبيادة علينا واعمالهم ونون علينا الخطب بأنه استعمارهم لين لا فاس شديد . ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين، لا عبيداً مسودين، سواء علينا أكان السيد رحماً بمبيده أم لا . على أن هذه الطريقة اللينة في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهتموا اليها بالتجربة ولكنها امثل وخير لهم لا للشعوب التي يسودونها ، فانها تخدر اعصاب الجماعه وتخضع عامة الامة بأن حكماها منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها، وبدلك يتعذر على الزعماء العارفين الدافع عنها والمطالبه بحقوقها، لانهم اقلتهم تسهل مراقبتهم وازال

غاب هم ، اذا لم تكن وراءهم امة تؤيدهم . قال الثوب اسكيروس في ابيه اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة القبيحة بل ذلك بنحو مما اشرنا من تخديرها لاعصاب الامة حتى لا يبقى لها مجال كثر في الخروج بما هي فيه . واشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق اقرب ظاهرة جليلة كتركوس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند . بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم معنى الاستقلال والتفكير فيه دع الاستعداد له والسعي اليه ، وعلت ان رؤساء لكونامها الطوع للانكباب من ظلمهم واشد قبولاً لكل ما يقترح عليهم . واما ولايات التي يدير امرها الانكباب بأنفسهم فهي التي تنازل وتنتقد وترجو استقلال وتستمد له وتمتد ان ستنا له في يوم من الايام .

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يندعون تحرير الامم والشعوب وانهم يدبون بقتسام بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل ازاهر الاجل ! سون الحقائق باسماء الاضداد ، وما ادري بأي مقود اوردس يريدون ان يردونا الى الاستقلال الذي لانصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والبرود على السار . ومتى انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كانتقاد الدواب حاملة الاقال ياخذون منا باله ويجودون علينا بالانفاظ والاسماء التي تخفف وقمها على قرب الجاهلين ، كالحماية والرعاية والاستشارة والمساعدة والانتداب وغيرها .

(وقلت) انني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من هؤلاء الناس اعطي حق المرافعة على حكومتها وسمي عبداً للورين او عبداً مرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستبدة له . حرية والاستقلال معنى واحد يقابله العبودية وهي حقيقة واحدة لا يتغير معناها بتغيير اسمائها . ولو انهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلالاً مافي سياستها سائر شؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها التساعدكم عليه فتعين بانفاقكم لكان لهذا الطلب معنى ، ولكنهم اتفقوا على اغتيالها وامرونا ان نتمنى على طلب هذا منهم لتكون حجة على اتقنا باننا نجعلنا اتقنا بأيدينا سمي المربون حياة والاستعداد استقلالاً . اما الامر كذلك فالائق بكرامتنا الواجب على كل من يقع في كسريته (أى في زمن الحرب والحكومة المار: ج ٦) (٥٨) (الجيل الثاني والعشرون)

العرفية) وينتظر الفرج من الله تعالى
 واني أختم خطابي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوبها الفكاهي
 مخففاً لمرارة ما سمعتم من تهديد الخطر الأكبر لوسنكم : حكي أن رجلاً مسلماً
 تمصر في جبل لبن وذمب الى (دير قرحا) النوير واسمهم في ملك رهبان، واتفق
 أن كان الرجل متزافاً وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يمد
 من الطعام الا المقدس المسلوق ونحوه من اتيج الخالي من الدسم فاشد به القرم (شهرة
 اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد ان نام
 الرهبان فاتفق أن سرب بعضهم وشم الرائحة من حجرته فلقوا بابها وكلمه فلم يجبه ففكاه
 الى الرئيس بانه الرئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا قال من اين
 جاء السمك في جحش اتميل من البحر اتبعيد الى هذا الجبل . قال أما قال سيدنا
 يسوع بالايمان يكون لكم كل شيء ؟ قال الرئيس بلى وانا نحب أن نرى هذه
 السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع نترداه ايماناً بمشاهدة هذه
 العجيبة - وكشف القرم فرأى الدجاجة ، قال هذه دجاجة يا أخ حنا لاسمكة ،
 قال قل سمكة يا سيدي . قال كيف ؟ قال سمكة وأنا أراها دجاجة وهل ينير
 الحقائق تغيير الاسماء ؟ قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبنا ، قال نعم لا ينير
 حقيقة المسمى ، قل اذاً ماذا كان اسمي انا ؟ قال محمد . قال وما اسمي الان ؟
 قال حنا . قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله
 وان محمداً رسول وآكل الدجاجة واسم من الدير صباحاً - فاذا كانت الدجاجة
 اقلبت سمكة فاستعباد المقتسين لبلادكم ينقلب استقلالاً والسلام

فضعك الحاضرون وصفقوا تصفيماً شديداً وانصرفت وقال لي بعض من
 شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحتنا بكشف
 الحبا وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاوره مع ضابط بريطاني

بعد مرور سبوع من هذا التاريخ كان الكثيرون من حاضريه يتوقعون
 اعتقالي فبهذا منى سافرتي مع خمسة العسكريين البريطانيين لاجل مقابلة
 لعماد رانف في عراقي من ودر بيني وبين ضابط بريطاني في
 المكتب محاوره كان موضوعاتنا في الخصب
 (قال) هل سمعتنى مادام بداريس بشأن سرورية وخفية السر ماوية

سايكس ؟ قلت نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولاسيما المسلمين وعلقت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة . قال كان انترض من تلك الخطاب والتعريضات ارضاء السوريين فهل جاءت بهذا المراد منها ؟ قلت انها جاءت بالاثر الطبيعي الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراد بسوءه — قال : ان السر مارك سايكس صرح في خطابه بان الحجاز قد استقل فلا يمثل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قلت هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكثرة وفرقة اتفقنا على اقتسام بلادنا ... قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قلت لأمضى لهذا وقد اقتسمت البلاد الانكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار الابن العليل . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعونه عليم) فأجاب جواباً ذكر فيه القصة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرقة :

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرقة يراد بها منافع النشور المالي بمن أن أحدنا لا يمارض الآخر في منطقتيه بالأعمال المالية وقد صرح وزراء فرقة رسمياً بأن حكومتهم لا تنوي فتح أي من البلاد ولا قبر شعب على الخوض لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعدة صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لأقامة الحجة على الفريق الآخر ولا تنفع الاحرار والاشتراكيين حتى من امهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونهم — ولاجل هذا تطالبون منا بتوقيض أمرنا اليكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يغتاب منا مساعدته على تحريره ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة مثله حيا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرتدكم ؟ قلت لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لعرفتا كيف ترضيانا ذلك بأن تقولوا اننا قررنا أن تكون البلاد العربية دولة مستقلة بكلجيكتنا واننا لانعقد السلع الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرقة لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال . ماذا تريد ان نفعل لنثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز أن يتمكن من الزحف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

المقر والضعف وان كثيراً من رجالها الاحياء منفيون ومهاجرون قبل تأمن اذ تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في القوضى والاختلال وزيادة الحاجة والفتن؟ - قلت ان الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ما جاء وقته لانكم لم تتنصروها ولو فتحتوها وسألتوني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ ما ان اقول اتركوها فقيها من الرجال من يقوم بأمرها وأما ان اطلب مساعدة مالية موقته، ولكننا نرى ان ما تخافون وقوعه من الفتن في سورية ان تركت شأنها وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لا أمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انهم لا يقبلون من المالية دعوى ابقاء جنودها فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الامن واعادة النظام مع أن البلاد الروسية متاخة للبلاد الجرمانية ويخشى أن تنتقل العدوى منها اليها - فسكت وانتهت المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجلة القول ان السوريين المقيمين بمصر واللاجئين اليها كانوا زمن الحرب في امر مريب وقد عبت الاجانب باكثر الذين يترسون بالسياسة منهم فكانوا يخذلهم بكل ما يريدون وقد خائنا اكثر الذين كانوا مهادنة وأقسموا أغلظ الايمان على السعي لاستقلال البلاد العربية وعدم الرضا باحتلال الاجانب لشيء مما منها فارتد افراد من اشهر الاستقلاليين وآمن افراد من الاحتلاليين وتذبذب آخرون ممن كان يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقلالي يرى أنه ينبغي مشايعة الاجمبي على أخذ بعض البلاد العربية في مقابلة مساعدته ايانا على استقلال البعض الآخر فافلاعن استعجال ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام التاجز يصدق وثبات على كثرة ما تألف من اللجان والجمعيات الاحمية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات الاحتلالية حمية الاستقلال. وكان مما سمعته باذني من اثنين من مؤسسيها في (٢٠ و ٢١ ربيع الاخر سنة ١٣٣٥ و ١٢ و ١٣ فبراير سنة ١٩١٧) انها امرام آخرين بالذهاب الى سورية من طريق العريش لتأليب العرب وحلهم على الثورة والخروج على الترك فكتبت الجمعية تقريراً بينت فيه انه يجب العمل في سورية باسم الشريف سواء كان بدعوة البدو الى القتال أو بغير ذلك فان لم يفعل الانكليز ذلك وقروا في مثل النمط الذي ارتكبوه في العراق فادى الى قتال العرب لهم وتأخير فتحه وان العرب في سورية سيفعلون ذلك اذا لم يكن معهم باسم الشريف. وكان

المتكلم من صنف الضباط قال وانا اقنعناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام - وسدقه رفيقه وهو ممن جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبل وارسل الى بلاد الدروز مرتين لاستألتهم الى الانكاز وكنا قبل ذلك غششناه واعطيناه اعتمادا فكان من الخائنين واراد ان يتوسل بالاعتماد للإيقاع بنا

المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سمي مشترك مع جماعة للاستقلال البام بعد ما بيناه من الجهاد السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان الصل ونذائه بحرية الامم وقمعا كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشافه والدكتور شهنندر وغالد بك الحكيم بينا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء استفتاء اللجنة الاميركية بعد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا ننشرها بعد

عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بعد كسر الروس وعقد الصلح معهم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيياستبول تخافت انكثرة ان تكون وجهته العراق فكان من أعمالهم الاحتياطية بذلك ان أقنع بعض المشتغلين بالسياسة منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسعوا الى مساعدتهم على تكوين قوة حرية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتمتعهم بريلانية المظلي بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الألمانية الى العراق سكنت الانكليز عن هذا العمل وأعرضوا عنه

فعل نان في المسألة العربية بعد انتصار الحنفاء

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الحلفاء وتمهيد السبل لاستثمار البلاد العربية كان في أثناء الحرب التي كانت كفتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم أقوى من الرجاء لهم ولذلك كانوا يحاولون اقترار أهل البلاد ايام ومساعدتهم

لهم على استبعادهم مع الشكر لهم على ذلك لأنهم سموه تحريراً للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سائبين لشيء من أملاكهم ولا حريتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع حرية ورعاية من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فطائع بناته الأنحاديين الأخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لسكان ذنوب الترك كلها سلبية أي أنهم ليسوا معدين ولا مهقين لشعوب دولتهم في المعنوم والفنون والأعمال ولا محسنين لمهارة الأرض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المنار (١) ومقالة في (المسألة السورية والأحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الأمريكية لأهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المختلط فيها ودون تاريخية تراجع في مجلدي المنار ٢٠ و ٢١. وقد ندرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكا الشمالية والجمهورية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبمعه ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا زال في أرواد — وإعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكاً على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكاً للعراق وما كان من رحف الجنرال غورو على دمشق وإخراجه لفصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته، كما نقلت عن رقيات أوربية وجرائدها بعض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاوم أكثر من مئة ألف جندي من العساكر البريطانية واضطراب انكسار ذلك إلى المدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية وإعلانها العزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأييد حكومة وطنية مؤقتة فيه والاستعداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة الثابتة وتختار الأمير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل لعراق وبت الدعوة له، وتأييد حكومة جديدة في شرق الأردن تابعة للحكومة القدس الصهيونية الاسكندنافية

(١) راجع ص ٦ من فاتحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (ص ٣٣٧)

(٢) ص ١٩٧ منه (٣) ص ٤٣٤ منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستعداد لاجراج قرنة من سورية وبث الدعوة لذلك وجدد المبايعة لاجله «الملك فيصل» كل ذلك معروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وستريده هنايبانا وتحقيقالنسب الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه كسابقه حجة بينة على اننا كنا على الحق والصواب فيما كنا نصرح به في مصر في أثناء الحرب وبعدها وفي سورية مدة السنة التي أقفناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكيز والفرنسيس بمساعدة الشريفيين على استعمار بلادنا السورية والعراقية على ما بينهم من التنازع والخلاف السري والعلني في ذلك. وقد اشرردنا بالسبق الى معرفة ذلك وانجاهرة به والتمرض بذلك للخطر وعدم انخداعنا لاحدي ذلك ولا خداعنا لاحد بل كنا نقول الحق وننصح باتباعه لقومنا ونحسومنا. وهذه منة من أكبر من الله تعالى علينا ما كنا لولا فضله وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحننا للانكيز والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحننا للانكيز قولاً وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كالماتين بينا له فيها ان ما كنا نصحننا به لاجلهم بمصر قد ظهر صدقه وان ماجروا عليه مع حكومتهم في المسألة العربية مخالفا له كان هو الخطأ - بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند - وان انكثرة ستكون هي المنيبوة بقسمة راث العالم الاسلامي بين الحلفاء بمداوة الشرق وحسد الغرب لها وان عداوة أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقاراً لهم بضمهم ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والابوثة - وانهم سيكونون به اتحادا ابلا ميا يساعدهم فيه الروس والامان ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لمداوة أكثر شعوب أوربة. وان الخير لانهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جيما... ونصحننا لرجال قرنة في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وما نطلب منهم الاستقلال سورية ورمج صداقة الامة العربية كلها بذلك واتقاءه يقع عليهم من النبن بمداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وقب

قال لنا موسيور ويردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو من الممكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج الى تحميم وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونحننا للشريف الاكبر - كما تقدم - ثم لنجمله الامير فيصل - فأما الاول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويمرر عليه وما لا يمكن ان يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقر أو يثق بخبره بأنه أقنعه بشيء وإن كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء اللين عربيته ولطف معاشرته وكثرا سوابقه وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب هو سريع الغيصة بمد الغضب وقد معاشرته زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة واسعة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا وانكسارها من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع احدهما وخدمة البلاء ساعدها في ظل وصايتها، والاستماعة بموادتها على تخفيف وطأها على انه لا ضرح بهذا تصرعها جليل - وهذه نظرية كل من واتوا الا جانب في هذا الطور الذي نحن فيه كخفي بك العظم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير صل والامير عبد الله وإن كان أتباع الاميرين يمدون هذين من الخائنين منهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف صل وسيرته في سورية يحمل حقيقته ماثلة لكل قارئ

جاء الامير فيصل سورية من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨) بناير (١٤ سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد انه بانفاقه مع كايه نصو على قبول الوصاية فدية مع تخفيف شروطها قد خدم سورية أجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يفتح به اغراض بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يثقف حزبا من المحافظين بين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي الزعامة الذي بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته ولا لاستماتة به بعد أن تعرف اليه

لما لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميراً مؤقتاً من سورية من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة الشام ثم مهاجرا سياسيا في أوروبا ثم مرصحا من بريطانيا العظمى لدولة العراق

وتنكر لحزبه، وظل سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانته على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق والحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة وحمله على قبول اعلان استقلال سورية وجعله ملكا عليها وارضاها بحملها لملكها ارثني ذريته وبجعل الراية الحجازية راية لسورية مع زيادة نجم ايض في الراية الحمراء التي هي رمز علم شرقية مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قننة على اساس الاعتراف بانه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لاجل تحرير البلاد العربية ونحقيق استقلالها الذي كان ينفذه احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الحلفاء. ولذلك عززوه بصريحيات وزراء الحلفاء التي كانوا يفوهون بها في ايام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضح من قرار المؤتمر من اعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظل والنواشي التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفها كل احد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشالية. يدل على ذلك ما كان يلقى في المؤتمر السوري العام بدمشق من الحطب في انكار تلك الاعمال والاعمال فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارته مما ظم به بعد

ولقد علم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال بتهيئة أساليب او مقدمة لهم بممارسة الحوادث ان فيصلا قائد الحلفاء موكل الى حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد - وانه قوة رسمية ومالية فن الانكليز كانوا يدفعون له رانيا وكانوا يعطونه حصّة المنطقة الشرقية من جبرك حيفا وصور الرئيس يعطونه مثل ذلك من جبرك بيروت بندا المواد، وقطعوه عند الحادة - وانه ياتس من الاستقلال التام التاجز وان كان أولى من غيره بحبه - وانه لين سلس كل في أول العهد - وير في البلاد كايشا البريطانيون ثم جاءها أخيرا من فرنسا يدعو الى الانفاق مع الفرنسيين - فارادوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة وصنف بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالها المنطقة الشرقية باسمه ونحت قيادته باعلان الاستقلال التام لسورية المتحدة بجميع مناطقها ايجعلوا الحلفاء تجاه أمر واقع بسعة مسئلة لهم معرفة بغيثهم والملكية قدمن قياد حلفهم. (المنار: ج ٦) (٥٩) (الجلد الثاني والعشرون)

فإن ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فإن حال البلاد مهم بعده لا يخفى
 أن يكون شرا مما كان قبله . وذلك أنهم حينئذ ينفذون الاستثمار الذي سموه انتدابا
 بالقوة العسكرية ليكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاساسية وللمعاهدة
 الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الأمم المصرح فيه بأن البلاد المشروط في
 استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لاهلها الحق الاول في اختيار الدولة
 المنتدبة وشكل الحكومة التي ترزاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون لبلاد الحق
 الذي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره
 فإنه يكون قد قتل نفسه بيده

بجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصيغة قاعة المثال وبلغ امر ايجلانه لدول الحلفاء محلا فانظر
 وكان جواب انكسارته لفصل أنها تعترف له بصفتها حاكم على رأس حكومة مستقلة
 لكن يجب أن تقرر الصيغة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان
 ريمو) فتردد أولا لان الرأي العام لم يرتح الى سفره وفي مقدمته المؤتمرات الدوي الذي
 كان يلح عليه بوجوب الاستعداد لدفع عن البلاد وتأييده جميع الاحزاب . ثم اقتنع
 الاكثرون باستحسان السفر بعد إلحاح انكسارته به وقد طالب من الجنرال غورو في
 ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تقله الى أوزية فاجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى
 مطالب طلبها من أهمها اباحة استعمال الحط الحديدي من ريباق الى حلب لقتل الجنود
 الفرنسية والذخائر الحربية وانذره أنه اذا سافر قبل تنفيذ هذا المطالب من طريق آخر فإن
 فرصة تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تقويض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب
 والفرنسيين والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كايانصو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه
 انظمس وهي الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط
 الحديدي المذكور آخا لسلطة العسكرية الفرنسية والتنازل عن الخدمة العسكرية الاجبارية
 فجعل عدد الجيش المتطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود - وتعاقبة

المجرمين المؤتمرين بالمعاصيات والمخربين على فرنسا - وقبول ورق اليك السوري الذي سبته فرنسا بجملة نقدا وطنيا رسميا، وجملة آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وسع الميثاق فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري العام والاحزاب السياسية كلها كانت لمبر راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامها معها بحسب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفع عنه ولهذا اضطرره الى اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ثم رأوا ان وزارة هاشم بك الانصاري التي خلفتها لم تكن أقوى منها فحاولوا اسقاطها، ولما شعروا بهذا الاضرار الذي أعقبه الضعف والاهمال وسوء الادارة اشتد هاجهم وسخطهم وسرى الهياج الى - ثر طلبة الاهالي الذين اندفعوا الى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يعلمون في الميثاق فيصل جهرا ويشهدون بالاشيخ به حتى انه وضع من كان لديه من الجند المجازي حول داره لحمايتها - وسمى الى الجنرال غورو ملتصقا منه تعديل مطالبه فاني -

وفي فترة ذي القعدة - ١٧ يوليو كتب الي رئيس الوزارة بأن الميثاق يرغب ان ألقاء مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فاجابنا الطيب وقبلنا دعوته فشرح لنا المخرج الذي وصفت اليه حال البلاد ونبيح الدوام بذرعنا وخذلنا انكسارته - حتى لا يبرح منها أقل مساعدة كما أبقى اليه نموذج رسمه من لندن وان تحكمه حجج على الجنرال غورو لاستطيع الادلاء بها في أوروبا وله عليها حجج مضاعفة حق وبعضها باطل ينشرها حيث شاء - ثم طلب من الاعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حدثه في كتب مخنومة وعامد هم على انه يعمل بها ولا يطلع احدا عليها فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراعه خداعا يريد ان يمتنع به على قبوله المطالب الفرنسية ويحمل التبعة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو - نموذج) اجتماعا سريا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في العائن في الحكومة لاعة دهم ثم قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحضورهم من الوجهة الدولية والاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالإجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووجدتها ورفضت الحرية الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا رفض
تقضى كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يتدبر ما
لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ٢٠ يوليو) أصدر أمره بتأجيل عقد المؤتمر شهرين لا
المجلس أنشأه تقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية لا رة على:
المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصرفوا جميعين بمعتقدين، وكان بعض الأعضاء يريد عد
امثال هذا الامر فأقنعهم بأن هذا خير لا مؤتمر وأني سررت به ولولا لا تفرح
على الاعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الحيا
والخطر على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكان
يرجعون من المؤتمر مالا قبل له به - وما تم الا إلزام الملك والوزارة بمرائد
الجنرال فورو والدفاع عن البلد أن هوجمت بشيا وعدوانا او اقطاعهم واقامة خا
عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة، ولا يوجد
البلد من هو أهل لنوط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يتربص على ذلك
من التوائل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت انما ولا آخر في الخدمة وسه
وقد أصبحت الامة كلها اراضية هذه بعد ان كادت الدرائس تنيرها عليه، وانني علم
أن التجديد الاجباري الذي قرره الحكومة بضغط المؤتمر والحاجه قد كان ع
سوريا وانها لم تقصد به الا إيهام الامة ما يرضيها وإيهام فرنسا ما يحملها على انقضاء
فيما تطالبه ويطلب منها

انقض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال فورو على قبول ما
انذاره متصلة فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء ببيع الجيش
السوري من ثكناته وواتمه الحربية واهمها مضيق مجدل منجر الحصين في طر
جيش الجنرال فورو الزاحف على الشام فمصرح الجيش بنظر نظام فترتب على ذلك أ
نهب الاسلحة والذخائر وحدث ثورة في شوارع دمشق وهج الشعب هاجا شدي
وكثر التصريح في الشوارع بالمتانف للمؤتمر وببب الملك فيصل وأية والنداء
بخطائه ووجوب قتله وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجنود لحفظ الامن ان تقا

اشورة بالسلاح حتى انها استعادت المرفق الرشنة في ذلك وقتل كثيرون - قيل ٥٠ وقيل ٧٠ - وجرح كثيرون - قيل ١٥٠

قبات الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنهم قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فاجبت بذلك ساقطة مع ملكها غير شرعية بقراره ونعمه المذكور آنفا. ثم انها علمت في اليوم التالي بتسريحها احبش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال غورو زاحفة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه ان حبيته على الزحف ان جواب القبول تأخر عن موعده وهو الـ ١٤ اثنائية عشرة من نصف الليل وكان قد أصدر امره لاجيش بالزحف ولا يمكنه اية فة بعد وقد دخل الواقع الحصينة كمجدل عنجز - وهي نقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لامر التناهي بعد ان وصل اليه البلاغ الرسمي بتبادل الشروط في عاليه ، ومن سبب تأخر برقية التفصيل التقطاع السلوك البرقي باستنهم الجيش الفرنسي له

نظام الخطاب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المحزنة ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها كما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم امكان قبولها منقولوا من المخابرات وتبذل فيصل من قبلها بأقبح الانقلاب - وعلموا انهم خسروا كل شيء - فظهر لهم ان "مقل واليكاسة في التسليم أن يكون آخر ما يند من الشروط تسريح الجنود - فصدر الامر بالقبول الجيش بالنوقف عن الانسحاب فوق غربي (خان يسلون) ووقف الجيش الفرنسي الراحف وراءه على بعد رمي القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئذف المعارضة في ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك لخصري (وزير المعارف) فاسفر الى الجنرال غورو فلم يبق نجاحا

وفي يوم الخميس (٢٦ اذى القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع المتطوعة وحشهم على الجهاد وكان جمع الرعما ورؤساء الاحزاب وبلغهم انه أعلن الحرب رسميا وشر ذلك في الجرائد ولى الجمعة في يومه في الجامع الامرى وصعد المنبر بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن - فقل كثير من الناس انه يريد بهذا استعادة مكانه وكان الناس في هيج عظيم وانبال على التطوع

وبذل اكل ما يلزم للدفاع من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يمدد فسلم لعدل مفيد ثم ذهب بفصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه ارسل أخته الخاصة وذخائره الى (دعوا) ولن الحكومة أرسلت أودتها ودقاترها اليها أيضا. ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكوة بمن معه من وزرائه ونواصه ومنهم بعض الشبان وأرسل اليه طعام المشاء من دار عبد الرحمن بك ليوسف وذلك بعد انتهاء معركة خان سيلون التي قتل فيها وزير حريته يوسف بك الهفلة وفرقت الطيارات شمل من كان معه من العسكر النظامي ويقال انهم كانوا زعماء خيالة جندي . وعاد في المساء جبل بك الاثني حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو كوس (الذي كان متابط الاقرباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية للتدابير مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه بابهم الملك على صفة دخول دمشق وقد عاد معه في سيارته متهججا مسرورا !

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذى القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ وبمسكر في (المزة) من ضواحي البلد وان الملك يدخل الساعة ٩ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو المياليين الى فرقة رئيسها علاء الدين بك السروبي . وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يهتمون بالملك . فقلت له وكيف ندعم به الى العاصمة ؟ .. قل لم يكن هذا برأيي وانما هو رأى جماعة الذين درطوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان - وفي يوم الثلاثاء باقته السلطة المحقة وجرب الخروج من الشام قبل نصف الليل . بلغني ذلك بعد المشاء فذهبت الى ديرة لوداعه على ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبل الانذار الفرنسي الذي لا هلاقة له بالعودة الشخصية فوجدت في ايدار أفراداً من الشرطة بلغني انهم حرس على اثاث الدار لئلا يؤخذ شيء منها . وكانت الساعة نصف اربعة أعجبني فيها صبره وأمله وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ليلا وقد خرج بعد وداعي له بنصف ساعة وحمله قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت معجباً بما أوتي من الذكاء والنظام والحمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته. متعبداً للحكومة العربية في بيروت إلى أن عين وزيراً للحربية بأقتراحي وسمي بمماليك بعض الاخوان: استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يسمي الامر الأعلى الملك فيما أعلن ولما اشتدت الحاجة لأنه هل هو مستعد للدفع؟ قل نعم اذا وافق الملك واذ دخلت في الخدمة تخشع ان يلجأ الى الاجانب.. ولما عين ياسين باشا الهاشمي قائد لموقع انما صعدت عتب الانذار وأظهر لوزارة ما فيها من النقص أى على خلاف ما كان يقول ثم انصرف الوزارة على قرار التسليم عا طانب غورو — بعد هذا كما رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته ووجدته كلاماً شديداً وذكراً بيمض كلامه فقال روجه به منكم كوجه الميت اني مذنب وأتعمل توبة علي وكنت البارحة انهر من الغم فلا تزد علي . ولا خرج الى الدفوع عن بقي معه من قايما جيشه تزين ولبس ملابس الرصينة ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيش ذليلاً بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التصير المبني على الثقة والغرور كان فشل هذه المدافعة بخان يسلمون أمراً جليلاً لا يحمله مثله ولا مثلي عن لا يعلم من الحرب شيئاً ولذلك رغب الي الكثيرون ان اخطب في المناسبات وفي بعض المساجد في الحث على الدفوع فتمننت — كما آيت مراراً أن اخطب في لاحتلات السياسة — وقلت لبعض الخواص انني لا أغش أحداً ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع وقد نصحت للعامة في كل شيء في وقته فلم يند — هل ان ما أقدفت اليه الامة من أمر الدفوع شريفة ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة ان فيدلا كل يستند ان الوصاية على البلاد أمر مقضي وانه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تعقل لا استقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وتأثير الذي يضع الحلة التمرار الاخير الذي كان يرى انه قد در على السبي الى حمل طاعة الوصاية فيه حكمة، ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد للدفاع بتظيم قوى المشركين ولا بالجيش

النظامي ولم يكن يعتقد انه بهاجم هذه المراجعة فلهو جرم لم يجد بدا من الخضوع. فهو لم يستعمل للقتل ولو دفاعا وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش نظام بادر الى تسريحه عند الحاجة اليه ، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ لعدم الاستعداد بتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطائه وعمله مرارا في أدربة وبلغنا انه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا

وأما زعم الامم الذين خالفوه فقد بينا أنهم علموا بعد طول الاختبار ان اندولتين شرهنا في تنفيذ ما اتفقنا عليه من استثمار بلادهم فلاولى أن تقارنهم بالامم بالحجة والدفاع عن نفوذها اذا جرموا بالقوة ليكون مركزهم فيما مر كزائفة سب وقبول الانتداب يجعله شرعا وأما الجزل فورد فكانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصائب والشر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انكسار التي يدونه من صنائعها المحاصرين لها . فهو قد حارب الامير فيصل القائد الحجازي الذي بعده أجنبيا عن سورية لانقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وقد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية

الطور الاخير للمسألة العربية

ان ما نقدهم هل الدولة البريطانية من معضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيانها دون حل عقدها أو عقده منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لاروائهم اصطناع من أمكن اصطناعه منهم والتخفيف لتدخل الاقتصادى والذي بالتدريج ثم الامانة بأولائها ملك الحجاز واولاده في سورية وفلسطين والعراق ودر الاهراض عنهم وهدم المبالاة بمراخضهم بركة بالاحتماط والاستماتة والتدبير بالهوى والوعود والى الجارة والحيات البريطانية « وعدا عنها الملك الخروج عن مرضاتها مساويا لردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتمثله في بدائها بقول الشاعر

• فان كنت ما كولا فكأن انت آكلي •

والفرض الأول من هذه السياسة والادارة المؤقتة تخفيف النفقات عن كامل دافعي الضرائب في بريطانيا العظمى الى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على التردد الصهيونيين ، والثالث إخضاع العراق والاستمارة بحكمته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق وبولشفيك الروس اذا اصرروا على تنفيذ فكرة الجامعة لاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والعجمية . وباتخاذهم أعادوا الراتب الشهري ملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الاخيرة الى لندن فجملوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مسرئرا تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة حفاظ الطبران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استعصر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ثم سافر الى فلسطين فأذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعده بلفور بحفظها وطنا قويا لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكما لشرق الاردن بالتبعية لحكومة فلسطين واستعدادا للسلطة من ممتلكاتها السامي واعطاء من القوة العسكرية والطائرات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنتشه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطائرات ، وبلي ذلك مد السكة الحديدية العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطائه حصصا بحرك حيفا للداخلية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكرم وجه عراقي لجنفر باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي جنفر باشا العسكري الذي كان احد فواد الشريف فيصل في حرب فلسطين وسورية وهد اليه الانكليزي في العراق بتأسيس الجيش الوطني بعد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لاجل الشريف فيصل ملكا للعراق وكان قد نجاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايخين للانكليز وهو (المنار: ج ٦) (٦٠) (المجلد الثاني والمشرفه

(عبد القادر بك آل باش اعبان) وقد دعا هذا الوجه طائفة من وجهاء مصر وسورية والمرق الى مئة شامي في فندق شبرد تكمرا بالجفر باشا في ١٨ مارس ولما جات ترقية الدعوة خطر لي انه ربما كان لها معنى سياسي راسا جشا الفندق دعينا الى حديثه لاجل تصويرنا مع المختل به بمجتمعين فآيت ذلك مم أورد آخر بين. وبهذه شرب الشامي استند شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكفالمي فزنجل قصبدة تاس الماتم ، واتى عليه اسعد اندي دغر الشاعر السوري المصري بأبيات منجولة في المجلس ثم دعي الدكتور فارس افندي عمر أحد أصحاب المنظم الى المطالبة فأجاب

خطاب الدكتور عمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب بالثناء على الدولة البريطانية والتمادقها بالرغبة في ترقية الشعوب ونحو برما والاخلاص للعرب فيما وضوه من يدسة الانتداب قل ولكنني هل هذا الاعتقاد فيهم قد انتدعت عليهم تقسيم سورية وانتنت منه ورأيتة خارا بالدور بين مفرقا لهم ولم اكتم ذلك عنهم بل غابت عليه وضع اساس البحر مارك سايبكس الحب المختص للعرب وكلته بذلك في هذا الفندق الذي نحن فيه فاجابني قائلا انا فلنا هذا المصلحة العرب أيضا لانهم اذا ظلمهم احد الفريقين وشدد عليهم الرطة احبوا عليه باين الفريق الاخر وحسن ادارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والوراق وعزم الانكياز على منحهما الاستقلال وما يجب من نذ كل خلاف في هذه السبل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين تؤسان في النظريتين لانهما تجريبة اذا فشلت قضى على الامة العربية والشرق كله بأنه غير أهل للاستقلال بنفسه . ثم ختم الخطاب بقوله انه ينتقد أن جميع الحاضرين على رأيه - فصدق له بعض الحاضرين وتبعته الرد عليه:

خطبة الكاتب في المسألة

افتتحت خطابي بقولي انني متغفل بالمطالبة لم ادع اليها ثم قلت : انه كان الفاضل من هذه الدعوة انها شخصية يريدونها المحتفل تكريم صديق له لاسياسية كما ظهر من خطاب الدكتور عمر . ولون الخطيب بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول حمل الحاضرين على اقراره عنيه وطلب الموافقة عليه بالاجماع لكننا في سعة من السكوت ولكن قل انه يظن ان الجميع على رأيه وقد صنف

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار، والاجماع السكوتي مختلف فيه عند علماء الاصول بعضهم يقول ان حجة بشرطه والاخرون يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحفزة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على ما قاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اعلان الحائنه وهو مطالبتهم بملرد الترك من بلادنا وتوقيع امرها اليهم وتحسين الظن بهم فانهم طرقت الى معارضته وتشد كما اضطرت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك الحفل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا يزال على رأيه الاول بعد ان مزق الحلفاء شمل سورية وجعلوها بضعة بمالك أو دول دينية فاقصد ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التزيق والتشكيل في بلاد أعدائهم:

وأغرب ما جاء في خطابه الآن مأخوذ عن السير مارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بأنه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستعبادها، وهو ان هذه القصة التي قال الخطيب انه كان قد استاء منها لم يبعثهم عليها الا شدة حب العرب ومراساة مصالحهم بما تكون قبسة بلادهم بين سيدين مالكيين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهموا فلم يفعل من أجن ورحم، ولكن ماذا يعملون اذا اتفق الفريقان على الاسائة والظلم؟ وهانحن اولاء نرى وطأة بريطانيا العظمى في القسم الإنجليزي من سورية اشد من وطأة فرنسا في القسم الشمالي منها خلافا للهم ورد المشهور في الاستعمار الذي يشهد فيلسوف فرنسا الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المنهج البريطاني فيه على المنهج الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بأن بريطانيا زادت على ما شاركت فيه فرنسا من الاستئثار بادارة البلاد بأن جعلتها وطنيا قوميا لفرقاء اليهود الصهيونيين وقررت تملكهم وقبة ارض البلاد باعطائهم الاراضي الاميرية فيها التي هي ملك بيت مال المسلمين وأمالك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الاعمالى وتريد أن تجعلهم أكثر اهل البلاد بالتدريج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد بحث اصوات أهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فلم تكن عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع السير مارك سايكس في هذا الفندق عدت منه منيسرون ببلادنا وأما مشهورهم تأخيس حكومة وطنية في العراق تابعة لوزارة الخارجية

الانكليزية فهو لا يفر أحداً من العرب لانهم يطلبون الاستقلال لا الاستعمار الاجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استعمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن المعارضة للحكومة فيه .

قرن الخليل مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يقبضه الوفد المصري وأين هو منه ؟ ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخليتها وخارجيتها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤولة لديه وسفراء وقناصل في الممالك الاجنبية وأن يعقد بينها وبين انكلترا اتفاق أو معاهدة تحفظ هذه مصالحها وتكون بمثابة غيرها من الدول فاذا كانت انكلترا تسمح بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جذرياً بأن يقبل بالتخلف الواجب

(ثم يبين ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تنخدع بخلاصة الانصار ولا يمزوها الا جمع الكلمة واتحاد كائنات الشعب المصري بين ابنه الملل والمذاهب والا ضاعت نفسها)

قلت : واني أذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير المخابرات البريطانية بدمشق اذ كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عنده لحفته مع يديه افندي الحوراني - ولعله مناهت - وذات الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أترى ان سورية تستغني عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء وال عمران الى الدرجة التي تحررته على القول بأنها تستغني عن مساعدة فلا مندوحة له من الاعتراف بحاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الوصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالأفراد لا يستغني بعضها عن مساعدة بعض - فهذه بريطانيا العظمى التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسعة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترفت ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بأنها محتاجة الى مساعدة رجال من الألمان على تدبيرها - روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتيسة ورك) أنها شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في محاورها معه بخصه لابن أخته (غليوم) عاهل الألمان فاني ذلك وذكر لها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام ونحو

لو أن معه رجالهم يتولون إدارة بلاده وروىكمهم الزاجوا لا يحرموا... قد
 توجت هذه المقالة بالربية و... في سنة ١٩١٦ (١) فإذا كان...
 يقول بأنكم تحتاجون إلى مساعدة أمة أخرى فهل أقول أنا أننا لا نحتاج إلى مساعدة
 غيرنا نحن نعرف بأنهم أعلم منا وأرى أننا لا... أن المسألة مسألة دفع
 للمساعدة، انكم تطعمون في استمر بلادنا والزيادة عليها وتسمون...
 مساعدة لإفادة الحجة وتبرون الخطب عليه... المساعدة بمناها اللغوي المبرور
 من أعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فإذا ساعدت فقيرا
 على مدينته بأعطائه جنبها فلا آقاؤه ولا اخصام من يعطيه جنبها أو...
 جنبها... فإنا بالكم تختصمون وتندفعون في قسمة البلاد التي تدعون الرغبة
 في مساعدتها؟ ثم إن الاتفاق بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح
 فإنا بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المسلحة بجميع أنواع الأسلحة وتقتكون...
 لا يخلص لكم من شعوبها

ثم سأله بشرفه واستقلاله الكسوي أي المطلقين خيري في حفظ الأمن
 العام والحرية الشخصية وعدم التعصب الدينية والمذهبية؟ المنطقة الشرقية
 التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالإدارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها
 الفرنسيون؟ فأعترف بتفصيل المنطقة الشرقية في ذلك : فقلت إذا يكون...
 ... إلى... إلى مساعدتهم فصحك وضحكنا

... كنت أحب أن ألقى القول في هذا الخطاب بما أشرت إليه من...
 ... والتمنوا به اتحاد الشعب المصري الذي صر بته...
 مثلا... للشعب المصري وبما يقيمونه من وحدة الزعامة ولكن خفيت من
 الحاضرين الذين فوجئوا من السياسة بما لم يكن ينتظروه أكثرهم، ورأيت أن
 أترك وقتا لغيري فأكتفيت بالإشارة

... قام... في عيد انندي كامل الخليل الكتاب المدرسي المشهور فألقى خطابا
 بليغا فيه... التوقيع للغة مما كتبت أحب السلام به من وجوب التعاون
 ولولا من... في المنازع... في... ف... من... الشعوب العربية

(١) راجع... مارس سنة ١٩١٦ من المجلد... من... من المنازع...
 عبارة الملك... وياجيدا لو حكمنا الأمن لمدة السكوية لإصلاح ادارتنا...
 ولكن المصيبة أنهم إذا أنوا ليحكمونا لعمد علينا الخبال من منهم

وتوسع أيتاني السياسة الانكليزية وما لها من المصلحة والمنفعة في اجابة الشعب المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بمحقها في الاستقلال التام - فكان لحظاته تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الومار فتكلم في المسألة الاولى وأجاب

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالشكر المعتاد وشرع الحفل الجميع في الانصراف وقف الدكتور عبد الرحمن شاهيندر على كرسي واستوقف الناس لسبب كلمة منه فوقفوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يقبل عليه التشاؤم وهو يجب ترجيح التفاؤل، ثم اتى في المصريين ومصر، لاجل الاحرار بما يرجح الهزبد الولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاب

وانني اعترف بصديق كلمة صديقي الدكتور شاهيندر وان كنت انكرت في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول انني كنت منذ اشتمعت بالسياسة غيدارا في السياسة الادوية والمنافع الاستعمارية (الغيدار هو الذي يسمى الشن فيصيب) يملب علي التشاؤم من مساعيهم ولم أرفها عبالا لتفاؤل وحس النش كما شرحت في هذا المقال ، وانني لم اختلف مع صديقي الدكتور شاهيندر في مسألة من المسائل اني كنت فيها متشائما وكان متفائلا الا ونهر اني كنت الغيب فليتكرا أول خلاف في اثر قدومه من العراق الى مصر وأوسطه وآخره في دعوته ابائي مع آخرين الى امضاء تقريره للمهود وفي مؤننا في هذا الاختلاف

ختم المقال بالتفاؤل بالمآل

واختم هذا المقال بقولي اني مؤمن بربى اليأس من روح الله والتوسط من رحمة كفرة، وانني لا ينمعي التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سمي فلما لأرأل أرجو انتفاع الدولتين المقتسمتين لبلادنا الماضيتين لحقوقنا بأن الخير لها وللمدينة والانسانية ان يتركونا احرارا في بلادنا حاكين في شعوبنا وان يساعدونا على ما نريد من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية والادبية. ومن سوء الحظ ان كان سمي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو ان أوفق للسمي مع احرار المصنفين منهم وهم والله الحمد كثيرون وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حقيقة أمور الشرق من احرار أهلا ولا يكتفوا ببلانات السياسة الاستعمارية وما يختزله أهلها من أقوال مديري الخبايا لهم

أود لو يعلم أحرار فرقة الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يقتول
الامة العربية بل السواد الاعظم من العرب ومن مسلمي الاعاجم غير راس
عنهم وأنه ليس من مصلحة فرقة معاداة هذه الامة في هذا البيت منها وانه
بجعلها خصما للترك ، وانه لا يمكن أن تنال دوائهم عطف العالم الاسلامي مع
مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكسرة ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يفتروا باستخدام
مستعمرهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة
وبرضونها باستعمار بريطانيا لبلادهم على أن الايام ستعلمهم ما لم يكونوا يعلمون
وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا معناه لم يعر
أمراً مقفياً ، وأن عصبة الامم لن تكون العوية بيد المستعمرين ، وأن الرجاء
في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على
أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على
المستضعفين رجاء قوي يزيد العلم به والسمي اليه قوة ولا بقاء للعران
بدونه — (فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينعم الناس فيمكت في الارض ،
كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبرائها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه
الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة خلقية تحفظ بها استقلال كل منهم ويمود به
بجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بجمعها
بين الرقعة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان
لهم التفرق وتفردهم بالمال والمال (يعدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان الا غرورا)
ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعوم باسم الله تعالى لما
يحییهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض
مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم العصبية العرقية والمذهبية ، وليعتبروا بانفسهم
الترك الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والحق كيف تحولت حالهم بجمع
الكلمة والدفاع عن البيضة الى ان صار الحلفاء القاهرة لهم ولا خلافهم الذين
كانوا أقوى وأمر منهم يدعونهم خطرا عليهم ، ويتسابقون الى لادعوتهم أو
التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفجار ولم يوجد
في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والعار ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

ملف قرار لمصبة الأمم في الاستداب

قررت لجنة عصبة الأمم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة النائية في ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقديم الهيئة العامة وهي

- (١) لا يسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة لزيادة قواتها العسكرية
- (٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لا تستخدم القوة التي يمنحها اياها الاستداب لتثبت هي أو أصدؤها بموارد البلاد الليلية وتستثمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم
- (٣) يوضع نظام أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنتظر فيه عصبة الأمم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه
- (٤) يجب أن تشر جميع مكوك الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها

ملف مصابنا ولدنا اللهم

لحمنا في التيلة اربعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدنا الصغير (أهم) بعد مرض طويل بل امرض متواليه أوغا وعكة برد ورطوبة تلاها سعال غايقي انقلب سعالا ديكيما حرمة المصام والظلم عدة أسابيع اذ كان يقى مايا ككه غالبا قضف جسمه وقل أحماته واصابته في هذه الحبل الحصة وانتهى بان تأثر المهدود لطافي الامعاء وكل ذلك من موانع قبول الغذاء، وبقي أياما كثيرة لا يطلب الا الماء فقه ما أخذ وشه ما نطلى، ان العين سدم، والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرزى ربنا، واما بفرارك يا (أهم) فحرونون «انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجبرني في معيبي واخلف لي خيرا منها» اللهم اجمله فرطاً لنا وذخراً، واجمل مصابنا به أجر وأرحمة، ولا تجعله فتنة واجملنا من الصابرين المهتدين

(تاربخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف الصحة ومرض جميع الاولاد وسهرنا على تحريرهم ثم وفاة صغيرهم اللهم ما اقتضى تأخير صدره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من المجلد أربعة أجزاء صدر ان شاء الله تعالى في أواخر الاشهر الآتية ذي القعدة وذو الحجة والمغرب ويتر فيكون أول جزء من المجلد الثالث والعشرين في ربيع الاول كما صدر أول جزء من هذا المجلد فيه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتسمون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسجد
١٣١٥

1210

فقد أرفى خيرا كثيرا وما به
مؤثرا في الحكمه من بناء ومن يثري الحكمة

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوي (وشارا) كنار الطريق —

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٩ - ١١ الاسد (ص ٢) سنة ١٢٩٩ هـ، أغسطس سنة ١٩٢١

الخيال في الشعر العربي

الفرض من التخيل

مادة النفس الارتياح للأمر بشاهد في زي غير الذي نعهده ، والتخيل
يأتينا من هذا الطريق فيعرض عليها المعاني في لباس جديد ويجلبها في مظهر
غير مألوف

فالتخيل فائدة عامة لاتسخر عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقي المقى
بإزتياع له واقبال عليه ولو كان من قبيل الحديث المألوف والمعلوم بالبداهة.
وانظر ان رمت الثقة بهذا الى قول الشاعر

أخذنا بطراف الأحداث بيننا وسالت باعتاق المني الإباسع
فالمني الذي سيع البيت لتأذيتنا اتنا أخذنا قنابول الحديث والإبل نسيم
(المنار: ٧٤) (٦٢) (الجلد الثاني)

مسرعة في الاطمح . وهذا كما رأيته بمعنى مبذول وحديث لا يختص به ما بر سبيل دون آخر ولولا ان الشاعر اورد في هذه الصورة التي خيلت اليك بطاها تتدفق بسيل من امانق المطايا لم ينل عندك هذا الموقع من الحظوة والاستحسان قد يكون للمعنى في ذاته وجه يدعو نفس السامع الى التفور عنه ، وصناعة التخيل تبقى له أثرًا لذيذا في النفس فتأثبها الذة من ناحية غير الناحية التي يجي منها التفور ، فلو سمع اشيع ابن بقة قول عمارة اليمني شامتاً به وهو مصلوب ونكس رأسه لمتاب قلب دعاه الى الفوابة والضلال

لوجدوا لهذا البيت في أنفسهم ألماً بليفا يدخل عليها من جهة القدرح في كرامة رجل امتلات صدورهم باجلاله ، وهذا الالم لا يمنع من ان يبقى البيت في قلوبهم أثر لذة تسرى اليها من جهة التخيل وان كانوا لها كارهين . ومما قلت في بعض الخطرات : قد يهذب السياسي حاشية ظلمه فيكون كالبيت البليغ يؤثر في نفس من يهجي به لذة وألماً

قد يبدو لك ان هذه القائمة العامة انما تتحقق فيها اذا كان المعنى مبروفاً للسامع من قبل التخيل كوصف حال القدر والكواكب والبرق والسحاب والرياح والانهار ، والمقلة والثروة والقلم والدواة ، احوال الرجل من كرم وشجاعة وعلم وغيرها من الاعمال اذ يصح ان يقال ان التخيل قد مرض على السامع هذه المعاني في صور حديثة . واما الوقائع والاحوال المجهولة فلم يعرفوها صورة من قبل حتى تعد الصورة الخيالية جديدة وتحدث في النفس لذة زائدة من لذة العلم بأصل المعنى

والجواب ان المعنى الذي تتلقاه من الشاعر دون ان تسبق لك معرفة به قد يلقى اليك بوجه صريح ثم يدخل به في الخيال كما هي الطريقة الشائعة في التشبيه والتخييل ، وعد التخيل في هذا صورة جديدة بالنسبة الى الصورة التي تبعها التصريح أولاً مما لا تمزيك فيه شبهة

وقد يلقى لأول الخطاب في صورة خيالية وهذا مما يصح عده في الصور المستجدة اذ للمعاني صور اصلية وهي التي ترسم في النفس لأول ما تدرك المعنى بمشاهدة او وجدان فالنفس تشر حال تلقيها بصورة الخيالية ان المعنى الذي تحمله اليها صورة أخرى هي الصورة البسيطة التي يمر عليها القول الصريح وليست تقول بعبد هذا ان صور المعاني تختلف ما اختلفت البيانات

سواء كانت تصريحية او تخيلية فالصورة التي يعطيها قولك : زيد يكتب غير الصورة التي يفسح فيها قولك زيد يخط بالقلم على القرباس ، وكل منها صريح لا مدخل فيه للخيال واذا كان التخيل يلذ للنفس من جهة انه يكسر المعنى لباساً جديداً فيمكن لنا ان نصوغ للمعنى عبارة صريحة غير التي يعرفها المخاطب فيأخذ بها صورة جديدة ، ولا يفوز التخيل بهذه الفائدة ويختص بهادون الصريح والجواب ان الصور التي تنشأ من العبارات الصريحة وان تفاوتت في مواقع البلاغة واختلفت بالاجاز والاطناب لا تعد كما تعد الصورة الخيالية غريبة عن المعنى المراد ، الا ترى انك تعرض المعنى الواحد في صور خيالية متعددة والشعر واحد فيجد السامع عند كل صورة داعية لذة ، ولو القيت المعنى في عبارة صريحة ثم بدا لك ان تخرجه في عبارة أخرى تشاكلها في الصراحة والمخاطب واحد لقيت في نفس المخاطب سآمة لانك لم توافقها بصورة غريبة تخيل بها تلك تعبر عن معنى غير ما ألقيته عليها أولاً

فلا انكر ان الصور في العبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف العبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما تشتمل عليه من المعاني الزائدة عن اصل المراد وان هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة وانما اذهب الى ان تلك الصور وان احكت فسقتها واضفت اليها من المعاني ما يرتفع به شأنها لا تنهيج في نفس السامع هزة الطرب التي تنيرها العبارات الخيالية فالعبارات الخيالية تشارك العبارات الصريحة في جودة نسجها واشتغالها على المعاني التي ترتقي بها في مدارج البلاغة وتزيد عليها بآراء تلك المعنى في صورة بدئية تمتشقها النفس وتهتز لوقعها طرباً

ثم ان التخيل لا يخلو في أكثر احواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون معرفة المخاطب له أقوى وفهمه اليه أسرع ، وهذا مما يجتنبه الناس أو فر ، وارتياعها له أكل

ولا احسبك تقع من هذا الوجه في شبهة او تقف في حيرة حين ترى الوجه السابق يقتضي ان لذة التخيل جاءت من غرابة الصورة وهذا يقتضي ان انبساط النفس لها جاء من جهة ألغائها وكثرة التردد عليها فان غرابتها بالنظر الى المعنى المراد لا تنافي ان تكون مرفقةا ببيئاتها او عناصرها اجل لدى انبساطها في ذاتها ، فالشاعر الذي يقول

كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع .
 دنائير في كهف الاشل يضربها لقبض قهوي من فروج الاضالع .
 قد خيل اليك حال تدفق الاشعة وقت النداء وتجليها على الاوراق في صيغتها
 البهراء في صورة دنائير يضم عليها الاشيل يده ليقبض عليها فتساب من بين
 أصابعه متساقطة الى الارض . وهذه الصورة بالنظر الى مسلك الحديث وهي
 حال الاشعة غريبة ولكنها في نفسها جليلة اذ السامع للبهتين وان لم يشاهد من
 قبله دنائير تقتات من يد الاشيل فان لمواد المواقفة منها البهورة كالهناير ويده
 الرنم من أوضح معلوماته .

والتخييل بعد هذا اغراض خاصة يرمى اليها الادباء ويتفاوتون في التمكن
 منها ولا يسمى هذا المثال سوى ان يلبس بمهارتها فنقول .
 قد يقصد الشاعر من التخييل تقوية الداعية الى الاخلاص التي هي حيث بصورة
 بصورة مالا يستغنى عنه كما قال بشار .

فلا تجعل العوري عليك غصاة . فان الطوافي قوة القوادم .
 ضرب المثل للعوري في تثبيت الرأي واتمته على وجه السداد بالطوافي
 من الجواغ حيث تساعد القوادم على الطيران . وهذا التخييل يلقي في نفس
 السامع انه محتاج الى العوري حاجة القوادم الى الطوافي ويؤكد داعيته الى
 العمل على سنها او الحث على النبات والصبر على الامر حيث يخرج في مثال
 مالا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه كما قال بشار أيضاً .

اذا كنت في كل الامور معاتباً . صديقك لم تلق الذي لاتبابه .
 فمش واحدا او صل أخاك فانه . مقارب ذنب مرة ومجانبه .
 اذا انت لم تشرب من ارفع القذى . ظمئت وأي الناس تصفو مشارب .
 فالايات مبسوطة في الارشاد الى تحمل ما يصدر عن الاخوان من جفاء او
 حقرة فغرب لم المثل بالشارب حيث لا مندوحة للانسان من ورودها وهي
 لا تصفو له سائر حياته بل يصادفها في بعض الاحيان كاشفة له عن وجهه كالح
 وماء كدر ، يلجئه الظأ الى الشرب منها ، واغضاه الجفن عن اقتائها ، فهذا
 التخييل يريك انك لا تستطيع ان تعيش مستقلاً عن الاخوان وان ليس في طبيعتهم
 ان يسيروا في سرضاتك بحيث لا تلاقي منهم طول حياتك الا ما يلائم طبيعتك
 ويوافق بصيقتك ، ومقتضى هذا ان تعد يدك بعرق صديقتهم وتقصي مما يرضي

لم في بعض الأوقات من جفاء أو يزلون فيه من عثرات
أو التحذير مما يرغب فيه كما قال أبو نواس

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
لوزهب إلى ذم الدنيا صراحة وهي حلوة خضرة لم يأخذها السامع بما أخذ النسيم
وأكران يكون في لذيقها مذاق جميل المنظر ما يجب الحذر منه فعدل إلى الخراج
الذم في مثال ربه كيف يترى الشرطي الخير ويظهر المؤذي في بهجة ما يمد قافها،
أو تخفيف الرغبة فيه وتقليل الاهتمام به كما قال المبري

وإن كان في لبس القتي شرف له فإل سيف إلا حمده والجمائل
فن تمثلت له الملابس بمنزلة الفمد والجمائل من السيف لم يطمح بنظره إلى
تنميقها أو يجهده سميح في اتخاذها من النسيج الفاخر وإنما يصرف همه إلى
ماتسوم به النفس من علم وفضيلة كما أن البطل لا يمتد بالفمد والجمائل وإنما يقبل
على السيف فينتفخ وسعه في إجادته صنعه وأرغاف حده

أو التسلية كقول صاحبنا الأمير شبيب بن علي البارودي وهو في المنفى
إن يحجبوك فما ضر للنجوم دجى ولا زري السيف يوما طلي أعماق
الأساس إن طال نجر السد موعده فاعذب الماء شربا في قم الصادق
أراد أن ينفث في نفس مرسله كلمة تجر منها عقده الضجر وتطرد عنها
غم الوحشة فذكره بأن ما جرى عليه من التفريب والاختفاء من أعين من القوم
وأنهم قد ابتليت بمتله الكواكب فلم يمسها بنقيصة ومنيت به السيوف فلم
يضع من قيمتها فتلا ورام بمد هذا تخفيف ما عساه أن يساور قلبه من لوعة
الحنين إلى الوطن، وألمح بما طال عليه من الاملد، فأقام له مثالا من حل الماء
حيث يكون مذاقه في قم من بمد عهده به - وهو الظمان - الدواشي
ومما صنعت في غرض التسلية

بنثت شمع علك في غور تسوق اليك ما استطاعت حنونا
كذا الأفاثر تكسو لأرض نورا ولولا الأرض ما لقيت خنونا
أو إزالة ما يحاطل النفس من النفور عن الأمر أو عده عيبا كما قال الفرزدق
تفارق شيب في شباب ناعم وما حزن ليل ليس فيه نجوم
ضرب المثل لشعر الأسود تخلفه شمات من الشيب بحال ليل داج تتألق
في سائه للكواكب ليخيل أن الشيب مما يحدث في الخلفه حسنا ويريد ما بهجة

حتى يضع الانس به مكان التجافي عنه . ومن هذا القبيل قول قابوس
ياذا الذي بصروف الدهر خيرا هل عائد الدهر الا من له خطر
أيا ترى البحر تطفو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره الدور
وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكف الا الشمس والقمر
او الدلالة على ان الذي تحكى عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى لتسندني
له في نفس الخاطب اجلالا واشفاقا او تحقيرا له او جفاء عنه ، ويرجم الى هذا
الفرض كثير من التخييلات الواردة على طريق المبالغة في المدح والمغزو والاعتذار
والهيباء والوشاية وامثلها كثيرة الدوران في كتب الادب والبيان
وقد يكون المعنى مما لم تتداوله الافكار وليس من البعيد ان يلاقيه
الخاطب بالتعجب الذي هو مطية الانكار ، فيجني التخييل عقب هذا لازلة
التي يجيب منه ويبان ان وقوعه داخل في حوزة الامكان وهذا كما يقول أبو
تمام الاندلسي

لا يفخر السيف والاقلام في يده قد صار قطع سيوف المهند للقصب
فان يكن أسلها لم يقو قوتها فان في الحجر معنى ليس في العنب
ادعى في البيت الاول ان القطع الذي عمدت به السيوف قد انتقل الى
الاقلام التي تهزها يد عمدوحه فلم يبق لسيوف خصلة تفاخر بها ، وليست هذه
الدعوى من الجلاء بحيث تفتح لها النفوس باب القبول بسرعة واول ما يطمئن
فيها ان الافلام مشتقة من القصب وهي اوهن من المصارع السيوف ومضاه
فاحتاج الى تأييدها بما يدغم الشبهة ويحشرها في زمرة الاقوال المسلمة فنضرب
لها المثل في البيت الثاني بالحجر التي هي عمارة العنب وقد امتازت عن بقية
المصير باطقاء نور العقل والاطلاق الساكن يخط في فلاة الهفر خبط عشواء فصارت
بهذه الخاصية حقيقة قائمة بنفسها ومالكة لقوة لم تكن في جنبها
وقد يكون المعنى مما تألقه النقول ولا يتثبت به في سياقه ما يميز السامع
الى ارباب او يحمله على انكار وانما يقصد الشاعر الى ابراده في مثال اوضح حتى
يقم من نفوس السامعين في قرار مكين ومثال هذا قول سيف الدين بن المشد
ان رقى الى المسالي اولو الفضل وساخت تحت الثرى البهائم
في حجاب الدمام يملو على الكا من محلا وترسب الاقفاة
فان يتجاف القهبله الى المراتب العالية وهبوط اهل البهائم الى ما تحت الثرى

ليس في منه بأس، يتمتع منه أو يتلقى بانسكار لعاكاته بارتفاع الجباب على
وجه الكاس وزول الاقداء الى اسفله انما كانت مؤكدة له ومنصحة عن
مناسبتة لهكمة وانطباقه على سنة الله الجارية بارتفاع العناصر النقية ورسوب
الاجرام المتفنة . ومما صفت على هذا النمط

لا يالف المزجبا لمج في وسن من الخلاعة لا مسمى ولا أملا

كالدرز هو على صدر الفتاة وان دب الناس الى اجفائها اعتذلا

ومن الدواحي الى التخيل تخميص بعض السامعين او القارئين بفهم المعنى
اما لفضل المعية او لان في يده من القرائن المساعدة له على التهم ما ليس في
يد غيره فلو حاورك انسان في أمة من الناس اقاموا على فريق من أموالهم رقباه
فأردت ان تذكره ان أولئك الرقباه لم يحرسوها بين الامانة حتى تناولها
قوم ملأوا منها حقائبهم واثروها في سبيل شهواتهم فكثبت اليه على مثال
ما كنت قلت

باريانا خلفها الحراس اذ غرقت احداقهم في وسن

سرفت وريح الصبا منك شذى طاب وانساب به في الدمن

لم يستطع فهم ما أردت من الكلام الامن دارت بينك وبينه تلك الحاورة .

وقد يذهب الشاعر الى التخيل لقصد التهم كما قال المري ينهم عن يحكي ان

أول من شاب ابراهيم عليه السلام

ما اقيح المين قلتم لم يشب أحد حتى أتى الشيب ابراهيم عن أم

كذبتم ونجوم الليل شاهدة ان المشيب قد بما حل في الائم

فكانه يقول هذه الرواية الملفقة ليست اهلا لان تقابل بفنر هذا الرز

القائم على الخيال . ويقرب من تخيل نجوم الليل بالمشيب قول احمد بن دراج

القطلي بصف المبرة

وقد خيلت طرق المبرة انها على مفرق الليل البهيم قثير

وربما لا يمدح الشاعر داعيا الى مسلك التخيل بمدبسط النفس سوى التنبيه

على ما بين المعاني من المناسبات الخفية او مجازاة البلاء واقامة الشاهد على

الحقد في هذه المناسبات . وما يرمي الى أحدهما من الترسين ما ينسج به الابداء في

وصف بعض المناظر القطرية كالشكر أكب والحدائق والعنانية كالشجرة والسيفينة

محمد المخضرم

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدأنا مرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية ثم كنا نترك نشره لسبق الجرائد اليومية إيانا إلى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما، بل جاؤا بالذرة، وأذن الجريدة - كما قيل في المثل - فإن كان أكثر ما كتب لم يخل من تحريف لجده أو تحيز إلى فئة فذلك أخرى باستقصاء أصول المسألة وفروعها - فيكتفي إذا باستخلاص الزبد من الخيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بكلمات وجيزة تمخز في المفصل، وتغطي قارئها من الموعظة والاعتبار والجحيم بما له لا يجده كله في غيرها

مقدمة وتوبيخ

(١) قد سبق الدكاء الفرنسي الدهاء الانكليزي إلى معرفة مكانة مصر من ارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة فد إليها حمله نابليون الأول ناهضة مصر في الدكاء والاقدام، ولكن الدهاء الانكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم اعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة عربية، فمارستها انكسرة بنفوذ الدولة التركية، حتى وقعت مدهاة وأرجعتها إلى ما وراء حدها، ثم تعاون الدولتان على ارهاق مصر في زمن اسماعيل، ثم سبقت اداهما إلى احتلالها في عهد توفيق . . .

(٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية - بحضرة الخانك - لا اعلى لها شارب ومنفذ ومالك متصرف في البلاد وأهلها تصرف البيند المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى ان تتكون في ظل هذا الحكم هذا البصراة، ولا ان تتمر دولة، بل يهدم مستقبل مفسد، ما بناء مستقبل مصلح، كما هدم اسماعيل المبذر، ما أسسه محمد علي المعمر. حدثني المرحوم جسن - عبد الرازق باشا ان قيمة طيان القطر المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة اسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للأجانب

(٣) ان غايات الاضداد تتصل بمبادئها ففي عهد اسماعيل الذي اتهمى إليه الاستبداد في حق ثروة البلاد وفساد الاخلاق - رجع وبنت غرس الاصلاح الاجتماعي والسياسي والادبي بأرشاد حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين

الاقتصادي مؤسس الحرب الوطني الاول في مصر ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة ، ولكن بريطانيا المظلمى كانت بالمرصاد لهذا الإصلاح المنوي ، فناروا كما نارات ذلك الإصلاح المادي ، فأشرفت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بعد ان كان قد عاهده - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الإصلاح ، ومنه جعل حكومة البلاد نيابية وتميم التعليم وغير ذلك ، ولكنه قال عند خروجه من مصر انه ترك فيها من يتم ما بدأ وهو مريده الذي احاط بمبادئه ومقاصده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٤) تجدد في البلاد عهد الإصلاح المادي والمنوي مما في اول اماره توفيق اذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذو الصلوة والمهارة والوطنية الصادقة التي لم تر مصر في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع اخلاقه وفضائله واستقلاله وعقله واصلاحه الاداري وان وجد فيها من الوزراء وغيرهم ألوف فأقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض الفنون التي لم يكن يعرفها - فقام هو بإصلاح المالية والادارة خير قيام . وولى الشيخ محمد عبده ادارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية فتوسل الشيخ بهذا الى اصلاح لجنة الصحف والدواوين ثم الى اصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فعلناه في ترجمته وترجمة رياض باشا ولكن كان من سوء حظ مصر ان وقف سير هذا الإصلاح بالثورة الثرائية المشؤومة بالاحتلال الاجبي قبل ان يتم ومفسد الشعوب ومذل البشر

(٥) توسل الانكليز الى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه ونفوذه ، وخداع اوروبا بإيهامها انهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ أموالها ومصالحها ، ولما تولى هؤلاء وأولئك بأن الاحتلال موقت لا تقصد بريطانيا المظلمى فيه لنفسها بما ولا تنوي سيادة ولا أثرة ، وانما تنوي خدمة مصر واوروبا والانسانية . وبما ساء خدعوا البشر بمثل هذا الايهام . ولم تعرف عامة أمم الارض رياءهم وخداعهم إلا في هذه الايام ، ثم منقروا يتكئون نفوذهم بالتدريج . وسيطرون على الادارة والقضاء والتعليم ، ويسبون اخلاق العامة بالاباحة التي يسونها الحرية - سيه . واخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواتب العظيمة ، ويتلون على الشعب بأنهم المقدون له من ظلم الترك واعوانهم ، والمدعون له للاستقلال الذاتي

وزرائه واستقلاله، على ما كان من مذهب ارائته، منهم واستسلامه

الحماية البريطانية والوزار الشدية

(٧) أعلنت بريطانيا العظمى الحماية عن مصر بالاتفاق والمواطاة مع وزارة رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها. وهذه الوزارة هي التي مكنت للانكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والامة من الايعان والمنافع والاناسي والدواب والانعام، ولولاها لما استطاع الانكليز ان يستخدموا زهاء ألف شاب مصري وينفقوا بما يقدر بألوف الألوف الكثيرة من الجنهات، وقد قل عنها أنها لم تفعل ذلك الا عن وعدة وعدوها باها وهي منح البلاد الاستقلال الاداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها اول من خدعته الوعود البريطانية فتقول أنهم لا يفقهون السياسة وأغاديبها — ولما انتهت الحرب وزال الخطر عن بريطانيا العظمى واحلافها، وشمرت بأن أزمة سياسة العالم صارت في قبضة يديها، فلبت لمصر ظهر المجن وشرعت تمهد السبيل لضمها الى املاكها، والاجاز على لفتها العربية التي طالت عمارتهم لها واستبدال اللغة الانكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها التشريعية والتنفيذية للانكليز وغيرهم من الاوروبيين، والقبض على ناحية الثروة والمواصلات التي هي شرايين الحياة الادارية والمالية في الامة — وقد ظهرت مبادئ هذه المقاصد في عمل اللجنة التي أنفت لوضع نذم لالغاء الامتيازات الاجنبية وحصر النفوذ الاجنبي في البريطانيين وقد كان عدلي باشا عضوا فيها. فلما رأث ذلك وزارة رشدي ظهر لها ان هالك مصر بالاستعباد للانكليز واقع على يديها، فكبر عليها الامر، وسدت في وجهها منافذ الخيل. حتى ظهرت مبادئ النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله

تأليف سيمد الوفد ومساعدة رشدي وعدلي

(٨) ان خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسمى لاستقلال مصر باسم الوفد المصري معروف، ومشايمة وزارة رشدي باشا له غير مجهولة، وقد كانت قيمة مساعدتها حتى السابعة ثمينة، وأتى بالامية دم مقاومته عند أخذ وثائق التوكيل من ممثلي الامة للوفد بطلب الاستقلال التام. وقد حاول مستشار الداخلية الانكليزي منح هذه الوثائق فلما لم يستطع استخدام الوزارة فيه كان عمله أبتر ناقصا فكان هذا من اظهر الدواهد على عجز الانكسة عن

التصرف في الامّة بأنفسهم، فهم لم يعدوا شيئاً ضاراً ولا نافعاً الا بأيدي المصريين . ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن تواملز وتعاهد على السعي منه الى الاستقلال التام الذي "نظمه" اذ لم تكن ترجوهذا واما رأيت ان قيامه بهذا الامر يكون وسيلة لها الى أحد الامرين اما الحصول على استقلال اداري واسع مع الارتباط بالامبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند اعلان الحماية . واما اثبات وطنية افرادها لتعلم الامّة أن وفاءها للدولة البريطانية على اعلان الحماية ومساعدتها اياها على استخدام قوى الحكومة والامّة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد يفر لها خطأها فيه حسن النية والتكثير عنه بمساعدة الامّة على طلب الاستقلال

الاستعداد للاستقلال وأسبابه

(٩) ان استعداد الامم للانقلابات الاجتماعية التي يظهر بها انتقالها من طور الى طور انما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي اليه او ما سيترتب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص ، وان رجال الاستعمار من الافرنج وراقبون الشعوب التي يسودونها ليحولوا بينها وبين الاعمال التي تجتمع بها كمنها فتكون أمة مستقلة بالاستعداد بالقوة، الذي لا بد ان يتبعه الاستقلال بالفعل فيصرفونها عن هذه الاعمال ويشغلونها بغيرها بقدر علمهم واجتهادهم ، وقد يخونهم العلم فيمملون بأنفسهم لاعداد الامّة للاستقلال ما لا تستطيع عمله او مالا يأتي منها وهم لا يشعرون ، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان اوسع انكشاف مصر علما وخبرا وحرما) يعلم بأن اباحته للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأعظم رجالها سيكون سببا من اسباب جمع كلمتها اذ كانت الحكومات هي السالبة لاستعداد الشعب بمصر والحائلة دون جملة أمة . وانما كان منتهى اجتهاده في ذلك ان سقوط هيئة الحكومة الوطنية وزوال سلطانها يجعل المصريين خاصمين للانكشافات من قبلهم وحدهم ، وهم الذين لا يطلع أحد في اضماف سلطانهم . ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم ان ذلك التصرف في أموال الملايين وسائر الطبقات الواسعة وفي أنفسهم يولد عندهم من العلم بصبر السلطة الاجنبية والشعور بكرهاتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشدّهم شعورا فتجمل الامّة كتلة واحدة وكلمة واحدة . بل أقول ان الحكومة البريطانية

المليا في لندن كانت تمجبل ماتلده لها الدعوة (البوربنفندة) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لاقناع الامم كلها بأنها مع حلفائها يقاوتون لتحرير الامم والشعوب وازالة ما يريد الالمان وحلفاؤهم من جمل السلطان للقوة دون الحق - وهو توجه أقصر الشعوب المستعمرة او المستعبدة بالإسباء المختلفة الى الحرية والاستقلال وينض المستمبد واحتقاره والخروج عليه معها تكن النسبة ببسطة بين قوته وضعفها - كما كانت تمجبل بالاولى ان تهي سبب باعها زغلول ورفاقه من مصر عند اظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولد في مهنورة اجتماعية عامة . كيف وقد سمعت هذه الحكومة بمن كانت تعده أعلم رجائها بحال المصريين - وهو مستشار الداخلية السابق - قوله : اذا اختلعت نار نورة في مصر فهو يطقها بيسقة من قه !

الوحدة المصرية وما حدث من صدها

(١٠) ظهرت مبادي استمداد الوحدة المصرية للاستقلال ونيل السبللة الانكليزية بمد وقوع اسبابه التي أشرنا الى بعضها في زهاء ثلث قرن فكانت كلها قايوما الانكليز ترداد قوة لانها حقيقية لاصورية مدبرة كما ظنوا بادي ذي بدء ، ولوعلموا انها حقيقية لما لجوها بالبين والخدمة ، بالالسة والصراحة ، ولكن هذه الوحدة لم تمش أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام ، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتصام والوحدة ، قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانقسام والتفرقة ، الا وهو الوفد المصري الذي اجتمعت الامة على الثقة به وجعلت في تصرفه مئات الالوف من الجنهات ، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الامة غابت فيه الآمال ، وغلب ياس الجهور على الرجاء ، وآخرون متحيرون يقولون ما عدا بما بنا ، وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر او يجيد على هذه النار هدى ، وقد يجبون لتقول مثلي بمد هذا التفرق الذي اشرب المدا ، ولم يسلم من المجر والبناء ، على أكابر الزعماء والرؤساء : ان الوحدة المصرية حقيقية ، ولم تكن خدعة صورية ، نعم انني قلت ما قلت على علم ، وانني اثبت رأيي بالدليل : لا تتحصر الحقائق الا بدخولها في جميع الاطوار التي من شأنها التطور بها فاطهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي اكبرها العالم مدة سنتين يقبه ما كان من اكبار العالم للاقتلاب الثاني الذي حتمت له الشعوب المعانيه على اختلاف ملها ونحها ، ولغاتا وريبتها ، ولغاتا وثقافتها

لاجل تنفيذ قانونه ، ثم لم تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي احدثته ان هدمته بيدها ، وكذلك هدم الوفد المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند تمّي رئيسه وثلاثة من أعضائه المؤسسين الى مائدة - ثم عند اطلاقهم من اعتقالهم - ثم في مقاطعة لجنة لورد ملزوا واجماع الامة على ردها الى الوفد المصري - ثم في استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الامة في تقرير لورد ملز - ثم في استقبال الرئيس سعد باشا زغلول بمفاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه الى أعلاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد ومآدب لم يسبق لها نظير : ولم يبق أحد يجادل ان اتحاد الامة هو أعظم قوة لها تلعبها شائز القوى اذا ثبتت ، وينتكت قتل كل ما يوجد منها اذا نكثت ، فاسبب هذا التفرق بعد ظهور ثورة الاجتماع بمجنوح بريطانية العظمى الى استمالة مصر وارضائها برفع الحماية عنها والاعتراف بالاستقلال لها ، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها ؟

موضوع الاتفاق وسبب الافتراق

(١١) ان ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر يجعل توجه اليه استمداد جميع طبقات الشعب وهذا التفرق لم يزد الا قوة ولكن الشعب (لما اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يملكون أن السكّال يقصد في أول السعي وقدا ينال الا في آخره . وان المسافة بين الاول والاخر في اعمال الامة قد تكون قريبة فحسب بالسنين وقد تكون بطيئة تعد بالاحقاب ، ومنهم من كان يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح ، ومن يرى ان أخذ بعض المنصوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب ببعض الاخر فالواجب الانتظار لاخذ الحق كله ولو بعد حين - فكان هذا خلافا يداخل الاتفاق وان لم يذكر في الوقت الذي لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما الى الاعتراف بشيء من الحق لصالحه ، دع الوعد ببذله كله او بعضه ، فلما اثمر سمي الوفد بقوة وحدة الامة التي تؤيده جنح الانكليز لارضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقوقهم في ادارة بلادهم واستقلالهم فيها (بشرط اعترافهم لهم لبريطانية العظمى بمزبذاز في البلاد تحفظ به مصالحها ومنافع اوروبا بما استتبته من الاهلية لهذا الامتياز بالاحتلال البؤر الذي خدمت البلاد فيه ورقت موارد الثروة فيها وغير ذلك فما تدعيه مواء كان حسدا أم لا) ودعي الوفد المصري من باريس

الى لندن لاجل المناوضة في التقرير الذي وضعه لورد ملز وزير المستعمرات
للبريطانية لحل اشكال القضية المصرية - لما كان ذلك - ظهر في المسرح عدني
باشا يكن أجد أركان الوزارة الرشيدة التي استقالت في سبيل تأييد الوفد
فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملز التي فوضت الحكومة البريطانية الباهر
المناوضة وسرغور الوفد - وظهرت بتلك الوساطة مبادئ الخلاف الكامنة الذي
أشرفنا اليه ، وانتهى بالتفرق والتفاهق الذي تفكك منه ، فقام شيء جديد ، الاولة
أصل تليد ، كان يتخلل بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيّد بقيد
الامبراطورية فثبت ذلك أولا في مصر وثبت هذه بعمده في أوربة ثم في مصر ،
فكان كالتوازن بين القمم

لقد فتح الجمهور المصري تبعا لوفده مشروع ملز وبعد طول البحث فيه
والتحصيل استقر رأي سعد باشا على أنه «حماية مقننة» العرض منه جعل مركز
النائب الممثل شرعيا بقول الامة المصرية هذه الحماية المقننة - ورأي عدلي
باشا أنه مشروع جدير بأن يبنى عليه الاتفاق بين انكسرة ومصر وأنه يمكن
تعديل بعض ما يشهد سعد باشا في انكاره منه - وكان سعد باشا يرى عدم
المناوضة في هذا المشروع - ثم رأى بعد مناوضة لجنة ملز التي استدرج اليها أنه
لا يجوز جعله أصلا للاتفاق بين مصر وانكسرة ولا أساسا للمفاوضات الرسمية
الا اذا ألنبت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاورة الامة
والاطلاع على رأيها . واشتد النزاع بينه وبين ملز مرارا حتى هم بقطع
المفاوضات وكان عدلي باشا يمد المياه الى مجاريها بلطفه وكياسته فأرضى بذلك
الانكسار وعلقوا آمالهم به وأغضب سعد باشا ، وسعد شديد الشكينة حديد
المزاج اذا غضب جرح فادى ، وعدلي باشا رقيق الطبع من أهد الناس عن التنازل
والغصام ، ولكن مال اليه بعض اعضاء الوفد وآروه على رئيسهم في شخصه وفي
طريقته ، فاجتهدوا أولا في التأليف بينهما ، ولولا ذلك لظهر ما نجم من التفاهق
بينهما في أوربة . على ان سعد باشا انبأ لجنة الوفد بمصر بريقة من باريس
بأن عدلي باشا مشاقق لوفد فلم تنتشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الاعضاء
هناك فاصلحوا بينهما أصلا التزم فيه عدلي بالأ يعمل مملا الا بالاتفاق
مع الوفد ، وحمل سعدا على كتابة رقية تنسخ الرقية الاولى فنشرت هذه
دوني تلك - ويقال انهم أقنعوا سعدا بأن يؤلف عدلي وزارة تتجهل للمناوضة

مع انكثرة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان فان كان مرصيا ايده والا استأنف جهاده ونميه

ثم ظهر الخلاف بين سعد والشاربين لعدي من أعضاء وفده ففادته خمسة منهم وعادوا الى مصر فسبقهم اليها نيا منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية من الشبان اسوأ استقبال منذ بلغوا مرقا الاسيكندرية الى أن آووا الى بيوتهم واسمهم اذى كثيرا مشوبا بالوعيد والنذر، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي الرئيس ومعه، ولكن لم يمنهم ذلك من بث الدعوة لعدي باشا والطن في سعد باشا والتنفير والمصد عنه وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك

الوزارة المدنية

(١٢) من القضايا التي صارت مروفة للجمهور ومسلمة بين المحصور أنه لما كان الوفد المصري وعدي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية ان يؤلف عدي باشا بعد عودته الى مصر وزارة تتولى المفاوضة الرسمية وعقد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على أساس تقرير ملنر بشرط إلغاء الحماية فقط، والشائع ان أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد الى مشايمة عدي قد تواطوا معه هناك على تأييد الوفد له اما بمجذب سعد اليهم واما بنبذه بأكثر الآراء، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدي باشا ان يدخل في هذه المصعة وينقض عهده فانه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واثقاء القيل والقال، دمع الاستهداف للطن والنفضال، وانهم حاولوا هذا فلما لم يستطيعوا اليه سيلا تحجزوا الى عدي جهارا، واتنا تلخص خبر الوزارة بموجب من القول سبق ان ذكرنا في المناراففة الرسمية لتأليف الوزارة وانها كانت بسبب البلاغ البريطاني لمظنة السلطان في شأن المفاوضة باستبدال علاقة أخرى بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالامبراطورية وقد اشتهر ان السلطان كان يرغب ان تتولى وزارة محمد توفيق باشا فسيم ذلك لانها كانت احظى الوزارات عنده ولما استقلت لاجل هذا العمل عهد الى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة المطلوبة فلم يمكن، ويقال انه ذكر غيره ثم علم أنه لا يمكن ان يقوم بهذا الامر الا عدي باشا

ولما ألق عدي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الامر السلطاني بتأليفها خطها السياسية الناطقة انها « ستجعل نصب هيئتها في المهمة السياسية التي

ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر . وستحري في هذه المهمة متقبعة بما تنوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا المرض .
وقع هذا القول على ابهام عبارته واضلرباها (١) أحسن موقع من الامة فان آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها فرأت أنه قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الامة والحكومة كلمة واحدة وبدا واحدة بعد ان كانت الحكومة خصما للامة منذ تمكن الاحتلال الانكليزي وأنصب برائته فيها الى هذا العهد، لاجل هذا صفت الامة لهذه الوزارة وقابلتها بمظاهرات الثقة بها والاهتاف لها مع الاهتاف للوفد ولرئيسه سعد باشا

التفرق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم ان الوزارة أذنت لسعد باشا - وهو في باريس - بتأليف اؤخنة هاو طلبت منه الحضور الى مصر للتماون معها على العمل فبادر فقابلته الامة من أعلى طبقاتها الى أدناها في جميع البلاد من أدناها الى أقصاها ، بمشاهير من المناوة والتكريم ، لم يسبق لها شبه ولا نظير ، فكانت الامة كالجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثليها من تكريمه واعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة ، ولكن هذا الاجماع لم يكن تاما غاما سالما من الشذوذ الخفي بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من أوربة منافسين وبعض الحاسدين الذين زادهم مارأوا حسدا يخفون في أنفسهم ما لا يريدون للناس فذا انمذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيها ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المغاضبون لرئيسهم يتسلطون من (بيت الامة) (٤) لواءا ، وينفضون الى الوزارة ثبات وافرادا ، ثم استمالوا هم والوزارة اليهم آخرين منهم ، وحمي (١) ان نفي إيجاد محل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي ان يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فانه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب: الجمل والمحل والشك - فاذا كان الاتفاق على ان تكون مصر كعض امارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستعمرات مستقلة فانه يصدق عليه ما ذكره والاسترشاد بما رسمته ارادة الامة لا يقتضي اتباع ادارتها وعدم تجاوزها

(٢) بيت الامة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول .

وطيس الخلاف والمجلد ؛ ومرح رئيس الوفد بعدم الثقة بتولي الوزارة
للمفاوضة مع الحكومة الانكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر ، فأرضته
الوزارة وقامت بكل مآلئ الحكومة من حول وقوة ، وتظاهرها في ذلك
السلطة المحتلة ، ومن ورائها الامة البريطانية بحكومتها وجراند هاج ، وبأهلها من
قوى هائلة تستغيث من هولها الأمم ، وتخشى قبولها كبرى الدول ، يظهر
بذلك صدق ما قيل من انه قد تقرر في انكلترا ان يتولي عدلي باشا الوزارة
ويؤيد به الوفد ثم يكون هو الذي يمتد الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر
على قواعد تقرير ملز بشرط النهاء الحماية واستبدال علاقة بريطانية أخرى بها
فوقع بذلك الشقاق في الامة ؛ والنشفت عصا تلك الوحدة التي ليس لمصر
من دونها حول ولا قوة ؛ فكان هذا أول ملامح الظفر البريطاني الذي يقاب
جميع المطلوب بالصبر والمجدد ، مع الدأب في العمل

وقد من جد في أمر بمحاولة واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
فقيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالها مصر في
العالم كله بوحدها واتفاق كلمتها مائة عامين ؟ هل هو شقاق في المذهب السياسي
ام تنازع على الزعامة والرياسة بين الافراد وانتصار كل فريق زعيم لتفصيله
إياه في الزعامة للصصلحة العامة او المنفعة الخاصة ؟ ومن المذهب المسؤول ؟ وأي
الخزين هو الظاهر وأبهم المخبون ؟
موضوع الشقاق وزعيماء

(١٤) من القضايا التي صارت مبروفة لكل أحد ان وحدة الامة المصرية التي كان
يعتقها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الامة في طريق
السبي الى استقلالها فريقين — وأن زعيم الفريق الاكبر او الاكثر هو سعد
باشا ويمبر من افراد حزبه بالسعديين ، وأن زعيم الفريق الاصغر او الاقل هو عدلي
باشا ويمبر من افراد حزبه بالمعدليين ، وأن كل قوة سعد مستمدة من الامة ،
وأن جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة
البريطانية الموجودة لهذه الحكومة — وأن هذا الصدع قد كان من قبل
الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استعداد الامة له وهم زعماء هذه
الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقم من الخلاف بينهم فهم
المسؤولون — وأن التنازع على رئاسة الوفد الرسمي الذي يتولى عقد الاتفاق

بين بريطانيا العظمى ومصر اذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف هذه قضايا لامراء فيها والمدليون يهتمون سعدا بأنه لا عذوله في الامتناع من تأييد الوزارة الاحب الرثاسة وقد اداع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن الببالة شخصية، وهذا جار كبير على الامة بأسرها . وسعد باشا يحتج بأنه يجب أن يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لانه هو الممثل للامة التي وعدت الحكومة باتباع ارادتها في قضيتها السياسية والوزارة الحاضرة ليست الا وزارة الحماية الانكليزية فهي تظهر السلطة البريطانية فاذا كانت هي التي تتولى ادارة المناوضة ثم الاتفاق مع بريطانيا فكان ملك الانكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن ما تمتد به الوزارة أو تحتج به على ما تمح من عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي رئيسها - وهوان التقاليد المتبعة في جميع الدول أن رئيس الحكومة هو الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها وهو الذي يمتد بالمحادثات والاتقات مع الحكومات الاخرى - عذر باطل وحجة داحضة فان ما ذكره من تقاليد الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والامة جميعا اذ لا يكون رئيسا لها الا بتأييد مجلس نوابها الممثل للامة ، وهذا مبين لحال الوزارة المصرية

ويقول المدليون أن الوزارة أجابت سعد باشا الى جميع ما اشترطه لتأييد الوفد بما الاسألة الزيادة فهما يكن له من حجة على طلب هذه الزيادة لنفسه، فليس له أن يوقع الشقاق في الامة لاجله، وانما يك يقول كون أكثر أعضاء الوفد الرسمي من أعضاء وفد الامة الذين يختارهم رئيسه وكون التتة بشخص عدلي باشا لا نزاع فيها - وسعد باشا وحزبه يردون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد فيكون اجابة ما عدا شرط الزيادة من شروط الوفد قد كان أهم الشروط اصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الاساس الذي تجري فيه المناوضة على ما يتفق مع مطلب الامة ومبادئ الوفد كالتمس على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى امام الدول الاجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج ، وبه شرط إلغاء الحكومة العرفية والمراقبة على الصحف لتكون الامة وصحفا حرة في أنوالها وافعالها لا مظهر عليها في ابداء رأيها الا القانون، فلم يتغاضي من ذلك -

ويقولون أيضا ان الرئيس لم يبق له ثقة باقندار عدلي باشا على تحقيق مقصد الامة المصرية بعد ان تمحست قضيتهم لانه برضى بدون ما ترضاه ولائفة له بأعضاء الوفد للتحيزين اليه فهذا كله مما كتب. وهو يفيد أنه لم يبدأ شروط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا ، فإذا ألف عدلي الوفد الرسمي فجعل ثلثهم من رجال الحكومة الذين على رأيه والثلثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من المتحيزين اليه تكون يده الاكثرية الساحقة ، وإذا كان مع هذا هو الرئيس الذي يتولى ادارة المفاوضة فلا يبقى لرأي سمد باشا معه تأثير — فلماذا اشترط ان يكون هو الرئيس لوفد الرسمي لا مجرد حب الرياسة فانه ليس فوق ما خوته إياه الامة من الزعامة فيها والرياسة لها غاية تطلب

وأظهر حجة لبعض المدليين ، رضىها بعض المتدليين ، هي ان الوفد الرسمي الذي رضى بربطانية العظمى أن تتفق معه لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان فإذا جازان برسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز ان يحمل سمد باشا هو الرئيس له اذ لاصلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة اخلاصه له وهؤلاء ينكرون على سمد باشا عدم زيارته للسلطان عقب هودته ، وهو يعلم أيضا ان الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سمد باشا — فإذا كان الامر كذلك فلا ينبغي لسمد باشا ان يوجه كل نفوذه في الامة الى منع ما اتفقت عليه الحكومتان بمحاولة اسقاط عدلي باشا والجماعة الى استعمال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة الى جزائه على عمله بمثله الذي ادى الى شق عصا الوحدة وخسارته بل خسارة البلاد ما كان من اجماع الامة على زعيم واحد وهو هو (سمد باشا) وكان يكفيه الا يزيد ولا يشاركه في المفاوضة ويقت له ولوفده الرسمي بالمصادق فان جاء بالاستقلال التام الذي يرضاه هو والامة لم يكن عليه أدنى غشاضة في قبول ذلك وتوجيه نفوذ زعامته الى النهوض بإعلاء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه كان حجر الزاوية له ، وان وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان هونا له لاختصاصها . وان جاء بمجاعة مقننة او استقلال صوري متبدد بقبود الامبراطورية البريطانية ومغال باخلها فلا يعمل عليه بحمل الامة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه ، فإذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ

نكون باقين في موقفنا بل أقوى مما كنا بعد اعتراف انكارة لنا بما اعترفت به ،
واذا نفذ نكون قد ربحتنا ما تركته لنا من حقوقنا من حيث لم تنقذ الامة بالاعتراف
لها بشيء . بآبائنا حينئذ ان الوفد الرسمي المناوئ لا يمثل الامة أولم تقره الامة
على ما عقده

والصديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بأن عدلي لا يأتي بالاحماية المقننة ،
وبأن السكوت او ترك المعارضة يغني الى نجاح الوزارة في اغتصاب الثقة بها من الامة
بنفوذ الحكومة المبرز بالرجال والمال ثم الى التصديق على ما تتعاقد عليه مع الحكومة
البريطانية فاذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والاقرار له وكونه مبنيًا على
ثقة الثقة والتفويض فاذا فعل الامة الضعيفة بعد ذلك — فهذه صفة حجاج الفريقين
في جوهر الموضوع وموضع النزاع وما نحن لما هذا ذلك من المراء والمجدل بناظرين
الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن — رجل عزيز النفس كريم التحيزة مهذب الاخلاق
رفيق الطبع أبي منرفع في غير كبرياء ، مبالغ في حفظ كرامة نفسه ، مع المراعاة
لكرامة معاشره وجلبه ، واسع الحلم ، نزيه النفس واللسان ، قليل الكلام ، وهو
كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلائل التركية في مصر بل هو البيت
الاول بعد بيت الامارة ممن تولوا الاحكام والمناصب العالية — وهو كبير في نفسه
كما أنه كبير في بيته ، حريص على حفظ شرفه — فهو بهذه الصفات جدير بمنصب
السفارة والوزارة ورياسة الوزراء ، وقد أوتي من العلم العمري ما يحتاج اليه المنصب
وقلما يوجد بمصر من يقدر كبراء الافرنج حتى الانكليز منهم على احترامه مثله ، بل
هو قوي الشبه بكبراء الانكليز في ترفقه وآدابه وشيائله

ولكنه لم يؤت من طلاقة اللسان في الخطابة ، ومن بلاغة القول في الكتابة ،
ومن الاقدام اعلى مكافئة الخطوب ومصارعة الاخطار ما يؤهله لزعة الامة أو
التأثير فيها والسبر بها في سبل الارتقاء الاجتماعي ، ولا لقيادتها في ميادين الجهاد
السياسي ، بل هو غير مستعد للتصدي لاحداث أدنى تأثير في الامة بنفسه ، ولعله
لولا المناصب العالية التي تولاها — كادارة الارقال العامة وعافطة الماسامة

والوزارة — لما كان يعرفه الا القليل من طبقات الامة الوسطى دع الدنيا ، وهو لا يعرفهم بالأولى

سعد باشا زغلول — هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية عربي السلالة — كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا بطلب في حديثه الصلح في الأزهر وكان من حسن الحظ ان اتصل في أثناء ذلك بالاستاذ الامام وتلقى عنه وعاش معه زمنا ونخرج به فمر استاذ الاول ومريه على ما خلق مستمدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الارادة والشجاعة وصناعة الحجبة وحب الحق ، وادرك أيام موقط الشرق ومصلح مصر السيد جمال الدين الافغاني وحضر بعض أندية وسماره ، ولما تولى الاستاذ الامام ادارة المطبوعات ورياسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جعله محررا في القسم الادبي الاصلاحى القدي زاده فيها فدرس على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والادبية والاقتصادية والطلم على جميع شؤون الحكومة ، فان ادارة المطبوعات كانت في ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة على الحكومة تنفذ جميع اعمالها في جميع فروعها — ، وفي أثناء ذلك حدثت الثورة العراقية — فهو قد نشأ وترعرع وشب في حبر الدلم والسياسة والانتقال الفكرى والاجتماعى والسياسى ثم اشتغل بالمحاماة والتزم فيها جانب الحق فكان لا يقبل الوكالة في دوى يرى ان صاحبها مبطل ، فبرع في الخطابة واقامة الحججة والاطلاع على القوانين والخبرة بشؤون الناس وأخلاقهم ومبادئهم وحيلها ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء الاهلى فاشتهر بديقته في التحقيق واستقلاله في الرأي وعدله في الاحكام حتى شهد له مستشارو الاستئناف من الاجانب والوطنيين كتابة بأنه رقى المحاماة وشرف القضاء ببدله واستقلاله. وهي شهادة لم ينلها فيها نل أحد من صفته ، ثم صار وزيرا للمعارف ثم وزيرا للحقانية ثم وكيلًا متجبا للجمعية التشريعية .

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفو الكريم والمتأزين أهله فيه ، ولا نعرف أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا بل قل ان يوجد له نديضارعه في فرد من أفرادها — فهو بها أجدر افراد هذه الامة بزعامتها الاجتماعية والسياسية

الا أنه بقصة من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهي تشل سمة الصدر والحلم والمداورة والتوهم والحداد وان شئت قلت والبراعة في الافك والكذب الذي يحتل التأويلات الكثيرة والتعلق والبراعة في الاصطالة والتزلف عند الحاجة. وهو لتلبة ملكة التغاضي على كل ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكافأ فهو لا يلاي بمن خالفه فيما يستقد ولا يحفل بمداونته. ها يكن خطباء وقد كان الاستاذ الامام يقول ان سعدا خلق ليكون قاضيا ، ووصف سيرته في القضاء واستقصاه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرصه على العدل. وخصومه يسمون هذه الملكة غلظة وكبرا أو يطلقون أمثال هذه الثعوت على بعض لوازمها . وقد زادوا في هذه الايام في نته انه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثرين . وهذا خلاف ما عرف فيه ونهده منه ، فاذا أردنا انصاف الثائلين بهذا يحمل كلامهم على الصدق ولا سيما فيما يتفوقه من لوائح المينة فلا نرى جامعا يجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من انصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة القوايين الا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف الآيات والا فان مثل سعد لا يخفى عليه أن شعبه الذي يقترن بحق برقاته وأهليته بتولي أمور نفسه بنفسه في حكم دستوري لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مستبدا لا يجري على نظام الشورى ولا متكبرا لا يحترم آراء من معه وان هذان الخلقان لا يخفيان على أحد

على اننا قد سمعنا بأدنا وسمع الجماهير مثلاً خطيبه في المحافل والمجامع المظلية وقرأها أكثر ممن سمعوها فهم يشهدون بأنه كان يزدو فيا كل عمل الى أعضاء الوفد ويذكرهم بتمتى الادب والاحترام ويقدمهم احيانا على نفسه ، وعلينا أنه زار من لم يزره ممن عادوا من أوربة قبله مغاضبين له مع العلم بأنه كان أشد من زواية عليه وصدا عنه ، وفضله على نفسه في إحدى خطب المجامع المظلية ، ولم يكن هذا بمخالف لذلك المضوالى الوفدي بل لم يزد الا حقدا وضغنا ، واعراضا وطعنا

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) انني أعرف بعض أعضاء الوفد المصري معرفة بحبة ومراودة ، وأعرف بعضهم

معرفة مواجهة ومحاربة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا احكم بصدق الوطنية لبعدهم عن علم وخبر، واحكم به الآخرين على قاعدتي أصل البراءة وحن الظن، وقد صدمت ما قاله المختلفون على رئيسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا - فرأيت أنهم قد اخطأوا في اجتهادهم، حتى على ندام جميع أقوالهم، فكيف اذا كان القول الوسط المقتول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور العامة والمصالح السياسية والمسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الآراء والانظار. وهو ان يكون كل فريق مخطئا في بعض ما اختلفوا فيه، وصيبا في بعض، فان جاز عقلا ان يكون أحدهما مصيبا في كل ما خالف فيه الآخر - فأني الفريقين هنا أجدر بأن يحكم له بالصواب، الفريق الذي يخطئه السواد الاعظم من الامة بعد معرفة كل ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده الا قلة قليلة جدا، أكرهم من أصدقاء أفراده او من اتباع أصحاب المصيبة منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد الاعظم ويرمي مخالفه بأشنع التهم وينزههم بأفظم الاتقاب؟

أقول ان المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس قلة قليلة جدا في مجموع الامة مع العلم بأن الذين أيدوا الوزارة العدلية كثيرون جدا، فان الذين أيدوا الوزارة لا يؤيد جميعهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشافين لها، بل أكرهم يرى ان سعد باشا هو زعيم الامة بحق، وأنه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الامة فيما يأتي به وفد الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، ولئن كان المشافون لسعد أول من أيد عدلي ويمتد أهل الرأي انه لولاهم لما كان ما كان - فان المؤيدين له بعد ان أصر على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد إنما أيدوه أكرهم بتفويض الحكومة لا بتفويض هؤلاء الاعضاء - فهم قد نزلوا بشاقتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الامة الى أدنى ما كانوا عليه قبلها فان كانوا تركوا سعدا لحفظ كرامتهم الشخصية التي تفلو عنه أنه لم يكن يعطيها حقها. ولأن أيد المصلحة العامة التي قالوا أنهم رأوه باستبداده غير أهل لها - فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام بخدمة المصلحة العامة أجهز - فهذا هو وجه تخطئي لاجتهادهم حتى على تقدير تسليم جميع أقوالهم، وانما اكتب هذا لاجل التذكير وبيان وجه العبارة لمن يعتبر من

مقتله أمنا بما كان من اغلاط الزعماء والماء بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا
السياسية التي لانزال فيها اطفالا بالسياسة الى الامم التي طال عودهم بالتمرس بأعمالها
والجهاد في ميادينها
يقولون ان النيل معه صار متذرا ، فان لم تقل ان التبادله صلح خفوا به
المشاقة اذ كان ميمرا قبلنا : قلنا ان الاخلاص في العمل للامة والمحرص على وحيدتها
لا يمكن ان يكون بغير جهاد شاق وصبر واحتمال وايقار ، وقد قيل في المثل : ان منح
ملك الحقوى ارشدت لحيل ، فلي هذا لم يكن من المنذر ان يضع بعضهم
بعضا بانامير والظاهر على الرئيس — وهم معه — فيما يرونه منه غلا بكرة
بعضهم ، أو الاخذ بالامر دونهم ، كما تظاهروا عليه في الانتفاضة العريخ في ابراند
والخروج من الوعد ، فان كانوا توهوا انه كان الممكن اسقاطه ولتبدل فيه به
قبل مجيئه من أوربة وما قالته به جميع طبقات الامة من أدنى البلاد الى أقصاها
من المحافظة والنو قدي كاد يكون من العبادة ، فوقع هذا التوم بعد ذلك ، كما
من أغرب الخطأ ولاسيما من هؤلاء الاذكياء الماء بأخلاق الامم وسن الاجتماع
قد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهتهم بهم في أول القتل أهدى
معيلا منهم في المحافظة على زعامتهم وتفوز جرائهم في الدولة والامة ، فقد كان ينكر
بعضهم على بعض فيما يطون في الافكار ، ولكن لم يكن ذلك يمتدى اندبهم سولا
يفرق جماعتهم ، وبذلك كان لهم الفوز على جميع الاحزاب المناوئة لهم على قوتها ،
والوقد المصري لم يكن له في الامة خصوم يتدبهم ويغشى عليه منهم ، حتى كلوا
هم الذين شقوا عصام بأيديهم ، وسجد ألوقا من الماذلين لاهل هذه الطريقة —
ولا تناسى الى منصب القضاء فنقول هذه الرأفة — الرأفة في الحكم عليهم ، أولئك
الذين يتمونهم بأنهم قدسوا بذلك لخدمة أنفسهم ، وما نحن لهذه التهمة بشرحين ،
لانا نكتب لوعظ والارشاد ، لا لنحبز الى الزعماء والتصرف للاحزاب .

مكاة الزعامة في الامة ومكان سمد منها

(١٦) ان اجتماع كافة السواد الاعظم من الامة على زعيم مثلها ليس من المنافع
المباشرة ولا من المقاصد التي تنال بسعي الافراد او الجماعات ، الا بمساعدة الزمن

بوقائمه وأحداؤه وإشعاره الامة بمعنى الزعامة والحاجة اليها ، وأهداه الله الكرم
 والمنهوس بها ، وتبيل وحدته فيها استمدت له وتوجهت اليه ، فاذا وفقت الامة لافقة
 بزعم كفو الزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه في العمل ،
 ويقلوا عثرته اذا عثر ، ويقوموا حوجه اذا زاغ وانحرف ، وان لا يشترطوا في المحافظة
 على زعائمه المصصة ، فان الكمال المطلق لله وحده ، فبذلك يرجى نفعه ، ويؤمن
 خبره خطاه وضعفه ، ولا يحل لهم ان يؤاخذوه على ما يتقنون منه بخذله ولا بالطنين
 في كفايته ولا بعقب ذلك من تنكث قوى الوحدة ، وصنع بناء الزعامة ، ورب
 تنكث يتدنس ابرامه ، ورب صدع لا يرجى انتقامه ،
 وقد سبق القول بأن زعامة سمد كانت بالكثرة الساحقة من السواد الاعظم ،
 ولم تكن لاجلها سالما من الشذوذ كما كان ينوهم ، لان اجماع الامة التام هل رجل
 واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر ، وقد رأينا ان مظاهرات
 الخفاوة بقدم سمد كانت توجب عن الايهار ما على بعض الوجوه من وجوه اكتئاب ،
 وأن صيحات المنافاة كانت تشغل الأذان عما يتفات من الاسئلة من هيئة إنكار ،
 بل كان يتخلل تلك المظاهرات ما يشير الى ما سيكون بعدها من الحملات ، وقد سمعت
 في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها ، وشهدت احتفالا بآقامه اجبرانا ووجهاء
 فنصر القديمة صريح في أكبرهما ما أختصره وان كان من لباب الموضوع . . .
 وبعثت الى الخطابة في هذا الاحتفال فأبنت لرهدي في الطهور هل مثل هذه
 المناظر التي يتزاحم عليها طلاب الشهرة ، ورفقي عن الكلام في السياسة في محافل
 أكثر شهرة من العامة ، وعجزني عن الاطراء ، الذي يألفه الجمهور في هذا
 شلقامه . وكان من الخطباء فيه القمص مرسجيوس خليب قسوس القبط المشهور
 ، فبالجميع الخطباء والشمامسة الذين أخلصوا المدح والاطراء الرئيس سمد باشا بما
 جاء به من للزيج وأمشاج القول المتضمن لتوقع الخلاف بين سمد وعدلي ووصف
 سمد بالمد والصلابة والاشارة الى علاج ما يتوقع في رأى ان تقتدي فيه الامة المصرية
 بتبصرة (البغيتيكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردنيالات الذين لهم حق
 في الانتخاب يصحسون في حجرة يوضع لهم فيها قوت قليل ولا يسمح لهم بالخروج منها

لا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين

ولا صفت خطابه آذنت الذين كانوا براجموني في اقراح القاء شي في الحفلة .
 بأنني قلت فدميت فصعدت المنبر وألقيت خطابا ينت فيه تحقق تكوين الزمان
 للامة المصرية بالمصنية القومية ، وإن اتحاد الكثرة ، إنما يحصل اذا مثلها جهة واحدة .
 وهي ما يسمونه الزعامة والرياسة ، متى تكونت الامة وشرت بنفسها .
 هذا الشعور الى الزعيم الذي يمثلها ، كما ثبتت الرأس في الجنيذ عند تمام تكوين أعضائه
 وكما ينشأ في الامة من رجال جديرين بالزعامة ولا تعرف الامة قيمتهم ولا بها .
 ليست أمة الا بالصورة الظلياهرة كما تسمى صورة الاسد في الورق أو الجدار أسدا .
 وقد كان الأستاذ الامام يقول يا ويح الرجل الذي ليس له أمة ولا يقبل أن تؤيد
 أمة واحدة لا يوجد فيها رجل بل رجال حقيقيون بالزعامة فيها . وقد كان الأستاذ
 الامام من الرجال الذين يقل في الامم الراقية أمثالهم ، بل قل فيه الأستاذ الدكتور
 براق من أكبر علماء الانكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبير (كبريدج) .
 انني لم أرتي الشرق ولا في الغرب مثله . ولم تكن الامة قد تكونت في عهده فكنا نعرف
 به - كنه قيمته ، وتصل بلوشاده وزعامته ، وهذا تليذه الزعيم الكبير اذني تخفل به
 اليوم قد كان أهلا لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة ولم تكن الامة تعرف فيه ذلك على
 شهرته ، لانها لم تكن تعرف نفسها فتعرف زعيمها . ثم ذكرت من صفات سطحا اقتضاء
 المقام ، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال .

وهنا تطلعت في الاشارة الى الرد على ما وما به القصص مرجيوس من السناد
 والتمصب لرأيه ، وقلت ان الذي نهده منه بالاختيار الاستئلال في الرأي واخترايم
 الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في دلوه محاولات في مساعي عليه
 واجتهابه كل ينصف فيها مناظره ومحاوريه بكل ارتياح ، ويتعرف بصحة وأيم
 اذا ظهر له انه الصواب ، ويبحثا كنا منهم أو منهم في بعض الاحيان

واستطردت في الخطاب الى الرد على من ينكرون فائدة هذه الاستئالات
 والمظاهرات بأنها هي القوية الوحيدة الى جعل عقيدة الاستئلال شعورا عاما شاعرا
 لتلوب جميع أفراد الامة من جميع طبقاتها في زمن قصير ، ولكي ترقية لطلقاتها

ونابتها عليها ، فان حثاف الالوف الكثيرة من الرجال والنساء والاطفال في المهام
والثوارب واليوت للاستقلال التام واصر الحرة وازعموا المطالب باستقلالها وحريتها
والوفد الساهل معه قد علم جميع الاميين من الطبقات الدنيا واشهرهم بما لم يكن يعلمه
ويشعر به الا أهل التعليم العالي والنزيرة الاجتماعية السياسية

انما انتهت من هذا الى بحث قلت انه أشبه بالدرس منه بالخطابة وهو ما يجب
على الأمة من العمل للمحافظة على دوام وحدتها وتكاملها في سبيل المطالبة باستقلالها
وما يجب لحفظ الاستقلال والنهوض باعبائه اذا نالت وأهم ذلك وأعله ما يسمى المسألة
الاقتصادية وحفظ ثروة الأمة ، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا فلتلخص فيه
ما قبلنا في ذلك الخطاب رسالنا كرونه في المنار وفي بعض المقالات التي نشرناها في المؤيد
وللمبرية ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (الى أي شيء أتت يا مصر أحوج)

وجملة القول إن مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الأمة في أول العهد بتكونها
السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي للحرية والاستقلال لها شأن عظيم في جوامعها
فيجب ان يحرص على تقويتها لئلا ينهدع بناء الوحدة في أشد اوقبات الحاجة اليه
ولا يخفى على أهل البصيرة ان تقوم هوج في الزعيم المؤثر به من السواد الاعظم
ايبر من لبقائه واستبدال غيره به ، وان تأييد الوحدة به على ضعف وهوج فيه ،
خيز من شق عصاها بخذله والتفرق عنه

فان استطاع خصوم سعد استقاطه من مكانته ، باقاع الإداة يعدم كفاءته وفن
ذال الذي يستطعم اقتابها بكفاءة زعيم آخر من بعده ، اذا فرضنا انه يوجد فيها
كثيرون من مثله ، ومثل كثير في الانام قليل ، ومن ذا الذي يستطيع في
كل وقت ان يحدث لها احداثا كلاحداث التي مهدت السبيل لزهامة سعد ؟ كغلة
رقباء الشوب وحراساء ، وراة الامم وسواسها ، وقطاع طرق الاستقلال والحرية
عليها ، تلك الغلة التي اوقعت انكساراً فيها سكرة الحرب أولاً ونشوة الظفر آخرها
فركلنا من أثر السكرتين في رجالها ، مصر ما وقعوا فيه من الاغلاط الاجتماعية والسياسية
التي جمعت كلمة الشعب مع حكومته أول مرة في تاريخ الاحتلال. وقد أشرنا في هذا
المقال الى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على مصدق

مؤلفة مشتملة، وقد تم ذلك وكل في وزارة عدلي التي هي وزارة رشدي بينما في وقت آخر وتزعم آخره أن الوزارة لما أمكن لشعب أن يحتفل بعودة سعد إلى البلاد تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير - ولكن وأما بقصد صدق في هذا المقام قول الشاعر الخاتم في بيان قصه « على أهدى هذا التمام وما تلاء من النقص انما كان في طور واخذ من أطوار حياة هذا الشعب الاجتماعية وفي فصل من فصوله تاريخه في نفسه بأن ينده به من قديمه إن بلغ من جبريم زين ، وخبر قنصل بالفرق من قلبه قوسين

جهاد سعد الأخير

والآن ، علم سعد بأنها ما كلف من التجربة الأخيرة والاختيار أن الأمة التي اجتمعت كل منها على طلب الحرية والاستقلال وحملت لسانها الناطق ، وقاسا انطق ولم يمكنها إعلان رأها وإظهار شعورها ، إلا بموافقة الحكومة الوطنية ليوافقها في الحكم في أنفس هذا الشعب وما ورثه من على من الخلفاء لم يذ التاريخ بتقديم لا بزل كل قد أيدل بجملة قوية جديدة ، وإن وافق أصول شرعها الإلهي (وأمرم شوري بينهم) وأهل الحقوق العمومية التي يسمونها الديمقراطية الحديثة ، وأما لم يقدر هذا يقدر ، كما ينبغي الإيجاد الجواهر الأخيرة ، إذ لم يكن يحظر يال أحد أن يعد عنه نفوذ الوزارة الأولى الكثيرة ، حتى من أولئك القوي أقاموا لو أكبر المحافل ، وانتهى للآديب ، وأن يشاءهم على ذلك أكبر الجرائد ، فلماذا وجه كل عنايته إلى تقوية روح شخصية الأمة والفكرة الديمقراطية فيها بمحلاته الشديدة على الوزارة البدلية في خيلة البيئة ، وبلاقاته واجتماعاته المختلفة على سلوكها فيما ساء « اختصاب الثقة من الأمة »

فقد يمثل بالأمة جزارة عدلي باشا منبقة مع الدولة البريطانية على جعل سلطانها (أي حكمها وسلطانها) على مصر شرعيا بتقديم مساعدة على أصول مشروع ملتر الذي دفعه هو الية يلنى فيها لفظ إيجابية ويقرر بمناه بصفة شرعية ، بعد أن كان هدوانا تبطله الحقوق الإيجابية والقوانين الحديثة ، وتوشى في البلاد بضرب من الاستقلال في الإدارة بتعذر تنفيذه لا وضع في سبيله من الوثائق والوثائق الجكاد ، على

أنه عرضة للالئاء أو الاسترداد ، وادامت قوة الاخلال العسكرية راسخة لاقدام في البلاد ، وقاميك بما أنشأوا فيمان ميادين الطيران الحربية والتجارية ، لجعلها ملتقى جميع قوى الامبراطورية البريطانية

وأقول إن من أقرى حججه له على ان الانكباب يريدون خداع مصر وارضاءها باستقلال صوري خطا منه دون حظ سائر مستعمراتها المستقلة تمطبيهم لشأن حادثة الاسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه اجناس مختلفون او احداها يذل قليل من المال ، فقد هيجوا جاليات الاجانب والدول الأوروبية بها على المصريين وخوفهم منهم على ارواحهم وأموالهم اذالم تكن الجيوش البريطانية بمدافعها وطياراتها حامية لهم ، واتخذتها برقياتهم وجرائدكم اياها حجة بالغة على ان المصريين غير أهل للاستقلال بالادارة والحكم

حادثة الاسكندرية ، وما ادراك ما حادثة الاسكندرية ، هي الحادثة النافذة التي عظم شأنها خلافة الاستعمار بكيدهم وهشيم بالام والدول ، ولهم بها كاسب الصبيان بالكرة ، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي العدل بأن تكون القاضية على حرية الأمة المصرية بأسرها — وهي ان يعض السوقة والموام مرورا في مظاهرة وطاية يعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يهتفون لمصطفى باشا كمال باطنة الوجدان الديني الذي لا يدع هددا من جريدة اسلامية في تونس خاليا من الاشارة بذكره ، والتعظيم لآمره فأطلق عليهم الرصاص سضى اليونانيين فأصاب بعضهم وجرح ذلك الى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشبه بهم من الغربيين قتل به أفراد من الغربيين وجرح آخرون والمصابون من الوطنيين أكثر ، وقد استنكر ذلك وأظهر الاسف لوقوعه جميع المصريين من جميع البلاد في جميع الجرائد ، واصر الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول وصية للامة بأن تبالغ في مجاملة الاجانب وحسن معاملتهم ولا تمتدني عليهم وأن هم اعتدوا عليها

لكن السياسة التي تستعمل كل منكر في سبيل مظلمها جلست هذه الحادثة برهانا قاطعا على بنض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الاجانب وتصبرهم عليهم وتر بصبرهم الدوائر لمتكواهم ، ولو كان المصريون متصيين

الاجانب واقبلن لهم ، لظهر اثر ذلك في كل بلد فيه اجانب ليس لهم من القوة
 حشر ما للاجانب في الاسكندرية التي تكاد تكون بلدا اجنبية ولا سيما في اثناء
 ثورة سنة ١٩١٩. على الانكسار انفسهم ، والمهجوم على رشاشهم ومدافعهم ، وقد
 مكثت السلطة في سلاطون من البلاد لامة الامة في تلك الاثناء لا بالحكومة الوطنية ولا
 للمحتلين — ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه العزوة الواسعة
 التي ليس لهم مثيلا في بلادهم وقد كانوا قبل الاحتلال مع سائر الاجانب اعظم
 كسبا وأقوى نفوذا ، ولو كان المصريون كما ذكر لاحتكمهم ان يلقوا من النكابة
 باليونان بمطالبة تجارتهم وزراعتهم مالا يملئه الاعتداء على اشخاصهم

١. تخفى لسلك مصري ان يمد سلوك الانكسار في تكبير حقه للحادثة دليلا على
 نيتهم فيه ، وهم يعلمون انه اذا كانت الاستقلال يتوقف في وجوده أو بقائه على
 استعانة وتوقع مثل هذه الحادثة فلا طمع لان هذا مما يمكن حدوثه واحده في كل آن.
 ومن غرائب ثم اتت هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بغير صورها والاستفادة
 منها في كل زمن بحسبه ان حادثة الاسكندرية كانت في الزمن الذي تروي لينا
 بزقيات انكسار جرائدها أنباء الارلنديين (السين فين) اخدان المصريين في
 رفض العبودية البريطانية في تدميرهم للمباني التجارية وغيرها واغتياهم لمن استطاعوا
 اغتيالهم من السالبيين لحريرهم ، ولم نسمع ان أحدا منهم احتج بهذه الافاعيل الضعيفة بمنزل
 ما احتجوا على المصريين في حادثة تمد بالنسبة البهاضية ويكثر وقوع مثلها في كل أمة،
 ولكن خلوص هذا التهميل في الحادثة تشير من عقلا اليونان وغيرهم من فضلا لاوردوين
 وشهدوا بحق بقباع المصريين واكرامهم للاجانب وحسن معاشرتهم لهم ، ولو سكت
 هؤلاء أو جروا في أباطيل تيار السياسة الكاذبة لفرسوا في قلوب المصريين وسائر
 الشرقيين من بعض الاوروبيين وسوء الاعتقاد فيهم مالا يمكن ان يتلافى مستقبله
 الاحتلال العسكري للبلاد بل لايزيده الا اشتدلاء ، وكل يوجد بشر يحب الانسانية
 يوفى هذا ويرضاه .

وجهة القول ان جهاد سعد باشا موجه لأن تقوية الامة واعادها لرد ما ينزوع
 من تقييد وفرض الحكومة البلاد به يضمنها الى الامبراطورية البريطانية بأي اسم من

الامم وأي شكل من أشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين
المكونتين إن نفذ ظاهراً من مظاهر القوة لاشبة فيه من الحق وتستمر الامة على
جبهاتها حتى تنال حريتها تامة كاملة باذن الله وقوتها التي لا تقهرها قوة ورحمة التي
لا تضيق حقاً الا على من فرط في حقها وترك الجهاد في سبيلها فكان هو المضمين له
فمخالفة لنسب الله في العراق.

لهذا الذي شرحناه كنا نقرب جداً العجب من طلب سعد رئاسة الوفد الرسمي
وتولى المناقشة لاننا نعتقد أنه لا يخفى عليه ان الدولة البريطانية يستحيل ان تسمح
بحرية مصر واستقلالها التام بمجرد المناقشة السياسية وتقول في نفسها لم يريد ان يمرض
نفسه فاشل واذا كان لا يرضى بحمل الحاية شرعية باسم آخر ؟ أم يظن ان الاتفاق
على جبهة أمر المناقشة كان في جمل ذلك الحال السياسي يمكننا واقعا له اعترض بعض
الكتاب تأييداً بشك الرافعي هل دخوله في المناقشة الرسمية كنا محلين لرأي اذا كان
نعين رأينا الى ان صار شدة قائلين الامة لان الزعامة الماثلة واحدة فوق كل شيء في
هذا المقام . ولم نجد مخرجاً من هذا العجب والحيرة الا بما جاءتنا به الجرائد
الانكليزية من التصريح برفض سعد لمشروع ما تربرمته وعدم الرجاء بعقد اتفاق
معه يرضى بريطانيا العظمى . فظاهر لنا من ذلك انه كان يخفي في نفسه شيئاً وسم
رائحة ذرة دائرة الجدل وبحال الشقاق لان اظهاره يقصد الخطة التي كان يرى انه
لا بد منها وهي في أي الخطة — اما حل الحكومة بقوة وحدة الامة على تقدير
نفسها بالرسم السلطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والامة كامة واحدة لا يخشى
من يفرق الدماء الانكليزي لئلا مراده من جعل مركزه في مصر شرعياً — واما جعل
الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لاثراء الامة ويكون حجة عليها
ولو تحقق الشق الاول من خطه لكانت الامة المصرية وحكومتها وسلطانها كتلة واحدة
كاملة واحدة ، واذ لم يتم فأييد الوفد الرسمي والوزارة بحبط الشق الثاني — فتمت
معارضتها . ولم يكن التصريح بذلك لاعضاء الوفد المتفقين مع هدلي باسم من قبل
محكما كالمسبق من التعديل ، بل لم يكن من الممكن ايضا ان يصرح بصعد للامه
مقرباً من ذلك ان الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى انها لن نجد اليه سبيلا

الاجرة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في اظهار حقنا امام قواها الكثيرة التي تمتد عليها في سلب هذا الحق مثالان هذا التصريح يتاني الحطة التي استنبطها على كونه غير مقبول — فان مناه دعوة الحكومة جبراً من أهلها الى أدناها الى مقاومة الدولة البريطانية ، وهو تصريح لا يأتي من حائل

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سيد باشا وخطته بعد التروي والتفحص ، ولعل هذا قد خفي على الآلاف من الناس بضروب الجدل والمطاحن ، واكثر من أيد وفد الوزارة الرسمي انما أيدوه في طلب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان القوي هو جزء من المملكة المصرية لا يشيل الانفصال وكثير منهم يعتقدون أن مطلب سيد وعدلي واحد وان عدلي اذا لم يوفق الى هذا المطلب فانه يقطع المناقشة ويعود بالوفد الرسمي أدراجه خلافا لما يعتقد السديون كافة . فلاحتمالات في نتيجة سمي الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة لكل منها عاقبة

الاحتمال الاول — هند الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال مصر مع السودان استقلالاً دولياً تاماً ، مطلقاً من كل قيد يتافه مع محاذية بين الدولتين أساسها مباداة المنافع كآثر المحادثات الدولية ، فان وفق الوفد لهذا فان الامة تتقاه بالقبول والثناء وتكرمه يمثل ما كومت به سيد باشا بل أعظم ويكون ذلك اجاباً صميحاً من الامة — وان فرض أن شذ سيد باشا عنها في ذلك وظل مضاراً للسلي باشا فانها تنفذ مظهرها ونحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لها

في ادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال الاحتمال الثاني — أن يأس عدلي باشا من الاستقلال التام للبين في الاحتمال الاول او ما يقرب منه فيقطع المناقشة ويعود بالوفد أدراجه — وعاقبة هذا انه يعود وحدة الامة الى خبر مما كانت عليه وتتنازع الجهاد السياسي في سبيل حريتها ، ويتفق سيد وعدلي ورشدي ثانية في ذلك ويكون الرجاء في النجاح ضلياً ، فان يد الله على الجماعة كما صح في الحديث ويد الله لاتنل . وقد رأيت من المحسنين قلطن في هؤلاء الكبراء كلهم من كان يعتقد ان الخلاف بينهم صوري تواسلوا

عليه لأجل المساعدة ، ويتوقع كثير من المعارفين أسلاك عدلي باشا ووطنيته ان
يقطع الأثر في بل يرجعون ذلك على نجاحه فيها
الاحتمال الثالث — ان يصح رأي سمد ويعقد الوفد الرسمي الاتفاق لذي
يقيد مصر وينقلها في ذلك الامبراطورية البريطانية باسم من الامراء المعروفة
والمتبرعة . وواقعة هذا ان تتحول قلوب أكثر القديس كانوا يحسنون الظن بعدلي
أورشدي عثمانيا ويكبر حزب سمد بل تكون الامة كلها معه الا من لا ذكر من طلاب
الوظائف والذين تقع من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام
قوة الامة وقوة الحكومة المؤبدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق
بالقوة ، ولا يخاف أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهم ما يفعلان ذلك ولكن قد
يتملأ في حال الاحتمال الرابع المذهب بين هذا وبين الاول وهو : —
بعضهم (الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف انكسرة باستقلال سياسي
فدولي تم لمصر في داخليتها وخارجيتها وحقوق في السودان لاتتبع مصر في الادارة
وارباط بالامبراطورية بماهدة لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب . وأهظم
المعيار في هذا هو أن نجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما
سبق المصالح جميع الجرائد الى بيانه . ففي مثل هذه الحالة نجد الوزارة من الانصار ما تقام
به السواد الاعظم الذي يقوده سمد باشا ونسأل الله حسن الناقبة واتخاذ هذه البلاد
من كل جهة انه منيع بحجب .

٥٠ السياسة ورجال الدين في مصر

٥٠ يعلم رجال الاستثمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستمرة بالفعل ، او بالقوة
من سلطان الدين على الارواح ، وأثيره في الارادة الباعثة على الاعمال . فهم
يعشرون أدنى النماية في كل شعب يظله سلطاتهم بازهاق روح دين الشعب الذي
هل خير خبيثهم او نحو يله قن مذهبها اذا كان مخالفا لمذهبهم ويشون فيه دعاء
مذهبهم القبيح ويؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، ومن مناهضتهم لدين الشعب
واقتدار رجاله عن افعال الحكومة ومناصبها ونحوي جمل أصحاب الوعائف الشرعية

الشرع وبفراغ من الدين، وأما رجل زكي، يدل للإصلاح يشغلونه بتعليمه وزيارته ورجاء الترقى فيها عن عمل حر لا يسهل مراقبته فيه رصده عنه - ولا يقبلون مثل هذا إذا كان لهم مندوحة عنه - وأما رجل مشهور بصلاح أو علم وليكنه فقير جبان حريص على رزقه، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة

كذلك يحولون بين المستمسكين بعروة الدين والفيرة عليه وبين الترقى في مناصب الحكومة إذا انتظموا في سلكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يكون. أمر مناهضة التعليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما عمال إدارة المعارف إلى أهل الدين المتحصين لهم منهم، ولا يثقون إلا بمن يظهر لهم عدم البلاغة بوجه وبرايتهم فيما يعلم من مقاصدهم ونياتهم في ذلك

ومن الشواهد على ذلك أن مستر دنلوب الذي جعلوه مسيطرا على وزارة المعارف في معانم عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستانتي، ويعمل يطمع عالم من الأزهر بأن يكون وزيرا بجانبه ورئيس إدارة أو قلم تحت سيطرته، وإلا ومن الشواهد الجلية أيضا من مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخها التي أرسلت مجلة وأحرقها بالآثار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمانها المراقبة على الصحف في كل مكان، وقد علمنا من الثقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة لرغبة بعض المبشرين، وقد شكونا الأمر إلى السرة ونجحت بأشأنا إذ كانت الحالك العام للسودان فأشكنا وهو المددود من أوسع الانكباب صدرا وأبلغهم مؤيكة واكثروا مداراة واستمالة للناس

واكبر الشواهد عندنا على ذلك ماغللت من قلم لورد كرومر في كتابه (عاشق الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته ثمانا تاما كان من أكبر أسباب شدة الانكباب المستنة في الشرق كله، فقلت من قلبه في هذا الكتاب ماشف عما كان منملوا عليه من التمسك الديني الذي كان يحفظه بالرياء الغربي الذي يوصف به البريطانيون واظهر للناس ان من أسولسيانهم ظالم كل مسلم تربية اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم في بلاده وحجبه هذه المنصب في التفرجين بالقرية الأوروبية الذين رماهم اللورد

فلس في كتابه (مصر الحديثة) بأقبح التوت ونيزم بشر الاقارب. وهالك نصرته
منه في ذلك

كل القرد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمثابة الكلام على استقالة
وزارة رياض باشا الأخيرة ما ترجمته : « ان فشل تجربة رياض باشا تقني درساً هو
ان لا قاعدة من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض
باشا . على ان التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكنت الحالة السياسية
تغيرت تغيراً خشناً الا انها لم . الحظ فشلت فشلاً تاماً

« ولولا جرت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلاً ثانياً كان من الواضح ان المسلم غير
المتخلق بأخلاق الاوروبيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام لذلك سيكون
المستقبل الوزاري للمصريين المترين نزية اوردية . فهذا قوله في رياض باشا الذي
لم يتول الوزارة في هذا العصر رجل مثله في عدله وحنان ادارته واخلاصه وقد اتى
عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاديرة الخديوية) وفي احوال أخرى بما لم
يشن على غيره ؛ ولكن ذنبه هذه انه كان يراعي الشعور الاسلامي ويحافظ على الم
كرامة الاسلام

« وقد اذهنت مجلة المقتطف من تصريح القرد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام
- ولم تذكره - بأنه كتب كتابه هذا قومه ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر
في مصر وغيرها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقتها الميسطرون البريطانيون والدونتين المصريين بالمصل
فصار يجرها كل أحد ، وكان من تأثير ذلك مالا محل لشرحه هنا ، وانما فرضنا
ان ثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون
على شعائره وعباداته الحريصون على مجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة
بلادهم ولا سبباً اذا نبروا في المهادد الدينية كالازهر والتمروزي علماء المسلمين
وغرضي من بيان هذه الحقيقة أن اذكر المناقل منها بأنها أقوى أسباب بد
جلاء الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وسياسة البلاد ، وكان
الانكليز يظنون انهم آمنوا بهذا من القيام بعمرة قوية للمطالبة بحقهم من الحكم في

بلا دم بدلا من الاجانب الذين افتاتوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلا دم ومصلحتها . وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسعد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حياته مدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نيزه بقلب التعصب الديني على حسب عادتهم « رمتي بدائها وانسلت » لانه قد اشتهر بالساحل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي ادخل نطم الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بسد لانظير له في حكومة من حكومات أوربة فضا دع غيرها ، والتبط يرمون ظاهره وباطنه ويستندون انه اذا تم الاحتلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حظهم منها حينئذ مالم ينالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الإنكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد بسمي الذين يتربون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهتمون غير امواتهم وشهواتهم الشخصية فبدا لهم مالم يكونوا يحسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشؤوا في المدارس الاوروية الترية سواء كانت بمصر او أوروية وانتقلت من هؤلاء الى الازهرين وغيرهم من شبان المعاهد الدينية ، فكان هؤلاء الشبان وقتيل من الشيوخ تأثير يذكر في نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضبط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهرين وصائر طلاب المعاهد الدينية نظام خاص حظر على أهلها ان يشتغلوا بالسياسة وفرض على المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وصمحت السياسة بما صححت به من المظاهرات لوزارة المدلية ثم لسعد باشا زغلول على أمل اتفاهه بها في الدل كان علماء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

قد ظهر في ميدان الوطنية السياسية الشيخ محمد نجيب الذي كان بن أقوى أنصار الاحتلال في عهد إعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب امضا الديار المصرية فنقدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأى شيخ الازهر في ذلك المهد جذفوا اسم السلطان الثاني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم تجد بريطانيا في أميراطوريتها الهندية من رجال الدين كذبن الشيعين
تسعين بعام على حذف اسم الخليفة من الخطبة — وها الأذان أكرها علماء الأزم
على إغاة الصليب الأحمر

واشرد المفتي الشيخ نجيت بامدار تلك الفتوى الطويلة البريعة في يتيح
البشنة والتغير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة وقد سبقت جريدة التيمس
الانكليزية الى اخبار العالم بالفتوى البغيضة وعرضوها قبل صدورها عدة طويلة.
ولذلك قامت عليه قيادة الجرائد الوطنية ورد عليها الأزهريون وغيرهم
ولا اشترك الأزهريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ نجيت
حر يا لهم حتى قبل انهم حددوه واستطوه في مظاهراتهم وعظروا فيه خطبهم وراسمهم
مايكرو في نفس الأزم في أثناء نشيم جنازة الاستاذ الشيخ ابراهيم القاياني
رحمه الله تعالى

وأما في هذه الكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الجليل البكري شيخ مشايخ الطرق
الصوفية على الاحتفال بسمد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليها كثير من
الشيخ المدرسين في الأزم فكانوا من أرفع أنصار سمد باشا صوتا
ولما اشتد الخلاف بين سمد ووفده والوزارة المدلية مال الشيخ نجيت بأعوانه
من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سمد أو الصلة به وسمد يرى
تأييد الوزارة متعيا القطيعة له ولوفده بل للامة فن أيدها لا يمتي له حبل ولا خيط
يصله به ، فن تم عد الشيخ خصما وهدم ما بناه في هذه المدية القصيرة من المنزلة
الوطنية وكثر طعن السديين فيه من حيث صار المدليون يكبرون مقامه ويلقبونه
مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليدهم في السياسة كما يقلدون في الدين.
ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جنى على نفسه جناية أدبية
تؤثر في صيت مثله ومقامه مالا تؤثر الجنايات القانونية ، ذلك بأن الشيخ نجيتنا
افترض تألم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نيز بعض الافرنج لها بلقب
التعصب الديني من جراء ماسمي حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بعض للمصريين
للأجانب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم —

أقرض ذلك بنشر مقالة بلغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أنساب الامة وطبقاتها لما فيها من المقتضى التجلي في أبهى مرضى من البلاغة والمنفعة بجمعها بين الجزالة وعلو الأسلوب والسهولة التي تتناولها افهام العامة . فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والعمران سواء كان مناطه الجنس والنسب أو اقامة أو الوطن أو الدين ، وأنه كثيره من التوائز والملاكات الانسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالتزامه والوقوف عند حده ، وطرفا أفرط وتفرط يمرض الضرر للامة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منها ، فالاعتدال في التعصب أن يكون تعاون الجماعة أو الامة الذين فهمهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفقون به شأنهم في العلم والأعمال التي يرتقي بها البشر وتتنافس فيها الامم — من غير تقصير فيما ينبغي له ان يحول دون النابذة وهو التفرط ولا إسراف يحمل على ظلم الخارج من هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه مخالف وهو الافراط

وكل من تجلت له هذه الحقيقة من مرآة الشعب المصري يجزم بأنه لا يزال أقرب الى التفرط فيما ينبغي له من حفظ جامعته القومية والوطنية واعلاء شأنها بمساماة الشعوب العزيزة منه الى الافراط الحامل على الدون على المخالفين وهضم حقوقهم كما يفعله جميع المستعمرين من الافرنج — ففكر المقالة في هذا الوقت كان عملا نافعا من وضع الشيء في محله في الوقت المناسب له

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد نجيب الناصر لما في الاحرام ولا هو بالذي يقدر على كتابة مثلهما في أسلوبها ولا تجرير المواقف التي شرحت فيها ، بل هي من مقالات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (المردو الوقفي) التي أنشأها هو وامتدته موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (قدس الله روحهما) في باريس عقب الاحتلال الانكليزي لمصر لمقاومة الاحتلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد ، وكان السيد هو المدير الياسي والاستاذ هو المحرر الاول لما . وقد نشرنا هذه المقالة في المار من زعماء عشرين سنة معزوة الى الاستاذ الامام ثم نشرتها جريدة المار في المار . ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تاريخ الاستاذ الامام الحاوي لاشهر منشآته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت
أعد اد العروة الوثقى بروتها في بيروت ونسخها تباع في مصر ، وبلغنا ان بعض الشبان
بمخطوطها من ظهر قلب ، ولا غرو فالقالات الاجنبية في العروة الوثقى من
المخطوطات التي يستبان بها على طبع ملكات الانشاء العالي في النفس ، كما انها من
أفضل ما يوقظ الافكار ، ويثبت فيها روح النظرة والاعتبار ، ويظهرها لما يساور
هذه الامة من النوائيل والاعطار ، مع بيان عللها وأسبابها ، وطرق علاجها والتفصي
منها ، وقد كان تحمل الشيخ بحجة لهذه المقالة منها على ما ذكرنا من شهرتها أغرب
ما ينتقد عليه ، ويدد سهام الاوم والتوبيخ اليه

نشرت المقالة في الاحرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسة والاقلام ،
وانبرت الجرائد اليومية لمؤاخذه الشيخ على هذه السرقة المفضوذة ، وطلعت الجرائد
المزيلة تخرج البكت للضحكة المبكية في خببرته والرزاية عليه . وقد كان مما قرن به
هذا الاتحال من الخذلان ان الشيخ بخبتا حرف في المقالة بعض الجمل وغيب وقدم
وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي الحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في
جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكيا في جمل مواقة مانشره اليوم لما نشر بقلم
الاستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد المخاطر وقد اودعه القلعة بحروفها ،
مع التنبية الى ما حرف الشيخ بخبتا منها ، بهمل الحرف مقابلا للاصل في جدولين
متوازيين ، ونشر محروس افندي عبده أخو الاستاذ الامام لايه المقالة في جريدة
الامة مفروقة بما يقتضيه المقام من الاستتراب والقصد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقات
أن بعض الناس في دمنهور طفق يقرأ المقالة عند وصولها اليه في اليوم الذي نشرتها
فيه جريدة الاحرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وأنتي السمع الي لا تتم لك
قراءة ما شرعت فيه فإني أحفظه وأتم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين ما في
الاحرام الا تلك الجمل القليلة التي شوه حسناتها التحريف

ولو ان الشيخ بخبتا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أشرنا اليه آتينا من
كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتعصب الديني الضار بمجمله على ايذاء
الخالف في الدين لانه مخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

يقتل على طبعه، يتوبه بفضل الاستاذ الامام باسمه - لكن حبراً له وله صلاحة العامة - أما الاول فظاهر وأما الثاني فهو ان لم الناس بداحب المقالة ذي المكانة العالية المروفة التي يتصادف ارتفاعها في الانفس علما بعد عام يزدهم رغبة في قرائنها وأملها والانتفاع بها ، ولاتك في ان قراءة الناس المقالة قد زاد بعد ان نشر في الجرائد ما نشر من انكار اتحالمها على الشيخ نجيب وعزوها الى الاستاذ الامام . وقد قلت لاستاذ شهير من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي ليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أسس للشيخ نجيب؟ قال رأيتها وقرأت اسطرًا من اولها ولم أتمها، ولم اضيق وقتي في قراءة ما يكتب الشيخ نجيب في التصعب والبحث في تعريفه بثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حارف من المقالة بيان معنى التصعب لغة وعرفا فقدمه الشيخ عن موضعه فجعله في أول المقالة محرفا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة المروة الوثقى الشهيرة التي تعرفها - وذ كرت له تصرف الشيخ فيها قل اذا أعود فاقرواها -

ألا ان فعله الشيخ نجيب هذه من القراءة بمكان وان كان أكثر ما يكتب أمثاله ليس الا قلالا كتب من قباهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من الثقات عنه انه قل ان المقالة له ، وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خنبله يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فينشرها والمروة الوثقى غير معزوة اليهما ١١ وهذا تخلص هرص له في المجلس لم ير له مخرجا سواه ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تفتيده وما يحتمل بهذا التفتيد فوق ما منه توقعه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم المعجب العجيب ، وهو ان الشيخ نجيبا قل في "الاول" من "الدنيا" ان فواءه بالبلشفية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تطبيق قواعد الإسلام وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باتنا سمع على زعيم البلشفية (لينين) الشهير ان يساعد على نشر البلشفية بسبب هذه الفتوى وفتوى أخرى لشيخ الاسلام في الاستانة مختصرة في معناها فاضطر (لينين) الى تنيير قواعدها واجملها ، وافقة للشريعة

هل هذا وكان الشيخ نجيب هو والشيخ احمد ابو خطوه هما الحررين لتلك المقالات
 الاصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من العروة الوثقى فهنزلها العالم الاسلامي
 وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانيا المظلي اياها من دخول مصر والمند
 وفيهما من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تذكر على من توجد يده. سمعت شيخنا
 الشيخ حسينا البسمر يقول: ما كنا نملك في ان العروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى
 في العالم الاسلامي اذا طال امرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سلمان
 السيلاني تقب الاشراف ينفذ في ذلك المهد كان يقول كلما قرأ عددا من العروة
 الوثقى لعله لا يجيئ. العدد التالي له الا والانقلاب المنتظر قد وقع - او ما هذا معناه -
 هذا الروح القوي المؤثر المجلي في تلك البلاغة العالية كان العالم يزعم ان مصدره
 اتصال كبر باية السيد جمال الدين الافغاني بكر باية الشيخ محمد عبده نابغي الشرق
 والاسلام في هذا العصر، ذلك أول اتصال الذي تأتى برقه فأضاء طريق الهدى
 والشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبديه - ولكن الشيخ نجيب يقول اليوم لافراد
 من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرح الشباب بما كان له
 ذلك التأثير في العروة الوثقى . ولكن ما باله قد زعم مدة أربعين سنة فلم يظهر له
 أثر في خلية مؤثرة ، ولا في صحيفة من الصحف المنشرة ؟ وما باله اليوم وقد طفق
 بعيد ما بدا ، لم يحدث من التأثير الا التهكم والاذى ؟ وما بال مقالة الشيخ الثانية ،
 ليس فيها أدنى نسبة من ذلك الروح ، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب ؟
 نشر الشيخ مقالة ثانية في التمهيد انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الازراء
 والغبرة ، ومن الامة المصرية أو لاسلامية بجملتها أن سكنت لهم ولم يناضلهم عنه
 أحد منها ، انتحما بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق
 والكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بحملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق
 لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احياء القولي في صفات النفس وما في
 عدنها من الفضائل ، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الامراط وتغريط من
 "ردائل" وجعل ذلك مقدمة لتبني الاعتدال وجميع مذابحه من افراط من المسلمين
 واثبت ضدهم ما كروه . قوله لو ان المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا .

المعاصي والردائل ولا سيما الباطن والتمسك وكل ما يسبح ان يوصف به من خاضوا فيه ، با خاضوا ، لا ينسج المقال لنقله ولا لنقله ، لا ان نقول انه ليس فيه من موضوع التعصب الا اثبات أفرط المسلمين فيه كغيره من الاخلاق والصفات وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المعريين بالافراط والتعصب وزيادة لوفطوا لجلولوا الشيخ حجة أوفتوى على عدم استفحامهم للاستقلال ، وهو يقض أو يناقض الفرض السامي الذي نراهي لانا انه نشر مقالة الدروة الوثقى لاجله كما تقدم ١١١

هذا ما كان من أمر الشيخ بحيث في تصديه وتصد ، عامة السياسة مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من سر علماء الازهر ويثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحقاق عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الامة بأفكارهم واقتلامهم وأعمالهم لأن هذا ما نراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غرو اذا ساءنا جمل الشيخ مفسدة في الافواه ، وان كان هو عقبة في سبيل الإصلاح الديني المدني الذي نسمى اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بحيث لا يصلح للسياسة

وأما قرينه في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الدين بالوراة ومشيجة الطرق التي هي وظيفة رسمية لتأليد معروفة ، وانما كانت تربيته وتعلمه مدينين لا دينيين ازهريين وهو يحافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجمل بين العيشة المدنية كالمترجمين مع هذه المحافظة على الدين باداء الفرائض واجتناب المعاصي والردائل ، وهو كما نعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، وبشئ لو يستطيع الى اصلاح حالم سييلا ، ثم انه يحب الإصلاح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو متمدل الفكر في ذلك ثنى كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، ولما تذاكرنا معه في مسألة الاوكتا على اتفاق او اثنينا الى اتفاق ، فهو في ممة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للزعامة الا أنه ينقصه من شروطها ما قلنا انه ينقص عدلي باشا فهو يشبه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيقية وفي الاحجام عن كل مامر شأنه ان يثير خصاما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تمود الخطابة والكتابة والمجدل

والعاجلة ، وقد عجزنا من دحونه في هذه المصممة بخلاف ما يعرف من طباعة على انه تصدى أولا لامر منفق عليه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف فجعل احتفال العلماء به في ذره الواسعة بل قصره التخم ، ثم جرى الشيخ بخيتا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جرى الامير عزيز حسن ورضي ان يمقد في باحة قصره اجتماع عام يرأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطف في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تنقض الرد على الوزارة وتدعوة الى عدم الثقة بها — ترك الدار للدعويين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل نزل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي اراه انه لا يمكن أن يخفي في ذلك ويثبت الا أن يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين المارفين بحال المعسر بشرط ان يسيروا بنظام مدون بحيث لا يعملون عملا الا بقرار مدون ، وأنا ممن برشحونه لهذه الرياسة ان هو أقدم ، وارجح انه لا يفعل

تبجح البخيتيين وغرورهم بلقب أئمة الدين

إذا اراد رجال الدين الاشتغال بسياسة أممهم ومصالحها العامة فأحوج ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ الملل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على نجلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى الفوائد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا أن شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لا يقبل أن يخضع لقيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم والخضوع لهم في أقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان اتحلوا لاسمهم القاب الأئمة أو جاد عليهم بها في وقت من الاوقات من ينفعهم في مقامه على خصمه

أقول هذا لاني اراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اودوه وأثمناه وقد

على سكرتير الوفد المصري فيما عزاه الى حزب من خطأ لا أرى ما اوعاه من
المائدة في نقد هذا المقال يتوقف على بيان الخلاف بين هؤلاء الشيوخ وبين
الوفد، وهذه المائدة بيان خطأ الكاتب فيما كتب كما خطأ في الباعث على هذه
الكتابة وهو ما علم من التمهيد آتيا

نشر هذا المقال في جريدة الاخبار بامضاء (عبد ربه مفتاح من علماء
الازهر) وقد وصف فيه الشيوخ الذين خطأهم ناموس الوفد (سكرتيره)
ورماهم بما ينافي الوطنية (كما يفهم من كلام الكاتب) بقوله انهم « أشرف
وأرق طائفة في الامة بل في العالم الاسلامي ولهم قادة الامة وامسؤها على
وحي الله تعالى الذي به السعادة الابدية او شقاؤها السرمدية » (كذا)

ثم قال بعد هذا الوصف: أيها القوم ان لكل مقام مقالا، وان مقام
التكلم مع رجال الدين وفيهم مثل فضيلة الشيخ بنحيت وسماحة السيد البكري
شيخ مشايخ الصوفية وابن أبي بكر الصديق امين هذه الامة (؟) يجب الا
يكون كما تكتبون. رجال الدين في كل زمان ومكان هم أمناء الله على دينه
فصيبة كبيرة وفتنة عظيمة اذا رميناهم بالمروق من الوطنية من أجل انهم
خالقوا في الرأي شخصاً معيناً

ثم قال « هبوا العلماء اخطأوا في هذا أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول
« اتقوا زلة العالم » ويقول بطوم العلماء مسومة » فلما ذا استمرأتموها
فأكلتم منها حتى التخمة ؟ اهـ

أقول يا للعجب من هذا العجب والغرور والدعوى المريضة والجرأة على
رواية الحديث والاستدلال بكل ما جرى على الالسنه منه وان كان شيعياً
من أين علم الاستاذ الكاتب ان هؤلاء الشيوخ الذين وقفوا مع الشيخ
بنحيت على ما ارتأه في المسألة المصرية هم أشرف وأرق طائفة في الامة بل العالم
الاسلامي وهذا شيء لا يمكن ان يماهه الا الله تعالى وان أريد به ظاهر ما عليه
الناس من العلوم النافعة والاعمال الصالحة، دون السرائر التي عندها الممول في
الواقع، فهل طاف الاستاذ الكاتب العالم الاسلامي كله واختار جميع علمائه
وصالحائه واحاط علما بدرجات علومهم وكنه أعمالهم وشرفهم في بلادهم ووسع
شيوخه الذين يرأسهم الشيخ بنحيت في نقمة ميزان وسائر أولئك العلماء والادباء
كلمة ف... كلمة ش... كلمة ش... كلمة أو... كلمة

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى عنه ؟ أيجمل هذا كشيخة الطارق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسوين الى الصديق والى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهما من الصحابة البر والتعاجر ، وان مشيخة الطريق هي ما يمد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه ! ايها الاستاذ أربع على ظلمك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك في هذه الالتفات والنموت التي تكيلها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وحيه رتبة عالية لا تتال بفهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشريف من الامراء والسلاطين ، أين آثار شيوذك في قيادة الامة التي نحلهم ياها من لدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والاحاد والشبهات بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في التفرق بين علماء السوء وعلماء الآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه العلوم الشرعية وآلاتها الحريية كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشرافي في الميزان بحديث « العلماء أماء الرسل ما لم يخاطبوا السلطان » الخ

ايه ! ايها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسندته ليه ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بخت وأمثاله الذين فتنهم على جميع لامة والعالم الاسلامي فأدبت الامة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من فواه الذين يتجرءون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل ما يسمعونه من أو يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحرقه وتعمير تركبه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثة ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه العسكري في الامثال والديلمي بن حديث عمرو بن عوف بزيادة « واتقوا زلة قبته » وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم واتقوا زلة قبته ، وأوردته في السنن وابن أبي الكمال ورواه الذي انفرد به هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زبيرة المري عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن مبرور ليس (١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتبه رسالة في بيان الضعيف من ما دبت الجامع الصغير .

شيء . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب . وهل يملف بن عبد الله المدني رأيت وكان كثير المصومة لم يكن احد من أصحابنا يأخذ عنه . وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطل الخ . وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة . وقال ابن عدي : عامة ما روي لا يتابع عليه . وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما تخوف علي أنمي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم » اهن تميز الطيب من الخبيث وهو في منتهى حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتج به كما هو ظاهر .

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحدا رواها حديثا بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتينا الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثا وأما ان يكون هو الواضح لهذا الحديث وهو موضوع بلا شك . ونسأل الله تعالى ان يصاح هذه الأمة ويلهمها رشدها ويقبها شر التورور القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في الباخرة كايوبارة بالقرب من سواحل ابطالية

المعتصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى اصاحب هذه المجلة غلاما سويا سماه المعتصم بالله . وكانت ولادته عند مطلع الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشمس في ٢٥ من رجب السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فساله تعالى أن يحية حياة طويلة طيبة وينتبه باننا حسنا صالحا ويحمل له من اسمه أوفر نصيب فيكون قرة عين لوالديه وآله وأمه ، وان يستجيب دعائنا عند مصابتنا بأخيه الممام قبل ولاته بأربعة أسابيع فيكون خلفا صالحا لذلك الزبط انقدم (الذي ظهر عليه في طفولته من امارات الذكاء والنجابة والفصاحة ما يند . ظهوره من مثله) فيكون خيرا . في ذلك كما وعد الصابرين المحسنين ، وان يحطوا على ذلك من الشاكرين آمين

خواتم

الاستاذ الشيخ محمد المفهر

١ - ان كبرائك فاصبح بملك ما لم تعلم ، واتسع خباياك فبات يلقي عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك ، فانت ما بين آفة ذي حصص نصيحتة ، ونديم لآمل محبة ،

٢ - يسطر الشجر ظله المقل ، ويقف بقناديل الكهر بلحى سواء السبيل السبيل ، اقتجيرات من البؤس وهو آخر من الامضاء ، وتوقد سراج حكمة يهدي بعد موتك الى المحبة البيضاء .

٣ - حسب العلم ضلالا فزادت الى الجهل ، وآخر يزعم التقوى بلها فكان داعية الفجور ، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الارجاس ، لكنا خبر آفة أخرجت الناس

٤ - هذه الدنيا كالمدة الزجائية في لآلة المصورة ، تضم الرأس ، وطحى القدم ، نرفع القدم الى مكان الرأس ، فزنا الرجل بما آثره ، لا ، يبدو الحكم من مظاهره

٥ - بصنع الصانع الخلي ، وتصنع ما تتجمل به النفوس في محاذك العلى ، فان ظلت تنهات على صانع الخلق والسلاسل ، فاعلم انها ما برحت لاهية عن هذه المحافل

٦ - سميت الاستخفاف بالشرع حربة ، فقلت برع في فن المجاز فنهك بمن أصبح عبدا للهوى ، وسميت التفات كياسة فقلت خان الفضيلة في اسمها أوحاته النظر في فهمها

٧ - كان لسان الدين ابن الحمانيب جنة أدب تجري نحتها انوار المعارف فانت أكلاما ضامين ، ولكن نفست عليه السياسة يخار سام خدمته ، وشبت نار الحد

في القلوب القاسية فاحرقه

٨ - سرت والدور املك فانطلق ظلامك الى أنرك ، ثم وابته فذك فكان الشال بسمي وأنت على أثره ، وهكذا العقل يستقبل الحقيقة فينبه الخيال ، فاذا أدركها نقاب الخيال الى امام ، وقاده في شعاب البطل يبرح لهم

الوثائق التاريخية في المسألة العنصرية

٥

مذكرة الأمير فيصل في مؤتمر الصلح

جاء في عدد جريدة الطان الذي صدر في ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ تحت عنوان (نشرة اليوم) ما ترجمته (مطامع الحجاز)

من الأسف أن نضطر إلى العودة إلى البحث عن الحجاز. إن سكرتير الوفد الحجازي قد رد على النشرة التي نشرتها الطان مساء يوم الخميس (أي ٦ الشهر) بكتاب طلب إثبات نشره فلا يضمننا والحالة هذه إلا تلبية طلبه كتب الينا عوفي عبد الهادي يقول إن جريدة الطان نسبت إلى ملك الحجاز مرامي توسع لم تدر في خلده البتة. ويرد سكرتير الوفد تكذيبه هذا بالتأكييدات القطعية بقوله « أن الملك حينما لم يفكر قط بجعل مكة عاصمة جميع البلاد العربية التي تملكت أخيرا من النير التركي فهو يفهم أحسن من أي شخص آخر الأسباب التي لا يمكن للحجاز بسببها أن تتعرض للأمور السياسية الخاسرة بهذه البلاد. فالتناقض والابهام اذن والحالة هذه ليست في الميل والرغبة في ضم البلاد التي أظهرها ملك الحجاز بل هي بالاحرى في الشدة التي استعملتها بعض الصحف ونسبت بها إلى هذا الملك أفكارا ودعاوي لم تخطر على باله

« أن ملك الحجاز لم يعلن الحرب على تركيا إلا لتخليص أخوانه في الجنسية الذين كانوا يقاسون ظلم الترك من النير الخفيف الذي كان يشغل كاهلهم كما يتضح من المنشورات التي أذاعها فيما بعد ، فهي لا يظهر منها أنه بافضاضه إلى الحلفاء ضد تركيا التي اتممت في أحضان ألمانيا وحلفائها يرمي إلى سياسة التوسيع ، بل صرح مرارا عديدة بأنه لا يرغب في ضم شبر أرض من البلاد العربية إلى مملكته سواء كان من سورية أو العراق . بل الفكر الذي يرمي إليه هو أن يرى كل هذه البلاد التي مسها الضرر الشديد من جراء فظاعة الترك حرة مستقلة ، وهو غير مرتبط بأية وثيقة كانت خصوصية او عمومية مع أية دولة كبرى ، ورغب في أن تترك الشعوب العربية حرة لتقرير مصيرها طبق لمبادئ الدكتور ولسون »

(*) تابع لما في الجزء الثالث

هذا ما قاله السكرتير حسين (عوني) عبد الهادي على أن فرنسا وحدها تشتر بالغبية في تأمين الحرية للشعوب العربية خصوصاً منهم سكان سورية التي كانت تحبهم سابقاً في الوقت الذي لم تكن حقوق الامم رائجة فيه بعد. وجريدة الطان نفسها بتوجيهها الانظار الى الحجاز الذي يحاول أن يوسع سلطته على سورية انما أرادت أن تدافع عن حرية العرب السوريين، ثم ان سكرتير الوفد الحجازي يؤكد أن الحجاز لا يروم أن يضم اليه شبر ارض من البلاد العربية لامن سورية ولا من العراق !
وجوابنا على هذا

أن واجبات اليافقة والضيافة لا تبيح لنا أن نجيب على هذه التصريحات بالوجهة التي وضعت فيها ومن حسن الحظ ان مندوبي الحجاز أنفسهم أخذوا على أنفسهم الرد عليها فلنترك لهم الكلام بتحليل مستند حرره أنفسهم ان هذا المستند الذي قد يمكننا طبعا نشره على علانيته اذا أرادوا قد نشر بشنوان (مذكرة من الامير فيصل) الذي هو ابن ملك الحجاز ورئيس المندوبين الحجازيين الموجودين الآن في باريس وقد جعل تاريخها اول يناير سنة ١٩١٩ وقدمها الى الدول العظمى بمناسبة المؤتمر وهي بيان للمطالب الحجازية أفرغت في قالب من الوسوح والبلاغة يمودان بالمدح والثناء على الذي حررها، واننا نسهره والحق يقال أن نشر الجمهور بياناً واضحاً بدرجة هذا البيان وسيطلع كل شخص ذي ذمة عليه بكل سهولة دون أن يحوجنا الى تفسير كل دقائقه

مذكرة فيصل لمؤتمر الصلح الاول

استقبل الامير فيصل مذكرته ببيان الاقسام المختلفة التي يدعوها آسبا العربية فقسمها الى ستة اقسام ورتبها التي تليها الآتي (سورية والعراق والجزيرة والحجاز ونجد واليمن) وقال انها تختلف اطلاقاً كثيراً بعضها عن بعض ويستند دمجها في دائرة حكومية واحدة ولذلك حاول أن يبين المصير الذي ينبغي أن يكون لكل واحدة منها

ابتدأ أولاً بسورية فقال ما يأتي (ننسا لنعتقد أن سورية هذه المقاطعة الصناعية الزراعية التي يقطن فيها عدد وافر من السكان من ضمت ثابتة هي بلاد متقدمة تقدمنا تأميناً من وجهة السياسية يمكنها منه أن تقوم باعباء أمورها الداخلية من غير أن تكون الاستقامة والمساواة الامانة مستكبراً جازلاً

بمينا حدا لنهونا القومي ونحن مستمدون لسرف ما يلزم من التقود في مقابل هذه المعاودة ولايسنا أن نسحي في مقابلها أي جزء كان من الحرية التي أحرزناها قبلأ بأقتسنا وبقوة سلاحتنا اه

وعلى ذلك فان سورية بناء على مذكرة الامير فيصل مستمنح استقلالاً ذاتياً بما يتعلق بأمورها الداخلية ويدمج في خدمتها اخصائيون من الاجانب يدون أن يسمح لاية دولة أجنبية أن يكون لها أقل نفوذ في البلاد، فن ياترى يقوم باعباء علائق سورية الخارجية؛ الجواب على ذلك أن الظواهر تدل بأن ملك الحجاز يترقم بهذه المهمة وتأهيك بما جاء في المذكرة من عبارة (نهونا القومي) وعبارة (الحرية التي أحرزناها بأقتسنا) كأن الحجاز وسورية لا تكونان في نظر العالم سوى دولة وحكومة واحدة.

ثم انتقلت المذكرة من سورية الى العراق والجزيرة يعني الى جزئي مقاطعة بين النهرين وهنا أقرت النيابة الحجازية برنامجاً مخالفاً تمام المخالفة للاول، ثم انها قد طلبت أن تكون الحكومة صرية (بالمبدأ والروح) الا أنها لم ترفض تدخل دولة أجنبية فقد جاء في المذكرة (ان العالم يرغب في سرعة استثمار ما بين النهرين ولذلك نرى أن شكل الحكومة في هذه البلاد لا بد أن يكون مستندا الى الرجال والموارد المادية التي تقدمها دولة أجنبية عظلى) اه. ان في هذا تنازلاً لبريطانيا العظمى التي حفظت لنفسها السهر على ما بين النهرين في الوقت الذي كانت لتعترف فيه لفرنسا بحق السهر على سورية

ثم جاء بعد ذلك ذكر المقاطعات الثلاث الواقعة في تفس شبه جزيرة العرب وهي الحجاز واليمن الواقعتين على ساحل البحر الاحمر ونجد التي هي المنطقة الداخلية فلم يسلم الامير فيصل بمذكرته فتح باب المناقشة في مصير هذه البلاد، وبين بعد ذلك أن الحجاز ستبقى محكومة طبق الطرق العرفية وقال (اننا نقدر هذه الطرق تقديراً يفوق تقدير أوروبا لها، ولذلك نطلب المحافظة على استقلالنا التام، وأما اليمن ونجد فالارجح انهما لا ترضان مسئلتها على مؤتمر الصلح وهما سيتناقشان في مسائلهما بعضها مع بعض ويقومان بترتيب علائقهما مع الحجاز وغيره)

ان هذه المهمة ترجما سنة الى الورا اذ يتخيل لسامها انه يسمع المر كولن يشكلم عن مصير كورلنده الروسية

بقيت مقاطعة فلسطين فقد قالت عنها المذكرة الحجازية ان الاكثرية
المطعم من أهالي هذه البلاد عربية وان العرب متفقون مبدئيا اتفاقا تاما
مع اليهود « غير أن العرب لا يسمهم أن يخالطوا وأن يأخذوا على أنفسهم
مسؤولية الاحتفاظ بالتوازن في خليط العناصر والاديان الذي كان على الدوام
في هذه المقاطعة الوحيدة يدفع العالم للمسا كل ، ان العرب يشنون أن يعطى
مركز ممتاز في هذه المقاطعة لموكل عظيم في الوقت الذي تمنح البلاد فيه حكومة
عملية نيابية تقوم بانماء عمران البلاد من الوجهة المحلية) اه

البرنامج الحجازي يقضي بتعرض دولة عظمى في كل من فلسطين
وما بين النهرين وليس هناك حاجة لبيان أن في هذا تنازلا للمصالح الإنكليزية .
ان هذه المطابقة لاتبرهن — كما كان قد صرح كاتب أسرار مندوبي الحجاز
— على أن ملك الحجاز غير مرتبط بأي نوع من الوثائق الخصوصية مع أية دولة
وقد اختتم الامير فيصل مذكرته بقوله (اني بتشديد الاشارة الى التروق
الموجودة في حالة بلادنا الاجتماعية لا أود ان أقول بأن هناك اختلافا حقيقيا
في المرامي والمصالح المادية والمعتقدات أو الاخلاق على وجه يحتمل ارتباطنا
متنفذا ، ان أم عقبة يجب علينا تذليلها هو الجهل المحلي الذي تقع معظم مسؤوليته
على عاتق الحكومة التركية) اه فالمقصود اذا تشكيل حكومة واحدة ينسج
اعداد أساسها بجميع شمل كل البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية القديمة
تحت زعامة ملك الحجاز الموجود في مكة ، ان الانسان اذا أمن النظر في هذه
الطلبات الرسمية تمكن من تقدير تكذيب ما أرسله الينا كاتم أسرار مندوبي
الحجاز حق قدره عند ما كتب الينا (انه لم يدر في خلد ملك الحجاز البتة أن
يجعل مكة عاصمة للبلاد العربية التي تملعت من النير التركي)

وعلى هذا فقد برح الخفاء وظهرت سياسة الحجاز التي كانت مفرغة في قوالب
المبادي الويلسية كما كانت سياسة الحدود الألمانية في مقاطعة كراانيا وبلاد
البلطيق كأنها مشروع لضم البلاد أو من قبيل وضع أمبراطورية بدوية مكان
امبراطورية تركية

ان مذهب الوحدة العربية يخدم مطامع فئة قليلة من التفعين العرب
والاوروبيين كما كان مذهب الوحدة الألمانية يخدم مطامع السلطة البروسية
المسكرة فاذا كان هناك رغبة في نشر السلام في الشرق فينبغي اجتناب الوقوع

في هذه المباحث . ان الوحدة الرؤية اذا كانت ممكنة التحقيق فانها لا تنكر ان
بالفتح والسيطرة ، ولا بالجميات السرية أو المساعدات المالية المستنكرة . بل
لا يمكن تأسيسها الا أن تجتمع فيها بمدا الحكومات التي قد تكون ندمت فيما بعد
كيفية الحكم الذاتي وتكون أقبلت وأدركت بكل حرية منافعها المشتركة . ان
كل سياسة أخرى تكون جائزة وحماية من شأنها ان تثير في العالم الاسلامي
حركات تقضي مصلحة حلفائنا البريطانيين العظمى ان يجتنبوها » اه كلام اللان
التي توغلت في الاستنباط لما لقومها من الطمع في استثمار سورية ، واندفعت هي
وغيرها من الجرائد الفرنسية تحذر الانكليز من تأسيس جامعة عربية تمتد الى
أفريقية وتيسر سلطان الاسلام الذي تتبع هذه الجرائد بأن الحلفاء تركوه كانه
المقصود الجناح من مملكة مراكش الى مملكة الاستانة !! وكانت في غنى عن
تحذير الانكليز فهم أحذر من الفرنسيين وأدهى وانما يريدون السيطرة على
جميع بلاد العرب ليحولوا دون تأسيس الجامعة العربية والفرنسيين يخافون عاقبة
ذلك أكثر مما يخافون من ارتقاء عرب آسية ومصر ان يسري الى سائر عرب
أفريقية . فن حافة هذه الجرائد انها تنفر العرب من أمتها من غير فائدة تمنحها من
ذلك فالانكليز يسخرون من فصائعها ويعملون ولا يقولون

(٦)

﴿ استسلام الحجاز لبريطانية العظمى ﴾

جاء في آخر مقالة افتتاحية من عدد ٢٤٠ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة
في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ما نصه
« وما مقلتنا الاغمر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧
من تصريحات أم صحف العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على
العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته واقتداره السياسي والحربي والمالي
امام أهوال سنيينا هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وما تربده ثقة واعتمادا
على معاصر الرب بقولها من بحث : سياستنا القديمة التي كانت ترمي الى تسديد
تركية وشد أزرها على اعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حريجل عمل السانسة
الصنانية البالية الفاسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحملون عمل تركيا الرب أما
سرام فقلطين الجديدة وأرمينية الجديدة)

« نرحب ونزهل ونسبل بمن أنزلنا محل نقته، وتوسنا بالاهلية لمصادفته ، ولا ريب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون ، ولئله فليعمل الماملون
الف الف أهلا ورحبية وأضامها شكر المعن الطن، وانا لانحيه بما قال
أحد أشياخ جاهليتنا: أهملني صخير وحماني كثيرا، ولكن تقول اذ العرب اليوم
هم كالاشبال أو أفراخ الشباهير والبازي المحتاجة لصيانة آبائهم.
« ومع هذا فستجدم أيها الدامي الحسن الطن ان شاء الله تعالى من حيث تريد،
وتراهم بمنيته بيت القصيد. فاليكم بني لعرب ما أوتيتوه من طموح الإظهار اليكم،
وأمال أجل شموي العالم فيكم، فليظروا ماذا أمرؤن بهد ما وصفكم ذلك الشعب
يما وجهه، فأجيبوا دامي المبكر مات ، وحققوا في نجاتكم التصورات، وكوّنوا
خير أمة أحييت منذرس معالم سؤدد أسلافها للناس ، ولا تهم أرفع وأسمى من.
أن تذكر له فكبات التخاذل وموارد الانداس، أو يسيثوا ببقولنا الطن وعكس.
القصيد. وأيم الله انه الحق ، ونكره ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بأنما مشر
الحجازيين ولا شيء من الرياسة أو السيادة ان كانت في سوري أو في بني أو في
حجازي ونحوه، ولا يهمننا وذب الكمية الا تولى لكم لبلادكم كنز في الشعوب المحررة
لبلادها. وان داء الشامي هوداء الجاني وان في شقاء الآخر شقاء للأول . وان
ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خير أو عكسه . ومنى تقطنهم في ان أبسط دليل
على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولا شيء مما اصاب اخوتهم من الضيم الذي
سارت بأنواعه الركبان علمت أنهم ادر كوا تلك الغاية الجليلة واغتنموا تلك الفرصة
لنجليهم بجلائها، وان يمنهم بدعة العيش التي هم بها من مسم من أين المضطهدين
من اخراتهم عار عظيم لا يفله الا دملهم وكان بفضل ما كان فلا تمقوا النتيجة
ولا تهندروا تلك الدماء الزكية والنفوس الالية « اه كلام القبله بنصه السقم
(٧)

﴿ كلام التيمس في اتفاق سنّي ١٩١٦ و ١٩١٧ ومذكرة فيصل ﴾
جاء في عدد التيمس الاسبوعية الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من ضمن
مقالة عنوانها (الوفود والصحافة — تحفظ شديد) ما ترجمته

اتفاقية سنة ١٩١٧

وهنا تظهر أيضا الاتفاقية السرية التي عقدت في أواخر فبراير سنة ١٩١٧
معمنة مناهلن تعوذ بريطانية وفرنسة وروسية في آسيا التركية. ان هذه الاتفاقية

اعترفت باحداث دولة عربية مستقلة أو تخلف من دول عربية وبعد تعيين منطقة نفوذ روسية اعترف بأن تأخذ فرنسا الساحل السوري وولاية اطنه والافليم الذي حده من الجنوب خط هنتاب — ماردين حتى الحدود الروسية المستقبلية، ومن الشمال خط يمتد من ألداغ الى قيصرية — اق داغ الى يلدرز داغ فزاره فاجين فغربوط ، وأن يكون لبريطانية الجزء الجنوبي من المراق مع بغداد وفي سورية تنرا حيفا وهكا

«ومحسب الاتفاق بين فرنسا وبريطانية المظنى تكون بين المقاطعة التي بين الاقليمين الفرنسي والبريطاني دولة عربية مستقلة تميز فيها مناطق نفوذ وتكون الاسكندرية ميناء حرة

أما الفرنسيون فيذهبون الى أن حقوقهم على سورية لا تستوفي ما لم تعتبر سورية كتلة واحدة وان هذه الحقوق ليست — كما أشير اليها بمزاج — مبنية على شهرة البعثة السورية التي بقي صداها يرز في الأذان الفرنسية بأعلى النعمة المظنى « مسافر الى سورية » ليست مبنية على هذا فقط بل للفرنسيين أساس أمتن من ذلك ناشئ عن الموقف العظيم الذي اتحلته فرنسا الجمهورية عدوة الاكليروس بقولها انها حامية للمصالح الكاثوليكية في الشرق . وقد كانت فرنسا دائماً تحمد نفسها على موقفها في سورية ، وكانت على حملتها على الاكليروس تسمى لحفظ النفوذ الادبي الذي لها في تلك الاصقاع بما احدثته من الملاجي الدينية والخيرية والتهذيبية ، وهناك عدد من الاسباب الاقتصادية الثابتة أيضاً تهتم به فرنسا بالطبع ، وعامة التجارة السورية تكاد تكون في الايدي الفرنسية . وان رأس المال الفرنسي هو الذي بدأ بتجهيز تلك البلاد بالسك الحديدية والطرق — فسورية بالنسبة الى ليون ومرسيلية هي اجنبية شبيبة بنسبة إفريقية النرية الى ليفربول

مطالب الأمير فيصل في المؤتمر

«وفي الحقيقة ليس في مطالب فيصل ما يمارض مطامع الفرنسيين في سورية مباشرة — ففصيل يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده فقط ، وأما سائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن تركيا — وهو لاجل الحصول على هذه الغاية سل سيفه من غير ان يحصل على اي وعد من الحلفاء فانه لم تعط له وعود الا بعد ان أخذ في النضاح

« وقد اشار بأن تقسم البلاد العربية الى سلسلة حكومات صغيرة مجتمعة بحسب المصالح الاقتصادية والمثيرية (نسبة الى المناثر) وان تدبر هذه الحكومات دولة من الدول المعظمة ، وكل دولة من هذه الدول الصغيرة تختار بحريتها الدولة المعظمة التي تقتضي حالتها ان تكون لها الوصاية على تلك البلاد »
 « ويرغب فيصل بأن تطلب كل البلاد العربية دولة واحدة للوصاية عليها ، وكذلك يرغب اشتد الرغبة بأن لا يوغم أي جماعة من العرب على وصاية لا يرضون بها »
 « ولنفرض ان هذه الخطة طبقت فن الطبيعي ان تستثنى فلسطين ولبنان بالنظر الى المصالح القومية الخاصة ، وان نجاح هذه الفكرة وتطبيقها يتوقفان ولا شك على كيفية تحديد الدول العربية المتنوعة » اه كلام التيمس التي تبسج جريدة القبلة بالطرائق

(٨)

الفرض من مجي المستر تشرشل الى مصر وفلسطين

ومقابلته لوفد العراق

كان لاصحاب الازمام سبب طويل في الفرض من هذه الرحلة لوزير المستعمرات البريطانية حتى جاء البيان لذلك فيما نشره القطر في العدد الذي صدر منه في ١٩ مارس سنة ١٩٢١ تحت عنوان (مهمة المستر تشرشل) وهذا نصه :
 رد المستر لوي جورج على سؤال وجه اليه في مجلس النواب عن مهمة المستر تشرشل في مصر فقال « ان المستر تشرشل سافر الى مصر ومعه ستة اوسمة من ميوفلتي مصلحة الشرق الاوسط ومن القسم المالي في وزارة الخارجية ومن وزارة الطيران . وانه لا ينتظر ان يجتمع بأحد من زعماء العرب ويتوقع ان يقضي نحو عشرة ايام في مصر وبضعة ايام في فلسطين ثم يعود الى لندن فيعرض اقتراحاته على الوزارة . وقد تباهت الحكومة متعرض على المجلس

وارسل المستر تشرشل كتاباً الى السير جورج رنشي رئيس جمعية الاحرار في برندي قال فيه انه لا يمتنع ان نستمر في نفاد الاموال الطائفة على الدراق العربي بل يجب ان نأخذ من القوات هناك انقاصاً كبيراً جداً في الحال ومع ذلك

تتفي فترات مختلف من عشرة ملايين الى احد عشر مليون جنيه في العام وهو أكثر كثيراً مما يحق لنا اتفاقه في تلك الجهة ولا سيما اذا ذكرنا عظم خصب املاكنا في غرب افريقية وشرقها والفرض السامحة لنا فيها لترقيتها لحبر الامبراطورية بالذبة الى الشرق الاوسط فاذا لم نوفق الى ايجاد مشروع أحسن وأرخص كثيراً من المشرعات التي اماننا الآن اضطررنا الى الجلاء عن العراق العربي ولكن الضرر والخزي الذين يلحقان بنا من جراء هذا العمل يجب ان لا يقاتل شأنهما ولا يصغر أمرهما . فقد قلنا الوصاية على تلك البلاد وتمهدنا ان ندخل فيها انظمة من الحكم تحق الانظمة التي قوضنا أركانها ونفضاها كثيراً فاذا نكسنا بعد هذا على اعقابنا وارندنا بالمر الى الساحل كان ذلك حادث لا يتفق مع نبالة القصد وحسن السمعة التي نرغبنا عن بريطانيا العظمى . واني أوّل انه اذا انشأنا حكومة يهرية تؤيدها قوة عسكرية متوسطة بمكاننا من القيام بما يجب علينا من غير ان نوقر هائق الخزيّة البريطانية بتفقات لا مسوغ لها . على ان اقدامنا على انشاء حكومة عربية في بغداد ففتح علينا باباً لم نر مناصاً من ولوجه وهو معالجة المسألة العربية كما هم من حيث علاقتها بالمصالح البريطانية . فاذا لم تدير الشؤون العربية بطريقة تضمن استتباب السلام والسكينة بين قبائل العرب في هذه الوهلة حال ذلك دون سحب عدد كبير من جنودنا من العراق العربي واقامس فقاتنا وعاقبنا كثيراً

١٠ وتشرت التيمس قدراً فامكانها من مرسلها قال فيه ان المستر تشرشل قبل ان يبحر منها قال : من أكبر افراض وحلي ايجاد التفاهم بين انكلترا وفرنسا في الشرق وهو تفاهم عظيم الاهمية لفريقين وسادس الحالة في العراق وآسيا الصغرى فانه يمين علينا ان نعيد السلام والنظام الى نصابها في تلك الجهات . هما بلغت ركنتهما ونقص المبروقات الطائفة التي تنفقها بريطانيا وفرنسا فيها ولا يتال هذا الفرض المزدوج الا اذا نظمت الدولتان ماعيهما ونفقتاهما واني ذاهب الى مصر ومصر على اجدالك هذا الفرض — انتهى

[المنار] : ان لنا الوزير بصراحته التي يقل مثاها في رجال قومه أن اضطرارهم الى ادارة أمور العراق بآلة حكومة وطنية لتخفيف الثقلات أن يستعملوا بوضوح

الارهاب البريطاني في اثناء سائر البلاد العربية في الجزيرة المقدسة ، ولهذا عادوا بالطلب على اوليائهم من شرقاء مكة ويقال ان من اغراضهم التي يسعى لها الملك حسين والامير او انك فيصل أن يمتد اتفاق بين أمراء البن ونجد يجعل فيها بلك الحجاز ممثلاً لهم في السياسة الخارجية ليكون كل ما يتفق عليه من انكثرة نفذا عليهم . على أن الانكليز يريدون أولئك الامراء باتفاقات معهم خاصة تضمن لكل منهم استقلاله الاداري الداخلي في بلاده وتساعد عليها باعانة مالية سنوية بشروط أهمها أن لا يمتد أي اتفاق مع دولة أخرى وأن تكون انكثرة صاحبة الحق الاول في جميع المنافع الاقتصادية في بلاده ١١

(٩)

آراء الامير فيصل في المسألة العربية والانتداب البريطاني

تلفراف خصوصي للمقطع

لندن في ١١ فبراير الساعة ١٠ : ٧ ليلا

اتيج لي ان احادث الامير فيصل بلندن في المسألة العربية وارسلت اليكم هذا التلغراف خلاصة اقواله لي وهي : —

« انني متفق تمام الاتفاق مع الائمة البريطانية الآخذة في الازدياد والقائلة بأنه حان لبريطانيا ان تكف عن بذل ارواح جنودها ويدر أموالها في العراق ، أما غرضي من رحلتي الى أوروبا فهو اقناع الحلفاء بأن الزمان آن لتتفيذ الشروط التي خصنا الحرب عليها . وليس هنالك أقل رغبة عندنا في الاضرار بالمصالح البريطانية ولا التمسع مما قضى به الاتفاق علينا فانا على عكس ذلك نعتقد ان محالفتنا مع بريطانيا المنطى دائمة ونرجو ان نظل كذلك وعندنا ان بقاء هاهو في مصلحة الفريقين »

« أما البلاد التي يشملها الاتفاق فقد حددت تخومها تحديداً صريحاً جليا فليس تمت مجال للخطأ والالتباس ونحن مستعدون لتأليف حكومة تستطيع ان تدبر شؤون تلك البلاد على قواعد مرضي جميع الذين لهم شأن او مصلحة فيها »

« لقد أرسل الرئيس ولسن لجنة الى سورية للوقوف على آراء أهلها ورغبتهم في شكل الحكم الذي يروونه ولكن تقرير هذا اللجنة لم ينشر قط لماذا اعتم نشره »

« ان البطء في انشاء حكومة تتوفر فيها أسباب الكفاءة آل طبعاً الى هياج الطواغر ولكن انتقاض العرب الاخير لا يدل على رغبتهم في قطع علاقاتهم ببريطانيا وانما وقع لان بريطانيا سارت عامين على غير هدى فوقع الالتباس ونشأ الخلاف وسوء التفاهم وخاف العرب ان تستمر حكومة الهند بلا دم » .
 « ان الذي يرومه العرب هو حكومة عربية تستمد النصائح والمساعدة البريطانية ومع اننا نفترض في ان نكون مسودين فلا نصير على الجلاء التام ولكننا نقول ان مصايف كل حامية او ادارة ملكية من جانب بريطانيا يجب ان تدفع من أموالنا . ولم يختلف اثنان على هذا . أما الحكومة العربية التي ينوي انفاؤها فتضمن جميع المصالح السياسية والاقتصادية التي هي لبريطانيا العظمى . وكل فرض نحتاج اليه الحكومة العربية يكون مكفولاً بمرافق البلاد الطبيعية الثنية . نعم ان البلاد اليوم اغبر شيء بالقفار ولكن لطبراء الزراعيين يجمعون على انها اصعب تربة في العالم اذا عني بفلاحتها وربها وزهرها . وهذا علاوة على ما فيها من الكنوز المدنية فانها عظيمة جداً وفيها مجال عظيم للارتقاء والنمو ولا سيما منابع الزيت الكثيرة في انحاءها » .
 « ان البلاد تقتدر الى الاموال التي تنشلها من هذه الفوضى والدمار التي ألغتها فيها سوء حكم الفزاة الترك ولكن هذه الاموال لاتضيق سدى بل تنشل ويستثمر بربح كبير » .
 « واذا فتح مجال العمل امام الحكومة العربية بالانصاف والمطف فانه توفراً على الحلفاء بذل الرجال والمال في المستقبل علاوة على الذي بذلوه من الاثنين حتى الآن » .

(١٠)

حكومة شرقي الاردن بين السر هـ ورت صدوئيل والامير عبدالله

عمان في ١٨ ابريل - وصل المندوب السامي الى عمان أمس مصحوباً بالكونزل لورنس والسير ديدز والورد ادوارد هاي بجرى سر هـ ورت صدوئيل استقبل ودي واحتفى به الامير عبدالله الذي كان مصحوباً بالسير ابرمسون الممثل الاكبر لبريطانيا العظمى في جهة وادي الاردن وقد عين فيها اجديثا وقد قدمت أربع طائرات من فلسطين ونزلت بجوار المعسكر في ميدان الطيران الا لانه السابق .

واجتمع اليهم صابحا عدد كبير من قرّان الهدو والدروز والمزاولة رقما يبيض الاماب على ظهورهم - روتر

محان في ١٨ ابريل - ألقى السر هربرت صموئيل امام سربردي الامير عبد الله الخطاب التالي على ألوف من رجال قبائل العرب وهو :-

١. ايمعني الحظ بأن قابلت في دار الحكومة بالتقدم صاحب السمو الامير عبد الله لما زار فلسطين هو والمستر تشرشل احد أعضاء الوزارة البريطانية والحكومة البريطانية تسريضة التعاون مع الامير عبد الله في البقاء (ماوراء نهر الاردن) وتثق بصداقته وحسن نيته كل الثقة وتقدير الصداقة وحسن الثقة التين امتعننا في هذه الحرب للضروس الطويلة حتى قد رحل وتدرك لظلمات التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقدير ما جاهدوا ورغب في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب توثق عمرا في أيام السلم

كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البقاء (ماوراء الاردن) منذ شهر أغسطس الماضي وسيظلون يعملون كمشائرين للامير وموظفيه من قبلي في انحاء البلاد المختلفة . وسيجدي سموه في المستر ابرامسون كبير المندوبين البريطانيين موطئا ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين به في طول هذه البقعة وعرضها رجال يعملون على الشجب ويعملون الى آداب اللغة العربية ويستمكنون من المساعدة على زيادة رقية البلاد . وسيفرخ بمصارى الجهد لتدبير كلما تحتاجون اليه من العروض وفتح اسواق فلسطين ولحاصلات بلادكم وتسهيل نقلها اليها . وسينظر بعين العناية في حاجة أهل البلاد التي نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدين أو الفلاحين أو قبائل العرب حبا في زيادة هوائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك يجهد ان تكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية . ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كفاءة وأشد حولا مما كانت الحال قبلا وتستخدم مع الجندومة في توطيد سلطة الامير عبد الله والحكومة المحلية ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبد الله فتقدم عند الضرورة طيارات وسواها من المونة الفنية لاغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب النكينة في المقاطعات وتمكن أيضا من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من يكره فهو الامن في الاراضي المجاورة غربا وشمالا

والحكومة البريطانية مصممة على ان لاتعبر البلقاء (ما وراء الاردن) مركزاً للمدء سواء كان لفلسطين او لسورية ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا للتصميم الى جيز العمل لتطبيع الاعتماد على معونة الامير عبد الله . ومن براعت الارتياح الشديد لحكومة جلالة الملك ان نجد نفسها متحالفة محالفة معينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء (ما وراء الاردن) ووجودي بينكم اليوم مثلاً لجلالة الملك لويد جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل منه في البلدان المجاورة او مما كان عليه في الازمان الغابرة

لها فاجاب الامير عبد الله بما يأتي : - اشكر سعادتك على خطابك الرفيق وأقول بالامانة نحن نقضي وبالنيابة عن الحاضرين انني واثق بأن الامة العربية ستبرهن على انها خليقة بتحقيق كل ما نطمح فيها من الآمال بمساعدة حليفتنا العظيمة : واني اطلب من الله ان يحفظ الملك جورج والملك حسين وبطليل سمادتهما . وقد قبل الخطابان بالحماسة ثم عرض المندوب السامي الحرس من الفرسان الهنود وقدم اليه مشايخ القبائل وشاهد الامير عبد الله والسرهربرت صموئيل في المسائل ضرورياً من فروسية الجركس واقتلاع الفرسان الهنود للواتاد - روتر

انكلترة والعراق

جاء في تلغراف خصوصي للمقطم من لندن في ٢٨ فبراير : ان الحكومة البريطانية ابلغت انه اذا عرضت رئاسة الحكومة في ولايات العراق الثلاث على الامير فيصل فانه يرتاح الى المساعدة والمشورة المنصورة عليهما بباب الانتخاب في عهد حمية الامم وليس ذلك فقط بل يرى نفسه انه لا يستطيع القيام بمهام هذا المنصب من غير معونة وهذه المعونة تكون عبارة عن خدمة عدد معين من الضباط العسكريين والضباط السياسيين وبعض الخبراء الفنيين للمعاونة في تنظيم قوات العسكرية المحلية وانشاء دوائر الحكومة الملكية وترقية الصناعات والاعمال

خلاصة من - لجنة المستقر مثل التي اقامها عن امور الشرق الادنى في مجلس النواب - ١٤٠٠
يونيو عند عزمه مغادرة الشرق الادنى عن عهدي النمام المؤرخ ١٧ و ٢٣ يونيو - ١٩٢١

قال الوزير : ان المؤتمر الذي عقده في القاهرة مع خبيرين من العراق وفلسطين

قرر وجوب التعميل في انقاص الجنود في العراق من ٢٣ أروطة الى ٢٣ على ان يصير الانقاص ١٢ أروطة في اكتوبر فوفروا بذلك نحو ٥ ملايين جنيه، وان ميزانية الجيش في العراق وفلسطين لهذا العام ٢٧ مليون جنيه واذا نجحت ندابر الحكومة فانها لا تتجاوز في السنة القادمة ١٠ ملايين .

وقال ان ميل الحكومة البريطانية الى حل مسائل الشرق بواسطة آل الشريف في العراق وشرق الاردن يجب ان يرقب تأثيره في سواهم . وتكلم عن ابن سمود وقومه ووصفهما لسامية ، ثم قال ان الحكومة البريطانية . قررت ان تواصل دفع الاعانة لابن سمود (وهي تبلغ ٨٠ الف جنيه) وان الملك حينئذ اعرب عن استعدادة لمفاوضة الامين ابن سمود .

ثم أعلن عزم الحكومة على انشاء دولة عربية في العراق يختار ملكها ، وقال ان الامير فيصل اذ لمكة الى بغداد فاذا وقع الاختيار عليه فانكلترة تؤيده وتقدازه وتسمى لتوفيق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين وتسهر على منع رجال الاحزاب الذين هاجروا الى شرقي الاردن من دخول سورية وقال الوزير : وليس في تعاوننا مع آل الشريف معارضة لمصالح فرنسية وانني على الامير عبد الله ثناء طيباً وقال انهم عهدوا اليه باعادة النظام وتمصل بمنع الاعتداء على الفرنسيين ثم قال : اننا لا نريد اكرام العراق على قبول ما لا يجتاره أحد ، وعسى العراقيون ان يحسنوا الاختيار بحرية وحكمة بارشاد السربيس كوكس — قال — وهناك سياستان في معاملة الجنس العربي احدهما ابقاء العرب منقسمين وانشاء ادارة من اعيانهم تعتمد على الفيرة والتنافر والثانية انشاء دولة عربية حول بغداد الخ . قال وهذه هي السياسة التي تصلح دون سواها وتكلم عن جعفر باشا العسكري في حرب طرابلس والدرديل وانه أنتم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج وقال ان نفقات الجيش العربي تسدد من ابرادات العراق قال : واذا نجح تدبيرنا فالدولة العربية وحاكها العربي تكون قائمة في بغداد قبل انقضاء السنة المالية

بلاغ المندوب السامي البريطاني في بغداد

من حريه دجلة عدد ١١ المؤرخ ٣٠ شوال سنة ١٣٢٩ (٦) ١٩٢١

لا شك في انه غير خاف على العموم انه في يوم ١٦ يونيو (الموافق ٩ شوال)

اتبع الى بغداد بيان خطاب انباء جناب المندوب السامي في مجلس الدوم البريطاني يوم ١٩ يوليو الموافق (٧ شوال) وقد شرح فيه وزير الدولة لسامية الحالة السياسية في بلدان الشرق الأدنى ثم اعطى بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بهذه البلدان . ان ما ورد في ذلك الخطاب بشأن العراق قد صار نشره في الحال باذن مني بصفة كوني المندوب السامي في المرائد الانكليزية والبرية في بغداد والبصرة وقد ظهر ان ما نشر قد آتى ببيان واضح عن سياسة الحكومة البريطانية . على انه بعد نشر ذلك البلاغ قد عرض علي تكراراً بأن الموم يرغب جداً بتصريح مني بصفة كوني المندوب السامي ورئيس الحكومة العراقية المؤقتة اشرح فيه النقط المهمة كما وردت في الخطاب المذكور فبناءً على ذلك رأيت ان من الواجب علي أن أقوم بذلك فأقول :

(١) بما يذكر انه بعد بداية الحرب العظمى قطعت اليهود مراراً لاهالي العراق وجلالة الملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أي مقاطعة من المقاطعات المحررة الى السطة التي كانت تابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تعهد المحافظة على هذه اليهود بحزم وثبات وتشترط ان تكون مقصورة في القيام بواجباتها بموجب هذه العهد فيما لو اتممت تقديم المساعدة للعراق في هذا الدور الاتحادي من حياته وانها تتركه باعمال كذا فريسة للاضطراب وهدم النظام . وفي ذات الوقت ان بريطانيا العظمى غير مستعدة للاستمرار على حمل السب المالي الثقيل والتبعة (السولية) السياسية بمراقبة الادارة (ادارة العراق) لحد الذي كان ضرورياً ريثما تعاد الامور الى احوال السلم

ان الحكومة البريطانية كانت دائماً ولا تزال ترى ان افضل طريقة للقيام بعهودها وواجباتها هي بمساعدة اهالي العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا فنشأ بذلك دولة عربية مصادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك فنسبها فترى ان افضل انواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وزير (حاكم) مقبول لدى اهالي البلاد . على ان حكومة جلالة الملك ترغب في ان تبين بوضوح كما سبق فينت تكراراً بأن ليس لها من قصد أو رغبة ما في اكراه الشعب على قبول وانزع ما يمن على الامر بالعكس فانهم انزعاب في وجود الحرية التامة في الاختيار وبداء الرأي

ويعلم ذلك ان الحكومة البريطانية بصفتها كونها الدولة التي تحملت صاري المائدة في العراق في أثناء السبع السنوات الاخيرة لا يمكن ان تقف وقف المديهم الاكثر امام هذه المبالغة فلها الثقة بأن الشعب العراقي سيستعمل الحكمة والحريّة كما في اختياره لاوراق وهنا أود أن أشير بإيجاز الى قدوم صاحب السمو الامير فيصل الى العراق فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك في هذا الصدد هو كما يأتي :

ان عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت الاواء العربي في صف الخلفاء أثناء الحرب التي لعبت دوراً ذا شأن في ربحها . وان القضية التي من أجلها دخلت في صروف المحاربين كانت قضية حرية العرب يعني عين القضية التي قد تعهدت بريطانيا الدخلى بمطاعنها ونجاحها في العراق . فبناء على ذلك عند ما سأل أنصار عائلة الشريف في العراق عن موقف الحكومة البريطانية إزاء دعوهم للامير فيصل يأتي العراقي أنجيبوا على ذلك بأن حكومة جلالة الملك لن تضع عشرة في سبيل ترشيح سمو الامير لعرش العراق واذا وقع عليه انتخاب الشعب سيلقى تأييد بريطانيا له ، فبناء على ذلك بينما وزير الدولة (المستر تشرشل) يردد رغبته في ان يستعمل أهالي العراق الحريّة في الاختيار يرى ان ليس هناك من سبب الامتناع من ان يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر ان الامير فيصل هو مرشح موافق لابل حقاً أو فاق مرشح في الميدان وترجو ان يذال معاضدة أكثرية الشعب العراقي .

واذا تم انتخاب الامير فيصل تعقد حكومة جلالة الملك انه يكون قد توصل بذلك الى حل ينطوي على أكبر الآمال في مستقبل سعيد مقبل البلاد .

ان حكومة جلالة الملك تعلم أن قد بحث في حلول أخرى ممكنة منها (أولاً) تأسيس جمهورية و (ثانياً) عرض أمير تركي . أما في ما يخص الاول فن رأي حكومة جلالة الملك ان درجة العراق من الرقي غير موافقة قطعيًا لتأسيس جمهورية . وأما فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لانفصاح المجال له .

ومن الملاحظ ان العبارات التي أوردت أهلها تفسر بوضوح سياسة حكومة جلالة الملك وهي سياسة قد استحسنها بالاجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية حسب ما بينت في خطاب المستر ونستون تشرشل والتي أوافق عليها كل الموافقة

باب الرسالة والمناظرة

فناء النار والرد على ابن القيم

٢

قسمنا الموضوع في الكلام على فنائها ثلاثة أقسام الأولى في الآثار التي استشهد بها السلامة ابن القيم على فنائها الثاني على الآيات الثلاثة الثالث على مقتضى الصفات وبجمال العقل فيها أما الأول فقد تكلمنا عليه في النبهة الأولى وبيننا أن الآثار لا تصح عن عمر ولا عن روى عنه من الصحابة (رض) وقلاً حتى لو صح لما كان حجة في هذه المسألة الكبرى الاحتجادية. وأما الكلام على الآيات الثلاث فداره على تحقيق معنى الخلود المستثنى منه أولاً والمثبتة ثانياً والمقصود من الاستثناء التأويل هذه الآيات من الحكم أو من التشابه أما الخلود المذكور في هذه الآية (آية الانعام) وآية هود وجميع آيات القرآن فهو لا يعرف إلا من كتب الأمة وقد رأينا لسان الرب الذي هو أكبر قاموس وأعظم معجم عربي يقول: (الحاد) دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلد يخلد خلدًا وخلوداً بقي واقيم ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها اهـ. وما يدل على أنهم يستعملون الحاد مجازاً فيما لا يبقى أطول مدته قول صاحب المصنف: والخلد من الرجال الذي اسن ولم يشب كأنه مخلد لذلك وخلد يخلد خلدًا وخلوداً أبداً عنه الشيب كأنما خلق ليخلد قال والحوالد الآثافي في مواضعها والحوالد الحجارة والجبال والصخور أطول بقائها بعد دروس الاطلال اهـ. فانظر الى قوله فيسبب أبداً عنه الشيب (كأنما خلق ليخلد) وقوله (أطول بقائها) للآثافي والحجارة والجبال قائم شبهوها بما يبقى ولا يزول وتصوروا فيها أطول البقاء ما يصح أن يطلق عليه لفظ الخلود الذي لم يوضع إلا للدوام البقاء كما ذكر معناه الأول أول المادة ومنه تعلم أن الفناء مناقض له كل المناقض لانه قلمع البقاء الذي أخبر الله به وهذا ووحيه في سبحانه آية من كتابه في الجنة والنار ففرق قوله بين الاخبار بدون دليل يصار اليه ويفهم حجة على خصمهم تقول لم يأتهم هذا كما في كل من الجنة والنار قال الله وخالفين فيها أبداً « وخالفين فيها دون أبداء فبأي شيء فرقتم بين الخلودين والابدين فلا تجد إلا

نديلات واهية وكلاما طويلا ضرره اكثر من نفعه بأنهم لم يجدوا غير الخلاف صناعة ولا سوى الكلام بضاعة حتى اضطر ان يجزيهم من لم يكن منهم ابن قيم الجوزية وحسبنا الله ونعم الوكيل

واما الابد قال في اللسان في مادة ابد: والابد الدائم والتأييد التخليد وأبد بالمكان يأبد بالكسر أبودا أقام به ولم يبرحه اهـ . فعلى هذا لا يستدل بما اصطلاح عليه الناس (كالمصريين) في التأيد اذ جعلوا له مدة محدودة ولم ينزل القرآن بلغتهم ولا عبرة باصطلاح ولا حرف بخالف اصل اللفظة التي نزل بها كلام الحكيم الخبير: فاستمع لقوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم (وما جئنا لبشر من قبلك الخلد أئمن مت فهم الخلدون . كل نفس ذائقة الموت) فانظر كيف قابل الخلد بالموت الذي هو القناء وتأمل معناه تجمده كما قال صاحب اللسان انه دوام البقاء فكانه يقول لرسوله وما جئنا لبشر من قبلك دوام البقاء أئمن مت فهم الباقون . كل نفس ذائقة الموت الخ وهذه الجملة الثانية مؤكدة بمعنى ما قبلها فنفر الله لنا ولم وعدانا وإياهم سواء السبيل واذا قدر عرفنا^(١) معنى الخلود الوارد في الآية وانه هو الذي به علمنا دوام بقا المؤمنين في الجنة كما علمنا به دوام الكافرين في النار وانه هو الاول في الالفاظ الدالة على معنى البقاء والابد بنده في الترتيب ولا يبرق في اللفظة لفظ أدل على البقاء منها في المخلوقات على ما أعلن وأما ما ذكر في الاساس من مثل قولهم : رزقك الله عمر اطول الابد سيد الاماد: فهو مبني على التوسع وتصوير ما لا يكون في حيز الكائن على حد قول الشاعر: وتخافك النطف التي لم تخلق^(٢) ومثل هذا كثير في قولهم^(٣) ولكننا نائلهم في أصل وضم الخلود والابد وقد عرفت معانيهما عن اللسان فيما تقدم (٤) على ان الله تعالى اخبر بكل لفظ مفيد

(١) المنار : ليس في بقية الكلام جواب لقوله واذا قد عرفنا

(٢) المصراع من بيت للمتنبي وهو

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

واستناد الخرف الى النطف فيه من الجواز العقلي (٣) جعل عبارة الاساس من الجواز وهي فيه من الحقيقة ومزية الاساس على سائر كتب اللغة التفرقة بين الحقيقة والجواز

(٤) المنار : ما نقله عن اللسان في تفسيرها لا يدل على معنى البقاء الذي

الدوام والبقاء عن كائن الدارين بكل الفرقين فقال لهم فيها دار الخلد وقل هذاب مقبم
اذا عرفنا ما تقدم أمكننا أن نظرفى الاستثناء المذكور فى آفة الانعام جاعلين
نصب أعيننا ماورد فى آيات الله تعالى من وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين
وكذلك الاحاديث الصحيحة المصرفة بخروج عصاة المؤمنين من النار. أما الآيات
المصرفة بدخول الكافرين النار فهي كثيرة وعلى كثرتها محكمة لا تفسخ فيها ولا
منسوخ ولا مقشاه (١) ولا يصح أن نؤول كل هذه الآيات ونركب كل صعب
وذلول حتى نجعلها كلها من باب الرعد الذي ليس وراءه شيء لتقامها فى سلك آفة
وجد فيها ذوق الشبه ما يوافق أهوائهم ويشيطون به هم غيرهم ويشغلون به الافهام
وكم منى الاسلام بهم ونفذت فينا سهامهم حتى اختلفنا فى كتابنا كما اختلفوا فى
كتابهم وكان ذلك قدرا مقدورا قل تعالى (ويوم يحشرهم جميعا بامعشر الجن قد
استكبرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا امنع بعضنا بعضا يعض وبلغنا
اجلا الذي أجلت لافاق النار ثم اكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ركب حكيم عليم)
فالمعنى خالدين فيها يا أهل النار (٢) (وهم من مر ذكرهم) الا ما شاء الله من هذا
الخلود (٣) أن يخرجهم من داره (٤) لانه حكيم لا يتخذ الا الكافر الذي اخبر عنه فى
كثير من آياته . عليهم عن يخرج من أهل الايمان الموحدين . فالآفة قد جمعت
وهذا ووعيدا وكثيرا ما يذكر الله فى آياته أحدهما بعد الآخر على حد قوله تعالى
(والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
حتى يلبس الجبل فى سم الخيماط وكذلك نجزي المجرمين * والذين آمنوا وعملوا
الصالحات الخ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ا) وكقوله تعالى (فخلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من

== لانه لانه فان المقيم فى دار لا يخرج منها كالمالك لداره ليس يباق هذا البقاء
لا هو ولا داره بل كانوا يبقون هذا على من شأنه المكث وعدم التحول كما
يتحول البدوي والذي يقيم فى دور المستأجرة . واتخاذ البقاء الذي لانه لانه
اصطلاح شرعي لا لغوي فلهذا يكون هذا المعنى ممرورا عند عرب الجاهلية
(١) لا معنى لتلفي النسخ لانه حاس بالاحكام

قائبا وآمن وعمل صالحاً فأدركك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) فما يخبر سبحانه
 بوعده وانذار ألا ويمتبه بوعده وبشارة (اليعزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي
 الذين أحسنوا بالمعنى) فلما أنذر قوماً في هذه الآية بالخلود في النار على
 استناعت بعضهم ببعض وموالاته بعضهم بعضاً وكان بعض المؤمنين الذين آمنوا
 ببعض القنوب ولحقهم من الوصف شيء يحزنهم ذلك حتى يؤدبهم الى اليأس
 لاجرم استغنى الله تبشيراً لهم وإخباراً بحكمته وعلمه وهده في آية واحدة ولا يبعد
 هذا بهم فقد ورد أن بعض الصحابة لما سمع قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا
 ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قالوا وأينما لم يظلم نفسه؟ قال صلى الله
 عليه وسلم ذلك الشرك وقرأ (أن الشرك لظلم عظيم) فلولا أن فسرهما لهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالآية الاخرى لبشروا وقنطوا ومثل ذلك ما جرى عند نزول
 قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الخ ثم أنزل الله لهم
 (لا يكلف الله قسراً الا وسهوا) الخ

إذا قررو هذا وعلم أن الانذار في آية الانعام بالخلود شديد وأن السكوت عليه
 قصود لو كان في كلام الناس لعد ممياً فكيف بأبلغ الكلام الذي أنزل رحمة
 للعالمين. فهل بعد هذا يستكثر ذو فهم وتأمل في كلام الله أن يجمع بين وعد ووعيد
 ونذارة وبشارة في آية واحدة، على أن النذارة بالخلود لمن يستحقونه كما أشار بذلك
 الحكيم للحكام الذين يفتنون وإن البشارة لمن يستحقون (٢) ممن عرفنا خبرهم في
 القرآن والاحاديث والله أعلم بهم وبما أقرقروا وجزاء ما كانوا يقرقرون : هذا ما
 أنه في الآية مع استحضاري الآيات الاخرى والاحاديث ولم يشف غلبي ما رأيته
 من وقف المتوقف وتأويل المتأول، وهذا هو وجه الاستنباط لاما قالوا من انه يأتي على
 ما في القرآن حاشى أنه أن يكون خبر واحد يهدم بنا أخباراً أدمت على العلم والحكمة
 حتى لو كان مجرداً عما أشرنا اليه من وجوه البلاغة والاعجاز ولأن تؤوله ليوافقها
 لكن أسهل من أن تؤولها كلها

ومن البراءة قد حضر هندي أخ في الله من أهل العلم ونحوارنا في الموضوع
 فكان هرثانياً وأنا بقائنا فما زال يؤول كل آية جئت بها دالة على البقاء بمحقق

وبراعة « على طريقة الازهرين » حتى جئت له بآية الاعراف (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتي يبلج الجمل في سم الخياط) الآية فوجهم قفلت ماذا؟ أجب فقال انظر ، ثم بعد هنيهة قلبه بآية ما قال : نعم هو كما قل الله تعالى مادامت النار لا يدخلون الجنة ولكنها ستقى . قفلت ثم ما ذا بعد ما تقى أيدخلون الجنة وتزول الاستحالة بفناء النساء ؟ فضحك من تأويله فلينظر الناصح لنفسه البصير بكلام ربّه وليجعل الرحمة في عملها كما اخذ الله بها عن نفسه وينظر الى المشقة بين الحكمة ولا ينظر الى صفة دون صفة بين عشواء . واذا قد ألمنا الى ذكر شيء من وجوه الاستثناء فلننكلم هل المشقة المستثناة وإن كانت هي أحق بالكلام قبل الاستثناء لذكرها أول الفصل ثمانية

اخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة أن مشيئة موافقة لحكمته وانه لا يشاء عبثا ولا ظالما قال تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا اليا)^(١) فهذه الآية نعل

(١) فسر بعضهم الرحمة هنا بالجنة وبعضهم بالتوفيق لما تستحق به والمعنى أنه يدخل المؤمنين المتقين في جنته وأعد للظالمين لا تقسمهم بالكفر وكبائر المعاصي عذابا اليما اذا ماتوا على ذلك الظلم ولم يتوبوا منه . وليس فيها ما ذكر من معنى الحصر في ان رحمته لا يدخل فيها الا الذين لم يتصفوا بالظلم المقابل للمدل - وانما معناها أن ما أعد للظالمين من حيث هم ظالمون هو العذاب الاليم ان ماتوا على ظلمهم ولم ينلهم العفو وما كل ما أعد لقوم ينالهم كلهم والعوید باعداد العذاب دون الوعيد بوقوعه كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقد روي تخصيص تعدي الحدود هنا بمخالفة أحكام الموارث المذكورة قبله وأهل السنة يجمعون على جواز العفو عن المعاصي بذلك وبغيره والظالم بغير الشرك بالله وهم يؤلون هذه الآية المجازمة بخلود المعاصي في النار والعذاب المهين كما يؤل القائلون بانهاء عذاب الكفار الآيات الواردة فيهم . وغرضنا هنا بيان أن الحصر الذي قاله الكتاب انه لا مجال للاشك فيه غير صحيح وقد ذكر الله تعالى أن من أوتى منهم الكتاب من المصنفين من عباده من هو ظالم لنفسه ظالما كالفسق والاحرام يطلق في القرآن على الكفر تارة وعلى المعاصي أخرى . وآية الفتح التي جعلها الكتاب مثل هذه الآية وردت في تليد

دلالة صريحة لأجل ما أشك فيها على أنه لا يدخل في رحمة إلا غير الظالمين وإنما الذي عرفنا أنه لا يشاء إلاهم قوله والظالمين أعد لهم عذابا بالافلاس قد بان ظالم وعادل والدار داران الجنة ونار فلما ذكر الظالمين وما أعد لهم عرفنا أن القسم الذي شاء ادخاله في رحمة ضدهم وهم المؤمنون أو المقسطون أو كما سمعهم أفلا يصح أن نغزل المشيئة المذكورة في آية الإنعام وهو على هذا التقسيم الظاهر وأن الله لا يشاء فناء النار الذي يهدم كل زجر روعيد في القرآن ويطعم كل ذي كفر وهتان وجبار عنيد وشيطان ومثل هذه الآية قوله تعالى (لدخل الله في رحمة من يشاء) فهل بظن عاقل أن معنى هذا يدخل الله كافرا الجنة أو مؤمنا بنار (٤) أم أنه لا يفضل إلا ما اقتضت حكمته التامة ، وأن مشيئته في هذه الآية وفي أمثالها مقيدة بمثل آية (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) وغيرها مما سنذكره قال تعالى (ومن بين الله فإله من مكرم أن الله يفعل ما يشاء) فالنظر إلى قوله تعالى عقب الآية أفليس قوله هنا (أن الله يفعل ما يشاء) كقوله عقب آية هود (إن ربك فعال لما يريد) التي كاد يشبهها علينا ابن القيم رحمه الله بقوله « ولم نعلم ما يريد بهم » أي الذين شقوا قال وأما الذين سعدوا فقال فيهم « عطاء غير مجذوذ » فإله ألا فتأملوا أيها المنصفون فها هو قد أخطأ ابن القيم أن كان يستند أن قوله تعالى (إن ربك فعال لما يريد) فيها المانع أو إشارة إلى فناء النار ومن يفهم هذا الفهم أو يجوزه بعد أن سمع ما أوردناه وما سنورده قال تعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) ماذا يقول الفتاوى في هذه الآية أيضا يقولون لا ندري ما ذا يريد الله بأهل الجنة كما قالوا في آية هود والافا الفرق بين الحبرين فليخبرونا ولهم الثواب (١) فقد علم كل من له أدنى تأمل في القرآن أن فكيف أيدي المؤمنين من القتال يوم فتح مكة وفسرت الرحمة فيها بالإسلام.

(١) أن الفرق عديم جلي وإن كان لا يدل على فناء النار — وابن القيم لا يقول به — وهو أن الحبر الأول جاء عقب الخبر بادخال المؤمنين الصالحين الجنة بغير استثناء والثاني جاء في كون الذين شقوا في جهنم خالدين فيها إلا ما شاء الرب تعالى وهذا الاستثناء مبهم فقالوا لا نعلم ما يريد به وبهم ، ومنهم من كان لهم في القرآن أعلى التأمل لأدناه وإن جاز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم

ارادة الله تعالى ومشيئته قد علمت في أهل الجنة وأهل النار وأن كلا قد قسمي عليه بالخلود في داره التي خلق لها وصي لها سميا وظهرت تلك المشبة في الفريقين بأجل مظاهرها . فترى أهل النار لا يندون ، صم بكم عني فهم لا يفتقون ، وأهل الجنة موقنون مهديون (ونعت كلمة ربك لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال تعالى (يشهد الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء) ألم يبين الله لنا مشيئته هنا أيضا بالمؤمنين والظالمين ؟ ألم يكن ختامها هنا كختمها في سورة هود ؟ هل يفهم منها هذا إلا كما يفهم من تلك ؟ وأن المعنى لا اعتراض على فعل الله لأنه هو الحكمة التامة والدل الأعلى وأنه لا مكره له ولا راد لما قضاه أم يقال ما قرره المؤمنون الذين نظروا لآية واحدة وتركوا سائر الآيات فقالوا : أما الذين سطوا فأخبرنا الله أن عطاهم غير مجدوذ وأما الذين شقوا ظم يبين لنا ماذا يريد بهم . والحق انه بين وبين كما سمعت وعلمت :

وأما الكلام في آية التبا فلا دليل فيها لهم وآخرها يرد عليهم اذ يقول الله تعالى (فذوقوا فإن تزيدكم الا عذابا) ولن تغنيك الاستقبال حتى احتج بها الزمخشري على نفي الرؤية (رؤية الله في الجنة) في قوله تعالى اوصى (لن تراني) وقرئ بين الخبرين فان هذا نفي الرؤية في الدنيا وأما الثاني فنفي في الآخرة وقوله تعالى آخر السورة (ويقول الكافر بالشيء كنت ترابا) دليل على ان الكافر كلن يود لو كان ترابا ولا يذب خالدا . ولا يقال تمنيه ذلك كاف لرؤيته العذاب فحسب دون الخلود لانه لو كان يعلم ان النار تنق من الآن كما يقولون لظل على أمه ورجائه في رحمة الله (١) كما فهم ابن القيم من حديث لوي يعلم الكافر بسمه رحمة الله ما يس ولو يعلم المؤمن بأليم عذاب الله أو نحو ذلك لتند وقوله تعالى (لا بين فيها أحقاب) لا يدل على انقطاعها كما قدما فانما المقصود انه يول وان الاحقاب قد تأتي متتابعة ولا تتناهى . أرأيت لو كنت هنا في الدنيا خالدا لمن أمركت تقول مضت علينا أحقاب ونند الزمن وهو باق كما يمكن أن نند شيئا لا ينحصر بالوقت والملايين ونحو نسل من (١) يرد على الكتاب ما نفيه هو عن عمر من تمنيه لو كان شجرة تمنند

الغائب كالديشليون وكما فرغت الفصول أعدناها من الاول عدا ولم يفرغ المدعو
فن يستنكر ذلك؛ وهل هذا الا من بلغ قوله تعالى في أهل النار (خالدين فيه
ما دامت السموات والارض) والفرض الخلود الذي لانهاية له لان المخاطبين يجهلون
به الارض والسموات والمجهول اوله وآخره كالذي لا أول له ولا نهاية فذلك والله
أعلم صور لنا الخلود لنعلم عظمه بالنسبة لبقائه الدنيا وعمرنا القصير فيها فأما المؤمن
فيفرح بتسميه الخالد في الجنة وأما المنافق فيحزن حزنا شديدا وتنهض عليه حياته
أخافنم هذا الوحيد الشديد. فالاول نملو منه ويتحجم الشدائد بقلب ماثره العبر
والامل والسرور. وذلك يجاهد ليدب عنه هذه الزواجر ويفر منها فرار الحر
الاستغفرة وهي في أثره حتى ينقلب في حوة العذاب السحيق وبئس المعبر

وبعد فلما أن تكون هذه الآيات متشابهة أو محكمة. فإن كانت متشابهة فقد
كف عن التثاثير أن يقولوا آمنا علقه تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا
به كل من عند ربنا) وما كان لهم أن يكثروا الكلام ويطبقوا الخصام ويقفوا
على علم من صفات الله واسماؤه ويتكلموا في حكمته ومشيئته بملهم القاصر^(١)
وأن الله أسماء وصفات لا يعلمها إلا أحد كما ورد في حديث (وأسألك بكل اسم
هو لك سنيته به نفسك أو أنزلك في كتابك أو علمت أحدا من خلقك أو استأثرت
به في علم الغيب عندك الخ. وحديث الشافعية اذ يعلم الله تعالى رسوله محمد يحمد
بها. ولا ريب أن المحمد تكون على أسماء تنضبطها وتستحقها والله اعلم أفاكان الاولى
بهم أن يسكتوا بعد أن يقولوا آمنا به الخ. وإن كانت محكمة فالامر ظاهر ولا داعي
للخلاف والجدال والقول على الله بلا علم ولنا اسوة بالصحابه الذين كانوا يسألون عما بينهم
فيقولون يا رسول الله ما أفضل الاعمال. وداني على عمل اذا علمت دخلت الجنة الى غير ذلك
ولعل في هذا الآن كفاية وله بقية

عبد الظاهر محمد

(١) يرد على هذا أن ابن القيم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى ان ربك
حكيم عليم) وجمله نهاية الاقدام في السير في هذا المقام وهو ذو العلم الواسع
يكتب الله سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

بقي الملكة من بيضاء ومن يوت الملكة
مجدد أبي خيرا كثيرا وما يذكرك
الاولى ١٢٣١

المسح

١٣١٥

فيشر مبادي الدين يستمعون القول
فيقيمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآلايين

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام حوى « وعتارا » كنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ - ١٩ السبلة (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

القياس في العربية

« للاستناد الدلالة الشيخ محمد الحنفى »

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان ، وأزول كتابه الحكم في أساليبها الجبان ، والصلاة والسلام على من بهر البلفاء بلهجته الباردة ، وعلى آله وصحبه السامعين على منوال حكته الرائعة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لعلم العربية امر على أحكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع وبأذن الآخر في القياس عليها دون ان يذكروا الأساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى التمسك بمثل هذه الأقوال من التقليد الذي لا ترناح اليه النفس ولا سيما حين اذكر ان كثيراً من أصحاب هذه الأقوال قد تلقوا العربية من كتب يمكننا الاستقاء منها ، فأخذت ألفت نظري الى الأصول العالية التي راعونها في أحكام السماع والقياس حتى نظرت بقواعد وقفت على تقارب بعضها في صريح كلامهم وابتزعت شذورا أخرى من موارد أحكام جزئية قصصت آثارها في ابواب شتى ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالعة بعض الكتب العربية كفتي اللبيب بمحضر طائفة من أذكياء الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس على تلك الأصول التي لم تدخل بدني سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا الجلد منهم جميعاً وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالعة فطاولتهم على ما افترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتحرر موافقه وأحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام عربياً فصيحاً الا اذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ، أما صحة مفرداته في النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير ان تغير بتقص أو زيادة أو ابدال او قلب في هيئة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما استقامة تأليفها فبانطباقها على أسلوب نسجت عليه العرب في مخاطبتها . ولا تتحقق هذه المطابقة الا برعاية أحكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال والحذف والذكر

وهل تتوقف على إطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضعها الخالص ونظمها

الوارد بحيث لا نستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نطق بها العرب ؛ أو أبقى واضح اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الحكم بأشياءها في حياة مبانيها اولسق تركيبها ونسوي بينهما في الاحكام اذا أعوزنا السماع ؛ هذا موضع تشعبت فيه انظار الباحثين في العربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من مأخذ اللغة غلا بعضهم في التعلق به واتسم في مجاله الى ما يخرج بالكلام عن صبغته العربية ، وضيق آخرون الناية الى الحد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكم وتصرقاتها . وقد انتبه المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يقي على اللغة شمارها وينسط في لفظها بمقدار ما يتسوغه ذوق آكل الشبح والقيصوم ولا تعجب طالما مفردا او أهل بلد اطرودوا في هذه الجادة ولم يحيدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال . بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة ويحرره غلظه تارة أخرى ، وذلك شأن العلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات المقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليعبر بها الإنسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في سميده من المماني ، ومن البين جليا ان المماني تبلغ في الكثرة الى ان تسبق عما دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع نسوي اثم وضع لبعض المماني الفاظا عينها كالسماء والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ الكم في قوالها فتدخل في زسرة ما هو عربي فصيح ولولا هذه المقاييس لكانت اللغة اضيق على المتكلم بها من مفحص قننة ليقم في تقيصة المي والنهاية ، ويكثر من الاشارات التي تخرج به عن حسن السمات والرسالة ، ويرتكب التشابه محاولا بها تقرب المرام من فهم المخاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظ يختص به كأن نخرج الى ان منشاء اللغة هو مبدع الخليفة لكان المرجح الذي تقع فيه اللغة ان تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها ، وتمجر النفوس السبعة عن حفظ ما هي كفايتها . فالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من النطق

بآلاف من الكلم والبراء . دون ان يقرن اسمه أو محتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان الالفاظ المرادفة تنفي عن القياس في الكلم المفردة لو صرفها الواضع الى المعاني التي لم يعين لها اسماء . فنقول ان المترادفات مجالا فسيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة ، فلا يصح ان تكون العربية عارية منها . ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والادوات المشتقة وجموع التكسير فعلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نشأت من لغات متعددة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح ، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل ، ودخلت الفاء خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط

ويضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فيراد منه أحد معاني التورية (أحدها) ان نعود الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالحرف تمديه الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف وتجمعه من مدلولاته كاللبنة قدده فيما بدأوله اسم المخرج حيث كان يخمر العقل ويسره ، وهذا النوع من القياس هو الذي يعتبه المحققون من الأصوليين بقولهم لا تثبت اللغة بالقياس (ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغة التصغير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والتكررة المقصودة في النداء

(ثالثها) إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخيم المركب المزجي قياسا على الاسماء المنتهية ببناء التأنيث ، وازاد ابن مالك حذف الضمة المحرور في السلة اذا تميز حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية ، والمتميزان الاخيران هما موقع النظر ومجال البحث في هذه المقالات وأشرت للفرق بينهما التمييز عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

وللحكم أحوال في نفسها ، وأحوال من جهة ما يفتقر إليها ، فيتوجه النظر في القياس الى الاحوال المارضة لها من حيث مبادئها الثمودة كاشتقاقها وورودها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض ، وترجع احوال النظم الى الاتصال والانعزال والتقديم والتأخير والحذف والذكر والعمل والاعراب والبناء والاستعمال . فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلى والقياس التثلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلى

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لثلاث شتى ، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يميزا مثل اختلافها في بعض أحوال الحكم من حركة وسكون أو عراب وبناء أو اعمال واحمال أو ترتيب حروفها أو ابدال بعضها من بعض أو زيادة والحذف

تفاوت هذه اللغات بالمجودة وفصاحة التهجئة ، وجميعها مما يصح القياس عليه ، قال ابن جني في المعاني : اللغات على اختلافها كلها حجة واللسان على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير غملى . وقال أبو حيان في شرح القاموس : كل ما كان لغة لتبيلة صح القياس عليه وقال البديوي في شرح القاموس المشهور في كلام العرب ماء ملع ولكن قول العامة ملع لا يند خطا وانما هو لغة قليلة . ومن اعتمد على هذا الاصل كان الصحيح عندهم جواز القياس في تقديم عامل كم المتبرية عليها لانه لغة حكاهما الاخضر عن بعض العرب

ويستند في تقرير الاحكام المنطوية على أقوال الجاهلية كإسرى القيس زهير ، والخضر من كسان وليد ، والاسلاميين كالنزدق وجبرودي الرمة . أما المحدوثون ويدخل في زميرهم يشارق برد وأبو راسم وأبو تمام فلا يبول في الاستشهاد على اوضاع الحكم واحوالها التركيبية على شيء من مشتاتهم أو نظوماتهم ، ولهذا رأى النحوي يسميهم - وهن الخشعة والتلحقين حيث رفقوا بما يخالف القواعد المسجلة ، وإذا كان الحكم الذي لم يتطابق خبرتهم من مواقع الخلاف أقام لهم المنذر بأنهم قد يبرر كلامهم على المنهج المنطقية

ثم اذا عثر على مثل صنيعهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسمه الا ان يقضي فيه بالشذوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل
وقال الزعشمري في كشفه بعد ان استشهد بشعر لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشهاب بسامع المقلد فقال في شرح الدرر « اجمل ما يقوله المنهجي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة العربية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتاج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخرجها على محل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : —

واذا نزع عن الفوايه فليكر ش داك الترع لا للناس
والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو النزوع
وهذا أبو تمام يقول : —

لمدته في دمتين تقادما محموتين لزينب وسعاد
والصواب تقادمتا

وهذا المنهجي يقول : —

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق

ومن لا يمتد في تقرير احكام اللفظي على استعمال المحدثين يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلم الى استعمال أحد أهل العلم غير شديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « الانموذج لمن » بأن الزعشمري سمى كتابه بالانموذج ، والنووي عبر به في المنهاج عند قوله « انموذج المتماثل » وهو رد غير مبني على أصول العربية اذ لا حاجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزعشمري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكمن امام في العربية ينطق أو يؤلف بمباراة تخالف مذهب الصريح ، أفلم يشترط لابن هشام في كتاب المعني لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهأنا بائع » وبقم صاحب القاموس في هذه المدة بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

ماشرطه ابن هشام من الاخبار عنه باسم اشارة ولم يقم على ماشرط فقال في خطبة كتاب القاموس « وها أنا أقول »

ويؤكد لك عدم صحة الاحتجاج بما يستعمله علماء العربية ان صاحب القاموس صرح بأن كلمة بعض لا تدخلها اللام وهو يعلم كما نقل عقب هذا الحكم ان سيويه والاخفش قد استعملها في كتابيهما

ونحتج بالكتاب الحكيم ونسل بالقياس على ظواهره ما طابقت مقتضى البلاغة ، ولا تتبع سيل الدين يحددون به الى جانب التأويل انتشاراً لما سبق الى غلبتهم وتقرر في مذاهبيهم من أحكام فقهية أو عربية ، قال الفخر الرازي في تفسيره : اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى . وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن فاذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التمتع منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته فلا نرى يجهلوا ورود القرآن دليلاً على صحته كان أولى ، وقال ابن حزم في كتاب الفصل : ولا عجب أعجب بمن ان وجد لامرى القيس أو زهير أو الجرب أو الحطيئة أو الطرماح أو لاعرابي اسدى أو سدي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يدرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في احالته عما أوقفه الله عليه

ومن أمثلة ما اشار اليه ابن حزم انه ورد الفصل بين المصدر المضاف وقاعله المضاف اليه بالمفعول به في قوله تعالى (قتل أولادهم شركائهم) كما قرأ ابن عامر بنصب أولادهم وخفض شركائهم فقصى عليها الزعشري بالخطأ وقال الذي حمل ابن عامر على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ، وذهب السكاكي في مفتاحه الى تلقي القراءة بالتسليم وفاقاً لمن يقول ان الترات السبب متواترة ولكنه تأول الآية على تقدير مضاف اليه يتصل بقوله « قتل » ومضاف عند قوله « شركائهم » والمقدر في الموضعين من نوع المنطوق به فيكون سبب الآية بعد التصريح بالمقدر « قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم » ثم قال وهذا وان كان فيه نوع من البعد فتخطئة النقات والفسحاء ابعد

والذي نعتده في مثل هذا ان تتلقى القراءة المتواترة بالقبول ولا نحمل

الآية مالا تطبيقه بلاغتها من اعباء هذه التقادير وتسميها كما صنع السكاكي بل نبقيا على ظاهرهما ولا نعلم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولا سيما بعد ان اورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة

ولا اخال أحدا يمول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفصل فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد معمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملامة الطبع بل مداره على ما يجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فأنجده واردا في الكلام الفصيح فلم انه لا يكدر من مشرب الفصاحة العربية ولا ينظم من سور البلاغة فتيلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلام لا يرجع فيه الى الذوق وانه مائد الى ما يسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيرا، ففي اللسان الالماني مثلا يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بمحمل كثيرة، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضمون القطعة الاولى في صدر الكلام ويلقون الاخرى في نهايته فيشتق ان يكون بين القطعتين كلمات فوق المثرة، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بمحمل متعددة، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه. فلأخرج على اللغة ان تيسح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولا سيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه بعبدة كالمفعول به.

وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتندا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنعمل بموجبها الى أن يثبت انه نقل بالمعنى، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في آيات متعددة فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا فاجاز الثراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب، ومنه الاكثر يدعى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفعت اليه الضرورة، فاستدل ابن مالك على جوازه في حال العلة بما روى الالبام البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام « من يمل ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه منه في الاحتجاج بالقرآن واذا

وجد - يعني الباحث في العربية - لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به مثل ذلك - يعني الصرف عن وجهه والتحريف عن موضعه - والله لقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه عككة اعلم سمه قومه واقصحه فيها فكيف بعد ان اختصه الله للتأخرة واستباه للوسامة بينه وبين خلقه ؟ اه وكلام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجمهور اذ لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحته وانما لم يأخذوا به في العربية لما عرفت من احتمال روايته بالمعنى

والحق ان الاحاديث التي تمددت أساسيدها ولم يختلف لفظها يبعد فيها احتمال الرواية بالمعنى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على الشاذ

الحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يمارسه قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتفون في المراده بالشاهد الواحد ولا يشترطون له السماع القاسي ، ومن هذا قولهم شئني في النسب الى شئوة فقد اكنى بها سيبويه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فعولة على الاطلاق فظي ، ولم تقع اليهم من شواهد غير هذه الكلمة المتردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا يفتي فيه المثال النادر قطعا ، وقد حاد الاخفش عن قصد هذا السبيل حين سمع قولهم . هداوي في جمع هدية فجعله مقبضا في كل ما كان لامة ياء ، والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة الفاذة عن السماع والقياس اذ المسروع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء بجائها فيقال هدايا وهطايا ومزايا وبلايا وسرايا ودنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع معارضا له كما ورد تصغير فعل التعجب في قولهم : ما اميلحه وما احينه - فقولنا وازد على خلافه القياس اذ التصغير من مفضل الاسماء ولم تقرب فيه الافعال بهم ، وصيغة التعجب من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب لم يدلو على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه الصيغة أغني اميلحه واحبسه خالصة للمسوح

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر سمي سمي صريحا في موضعه (المناج : ٨ : م ٢٢) (٧٧) (المجلد الثاني والمختصر)

« عسى النور ابترضا » وقوله « انى عسيت صالحا »
وهذا مطابق لقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، وغايب السماع اذ
المعروف في خبر عسى بحيث مضارعا مقرونا بان أو مجردا منها
وهذان القسمان أحق مناهات القياس فقط أو السماع دون القياس مما جعل
الخلافا بين علماء المزية فالكوفيون يمتدنون بما ورد من ذلك على سبيل الندرة
ويسلمون بالقياس عليه . قال صاحب الافصح : عادة الكوفيون اذا سمعوا
لقطا في شعر أو نادر كلام جملة بابا أو فصلا والبصريون يمتنعون من القياس
على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله محابيه خلاف ما يظهر منه ويردونه الى
الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة كابن مالك لا يكلف
نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المطرد بل يصفه بالشذوذ أو انه خرج مخرج
الضرورة ، والى هذه الطريقة أوما ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت
الشاذ أو الكلام المحفوظ بأذى اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل
هذا كتأويل شعبة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن زائدة هذا المهم
ذكروا في شروط اقل التمهيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن اقل
نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر

جارية في درعها القضاض ابيض من اخت بنو ابيض
انزله الكوفيون منزلة المقيس عليه ، وتأوله البصريون على انه من دأب
فلانة اذا غلبه وقاه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاء الى قسم
المسومات الشاذة

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عليها بالشذوذ ولا
يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكبها بعض البصريين
ما يكاد الناظر - لتسفيها وبمدها من نظم اللفظ - يقطع بانها لم تقع في قصد
الشاعر ولا جاءت حوله بقرينة

ومن الاقوال الشاذة ما لا نجد لتأويل فيه دخلا ، ومن شواهد ان
البصريين يمنعون ان تجمع الصفقة التي لا تقبل تاء التأنيث جمع مذكر سالم
نحو اسود واحمر ، واجازه الكوفيون تمسكا بقول الشاعر

فا وجدت نساء بني عيم جلائل أسودين واحمرينا
ولا يخلص البصريون من هذا الشاهد الاطرحة الى النادر الذي لا يقوم عليه القياس

والتأويل إنما يقتضيه البصريون إذا كان الحرف المخالف للمعروف في اللسان وارداً على فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة، وأما إذا ثبت أنه لغة قبيحة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره، ولهذا أبطل ابن هشام تأويلات أبي علي التماري وإبي فزارقو لم « ليس الطبيب إلا المالك » برفع المالك لأن أبا حمزة بن الدلاء أثبت أن رفع خبر ليس الواقع بعده « إلا » لغة قبيحة . والتحقق أو الشاذل قسمين .

أحدهما أن يكون كلام العرب سيئاً على منة مرفوعة ووضع عام فنقسم الكلامين أو الكلمتين ممن لا يعرف بالمصاحبة وهي تخالف المعروف في الأصوات فهذا لا يقيس عليه قطباً، بل الكلمة ونحوها لا تنضرب بها القاعدة التي يجري عليها التصحيح في عامة مخاطباتهم ولو قبلت عن فصيح أذ يجوز أن تكون صيغته منه على وجه الضابط أو التقيد إلى تحريف اللغة، فإن البنية التصحيفية قد تقع في كلمة الخطأ بطوع لم يتم فيقيدوا إلى تنهير الكلمة عن وضعها المألوف لمزل ونحوه بما لا يفسد . ما يرد في الكلام التصحيح وتحتق أنه لم يفسد عن خطأ أو تلاعب في أوضاع اللغة مثل آيات الكتاب الحكيم والأحاديث التي تعددت استنباطها . فهذا يصح لنا أن نضبطه بكتاب القياس ونسج على مثاله وإن أباه البصريون والكوفيون، فلا نقول أن تؤكد بلفظ « أجمعين » مفردة عن لفظة « كل » وإن منته أكثرهم لوروده في قوله تعالى (لا يؤمنهم أجمعين — وأنهم يلوعد أجمعين — لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين)

القياس فيما يقتضيه التأويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى إلا بتأويله، ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسهل القياس، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه لفتاً وحالاً لا مفسوراً عن الجميع . مع أنهم يؤولون ما ورد منه على تقدير مضاف أو تخريجه على مجاز . وقالوا أن اسم الزمان لا يخبر به عن القات، وأولوا نحو قولهم (الليلة الملبلة) على تقدير لفظ طلوع مضاف إلى اللال . والحق أن المنع من القياس في مثل هذا مشروط بما إذا لم يقصد التشكك إلى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب ابن مالك، أما إذا نوى اسم معنى يضيقه إلى ما بعده واستقام به المراد فانه

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقرينة تشير اليه
ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرأني » وليس بمنكر من
القول متى علم المتكلم بان القراءة مصدر ويعد الى اطلاقه على ضرب من الجاز
أو التقدير ، ويدخل في هذا الصدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن مصر »
بأخطأ مع ان اسناد الفعل الى زمانه على وجه الجاز ليس بعزيز ، وإنما بحكم عليه
بأخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويلحق كل هذا
قول ابن قتيبة في أدب الكاتب « الملة يذهب الناص الى انها الخبزة » فيقولون :
اطعنا ملة . وذلك غلط إنما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس
يمتنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطلق في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء
اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة » والصحيح ما عرفته
من ان التخطئة في مثل هذا أو التصويب مما يرجع فيه الى حال المخاطب اذ الذي
يطلق الملة على نفس الرغبة ويظهر لك من قرينة حاله أو صريح مقاله انه اطلقها
عن اعتقاد انها موضوعة له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو
احتملت عبارته وجوها في التأويل متعددة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « نمرج الحرة ولا تأكل نديها » بأنه خطأ ،
وقال : العوالب بنديها . فقال ابن السيد أما ما يذهب اليه العامة من ان المعنى
لا تأكل لحم نديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي
اجر أو نمن نديها أو على المبالغة بحمل أكلها لاجر نديها بمكان أكل الشديين
انفسهما . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم يجري
هنا لولا ان العبارة مثل ، فن قصد بها ضرب المثل على ماورد فقد اخطأ من
جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحا

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يضرحو ايميل القياس في شيء من أوضاع كلامهم
وأما علماء اللسان يتبنون موارد وبتعرفون احواله فإذا وقعوا على حال في
مفردات الانفاظ أو مركباتها قد عمل العرب بها على وجه منضبط ركبوا منها
قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة ما لم ينقل من نظائرها
فن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

ما يكفي لتكوين القاعدة فيجوز القياس ، ولا يبلغ الآخر بتبعه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقياساً
وقد يتساوى الفريقان فيما عرفوه من الشواهد ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع . وهذا باختلافهم في فعل المعتل العين فيظهر من كلام سيديويه أن جمعه على أفعال مطرد . وذهب ابن مالك في التسهيل إلى أنه غير مقيس ، ويرجع خلافهما إلى أن ماورد من نحو موال وأموال وغال وأحوال وحال وأحوال وناب وأنياب وباب وأبواب هل بلغ مقداراً يكفي لأن يجعله مطرداً أم لا ؟ ومن هذا التقييل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو العشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جمعه مقياساً إنما هو تفاوت أنظارهم في أن ماسم - : هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه أو أنه لا ينحس به حتى يجعله مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً إلى مايقف لهم من الأحوال التي تعارض السماع ، فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الأقيسة بالشاهد الواحد قالوا : أن صيغة المبالغة فعال ومفعول لا تعمل حمل اسم الفاعل . واخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاختلاف نظارها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبهه بالفعل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تحرز الوزن الذي قرب اسم الفاعل من أصله الذي هو المضارع ، والحقها البصريون بمنزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذر به الكوفيون إذ قالوا في جوابهم : أن المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الأبنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ ، فنقابل بمشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تفاوت .

تعارض السماع والقياس

إذا تتبعنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقراءها قاعدة ، ثم وقفت الينا أمثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الأمثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟
هذا النوع تعددت صوره وتجمعت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلقي

عليك ما زراه صفوة آرائهم وخلاصة بمنهم
للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاسول أربعة أقسام (أحدها)
كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطبتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة
ولو مرة مثل استعوز واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية
بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستماذ . وهذا القسم يجب استعماله على ما سمع
من العرب ولا تختص به القاعدة ولا يقاس عليه غيره

(ثانيها) ما يجيء مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطبتهم وورد على وفق القاعدة
في أمثلة قليلة كإبرادع اسم الفاعل من أبتل على وزن فاعل فقالوا «مكان باقل»
وقياسه «مبتل» وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفضل
التفضيل من الخير والشر «خير وشر» وقياسه «أخير وأشر» وقد نطقوا به
في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك العمل فيه على الوجهين بيد ان الوجه
الاكثر في السماع أرجح لانك تتكلم بلهجة قوم رجحوه ولأنه مألوف عند
المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع

وما رد في التراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب
فبا يظهر كقراءة «مأش» بالهمزة نعطيه حكم هذا القسم فستعمل بما يشق
مهموزة وغير مهموزة ولا تقيس على المهموزة غيرها مما كان على وزن مفتحة
(ثالثها) ما لم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شعر
أو تتر نادر مخالفة للقاعدة مثل ما حكى من قولهم «فرس مقوود» ورجل مموود
من مرضه فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا .
(رابعها) أمثلة كثيرة تنجيء على خلاف ما وضموه قاعدة وهذا يحتل ثلاثة
انظار (أحدها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقرار
نقص جدا (ثانيها) الاعتداد بها واجراؤها فيها لم يسم فقط ثم الاقتصار فيما خالفها
على ما ورد به السماع (ثالثها) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا
بحيث يكون اللفظ ذا وجهين ، وما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة
ومن مواقع هذه الانكار مصادر الفعل الثلاثي ، قال أحد النحاة : انما
يتمتع فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها
كثيرة الانتقاض . وذبح سبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم يسم
كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان تقيس مع وجود السماع . وأجاز الفراء

القياس عليها ولو فيها ورد السماع على خلافها ومقتضى مذهب القراء حيث اجاز القياس في قواعد كثيرة الانتفاص وهي مصادر الثلاثي ولو فيها ورد السمع بخلافها ان يجيز القياس فيها ورد به السمع مخالفاً للقواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل بأخرى ، فيصح على هذا اخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وان كان المسموع أشيب ، وتصغير ليلة على ليلية كما قال المتنبي « ليلتنا المنوطة بالتنادي »

وان كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب التلحاح ان هذه الطريقة أعني طريقة القراء تجري في مصادر مانوق الثلاثي أيضاً حيث قال محمد قول صاحب القاموس « التبيان يفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف الا على رأي من يجيز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومفعول وأفعِل تفصيل واسم مكان وزمان وآلة عند ما يرد انشاء قواعدا ان يستقر في جميع أحوالها فانه يتمدد عليه الوصول الى هذه الناية نظراً الى سعة اللغة وانتشارها الى ما لا يمكن الإحاطة به ، وانما يتبع من جزئياتها الى ان يأتي على مقدار يفيد ثلثاً قوياً وثمة بان اللغة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا ييلغه استقراؤه يكون قاصداً لاجرائه في الكلام على ما يطابق هذه القاعدة ، فيصح لنا ان نعمل على شاكلتها في كل لفظ يتفق دون ان نتوقف على سماع

وهاهنا اشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب الرمية ، وهو ان واضح القاعدة اذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها ويكفيه ان ينقص جملة منها فانه يصرح في بعض الافعال والمصادر - مثل ويح وويل ونم ويش وعنى وليس ويذر - بانها لا تتصرف ولا يصح ان يشتق منها اسم فاعل او اسم مفعول او افعِل تفصيل ، وأي فرق بينها وبين ما لم ييلغه استقراؤه من المصادر والافعال ليسوع لنا ان نأخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا ان نأخذ مثل ذلك من ويل ونم وما شاكلهما من المصادر والافعال التي يصفونها بالجمود

وجواب هذا ان الافعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق جاءت على ضربين (احدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير ان

يتصرفوا فيه مثل ويل ووج ونم وبش وما يماثلها ، وعدم تصنيفهم لها مع كثرة ترددها في محاوراتهم وخطاباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها فمن تصرف فيها فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركها ، والناتق بما يقصون الى اجملة ناسج على غير متوالج . وناتق بنير لجهتهم

(ثانيها) ما لا يكثر في خطاباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من وروده بهيأة واحدة انهم قصدوا الى ترك تصنيفه ، وهذا هو الذي نعمل به على طبق القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضمين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلم على فعل او مصدر من هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملاً في العربية التصحي . قال ابو عمان المازني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب الا ترى انك لم تسم انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بعضها فقت عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر الوارد ان على وزن اسم المفعول - : هذا كله من كلام العرب ولم يسم منهم ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في أمثلة كثيرة فانا تأخذ فيها بذهب القياس ، ولهذا ترى سيويه يصرح بأطراد ما كان على وزن فعال من أسماء الافعال كنزال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسموع فلا يقال قوام وقماد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم تقلها العرب ، وقد عرفت ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أبرزت فيه العرب أمثلة كثيرة على وجه منتظم لا يقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في المقدار الذي سم من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسموع فيها لا يكفي في الدلالة على قصدهم لأطرادها

وجرى الشيخان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على عكس هذه المسألة فذهب سيويه الى انها غير مقيسة مع اعترافه بكثرة موارد ، ورأى المبرد ان المقدار الوارد من أمثلة هذه الصيغة يكفي لجلها قياساً فيقال عنده لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب النكاكة فكاه ولصاحب الشعير شمار : وقرول صاحب القاموس ويقال لصاحب الحبر حبري لاجبار مطابق لمذهب سيويه (يتبع)

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخلمسة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تمجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعاقبة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخرتين وفاء بالوعد
(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية الميل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بل هي المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب الاحدية وما تولد منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها نبه العرب كثيرهم الى المحافظة على جنسيتهم وكان السوريون أسبق العرب الى التنبيه والبحث في ذلك من حيث ان لهم وطنًا خاصًا له حدود ومصالح خاصة ولم تشاركهم فيها الاقصاد العربية الاخرى وأهله مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين محمديين ومسيحيين ، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تعاون الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي — البلاد في غير لبنان — من الاولين كما أن أكثر رقة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محرركات الحرب ، وثلاثة قبلها وواحد بعدها ، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة . أما المحرك الاول فهو الدستور الذي عانى لآمال بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين المال والنحل ، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان خابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الانجذيين العرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية فمخطط زائلة وأكرام سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحو لغتهم وجميع مميزاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب ، ونلا هذا المحرك الثالث وهو حرب لبنان التي انكسرت فيها الدولة انكسارًا حركيًا المطلع الاوربية المستعدة لتوثيق البلاد العربية لاستمرارها وعلى اثر ذلك تألف حزب اللامركزية في مصر وسورية والاسكندرية في بيروت من المسلمين والنصارى ، وباتفاق الحزبين مع بعض شبان السوريين المستغنيين (المنار : ج ٨) (٧٨) (الجبل الثاني والعشرون)

بتلقي السلم في أوربة تكون المؤتمر السوري وجعلت رئاسة ادارته لحرب
اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأماهرها وأعمها

وأما الحرب فقد كانت بويلاتها ومصائبها محرراً لسانيا وطنيا للتعاطف
والتراحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجريئ
السورية في جميع الاقطار

وأما المحرك الأخير وهو الاحتلال فقد كان يجب أن يكون - بعد تلك
الحركات الممهدة أو المؤسدة - هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للأساس
والقواعد وراجعا برؤاه السوريين المساكين إلى شر مما كانوا عليه قبل تلك
التطورات أو الحركات الدافعات لكل فريق إلى السعي للاتفاق مع الآخر
وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذاً في هذا اليوم الذي كان
مظهراً لفقد الترية الوطنية والقومية وتغليب التعصب الديني على كل مأسواه
حتى كانه - أو لانه - قد صار غريزة أو ملكة راسخة لا يزول إلا بمجهود طويل
يقتضيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بأن الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذباً
فقد سبق الأمير فيصل بمجنوده ورجاله إلى احتلال البلاد باسم الحكومة البرية
ورفع على معاهد الحكومة في مدنها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد
سبقوا إلى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلاه الاحتلال المختلط الثالث تحت قيادة
الانكليز فالتقسمة المثلثة فالتقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل أولاً خضع لهم
الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت
المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستقذف البلاد من
اترك (١) قد تنقلت في البلاد باسم الدولة البريطانية فكان مجيء رجال فيصل
واستيلائهم على مصالح الحكومة منتظراً وعده الاهالي أمراً متفقاً عليه بين
الحلفاء ومهم ملك العرب - فتلقاه الصاري كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وهنا ظهر تعمير المسلمين وجهانهم بالسياسة وطوائم الاجتماع إذ شكروا
الحكومة السورية المؤقتة أولاً والحكومة العربية ثانياً من انفسهم ولم يطلبوا
كبراء الصاري في الجاه والعلم إلى التشاور والاشتراك في ناليفها، وقد بحثت
في هذه المسألة في بيروت وغيرها فاعترف لي بعض من ذانرت فيها من المسلمين
بالتقصير وانه لم يكن سوء نية إذ لم يكن من تشاور بين المسلمين أنفسهم حتى

الجمال في ذلك فردية فمثل من يلمم في وطيرة يسر إليها. وانما كان جنسي إلى ذلك من افراد المسلمين لما سبق لهم من الصدي لحمة المكرمة انعلم في المدارس العثمانية الرسمية لاجل ذلك ،وقد كان النصارى يتسدون لك ويستعدون له او يدخلون مدارس الدولة التي هي الوصلة اليه . ولو كان مسلمين حزب سياسي منظم لما قام ان يفتنهم هذه الفرصة لانعام ما تأسس في تلك التطورات العربية من اسباب الاتفاق ودواعيه. ثم انه كان في البلاد مية سياسية صربية لها علاقة وارتباط بالامير فيصل ولكن اكثر اعداءها الشبان الذين لم ترتق بهم السياسة الى مثل هذا المكر

لم تكدر تستقر الحكومة العربية البعثية بالاحتلال العربي حتى تبناها احتلال المحتل من الانكليز والفرنسيين الذي قسم سورية الشمالية الى اطقين: غربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها برئاسة القيادة الانكليزية المحتلة معها ، وشرقية داخلية احتلتها الجند برقي باسم حكومة الحجاز وان كان الجند نفسه محتلا والمنظم منه مؤلفا من يورين والرافيين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رئاسة تقيادة بريطانية ايضا . وكان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سنتي ١٩١٦ : ١٩١٧ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في ادارة المنطقة النورية على صنائهم من انصارى ولا سيما الموارنة منهم فاكثرت من الموظفين من هؤلاء فكانت كثرتهم حجة لمثل عددهم من المسلمين لان اكثر اعمال الحكومة كانت بأيديهم من الترك ورأى النصارى ان الدولة قد دالت لهم فسدوا بذلك وسروا به ولم يكن للمسلمين يد عندهم في تلك الايام القليلة التي صار أمر الحكومة اليهم فاعترضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقتل والقتل واعتزوا عليهم نواعتوا اكبرهم لم يفعل المسلمون شيئا منه في دولتهم التي تعد بالايمان بالاشهر بالسنين ، ونسوا كل ما كان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم الحرب العامة حتى رضوا ان يكون لهم نصف الاعضاء في مصالح الحكومة خبة وغير المستحبة وذلك فوق ما تقتضيه النسبة لعدم المازلة التي تجري جميع الدول الراقية وما كان من علمهم عام ١٩١٧ و١٩١٨ في زمن ب . وقد اشتهر ما وضوه من الاناشيد في ذم المسلمين واهانتهم واستندوا الشوارع والاسواق في بيروت في يوم عيد الفصح . ولولا ان اعتمد

المسلمون بالصبر والحلم لوفقت يومئذ مفعلة فأنشحة تمد سبة لسورية ما بقي الدهر على ان المسلمين لم يكونوا قد يتسوا من سعي فيعدل الى استقلال جيم سورية وجعل حكومتها عصرية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم بعض كهراء الضباط الانكليز على المسيحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ونطيل فيه لئلا يمد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شعروا في هذه الحالة بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسعي . ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية - حيث يقل المسيحيون - ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم بمجتهدون في استمالة النصارى واشرا كمهم في كل عمل ويردون اعطاءهم فوق ما يرثون بحسب النسبة العددية وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة العصبية الاسلامية من الحكومة ارضاء لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة السورية العامة المتحدة فانا اذكر هذا وذلك لا لتسجيل الذنب الاكبر على النصارى وتغدير ذنب المسلمين أو تبرئتهم بل لاثبت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بامضاء (السيد) دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة ، واجتنب كل ما ينفر من الغاية المقصودة فظهر لها تأثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم يظهر لها في النصارى الا أثر ضئيف في بعض شبان المدرسة الامريكانية الجامعة وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولكن لم يستجب الدعوة منهم احد ، ولو لا ان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتعصبون من القوم والذين يخدمون سياسة التفرقة ماخذ للرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد تقللنا ان الاستعداد للاتفاق يقوى بعمل الزمان عاما بعد عام . حقق الله الامال

التربية المالية مع التعليم المعصري

لقد نام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف واشقل ، المواقفات التي تصخ الاسماع تتوالى من حولهم كالصواعق وقد ضرب على آذانهم فهم لا يسمعون ، ولما بعثوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل فصار على غير ما يعمدون ، وأوا الثريين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعرون أولئك الاغيار ومن حيث لا يشعرون ،
 صاروا في اسرهم لا يدرون ما يصنعون
 ماذا يعملون ؟ ولماذا لا يدرون ؟ وكيف ينفذ بهذا الجهل المسلمون ؟ القرآن
 صريح بهم من فوقهم ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وشواهد
 هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن أعينهم وشماثلهم
 صفات الانس التي يتوقف تغيير أحوال الامم بتغييرها هي ما يمتثل على
 الاعمال ، من علوم وأخلاق ، وهما يكسبان بالتعليم والتربية كما ورد في
 حديث « العلم بالتعلم والحلم بالتعلم » فأما العلوم النظرية والفنون العملية ،
 أنصناعات آلية ، ترتقي بارتقاء العمران ، وليس لها دين ولا وطن ، بل يقيم فيها
 سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الاخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد
 وبها حياة الامم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الامم في المقومات والشخصيات
 المالية والقومية ، وتراعى فيها التراث القومي والوراثة الجنسية ، فالتناسع
 كمادان الذهب والفضة « هم كذلك في أفرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم ،
 فالقوم يمرض لهم القوة والضعف ، والمز والذل ، كما يمرض للمعدن العقل
 والصدأ ، والتربية والتعليم للأفراد والاقوام كالمقال للمعدن الذي يظهر روحه
 الفطري ويزينه ويمظم الانتفاع به ، ولا يقصد به تبدل جنسه ونوعه بتحويله
 الى نوع آخر - فلماذا لم يجار المسلمون الغربيين في أساليب التربية المالية والتعليم
 المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس
 التي أسسها الافرنج فيها المدرسة الانجيلية الامريكانية والكلية اليسوعية ،
 فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة قرآنية أو مدرسة محمدية ؟ على ان سائر
 المدارس التي أسسها الافرنج وتلاميذهم من النصارى الوطنيين دينية التربية
 ومنسوبة الى البطارقة والقديسين من رجال دينهم ، وبأيت التربية الدينية فيها
 كانت مسيحية بخالصة من شوائب الاهواء السياسية « كلاً ! ان كل شعباً من
 شعوب الافرنج قد بث في مدارسها التي أنشأها في الشرق دعوة سياسية تنفع
 فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية .
 وقد كان هذا خفياً عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس
 ولكن صار معروفاً للعوام كالغلواس ، اذ ظهر تأثيره بما تجدد من الشقاق
 والشقاق ، بمد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ما أشرنا اليه في الفصل

الاول من هذه النبذة

علم مسلو بيروت من ضرر مدارس الافرنج في هذه الايام فوق ما كانوا
يبلغونه واهمك بها وقد حلها زوال الحكم التركي من البلاد على التتعدد في
اجسادهم من يتعلم فيها من اولاد المسلمين على غنى دولهم والاهل النصارى اجماع
وحضور وعظما وصلاتها - فاقترست فلك بالقاء صفة خطيب دعوت فيها الى
تأسيس مدرسة كية اسلامية ، ثم رغبت الى ميرك الداعوق الذي كان رئيس
الجمعية ان يدعو كبرى الاجتماعات في حوزتهم فاجابوا لا يبعد دعوتهم
الى الاكتتاب لهذا العمل فلي بالارتياح ، ولما انظم مقدم القيت فيهم خطابا
بما يقتضيه المقام من الحكم الذي يرجى ان يقع موقع الاقتناع من القول ،
والثأير من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكتتاب فدخله الاكثرون
وأرجأ الاقلون ، ولكن كان ما كتبوه من المبالغ غير لائق بهذا المشروع العظيم
ولا يلائم على الرأى في النجاح فآلني ذلك وحزني الى القاء خطابه آخر كان
شديدا بقدر شدته تألي وتبجح شعوري حتى قال لي صديقي احمد مختار بهم
بعد ايام انه لا يوجد احد قبل منه هذه الهجة الشديدة سرورا ولكن كالم من
قائمه الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكثفين ما كانوا يكتبوه من التبرع
ثم اتنا لجنة من كبار الوجوه اهل الغيرة كانت تطوف على من لم يحضر ذلك
الاجتماع في مكاتبهم ومخازن تجارهم لاطعام الاكتتاب ، وافرأها عمر بك
الداعوق وابو علي سليم علي سلام افندي واحمد مختار بك بهم ومحمد افندي
الناخوري ووشيد افندي اللاذقي ووشيد رضا كاتب هذا - وقد بلغ الاكتتاب
بالمبالغ القليلة بضعة الاثمن من الجنيهات مع اكتاب سنوي ، آخر وقد سافرت
الى الشام قبل اتمام الاكثبات فعرفت سيره ولكن الفشل لم يفت فقد تناهوا
ارضا ولجنة بموار الحزب باسم هذه المدرسة ستبقى فيها ان شاء الله تعالى
هذا ما نصيب اليه من الاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبيض
به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء جاء اجتماع في مدينة يرجى ان
تنمي وتزداد البنل وقد كنا مشر الساعين اليه غير متروكين بلهنتنا وتبلغ
استعدادنا وذلك اتقنا على انه لا يرجى نجاحه وتبناه الا اذا عده به الى جمعية
للقاسد الخيرية الاسلامية التي ستكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات
الوطنية قريبا نوط للعمل بالجمعية ، وسعيانا الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

التي كانت معقدة فتم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله النفع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المستكبرون ، وكرهه لهم ومنهم الكارهون ، وكتبوا في جرائدنا أننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية ، لا مدارس دينية ، فالذين هو الذي فرق كلمتنا ، وأخرى العداوة والبغضاء بيننا ، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا إسلامية ولا وطنية فإذا رضيتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فأتنا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أموالكم وأولادنا مع أولادكم ، ولكنا نقول أن الدين لم يكن هو المفرق والمفري بالعداوة بأسوله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الأجنبية له وأتانا بالتربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون ، وفي نفوس القرآن والإنجيل ، ما يهدي إلى سلوك هذه السبيل ، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى مرور مئة سنة من تاريخه

فلما أنشئ مدرسة وطنية جامعة ونجمل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة ، فإن التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين ، وفي كل من الدينين الإسلامي والمسيحي فضائل كافية ، وهي في الأكثر متفقة أو متقاربة . فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله ، ومحبة وطنه والتعاون على تربيته ، على قاعدة المنار الذهبية (تتعاون على ما نشترك فيه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جيم معالجه الاقتصادية والسياسية ومشاركون في اللغة فننتعاون على ترقية ذلك بجميع فروعه ولنا مختلفين في الدين ومذاهبه فيسحق لكل منا الآخر فيه ولنعلم الأفراد المارقون من الدين من التمسك به ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يجاورها هي مهد ومنبت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أولئك المقام الذين يقدس ذكرهم مبادئ الملائكة في الشرق والغرب ولا يمدون أحدا من الفلاسفة ولا من الملوك والفاطمين مسلويا ولا مدانيا لاحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم لا أوليهم ولا أوليائهم المخلصين . بهذا قامت المحبة لنا عليهم والخاص في الدعوة إلى المصلحة العامة لا تدحض له حجة لأن الله تعالى هو المؤيد له (قل لله المحبة البالغة فلو شاء لمداكم أحسن)

سورية عريقة^(١)

أولا وآخرا

للمالك الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان

« في البيان »

قبل ان انجلي الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عربا ولم تكن تنقسم فيها
بسرياني وعبراني الا من قبيل الماديات (الآكار المتيقة) . وكثيرا ممن برزوا لنا
الآن بالحلة السريانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ ، وذلك لان مقصد
الترك وجاءت عليهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتبني كل من
يريد ان ينشئ للبلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه القلة من اهل
سورية لفئة لم تكن مهودة من قبل وهي اننا نحن سريانيون غير عرب وان
لنقتنا هي السريانية وانما غلب علينا الانسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا
فيه لهجة خاصة نتميز بكوننا سريانا . . . وباليتمهم قصروا دهورهم على هذا
القول فكنا نوافقهم على كون هذه القلة هي سريان ولكن طمعوا الى
دعوى اعراض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب
الفاحين تعلم اهلها الانسان العربي وهذا غاية ما في الامر

تكررت اقاويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب
قلما يخفون بها لخروجها من التاريخ وامعانها في التحكم وكونها غلطاً ومغالطة
فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه

ومن هذا القبيل رسالة طالعناها آخراً تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا
المشفودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وانه
لا ينبغي ان ينقل هذا القول على العرب اذ ليس فيه اساس بكرامتهم وكما لا
يفض العرب ان يقول : ان الرئيس ليسوا عرباً . الانكاز ليسوا عرباً . الايطاليون
ليسوا عرباً . فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عرباً وانما هم سريان . تتوفر
على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والانثولوجية الخ والاعتراف بالحق
أولى . الى غير هذا من الاقاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كصحف كاطوى

(١) نقل عن عدي جريدة الافكار البرازيلية المؤرخين ٦ و٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١

هو عن مناظر حدث عنها . الا انه لما كان جاء من باب التاريخ والحقائق العديدة وكان من الفضلاء المستقرين بالخبر والاثراء المفردين بالسير والنظر . كما يظهر من كتاباته - أحييتنا ان نخوض معه عباب هذا البحث متوخين فيه لوجهة العلمية للصرفة معتمدين على التاريخ - لكن التاريخ الحق للمحص لا الخيل ولا الخن - لان الحقائق لا تكون بالظنون بل بالدلة وببد ذلك ترك نقارى المذهب فاشد الضالة التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكيم على سب الاكثرية من أهل سورية أهو عربي أم سرياني .

قول : أولاً - ان العرب والسريان (والعبرانيين) هم جميعا من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الانيات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبمد ذلك . فالاميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون سكان - واحل سورية أي القينقيون . واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين تلقى بلقتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط

ثانياً - الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء سكان الشاليون وهم عدنان ، والجنوبيون وهم قحطان والعرب البائدة وعرب المهر واحل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم السامون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم اليثري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم والصوماليون والجبرت من جنس واحد

السريانيون اذا هم والعرب من فروع شجرة واحدة متدانية الاغصان يدل على ذلك تقارب ما بين لغتي التريقين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من الشبه ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو اتخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . فنسبة السريان الى العرب ليست أبداً من قبيل نسبة الفرنسيين ولا الانكليز ولا تشب من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة ابناء عموم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسي والاطالي أو الاسبانيولي من تجمعهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

ثالثاً - ان أكثر المستشرقين الاوروبيين لا يرون في أكثر الانام السامية (المنار: ج ٨) (٧٩) (المجلد الثاني والعشرون)

الابلونا من العرب . وان السريان هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد المالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهل . كما انه في اواسط آسيا يوجد الارانيون والطورانيون وقديتوهم وهم شعبين منفصلين نسباً والمثال ان معنى الارانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب حكوا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكان السهل في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم يتسموا سريانا الا فيما بعد سبهم بذلك اليونان وادعاء الكاتب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل وأشور - ولهذا هو ينتخر بمدنيته - هذا فيه ما فيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خلط حضرة جهلا أو تجاهلا لفرس في النفس

رابعا - ذهب الاستاذ « سبرنر » الالماني في كتابه « حياة وقوائم محمد » سلم وكتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . ومن ذهب الى ذلك من غول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « اجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « اجرومية اللسان السامية » وهو المدرس بكلية كبرديج . ثم العلامة ماكس مولر قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية باسرها فيكون السوريون بحكم الضرورة عربا في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الاقوام السامية هو من اريقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونمازوا وقرمت مميزاتهم ومنها خرجوا الى سائر الاقطار . ومن اصحاب هذا القول روبرت سميت الانكليزي وبارتون الاسريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون مرجع السوريين الى العربية

خامسا - في عهد العائلة المصرية السادسة أشد قائد فرسان من مصر لارتياذ اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر للفلسطينيين ولا للعبرانيين هذا في كتاب العلامة الهولندي تيل وان كثير

من المؤرخين البعثيين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب . ثم امر
المصريين الاقدمين حاربوا جيلا اسهم الشاسو في جهات سيناء وخنوب سوريا
وهذا الجبل كان مريّا

سادسا - القينيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر
هيرودوتس ان قسا من القينيون بنوا الى جهة خليج فارس كما ان العلامة
الانكليزي بينت اجري حفريات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها
كون القينيون هم من هناك والى جهة القينيون جاءها من سواحل
البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالتين فهم عرب من نفس جزيرة العرب . وبعد ان
ثبت كون القينيون عربا لا يتبقى محل النزاع في مريّة القسم الاعظم من
أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يحملها العرب في تاريخ المدينة قبل
الاسلام فضلا عما بعده

سابعا - الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة عظيمة
ومدنية ضخمة تدل عليها آثارهم واخراصهم وكانت لهم جردود مسجدة وفسطاط
ووادي مومي (بقرا) وان لم يكن من منهم سوى وادي مومي (رستمور)
من الجبال بيوتا فارحين السكنى فكيف وهناك جرش يوما فيها نواميس التي
كانت مروس المشرق ، ومن الانباط المحوريون الذين يقال لهم اليانقة كانوا
جنوبي نهر الاردن

ثامنا - عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد عنيوان
أحدهما الميت في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والموريون الكنعانيون
في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملكي صادق الميت للرجل الذي كان نفيوا الى ارض
سبيل النبي الاعلى وأدى اليه ابراهيم كعشر وان العلامة جبرائيل في كتابه
الحقائقة الآرية في القرن التاسع عشر يذهب الى ان ملكي صادق كان
مريّا . فليحظر الانسان في أي دور كان اليهود ملوكا ودولته في دورهم
تاسعا - يوافق المؤرخون على صكوفه أساس المديانة القديمة هو البلية
والشجرة وكل الآثار التي عن المدينة براسم الديانة في سورية أتت من
جنوبي جزيرة العرب . وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين ومن
مناحية بحة والقينيون سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا
هنا ومن اطلع على كتب ولهاوزن الالماني وروبرت سميت الإنكليزي

المؤرخين البعثيين في الامور الدينية . بر ان أكثر هذه المسماة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الامة كافي هارون يورتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانها كانت سبب سعادة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراه العرب على الديار السورية وأوطنوها وتمكنوا وتسمبوا فيها .

عاشرا - وجد الضجاجة من عرب اليمن في حوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحجاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستمائة سنة جاء القائد نعمان الربيعي من الشام يستشفى من البرص عند اليافع تليذ ايليا . ثم كان بنو سليج وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الفساسنة وهم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستمائة سنة - فيما أتذكر - الى ان ظهر الاسلام . فأنت ترى تماقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكى صادق الى الانباط والمالقة والفتيحيين الى الضجاجة الى الفساسنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركزت ملايين من القداري في ارض سورية .

حادي عشر - كان الغالب على سورية المنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفق سيل المهاجرة من كل حذب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . ومما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراه البادية . وليس ورود العرب على سورية واطنائهم سورية مما من قبيل الحدس والتخمين وان ذلك عقلا لا بد ان يكون هكذا بل مئات الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويعرفون أنفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التوار وممنهم من انقلبت به أسباب العلم عن معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من سحنته ثاني عشر - اما كون أهل سورية أسدوا لدن الفتح الربيعي فغيره عليه دليلا واحداً زيد تاريخاً أو نفساً مبينا او قرينة قاضية لا يكفي في ذلك مجرد الغن لان الظن لا يغني عن الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لا يؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى أو يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بقي منهم هناك بعد جلاء الحكومة العربية عن تلك البقاع ، لا يفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيراً من المائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك فنصر عشيرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ما حلهم فرد بناند وايزابلام ديوان التفتيش للشهير بعد ما تم فيليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالتى عن عليه دينه جلاوا الذي عن عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستطيع مؤرخ ان يقول ان اكثر سكان ايسبانيا أصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان أكثر أهل سورية أسلموا عند الفتح العربي لإصحاح لها . والمصحح ان الامة الفاتحة قليلة ونمت كما هو شأن جميع الامم الغالبة . وان الامم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الامم المغلوبة على اسرها ودخل في سورية اقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستمروا وصاروا عرباً منهم الاراك ومنهم من النول ومنهم من الاكراد ومنهم من الشركس ومنهم مناربة دخلوا في أيام الفاطميين وغير ذلك ففاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب المديدة ثالث عشر - ينبغي لمن هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ العربية ما كان منها على مدار الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقطنشندي والمترزي وعلى تواريخ الحروب الصليبية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التراجم واذاب بعض المائلات والمصادر وعلى اخبار القيسية واليمينية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لا يكفي هذا وحده حتى يقرن بالتنقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة قبيلة وقريّة قريّة مما يظنون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجبل الذي نشأ والملم الذي طمسهما اللذان جملا أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجبل بتاريخ العرب وبألسانهم والاعتصار على رواية واحدة ما القذار أدب الى القول الجديد « ان السوريين سريان » : ان العرب هي الامة الوحيدة التي يستوي عاميها وخاصيها

في مرة نسبة ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها أصولهم وما على المرتاب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من أهلها من أصلهم ليس الحقيقة لسا

ورابع عشر - ان كثيرا من نصارى سورية هم من أصل عربي غسانة وغيرهم. منهم من بقي بحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعلبك وزحلة وجبل لبنان . ولا يزمعني الا ان أن العرض لاسماء هذه البلدان التي تعرف أنفسهم. ولعلنا نذكر ذلك مرة أخرى . وان طائفة الدروز هم من قبائل لخم وجذام ويطون أخرى جاءت أبائهم أيام الفتح الى معرة النعمان ثم أسكنهم الخلفاء المباسيون جنوبي لبنان وان أكثر طائفة الشيعة هم من طائفة من عرب اليمن جاءوا الى الشام وزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل طائفة أو بلاد بقرارة ولست ادعي اني على شيء من الاحاطة بالكتاب عرب سورية فان ذلك بحر زاهر لاساحل له لكن المعروف منه عندنا هو بما نضيف عنه هذه البجالة. وبالاختصار فالسواد الاعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المنتسبة من الاسلام هم عرب ثم مستعربون من أم غير سامية . وان قسما عظيمًا من نصارى سورية هم عرب صراح لاجدال فيهم وان يزر الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى السريانية بطونًا كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من أهل التحقيق ، وسواء اراد بعض السريان أن يفصلوا أنفسهم عن العرب بعد أن استعربوا منذ دهور أو لم يريدوا فان الاكثرية الطائفة في سورية هي للعرب الحقيقيين . انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التغليون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة

مبد الله بن الزبير مسلمين ؛ هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع لعرب في العراق ضد المعجم مسلمة ؛ هل ينكر ان بني الحازن وبني حبيش آل شهاب وآل ابي اللمع من نصارى لبنان — وهم من عليّة طوائف لبنان — ير نصارى ، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن : هل هي عربية أم بجمية ؟ وكتبه صالح مخلص رضا

ترجمة فقيد العلم والاصلاح

أحمد فوزي عمران

بقلم شقيقه محمد بسيوني عمران في (جاوه)

حضرة العلامة المصطفى ، ذي القنصل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاخر متعني الله والسلمين بوجوده الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني اكتب اليكم اليوم ويدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والمهوم مسدلة على القلوب لما رزقنا بل رزقت به سببي كلها من فقد شقيقنا العزيز أحمد فوزي عمران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيرا . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله غلما قوي الايمان ، قائما بالواجبات ، منزها عن الفواحش والمنكرات صادقا في الجدل والمزل ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعيا في مصلحة الامة ، محبا للعمل ، متواضعا ناصحا آمينا ، صابرا حلما ، عزيز النفس ، مكرما محبوا من أقاربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فله ما أعطى وله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله نعيير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولما بلغ ست سنوات من عمره عليه والدنا الشيخ محمد عمران مهراج امام قلبي مطبق قراءة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولندية لينظم فيها الكتابة الملاوية ويأخذ الحساب وأنا يومئذ في تلك الحكومة اطلب المراجعة فنناق رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أنهم حرموه فيها لم يستطع أن يطلبته الحكومة مملا في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ غويت رغبته في تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية وكنت أنا منذ سنتين ونصف جئت من صفري من مكة المكرمة فقلت له : ان أدركت أن تتعلم اللغة العربية وتعلم

والعلوم الدينية والدينية (تمصرية) فذهب الى مصر وأنا اذهب معك فانق رأينا ولبسنا من الولد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستلغ غفلتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صني الدين بمرادنا فصره ذلك الخبر وقال له : انا نرجو ان يكون ولدك نبيا لبلدنا . وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيد رحمه الله وأحمد سعود وسعد علي ، من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذاكرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة ونزلنا في بيت مصلح الامة العالم العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فاننا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل لرجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحقيق ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أخرج فيه مارجونه الا بعد قراءتي المنار فاني اشتركت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محلة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرننا في منزله الشريف ولما دخلنا وسلمنا عليه قابلنا بجماعة واکرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مشوانا وضيافتنا ولم ينتقل من بيته الا بعد أيام — جزاء الله عنا خير الجزاء — وكان أول ما سألني عن أحوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من انحطاطنا في الامور الدينية والدينية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدينية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر .

وكنا نود لو نقرأ على السيد وتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أفرائنا وتعليمنا من الاصلاح الديني والديني الصام ومع ذلك لم تقمنا ارشاداته وافاداته وذلك قبل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها فتدعها فقد كنت أنا والفقيد رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدرسة ولم نحرّم وقف الحمد ما كنا نوده وتنمنا وكنت أنا والفقيد رحمه الله نتعلم في الازهر الشريف ويأخذ كل منا معناه خصوصا بأجرة وبغير أجرة .

وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشغل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف وينتقش باللغة

المرية ثم أسست مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروسة بحجة مصر القديمة وكان ناظرها ومديرها العلامة صاحب المنار ودخلت أنا والفقيد رحمه الله تعالى في هذه المدرسة المباركة بعد امتحاننا فيها واشترطته في طلابها من المعلمين الذين طلبوا العلم في الأزهر نحو ثمانين سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق لسانه بالتكلم باللغة العربية انطلاق السنة المصريين . وفي حنة ١٣٣١ سافرت الى وطننا سميس والفقيد لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويقتل بالمطالعات والمذاكرات والمساكنات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ معلمين خصوصيين لم يفارقهما حتى سافر الى سميس أول سنة ١٣٣٥ ، وكان قصده التوجه أولا الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على اذن الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الايام أيام الحرب الاوربية الممثلة التي كانت الانكاز تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متعبا بالاشتغال بالسياسة لما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الي الذي فيه ذكر أخبار الحرب ، وكان لا يكتب الي الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيد رحمه الله تعالى الى سميس أحبه مولانا السلطان وازداد رغبة في الشاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدنيوية كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيد بتأليف نظام للمدرسة المرغوب وجودها في سميس فألف رحمه الله نظاما بموجب الأمر السلطاني مقتبسا من نظام مدرسة دار الدعوة والارشاد

- وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٩ تأسست في سميس والحمد لله مكتبة عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأستاذها أساتذتها فقيدنا الزحوم المأسوف عليه فكان الاختبار على هذه المدرسة أنثال الله ممرها عظيما من أهل البلد فأدخلوا إليها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من طلبة مدرستي الحكومة وانتظموا في صفك تلاميذها ، ومن يوم تأسست المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشغل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد سنة ١٣٣٨ الموافق ١ مارس سنة ١٩٢٠ فانه رحمه الله استأذن مولانا السلطان في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى سنغافوره فالى مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها زيف شديد من فقه فذهب مسرعا الى طيبب الحكومة المجازية . ونقصه ثم غص ومأمله طيبب جاوي أرسلته الحكومة الهولاندية الى مكة وقال له : ان هذا الداء هو السل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه . وبعد أن أدى رحمه الله فريضة الحج سافر الى سببس ولم يمكنه السفر الى المدينة المنورة طبعاً وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله اليه بطنه وهو لم يزل سريفاً محبباً وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سببس) لاجل التداوي عند طيبب الحكومة الهولاندية فقال له الطيبب الهولاندي انك لا بد ان تسال في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعالجك هنا . وفي ٣ صفر ١٣٣٩ سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في بوفر وكان لا ينقل الى هذا المستشفى الا من قدمت صحته . وفي ٨ رجب ١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى واجما من بتاوي الى سببس فمرونا عبروا عطيا لانا فلنا انه قد شفي شفاه تاما اذ لم نرفيه الا سمالا قليلا ، وفي يوم ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ عاوده زيف الدم وازداد مرضا ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية ونصف عمريه الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرجت روحه الطاهرة بعد ان تلقى بالشهادتين فخلصت الضجة والجزع والحزن من أقارب خاصة ومن الناس عامة فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أدبيا ، وخطيبا وسطا ، وشاعرا قليلا ، وكان له في العلوم العربية نصيب وصكذا في العلوم الرياضية والعمرية والدينية ، وتدل على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محررا بمجريدة الاتحاد الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنار من يوم عرف العمريه وكان آخر قراءته له الجزء الثاني من المجلد الثاني والشرين وله مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر . ومن أثر اجتهاده وحسن طريقته في التعلم أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو والصرف فهما مكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة العبارة ومن الكتابة باللغة العربية على انهم لم يكونوا يعرفون شيئا من اللغة العربية قبل دخولهم المدرسة — ولذلك لما وصل التقيد رحمه الله من سفره تمى بكل

من تلاميذ المدرسة ذكروا وأنا ان يعود اليها معلما ولكن : ماكل مايتنى
المرة يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته تعالى نافذة وليس لنا الا
الرضا والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بعد وفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه
ليس فيها معلمون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي نحيا
بها والمسلمون بخلاء ضغفاء في الاحوال المالية .

هذا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو
حق ان شاء الله تعالى ، ولا تائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما
تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

سبب برزخ النورية محررا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ يوني ١٩٢١
كتبه

محمد بسيوني حمران

تقریظ المطبوعات^(١)

(كتاب تنویر البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد
طبع بدمشق العام بمطبعة الحكومة العربية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق العام
(شيء من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يقتصر لما يريد اذا كانت فرصة سانحة
فيبدأ فيها بمض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الفقيه محمد سعيد منهم
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يحب
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع
(١) كتب تقرظ هذا الكتاب وترجمه الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح غناص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والنقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين ولزومه والبدع والمبتدعة الخ أعماله وآثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتابات والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في استقادة العلم وكتبه الخ

استشارته : دأب في اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء من الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدقائق ولا ما استشاره منها وبنته من مرقده ، فهل كان كتاب المختص من جملة ما أحياه ؟ غنايته بأحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء من الفقيه سوى ما ملخصه « غني فقيداً بأحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى عزائمه ودرساته وانام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعها » وما عدا ذلك فكل كلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سعيه وراء التوفيق بين الدين والعلم والميراث . هذا الموضوع استغرق ما يزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أين مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والميراث ومحااجة المحافظين على القديم ؟ وارشاد الطالبين وتعليم المجاهدين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وساسة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراساتها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى اصلاح العالم (؟) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعظة الثافلين وترية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

نها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته وجبه للمستشرقين جميعهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جمل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفضل لما

ولكنني أخذ عليه - عملاً بقوله قيل الجامعة ص ١٤٢ - ومن وجد غلطاً في بعض ما عزوته لالتقييد فليتفضل علي بتصحيح غلطني الخ وبمسد الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولاً - إن الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصعب جداً أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتفتتها بين أطوائه وفي ثيابه على أنها لا تكون صورة صحيحة لتفقيده

ثانياً - نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومرتدين ولم يدلنا على أحد منهم وإظهار لنا أنه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فأتينا فلم آه أقام شهيراً عدة زبلا عند بعض السوريين في السويس وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين م تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدرسه ؟

ثالثاً - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير أنه « تعلم كثيراً من الخطوط الكوفي والمشرقي والمبراني وغيرهم (١) » ليسنى له دراسة الآثار الدارسة ونشأها من عالم الدور الى عالم الظهور

رابعاً - لم يذكر ما كان من حمل الفقيه في التوفيق بين العلم والدين الخ غير أنه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئاً منه في حياته وأنه تبادل الآراء مع المستشرقين وأنه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره ما زدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردهناه كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفتها أحد أفاضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالتفقيده بعد أن قرأناها عليه إذ قال لي : أنها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته وموته ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومنه في المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد النبي الميداني فحضر عليه علوم العربية

والله أعلم وهو استاذ الوحيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مفاركة حسنة في جميع العلوم العربية وحتى بقراءة المخطوط العربية وخاصة السكوني منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة من بعض ضباط الجند اللبناني حتى لم يمدغريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظه جيدة وذاكرة حسنة لا يفتي عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو فائدة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع إليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سقطه (عقظته) وجرايه وكان خريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستطرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى .

حياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قسماً اللون واسع العينين غائراً مخيف الجسم أيضاً الحجة . يثالبزة غير متقن بنظافة ثيابه وكان لباسه مانسيه أعراب الشام شعر ويسني ل مضر قطناً وفي الشام قنبازاً أو غنيزاً فوقه جبة أو جيتان ويتم بعمامة من الغنيز وكان كثيراً ما يلبس الثوب مرة واحدة فلا يخلعه حتى يبلى ولا دح الفسقية (المظلة) سيفاً ولا شتاء ويضم على عينيه مناظر لتقريب البعيد فإذا راد القراءة في كتاب رقمها ، وكانت له جيوب في جيبته كالخروج :

وكان حديد المزاج ضيق المعين ضعيف المنة قلب عليه الوحشة ولعله كان من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاج مع جلسائه ومباينة . كان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسهاب فيما كان عليه مما حاروه بها من الحب والختل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو لمص شخصاً أو ليرج مشروماً خيراً من شره ، ولولا انه كان يجاهر بذلك أكثر مجاله ويفخر به ويمر عنه بالدسائس الطاهرية لما استحسن اذكره وقد

سنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للايقاع لا للاقاز

وكانت عيشته عيفة الزهاد مع الحرص على الوقت وكانت يقضي عامة ليله المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينقتم بنوره وحرارته مما كان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يبد طبعه بحكم وضعا فوق المصباح

مملقة ويتقدم لضعفه ساعات يتماهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يلبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما تمنع وجهها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد العشاء ويلبث في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى العصر وكان ولو له بالهناج والشاي والقهوة جميعا مفرطا في كل منها ولم يكن حريصا على المال

كان خلقه التصف والكرم مع الحاجة لا يعيل الى الطعم ولا الدنيا فهو قد اشتد به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع معظم كتبه من احمد باشا قيسون وكانوا يفتقنه من فنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايم (أعتار القرش) بمداهلك ، ولما يصدر عن مجلسه وارد بفائدة علمية لانه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناهزا ولا مذكرا ولا سائلا ولا يجيبا وإذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دله على المكان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي يداه

وربما أوعز الى بعض جلسائه ليوسط بالامر يرده وكان اذا استرسل بالمباشرة أفرط فيكثر من المرات وتغرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيخ وكان متمسكا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم فاضل أطال عشرة الشيخ طاهر أنهم اختلفوا في كلمة لنوية فكان الشيخ طاهر على رأي تبين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب مؤلفاته

ارشاد الابناء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، القوائد الجسم في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المجاعة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهرة الوسطى ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المساجد المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووثقت على طبعه وعنت بتوضيحه بأذنه ، وكتاب توجيه النظر في اصول طبعه لها الحاشية بمصر وكتاب الترتيب الى اصول الترتيب ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن نبات وامية الالمى ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتفسير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم رها وكان حرم

الحر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وفات يودعها نبذاً من مقتطفاته العلمية ومن كتباشته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوه بكتباشته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر ، وله كتاب « تقوم المجلة البلية » وإن لم يصدر بالمسألة

علمه وعمله

لم يشتهر التقنيون وأعرفه لعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم فأية ماهره به أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف الظنون أو التهرست وأنموال لم يحصى بل أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيل كثير مما يجب نشره ويجب طبعة ولكنه كان يخل على الوراقين بأرغامهم التي يرى أنهم لا يستحقون ما يتألفونه من الربح بطبعها . وكانت له مبرة فنية في صرفها على الطباعة في أورشليم إليها مقابلة أي القرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب مرض الخطوط للأباء اليسوعيين وله نظم على روقه الجديدة وما نشر من مؤلفاته ما يدل على صحة اطلاع فانه لا يدل تخريبه وإبداءه ولا على علمه في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الطاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية الثمانية في سورية فكان فيها مثالا لفتاها والقيام بالانصيحة ومن عمله انه سعى لدى مدحت باشا الوزير السني الإداري الشهير عند ما كان واليا على سورية بإصدار امره بجمع الكتب العلمية المخطوطة البمثلة في الدار من القبة والمساجد بدمشق فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما يمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختص به ، وفي أيام جبه الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق وأوجهاها إلى المكتبة الطاهرية . ثم جعل مقتضا على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف ، وقد عين في آخر أيامه عضوا في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وتأخر المكتبة الطاهرية . وكانت الحكومة عازمت على دوس قير الامام البزورية لوقوعه في حادثة خارج مدينة دمشق فأجابه الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الامام محفوظا سمعه وعفاة وأظفر اذ هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا

يؤثر في الملكة من بياض ومن يقرت الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
الأولوا الألباب

المسحوق

۱۳۱۵

فَيَسْمُونَ أَحْسَنَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هُدُوا
لِلَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْإِلَاحُ

قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صدى (وسماعا) كصدار الطريق —

٣٠ في الحرم ١٣٤٠ - ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢ أكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الحلفاء

هذا من المجلد ١٠٩ من المجلد الاول من مجلة المنار العدد ١٢٩

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية للكتابة البليغة الآتية «ما قال بلانام» فأحبينا تلخيص ما حواه هذا الكتاب المهم لقرائه القليلين لكونوا على خبرة بما نخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الأوروبية في المباحث الهامة الخاصة بأحوال الممالك الإسلامية. قال الدكتور انباطو : « لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والأقاليم وأنها تختلف طبقا باختلاف الممالك وتباين عادات وأخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستمر بأفرادها وعقائد أهاليها وانماهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فإنها واحدة في جميع الأنحاء لأنها مرتكزة على معرفة أحوال الاسلام الأساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من المحجبات الخارجية والاقسامات الداخلية فإن الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل للمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للرفاق والتآخي بين الامم التي اعتنفته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأم سبيل للتعارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي المذاق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع المفارقات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها الفكر المايستوني باليهابلازم (التعصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة غريبة ترمضه الغرباء على الكفار. بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسرارها في زي مخالف لتلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في صلبها كل العقول على تباين مشاربها، وأصبحت مجالاً واسماً لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرام الانساني وما صفتان ما وجدتا في قوم أو مدينة الا ونهضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم بلوغ تلك المرتبة العالية الاستعمارية

أمة اوروية لا تخفى تحت كلمات الرقي والتهديب والحرية والأخوة التي تنشرها على الوثنية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية اذن فلا خوف مما يسمونه بالانسلام الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها أولئك الاتقاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون ، وما الحوادث المنسوبة للانسلام الا حركات فكرية عادية لا خوف منها بل ربما أهدت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة ، ولذا لم يمد هناك موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي ، ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان يفي أو يفكر الممالك التي لها علاقة به

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها الدول الاوروبية بمستمواتها فأبدى رأيه في كل منها وعما قاله في هذا الشأن « ان سياسة فرنسا بالممالك التابعة لها وان تألت الار رجعية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تقتصر الى فكرة ادارية واسعة بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال المنظمة التي قامت بها هناك » ثم قال « انه يجب ان تركز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظمات الاسلام معرفة دقيقة » ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند اليها فاقى في هذا البحث المويص بأفكار دلت على تضلعه من الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال « ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لا سبيل الى التقاطع مع المسلمين الا اذا صرخوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا . والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة ، لان هذا الدين له خاصية أساسية يجب ان لا نفعل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية وبلوحيته لكل الاجيال والاقليم والاخلاق . ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد مبدئية تعضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدينة الحديثة - ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة المالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملامته لجميع الشعوب والأجناس معها اختلفت منازلها والوانها، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والافلاط. النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحث على حكومة الخلافة اليوم الفاء كل ما قيل أو قرر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو احوال أو مس هكل العلم الاسلامي النبي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من هذه وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسما ترقى به للحياة والمدينة المصرية .

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أنظوارها وشروطها فقال : « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة فضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشباع النبي الكريم (صلم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة الحميدة » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البالغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال : لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اوروبيا لانها مسألة دينية بحته وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانها ولا يجوز لاروبة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكرامهم على ذلك بوجه من الوجوه ، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة المالية عن كل سلطة مسيحية - وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تعامي انجلترا عن التصديق بهذا المبدأ المسلم . ومن هنا نختم الدكتور انسابا الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق ان سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين التنصاري لان النزوق الدينية الفاصلة بينهم لاوجب التباغض والمداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لايعتم الثقة والمودة بين الامم - كما أكد وجوب الاعتراف ببقية علة المسلمين وباحقة نظامهم المالية والادارية والاعتماد على ان اتباعهم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدينة العامة وإن يبدؤوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والافدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة المديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب ألوانا بسبب الظروف الاجتماعية الممرجة المحاطة بها الى الآن فاذا أمجدنا هؤلاء المفكرين وأيدنا رفائهم فأتنا نجد منهم أئمن مساعدة سياسية ويمتقد الدكتور انبساطو انه يجب للحصول على ذلك أن نساعد على درس مؤلفاتهم بطريقه عصريه وان نفتتح لهم ابواب المدينة الفريه لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلاميه واكبر الماملين لانهاض المجتمع الاسلامي لقائدهم ولقائده الامم الاروبيه المشرفه عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اوروبا المسيحيه ان واجبا يقضي عليها باضاده العالم الاسلامي بشور المدينة والرفان اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين اشياها متقارنين في مصالحتنا بالوسائط التي استعملتها اوروبا الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والشرائح واستخدام أعوان لام لهم الا لاكتساب المال أو امتلاك الدنم بوسائل الارشاه على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلاميه لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايه للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسيه لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان نسم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان تسمح اوروبا للمسلمين بان يعملوا لمصالحهم ومصالح الاسلام . وبومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقبل يتيقنه المكين العالم وبحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انبساطو حم بين الحق والمصلحة المشتركة التي لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشرق والهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلميه فان لم يقبلهم المنهزمون

حجج القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المزمع الخامس بحمد مجلة الحجج الاول

هي نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب وقبي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستفرغوا الجهود والجملة وانفقوا الاوقات الطامسة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الخفيف في اطراف المعمورة انما بفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقها الفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسو مبادئه قد جلبت اليه اقواماً دخلوا فيه اقواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحداً، فاصبحوا بامتته اخواناً، وعلى تأييد اغوائه وحماية يبعثه انصاراً وأخذاناً

اعتدو بهديه وأشرق على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم سبل السداد وأتارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يسرون في تشريك الأمم في هذا النور العظيم ويسلمون على ابقاظ الشعوب الذين كانوا يتامون في ليل من الجهل بهم وشهد التاريخ ودلت الانباء وأجهت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الانثناء رائد المصدق والاخلاص، وغائدم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق بيني الانسان، اما الصفات التي ساد بها فحدث ما شئت من ثبات وجلد وبقيت في النجاح وسبر على السراء والضراء، وشكر في حالي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا المعزم بقدر الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتفاخر على المحال واعتصام بمجل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذ انطبعت في نفوس وهمم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أمم ارجاء العالم في ذلك التاريخ على ان اولئك العلماء الذين أشرنا اليهم في طالع هذا الفصل قد انظروا ابصاراً فطرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجبهات وما هي العوامل التي أفضت الى تقلس ظل نفوذهم من كثير من الاقاليم واوتوليات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطلبوا عن ان ذلك نتيجة

لازمة نزول إليها كل أمة أخذت إلى الترف ومالت إلى الراحة وجبرت في أعقاب الشهوات وأملت الأخذ بأسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الأمم الراقية في حليات العمل، ففهم من يمزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون أنها تأمر بالراضى بالمقدور والاستسلام للأمر المقضى، وهو وهم شائم عند كثير من الأفرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علمائهم . وإلى القارئ الكريم مقتطفات من كلامهم نكرم انموذجا على ما وصلوا إليه من بعد الفور في المباحث العلمية ، ودقة النظر في الأحوال الاجتماعية

قال بارتلي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الفوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى إليه قلة التثبت وإهمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

« رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها وما كان توكله على الله بأقل صدقاً ، لكن كان يكتنفه حدود محقولة ولم يمتد قط الى ذلك التماهي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نمز في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على ما يشعر بخلع أشرف المدارك النفسانية (الارادة) وتمثيلها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الاثمة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل وفاته يحمل واجباتها فاستنات للأقدار، وحكمتها في نفسها تقطع ماتشاه وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن مرائد الترف والاخلاد للراحة والنميمة عجز عن العمل لاعتقيدة وعلى كل حال فليس القرآن هو الذي يدعو إليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه وانفجاره لخلقه ووجوب الخضوع له والركون لملكائه ولكن ليس ثم ما ينبغي بنيد أجهل قوة وأشرف . وهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجهن صوتي

الى اصواتها ونقول : ان هذا ادين لدين عمل لا فضل رغم معتقد الجمهور »
وقال غنتاف لويون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة »
في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :-

« القرآن لم يأمر الناس بترك السمعي والعمل أو الانسلاخ من خوض غمرات التنافس
المادي فهو في هذا الموضوع لم يأتي أكثر مما في الكتب السابقة التوراة مثلا
يعترف نخبة من الفلاسفة ان يجري الامور لا ياحقه تبديل، ونظام الطبيعة
يبد مبدعة لا يعتريه تغيير، فقد قال لوتر : « تنقح الديانة المسيحية تنفق » معظم
آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre Arditre » وهذه
الايات لا أعني لما عد دابل هي الكتاب بأجمعه. وهذه عقيدة القضاء والقدر
منعمة بها الكتب الدينية لسلك الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة
دونها قرى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتم لا يفتكون في وقوعها فها
« وأوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بابه حاول أمينا إيقاف
هذا الامر فطقق يقدم التذور وانجح التريات للآلهة بدون جدوى الى ان
ضربت الايام بضرباتها فاذا هو يتزوج بابه قاتل اباه كما هو مشهور. فالتنبى الربى
(صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشئ، عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة
من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاس » و « بنتر » :
ان علما (الله) يكتشفه في طرفه مئين القوى والاسرار التي في الطبيعة على
انصاعها وتباعد اطرافها ومحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها
وصغيرها دقيقتها وجليها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه
كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديون بعض فلاسفة
المصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودفع حمينة
لمكافحة الترائب والمضائات. وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم
ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقايتهم ولا من انحطاطهم اه
(المنار) ان ما شرحنه من حقيقة « من القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة
الجبر التي اتبعنا بها سنن من قبلنا وقتن بها كثير من المتكلمين والصوفية مكان
لها ذلك التأثير حسب كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سري
الى اهل من قبلهم كما قلنا لذلك بعض المحققين منهم

صواب	خطأ	صواب	خطأ
١٠ المقضوة المقضوة	٥٢٨	بأسنا	٨٤٨٣
١٦ والعروة في العروة	٥٢٩	ولوشاء	٥٤٨٥
١ وكان كان	٥٣٠	حجة	٢٤٨٧
٤ وفرضها وفرضها	»	ابن	٧٥٠
١١ أول اتصال الاتصال	»	هذه	٢٥٠٣
١٢ بجيت بجيتا	»	هذه	٨٠
١٣ فيه منه	»	بأنها	٢٨٥٠٤
٢ والتمصيب التمصيب	٥٣١	ادارتها وعد	٢٧٥٠٥
٤ فطنوا فطنوا لها	٥٣١	نجاوزها	٥٥٠٧
٥ الشيخ مقالة الشيخ	»	الى	١٧٥١١
١٠ اعترال اعترالا	٥٣٢	مدار الحان	»
٢٠ تجلي تجلي	»	بجاذب	٢١٥١٢
٢٢ جزيم من	»	تقلوا	٢٠٥١٣
١ انزيم من غطالا كما غطالا ولا	٥٣٣	تقاسى	»
٣ كاخطأ كاخطأ	»	الرافعة الرافعة	»
١٧ اتقوا اتقوا	»	وافقت	١٣٥١٧
١٢ فيهما فيهما	٥٣٤	له	٤٥١٨
١٨ القمص القمص	٥٣٥	وماقتين	١٥١٩
٦ السيل السيل	٥٣٦	مطعم فيه	١١٠
٧ الامضاء الرضاء	»	اذا	٩٥٢٠
٢٢ خلافا خلافا	٥٣٨	اذا	١٠
١ عينا عينا	٥٣٩	ذكي	١١٥٢٣
٤ صغير صغير	٥٤٢	لم يكن	٢١٥٢٤
٩ حادثا حادثا	٥٤٣	من القيام	٢٥٠
٢٥ ان يستهجنه	»	اخبار	٦٥٢٦
١ الارهاى الارهاى	٥٤٦	اخبار	١٥٢٨
٣ اتفاق اتفاق	»		

بحث لغوي^(١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولا أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجم اليه الفاظها . وقد وفقني الله الى عميد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية ، والذي حملني على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة مخفورة على جدران معبد الدر البحري في طيبة النورية وازاء لقصر من الغرب يدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فامتبوه بالحفر على آثارهم قائمين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية العين (الجنوبية) ومنها العين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره . ولما نموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اعناء الحنو او اللوين توجهوا الى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها ، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبنوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المعربة أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا سواه بنسب النقوش المذكورة آنفا وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لسكنها لانخرجه عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في التعميدة الفارسية لانخرجه عن كونها فارسية . وانا اختلف هذا القول مخالفة كلية لما سأذكره بعد

(١) للعالم الاثرى المحقق احمد بك كمال نقلا عن المختلط (ج ٣ م ٥٩)

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وهذا اذا اخالقه في ذلك مبيننا انها عربية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) أكواب وابريق - من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية . ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاغناء وأكواب جمع كوب ووردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبدية كب وبالقبطية كاب وكابي وكبيبي وهي مشتقة من مادة قأب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قأب الماء شربه أو شرب كل ماء الاثاء ويقال اثناء قوأب وقوأبي : كثير الاخذ للماء . ورجل مقأب : كثير الشرب . كما يقال كاب يكوب كابا شرب بالكوب .

فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية أما اباريق فهي جمع ابريق وليست فارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش باسم احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دقلة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب وابريق وكأس من معين) أي من ماء طاهر . والكأس ووردت أيضا في المصرية والعربية بهذا اللفظ وورد أيضا في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكأس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء .

(٢) اب - ووردت هذه الكلمة في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو كما ورت في قرطاس ارس . وفي القاموس المحيط الاب الكلأ او المرعى او ما أنبتت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى - قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لمسيره وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية أيضا نظري نظرى : جرى الماء وبطنه لم يمتالك لنا . منطلها لغة في سرى بقلب الظاء سيناً لقرب المخرج فهي قريبة منها في المعنى لقريئة الجرياذ . وعلى كل حال فاذة الكلمة عربية ومصرية وليست بأعجمية كما قال المفسرون

(٤) - هبت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السريانية او

المورانية أو العبرانية والحقيقة أنها من هيت ه صاح به ودعاه وهيت ه
وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ود كرت في العربية والمصرية
ايضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي اسرع واطل عو كدا. وعليه فهي عربية
محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس - قال الشيخ رحمه الله الرس البئر أعجمية . مع أنها وردت في
القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة أنها البئر المطوبة بالحجارة وبج كانت
لبقية من عمود كذبوا نبينهم ورسوه في بئر أي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والانس
ودفن الميت. وقد ذكر كثير في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ما تلحقها
تاء التأنيث ومعناها البئر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء
ان يدفنوا موتاهم في أباريقوتها في الجبال والسرور فهي عربية ومصرية بحتة
(٦) قط - قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله: اي كتابنا بالقطبية . وجاء في القاموس
للغبرور ابادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة همه قطوط . والقطاط اي
الخراط وهو من مادة قط اي قطع عامة وعرضا او قطع شيئا صلبا كالحقة .
وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط او الخياط . (راجع
مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع
النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الخمر لان قط وخط معناها في المصرية
واحد وهي الكتابة بالخمر أي رسم الشيء بانقطع او الخراط . فالمصرية آثار
حقيقة المعنى في الكلمتين . وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان
يرسم الكتاب النصوص بالمداد الاحمر على الجدران في المابد او المقابر او نحوها
ومنى أنهم ابنى القطاط فيعلمها قلم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل
الآن في النقش على الاحجار، وهذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لغة
في الخطاط أي النقار والنحت أو النقاش وقد يطلق عليه الان في عرف العامة
ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع وسيدون تنع المسكر من المنع كالمشاب
والبيطار (قاموس المحيط) وكالتحات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع
مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من المعجمة

(٧) بم - في قوله تعالى (مذ. من بم ماعشهم ٣٠ ٧٨) قال
الشيخ رحمه الله مصابها البحر بالسريانية او العبرانية او القبطية - وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية (٨) — بحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن يحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجع انها بالحشية . والحال انه فعل متصرف من جار بمعنى رجع ونقص وحاوره ومحاوره : تراجع في الكلام . وحار بحار حيرة . أي نظر الى الشيء ولم يمتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومعانيها في قرطاس سليل وقرطاس انطاسي وقرطاس حرس وفي الدنكيكل وفي مدحة النيل للمسبرو

(٩) سينين — في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له أيضاً (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معانيهما بالحشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا وانان واين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ما يؤيده اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه ملمسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤكد ان سينين وسيناء لفظان عريان بلا نزاع

(١٠) قيوم — في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لا ينام بالسريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لا ند له من اسمائه عز وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياماً . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصحيحة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تركيباً مزجياً فصار صفة يراد بها الموجود لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عربية الاصل في كلتا اللغتين

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر
قطرية كالسكواكب وبعض النباتات والحيوان أو تخيل في حيوية ووسائل حربية
كالرحى والخفنة والرمح والحسام ، ولصفاء قرائعهم وسلامة أذواقهم أضافوا
الى هذه الحقائق ما يخطر على ضائهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي
لا تتألفها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضا والغضب ونسجوا منها على
مثال التخيل صور بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القرية فعذرم
في ذلك انهم لم يدخلوا في مسائل الفلسفة ولا عودوا أنفسهم التنقيب عن
المعاني الغامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البدهة ، فن وقت له على معنى
رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأني عنك واسع
فقد لفظته قريحته عقوا واناسا اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت
أمثال هذا التخيل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ
المعاني الى ازواج الفكر وحته على استخراجها من مفاصلها العميق كما يفعل
المولودون لنظرنا لهم بنظائر لأنعمى ، ثم ان التخيل كسائر الملكات والعنائع
اتما تترقى شيئا فشيئا وتتكامل يوما فيوما ، فتطلع زهير بن أبي سلمى مثلا على
تخيلات لا تنظر بها في أشعار من تقدموه بأمد بعيد ، فالعهد الذي يميز فيه
هذا الشاعر من معنى ان من لم يحب إلى الأمل الصغير يقع تحت وطأة الامر
الخطير بقوله

ومن يعمى أطراف الزجاج فانه يطبع العوالي ركبت كل لحنم
لا يصح ان يكون من أوائل المعصور التي ظهر فيها التخيل الشعري فان
هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقربوا في
سبيلها أطوارا ويقضون في السير اليها أحقابا ، كما ان ابن سفر الاندلسي لو نشأ
في البيتة والمصر الذين نشأ فهما زهير لم يسئل عليه ان يعصف نهر اشملقة القدم.

يصعد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله

شق النسيم عليه جيب قبصه فأنساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحت ورق الحمام بدوحها هزوا فضم من الحياء أزاره
ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب
الامثال الرائعة وصاغ التشبيه الرائقة والاستعارات الفاتنة والكنائيات
اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من
الاقوال الطائفة بالامثال والاستعارات والكنائيات التي لم تخطر على قلب عربي
قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلاء خبرة بتصريف المعاني وتروى به
الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن
الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه الممهودة وبقيروا
أساليبه تغييرا محسوسا به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدا لله بن الدميثة أو امر
ابن أبي ربيعة أو جميل أو كثيرا شاعرا جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبتة
وابطال دعواه بأقامة الحجج من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة
يتكشف بها جليا انهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ،
ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي
تقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة
من تشابه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة
في قولهم مرسومة على خطهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو المتاهية
وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر
الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تمقل ، فلو ادعى مدح
ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفالك ان تتلو عليه نبذة من
شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به
أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو يحمم انك قد فتنت به أهل العراق
أنفي قوله يصف الحمر

موردة من كف ظمي كأنما تناولها من خده فأدارها
وتجاه بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت مرى المدينة ونجحت لهم الحصار في أجل مظاهرها فكانوا أكثر
من تقدمهم تقنا في صناعة التشبيه والاستمارة وما يلحق بهما من تصرفات
الخيال كالنورية والمقابلة وحسن التخلص من غرض الى آخره، وهذا لا يمنك
من أن تقضي السابقين بأنهم أقوى عارضة وأدري بصناعة الشعر من ناحية
سبك الألفاظ ومثانة ثنائها

وبعد ان غي الناس بالنظر في شؤون الكون وسلكوا في البحث عن
أسراره طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويجري
وراء الفكر كالمسحوق له في تصوير تلك المعاني النامضة كما تراه في مثل قصيدة
ابن سينا في النفس المفتحة بقوله

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمرز وتمسم
وقصيدة المرعي المفتحة بقوله

غير مجد في ملي وأغترادي نوح بك ولا زعم شاد
وقول أبي بكر بن الطويل يصف حال الروح والجسد

نور تزد في طين الى أجل فأحاز علوا وخلي الطين للكفن
ياشد ما افتراقين بمد ما اجتماعا أظنها هدة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيا لها صفقة تمت على غبن
وفي هذه الصبغة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى
الشيخ عبي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المترج الفلسفي ان الشعراء عند ما اتسمت دائرة العلوم
الاسلامية ونبقت العلوم النظرية الى العربية مد بعضهم يده الى قضايا هذه
العلوم واصطلاحاتها وخطبها تصرفاته الخيالية كقول ابي تمام
تفرقه يلب بالمقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء
قول حمص بيص

لا تغم من عظم قدر وان كنت المشار اليه بالتنظيم
ولم الحمر بالمقول رمى الحمر بتنجيسها وبالتهريم
وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصيحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة منشأ الخط
وكذلك كانوا يقتبسون من سائر العلوم والمصانم حتى ان لكتبة

المؤخرين أن يجعلوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم شتى
ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم
للم يكن اقحوانا نثر ميسرها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر
ومن قصص أثر الشعر العربي ولا حظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ
في نفسه قوة تساعد على الفصل في بعض الايات أو القصائد التي يتنازع الرواة
في نسبتها الى قائلها ، فالتصيدة التي جاء في أثنائها
قالت لطيف خيال زارني ومضي بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن زلال الماء لم يرد
يعزوها بعضهم الى الوليد بن يزيد ومن لاحظ أن التصيدة جمعت فنونا
من الخيال لا يفحص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعر نفا أيام دخل التصنع
في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى أن
تكون كما قيل لابي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حداد
المتوفى سنة ٤٢٨

ترق التخييل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي
جر الى استمارات مكروهة وتشاويه سمجة ايضا فقد اتهم ابو تمام والمتنبي
ومن بعدهم في هذا الغرض مساوي لم يرتكبها الجاهلية ، فالعربي الصميم —
وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل
قول ابي نواس

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح
أبو قوله

ما رجل المال أضحت تشكي منك الكلالا

وتبادى الشعر ما بين تخيل فطري وتخيل فلسفي وتخيل علمي الى هذه الاعصر
وان كان النوع الاول هو الغالب في النظم والمألوف في التخاطب لان التخييل
الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخييل
الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور
والضرب الفلسفي لا يمد في الحقيقة تطورا في نفس التخييل وانما هو
تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وبيّن
كونية من طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نعرض في الجزء الثامن من ٦٦٦

ومن الأصول التي يراعى فيها في الكف عن القياس وعدم الأخذ بالامثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب ما يوقف في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجر الجمهور صوغ فعل التمتعج واسم التفضيل من الافعال المزيدة لان الصيغة لاتسع الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة حميت على السامع معانيها الخاصة كالمطوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيق بعض الممانى وتخلو العبارة عن الفائدة المطلوبة ، فاذهب اليه الاخفش والمبرد من لراحة اشتقاق أفعل التفضيل من جيم المزيد غير مستقيم وانما أجاز سيبويه اشتقاقه مما جاء على وزن افعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهد قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائفاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيبويه ولكنه شرط ان تكون همزة لغير النقل نحو أظلم الليل وأقمر المكان لان أفعل الذي يتكون همزة لغير النقل (يعني التعدية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدوث فلا يدخل زنة التمتعج أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وان كان أقرب الى الأصول لم يثقله الشاطبي بدعوى ان الاجماع قد انمقد على ثلاثة مذاهب . والاجماع لا يخرق ولو في الاحكام اللفظية :

” ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منهم من صوغ التفضيل والتمتعج من المبني للمجهول لان صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف التفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو غني وزمي وهزل وارعد وأخمي ونم واهل ونحي اذ لا يبرض عند ابرادها في احدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا العدد اشتقاق فمیل بمعنى مفعول نحو قتل وجريح وصريح فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فتموا القياس فيما ورد منه فمیل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فمیل فقالوا هليم وسميع . وأما قوله فيما عدا ذلك ، وقد تخلصوا بهذا التفصيل من المحذور الذي نحاشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف التفاعل

فأصل الاحتراز عن الابس والاهام في اللغة مكين . بيد انه لا يخفى
كسائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة المين نحو
مختار ومنقاد والعمل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تنطلق في
وصف الفاعل والمفعول ويدول في فهم ما يراد منها على قرينة حال أو مقال .
ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطراد
نفسه له بحال القياس ويبقى غيره بما فيه ايهام المراد على أصل المنع حتى ينقض
دليل السمع بمجوازه . فاذا وقم النزاع على اشتقاق يحصل منه احتمال بخلاف
المراد فالأصل بيد المانح حتى يقيم الجيز الشواهد الكافية للقياس .
وما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جملة قياسا
مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي ناظرا عن سيويه
ان باب « فعلته » الذي تضم فيه المين للمخالبة مسجوع بكثرة ولا يصح
القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تعلقوا بهذا الوجه في
استثناء بعض الفاظ تشابها قاعدة فيمردون بالمنع من اجرائها على القاعدة .
استغناء عنها بصيغة أو جملة تعد مسد الحاجة اليها . كما قال سيويه في الكتاب
لا تقول (العرب) في « قال يقل » ما أقبله « استغناء عنه بنحو « ما أكثر
فأثنته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المخالفة -
بطله انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير شديد وإنما المدار على قلة ما ورد منه
وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في
وضع القواعد صح جملة قياسا مطردا . وليس غنى اللغة بما تملكه من صيغة
أو صيغ تقييد معنى خاصا بمنافع من ان يضم اليها طريق آخر يزيد هاسمة على
سمتها . فتترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللغة ليس بعزيز
وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقبله » بمثل ما أكثر
فأثنته « فهي راجعة الى الكشف عن وجه اجمال العرب للصيغة الاولى ، وقد
تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام العرب
ما يدل على انهم نطقوا به على وقفها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم
بكثرة فنقتني فيه أثرهم ولا نخرج في تصريحه عن الوجه المنقول عنهم وبين
ما لا يكون كثيرا شائعا فيسوغ لنا ان نصرقه وننطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص أن الرب استغنت عن تصرفها بمصغ أخرى ، وجعلوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نفاها من القسم الاول وهو مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في الالفاظ الدائرة في الخطابات بكثرة حديد وجهها المسودع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يعد في غرائب اللغة العربية . فان في غيرها من اللغات الأخرى كاللغات الألمانية بمبادر بتصريف على وجوه تخالف القواعد المعروفة ، ويصرح علماءهم بوجود التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويمدون المتكلم بها على تعد القاعدة قد تعدى حد اللغة واركتب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما يشذ عن القاعدة الى ان ركبه من حروف غير حروف الوصف الاصلي ، على نسبي ما يقول علماء لغتنا ان الخلل - وهو الفاعل الاعمى - يجمع على مناجد أو مناجيد وتصريف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افعالا وأوصافا فقالوا تميم وتيمورب وتحمجر واستنسر البنات واستنوق الجمل . وقالوا أحنك العائين أو البعيرين وفلان آبل الناس أي أشدم تأقفا في رمي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لا تنكفي لتفتح باب القياس فوققوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من يشترع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القبط الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لغة من قولهم خمس وسبع وأمثالها ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يهلك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بحمل مثل هذا مقياسا الا عبد اللطيف البغدادي فإنه اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازة على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتوزيع المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصريف بمثل هذا للأفراد فيصنع كل على انفراده من أسماء الاجناس وأشباهاها ما يبدو له من أفعال وأوصاف ينسب الى اللقاء الجمل مركبة من الفاظ لا يألها انحاء أو يتماصى عليهم فهم ما يقصد منها . والمفرد الأجنبية يجري فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضمها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعته تاليفه المسمى بالعصاحي ان اللفظة قد قرر قرارها فلا
 نعلم لفة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل
 وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان
 يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل
 بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصعابة من النظر في العلوم الشريفة
 مالا يخفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لفة أو احداث لفظة لم تتقدمهم.
 وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول
 غير ما قالوه ولا ان نقبس قياسا لم يقبسه لان في ذلك فساد للغة وبطلان
 حقائقها ! اغلقت ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في
 تلك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات
 ينقلونها من معانيها القوية ويضمونها بازاء معان خاصة ، بيد انه يفرق بين الوضع
 الغربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لقويا والثاني اسما صناعيا .
 والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس
 مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم
 من الولد أو يحدوثونه من الضيعات والقرى . فان الاعصر ما برحت تكشف لنا
 من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تنسج وتنمي بالالفاظ التي تجري على السنة
 الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورماء الشياه . وليس
 من الممكن ان نصرف السنننا عن التعبير عن هذه المعاني بمد ان اندمجت في
 متاع البيت والتصقت بما يتخذها الناس من الملابس ويمتطون من المراكب
 ويرتققون به من وسائل الحياة

وما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني
 الموضوعية في قالب لغة اجنبية وتلفظ بها على علائها من غير تهذيب وسبك
 يثلف بينها وبين ماهر عربي اصيل

فالربية توسع صدرها لاقتراض الاسم من لسان آخر ولكن بمد تنقيحه
 وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سعة وغنى بما
 ملكته من المواد الغزيرة والتصاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء
 لاي معنى خرج الى حيز الوجود

وانما يستقيم هذا العمل اذا لم يفت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة فيتحيزون أو يشككون المبادئ المبادئ مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق فاقته فتعرب اليه قطع من لغة اخرى

انتباه الشرق^(١)

الغرب وبلطيس سم المستعمرين - سورية وفلسطين - اليمن وعمان - الاناضول وماعدا - مصر - ازوريجان والافان - شمال المرقية

لاجرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقده ، وبمب من نباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت نباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت غايته في كل سبق من أجتاع الشرق بصوره لا تقبل المغالطة ، ولا تحمل المرء ، بحيث شمرت أوروبا شعورا تاما بأن الشرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمحضت بمحولات لم تكن في حسابها ، وربما تلك انقلابات كان يجوز ان يستأ كل فصالحا القرون والاحقاب فمجات الحرب في توليدها يضع سنين فكان الظاهر الذي ظن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بخذا فيرها ويؤمنهم على ترأثها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطاتهم الملققة من قوى الامم الاخرى وطاعة انتثار اسلامهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصدق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزننا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلق الجو للدولة المستعمرة باقي بحرأنا على من نشاء ونهضم حق من نشاء وتقتل الاجراء قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخدعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احداها بالآخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل العرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين برائن أولئك الخلايين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم قوائم

طبقا بعد طبق يقتسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لا يسار الجزور وينقضي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يع من صنمته الخلافة ومهنته الكذب والرياء ان يجابوا أولا بالاتفاق التي قد جابوا بها من قبيل : استقلال وتحرير ، وترقية ، وتنمية ، وسيطرة وقتية ، ووصاية أبوية ، وارشاد الى وقت بلوغ الاشد . وغير ذلك من الخزعبلات التي لا يحجل أمثالهم من ان يجعلوها شباكا للصيد وخطاطيف للقبض فان لم تنفع هذه الاتفاقيات ولم تنجح هذه العناوين النخعة في اخفاء المرام وترويض المصاب فيكون الجواب ضربه برمح بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة والنيران الحارقة ويقال ان ذلك انما هو موت لاجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدينة وهمجية لاجل الإنسانية (!!) ولكن ساء في هذه النوبة فالهم وكذب عالم وراوا من العرب ما لم يكن يحظر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد انفصالها عن الامة التركية أشد تمورا من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل ، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وطن الحلفاء العالبون ان البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لقت الحروب في الشرق الأدنى والوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات بمن نكثوا بالوعود وخفروا العمود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يمد لها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعوت على البعوت وتلف الزخوف على الزخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ ألف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لاخوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الا بغضا وعدوانا . وسخينة وشناكا الى ان يثبت من تدوخ العراق بالسيف وبعد ان كانت لا تميز مطالب اهل العراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير مصمت (١) حادت هي تستمرخ الملك فيصل وذويه الى حمل العراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترا النيابة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاما ويلتجزونه باناء مطلقا ولا يرضخون للانكليز الا من بعض مسائل

اقتصادية لاغير مع ان العراق قبل الحرب المدون لم يكن بحسب احداثه بطري
على مثل هذه القوة ولا أنه يقتضي لتدوينه أكثر من توابير ممدودات ،
وليكن الحرب العامة أضاعت كل حساب وأنت من ظهر الغيب بما كان يظن من
الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا أنها تقبض عليها بمجرد
خفوق العلم الفرنسي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من
١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من المساكرو لم تكسب من وراء ذلك سوى
زيادة الاحقاد والآخر والقاح المداوات والفتن وكوز من كان يناوئها قبل
الاحتلال قد ازداد برأيه يقيناً وبغذبه استصاراً ومن كان يعمل اليها قبل ان
خبرها من قرب وقارها تحت العمل قد تحول عنها تحولاً فاته فيه اعداءها
الإميلين واتقت بكلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسمي به الى
ناحية وطنه فالحقاني ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية،
والفلسطيني ينادي باستقلال فلسطين، وليس من كل هؤلاء من رضى بسيطرة فعلية
لفرنسا ولا بكثير أو لغيرها بل غاية ما هناك عدة مأمربين من باعة الدم ونجار
الضباط وعدة سحف من قبيل الريات المرفوعة عند البدأ وزمورا لاهراس يصف
عليها المازفة لمن شاء ولمن يرض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات. هؤلاء
لا يزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنقون بكلمة « ارشاد » وعبارات
مموهة وجل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في معترك الحياة » ومن طائفة
« تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات
الفارغة الخالصة للواقع وتشدهم يدوم مادامت يد فرنسا في حلقهم وما دام
سيغها منقولا أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ ملياراً أي
أربى على مجموع ثروتها المسموية بكثير (لأن مجموع ما تملكه فرنسا لا يزيد على
٢٨٠ ملياراً) من ان تمجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال
سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكيا فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك
تحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا اخوة لا وطنهم فهم اولى بأن يخونوها
هي وان لا يصدقوها القول ولا ينخلوها لما النصيحة وان يلقبوا لما ظهر الجبن
عند اولدغرة لا تاحة ، وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدروا ان
يؤثروا شيئاً في تحويل مجرى الاحوال العامة اذ لا بد لاهل سورية من نيل
استقلالهم التام الناجز الحقن بالفعل اليالي عن المماثلة المرتسم من المناطلة ولا

بدل لعلنا من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (الموسيباليت) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكلترة في المراقاة بل الى اقل منها على حين يتكون ما تركته من الحق في قلب العرب مثلا دون كل امتزاج مائلا من كل هواة بين الفريقين . . .

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكلترة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح وصايات عصبة الأمم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطناً قومياً لليهود وفقا لتصريحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافيا لفتت في اعضاء الفلسطينيين والقلم من محروب هزائم بحيث يستنبهون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة عُددهم وتقصفت شرائط انتفاضهم فرأت من هذه الجهة أيضا لها باصرأ وحملت من حماية اليهود أصرأ ادا وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين والراقين والمصريين من قبل لن يفتأوا ناصيين للانكلتيز العداوة حتى يقلعوا عن سياسة الانحياز بالأمم ويغفروا خطر اللب باليهود والموائيق ويعرفوا ان الامة العربية هي كلها من وزراء الفلسطينيين لا تدع بلادم مجالا للاطلاع ولسان حالها يقول : « ودون عدواني كلا جداح »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكلترا ان الاحاطة يبيحهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلا بنزولهم على حكم الانكلتيز وصرم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ما ظنت . وبعد ان كان اليمانيون يحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى اربعين أو خمسين طابورا بصورة دائمة اقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام المساكين وشدوا روابط تابعيتهم للدولة والخليفة من ذي قبل ورفضوا ان يسموا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تعقد في باريس ولندرة ولم يكتفوا بالمراقبة في منطقة عدن ومنع الانكلتيز من الخطر الى الامام قداما واحدا حتى حصروهم في مرسى الحديدة الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديدة بما اجهضهم طول هذه الاشهر بالتقتال غدوا وزواحا

وكانت انكثرة رابست حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه والاستفلال .
الذي أعلقت بأحاييل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يفتّر كثيره ، وأجابها
بأنه لا يبرح عمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن
حضرة موتها الى عسرها . ولئن يقبل ان بطأ الانكثير شبراً واحداً من أرض
اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يرفون سواء ،
ولما كان قد عجم الانكثير عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذرُوا
من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفرس خشية سرعة التكذيب
وازدیاد الخطب ، ولكن حضرة الامام خائب السلطان محمد وحيد الدين الى
الاستئانة وأكد له استصاكه يبروة خلافته وبقاء جميع البايين من شافعية
وزيدية في جوزة طاعة وقربيا نطلع القراء على صورة كتاب حديث العهد
قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد
الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا
يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة
منبشا بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١)
بما جاءت فيما بعد لتفراغات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث
تلك النواحي . مازاد على ما جاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكثير انهم يحملون أمير مسقط على
تجريدكم من سلاحهم فكان منهم انهم ظلموا ذلك الأمير وحصلوه في مسقط
وما زالوا في الثورة حتى أقلمت انكثرة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم
وحاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكثرة ان تترض لهم بأذي سوء
ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية شيوخهم

اما مصر فانتا ستفرد لثورتها ونهضتها مقالا مخصوماً ، ولكن نقول
هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب وامامن
جهة الترك فكانت فرنسا تظن انها تبتزم ولاية اطنة الحسنة وانهم يتنازع
جروبهم ومنهم لاسيا هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بلغوا حد الاشقاء
ولم يبق عندهم رمق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسا
لكيليكية خسارتها ائمة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والغروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن .

ببعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك سكر،
 ولكنها اسلمت قوماً ظنهم صاروا ألين من حمل النعام فأذا بهم لم يزالوا
 افذ من ريش القنفذ، وعلت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت
 الايام وكرت الاليالي فعدلت معهم عن المخاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو
 ينوه بمعايد الترك وحسن عهدهم وحفاظتهم على أصول الحرب، وانه لولا هم
 لكان الان من النابرين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل
 نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) ثم كورن الالمان لم
 يتوقفوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اظن اكثر المتحاربين لم
 يرعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وحدهم) امسك الاتراك عن
 ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغرقها .
 ثم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه
 الولاية عند ما تقرر اخلاء كليكية ولكنه ليسها طول تلك المدة التي كان يذبح
 فيها اترك اطنه ومرعى وعينتاب في بحبوحة اوطانهم املا بالاستيلاء على تلك
 الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند نجره في
 الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش
 العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيين من
 جهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينتقل الى بارجة من بوارج المستشفيات
 كلا بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا مخالف لقوانين
 الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليجان فون سندرس باشا قائد القو
 العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بفتة الى
 مستشفى فابت انا فاذ هذا الامر قائلا : يكني انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن
 نكف عنهم حرمة له . آثرنا استمعاه هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكار
 اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بذلك
 السياسة ويفعلونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها
 ثم ان الانكليز وتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدروا في خلد ام ان
 هناك امة تنهض من المدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان مز
 وعنجمية نظرها وتقول لم بلسان حالها انكم حيث نقيم مواعيدكم باستقلا
 الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بظفر وبعد الظفر

بمظهر آخر واحترقتم بهذا القلب اضكم فاسمحوا لنا نحن أيضا بان نحترقكم
وبان لا تخضع لقرارات مؤتمركم وبان نعامل مركزكم المادي الناهض كما نعامل
مركزكم الادبي الساقط وان كنتم معتدين على ضممننا وتجريدنا من سلاحنا
واحتلال حاصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لصممننا
حداً وان لمجزنا امدا وان لنا سلاحا من عزائنا وبرديقينا وجلاء حقوقنا
ومنممة موافقنا وسمة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا
على البلاء وبياتنا على اللأواء وان لنا من جيم الشعوب الشرقية عضداً ومن
العالم الاسلامي ردها ومن طبقات العملة والاشترائيين في جيم الدنيا حامياً
ونصيراً ومن لئين وحزبه مؤنساً وسيراً بهذا كانت تتجاضى ضائرت الاتراك
وتتراسل جزائش صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على النذر
بهم فقتلهم الله لهم من مصطنى كمال من جسم هذه الافكار افعالا وألبس
هاتيك الخوارج من العمل رداء فاشعروا الا وفي الافاضول شعب يقول
البريطانيا العظمى قتي فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبلي الهامة
ملولا واتنا لقوم زبدا ان نعيش كما يمشي غيرنا وان هذا الصلح الذي عملوننا
عليه هو محو لوجودنا ولسنا له بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه
ولا الموت الذي تهددوننا به أضر في افواهنا من الصلح الذي تمدوننا به لافرق
بين الموت الاحمر والايض فكان جواب لويد جورج بيا مضاه ان مهادنة
سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلاً ولا تعديلاً ومنع الوفد
التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الخصاص اولا وثانيا ورمام بالجيش
اليوناني تعطده الجنود الانكليزية ودوارع بريطانيا العظمى وفتح لليونان
خزائن انكلترا لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازمير في آسيا
وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان يثمنوا له الاتراك ويأخذونهم اخذ
عزيز مقتدر وبحت اصوات الجنود الجورس فضلا عن المسلمين في مطالبة انكلترا
بانصاف تركية وتباينت ثوراتهم فكانوا كانوا يزيدون نار انكلترا على الترك
اجيبا وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فتريلوس بانه يصحق قوة
مصطنى كمال في ١٥ يرماء فقت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاتراك
يدافعون وقوة حكومة انقره هي الى الامام لا الى الوراء وجيش مستمى
كمال وان أعوزة كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعمم بعد قلة وجاهته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك يحاربون في الاناضول سنين طوالا تنفتح انثائها على انكلترة فتن مسقطه الآجال وعجز زلزل الجبال فساد لويدي جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التنقيص منها بعد ان كانت عنده آية لا تنسخ وعقدا لا يفسخ ولما رأت فرصة وإيطاليا مارأتا من ثبات الازراك وصمودية مراسيم وكاتنا تلمان ان تبسط اليونان في الاناضول لا ينفعهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١) للانكلترة على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقفت منذ نهاية الحرب وقعة المذنب المعتدل البصير بالمواقف في جانب العالم الاسلامي كله فصحتا انكلترة بالمدول عن هذا العناد والرجوع الى مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويدي جورج بقبول مندوبي انقره في جنب مندوبي الاستانة مع انه كان ينتمهم من قبل بالمعصاة ويعلن بأنه يستحيل بان يجلس في مؤتمر الى عمادة اشتياها فأجلسه مصبلي كمال بسيفه الى جانب « اشتياها » واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة تركية عاد لويدي جورج الى عناده وابتى بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة تعتبر جوهرها فردا فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها ولم يلبث ان رأى الخلف مع اليونان فيما كان اسلف من المهادنة نجاحا للكبرياء البريطاني فعاد يسر غور قسطنطين سرا عما اذا كانت يقدر على استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بقي تحت النزاع فاجابه قسطنطين بان الامة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضا نجحيا كافلة اخاد حمرة الاناضول بشرط ان تمدها انكلترة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت افقوت قره حصار وتياشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الازراك الى الوراء لا يريدون ان يصلوم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام ذلك غورا وعجزا ودلفوا الى الترك طامعين في الغلبة واحتلال اسكي شهر فكانت هناك الواقعة الكبرى التي اسفرت بعد حرب استمرت اسبوعا عن هزيمة اليونان الشنيعة ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء قتلاهم وخالات جرحا ومسقط أخوالهم قسطنطين (٢) وبعض القواد الكبار (١) الجلاوز الشرطي والجلم جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

في جملة القتلى وعاد اليونان يستمرحون دول الحلفاء ويستمدونهم على التبرك وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فايطاليا فخر بفشل اليونان فخر التبرك أنفسهم وفردنا لو كانت قادرة على الامداد لما اخذت كليكيا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكثرة لولم يحسبها الاعياء لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاخللاء فارس فيكيف تقدر ان تبقي خزايتها مفتوحة للحكومة أثينا ودوارعها مرصدة لحياة الارواح

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان وطاشقند والباشكرد وامار في بخارى وخيوة وكيف هبت كل من هذه الحكومات الى ترتيب أمورها وتأجيل استقلالها بمدان كان الروس أودوا بقوميتها واحدا على عصبيتها لرأت الشرق قد ركب جناحي نماعة في طلب استقلاله واستئناف مجده وتفض غبار الذل عن أفواهها وهي فارس التي كان الروس والانكاز قد تقاسموا خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان تثقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم لتستجيز انكثرة الرحيل التام عن أرضها وأعلنت الفناء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بانها نالت منها الاعتراف التام باستقلال ايران وزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت ومعارف الى الحكومة الفارسية

: واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تحجب داعيتها الى الحرب وشن الفارة على الهند لم تحمد نيران الحرب العامة حتى جددت بها نهضة لم تكن من قبل فبعث جيوشها واخرقت نفور الهند ونهضت معاقبائل شمالي الهند المشهورة ببأسها ونجديتها كالوزيري والممودي وغيرهما فحدثت انكثرة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يعملونها شهرا حتى يناوشوها شهرا فاما أمير الافغان فقد رضي بهدنة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكثرة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاة المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والمدة واعادت روسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط ثمانية والمائة ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بمحدمته وانشاء تحرير هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغانستان لديها والاستعانة بمعارف الالمان والارتفاق بمصائهم كما ان عند امير الافغان ممعلا للسلاح اسمه منذ ستين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته : وقد بلغنا ايضا ان في كل من امارتي بخارى وخيوه عددان من ضباط الاتراك العثمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم .

واذا هطقت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في الصلة والعرف والدين والغرض معدود من المشرق نجد ان اهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي واوجدا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان اهالي تونس همضوا بطلب حكومة تمثيلية مما ماطلت فرنسا فلن تقدر على منم ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الافقي الذي ظن الفرنسي انه بعد الحرب العامة يستسلم الى باس فرنسا الظافرة فقد تاز ثورة لم يقم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوني بطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على امره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عشارها وهبت الى الاخذ بثأرها وان امام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه ماتم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقم وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم برس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يمود كما بدا ويكري كما ارمى (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا)

الخمر

فمن الخمر : مؤاخذه الطباء : انحرار الجر الجديبة . اضاروا بالخيلاء : اضاروا بالاجتماعية .
اضاروا بالاقتصادية . اضاروا الادبية

يكفي المسلمون الخمر « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسألتها عند العرب « الاتم » قال الشاعر :

شربت الاتم حتى ضل عقلي كذاك الاتم تعمل بالمقول

وقد حرمها بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لغوائلها ومضارها . ومنهم من بنى بن مظمون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئا يذهب بعقلي ، ويضحك علي من هو أدنى مني .

ثم جاء الإسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربيها وقد سألو النبي (من) عند تحريمها فإذا تعمل بالحر ؟ فقال « امريقوها » فكانت شوارع المدينة كجاري السيل مما أريق فيها من الخمر

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد العرب يشكون من فسادها وانتشار الامراض وقتل الوقت وإضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة الأميركية قانوناً في اول سنة ١٩٣٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان مخزوناً لديها الى خارج بلادها حتى خفيت كندة - وهي أقرب البلاد اليها - من فساد هذه النجوم في بلادها فحرمت استيراد الخمر من الخارج الا الى حد محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فساداً عظيماً . وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمر يسمى « أبست » فحرمه غير واحدة من دول العرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيما بعد في جميع الأمم الغربية وناهيك بمجمعات مقاومة السكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تنزعج أي ازواج لهذا الخطب الجلل

قال قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شرعية الاسلام يتدارسها قضاتهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من الامر . فأقول : (ان صحت منك الهوى ارشدت لالحل) لو ان الله عز وجل

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلوكو اليه كل طريق
هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟
ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الأستاذ فلان سكير؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ربيبه من أقصد الناس أخلاقاً؟ ألم يهاهدوا من أمامهم وعن أعينهم وعن ثمائهم من مفككات روابط الاخوة ومفسدات الاخلاق بسبب الحر وغيرها من الموبقات ما لو ألقى على جبل رأيت خائفاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب كيف تسمى لرجال الدين في بلدة (اورنبورغ) - فيما أتذكر - ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم اقفال الخانات في نهار رمضان - أيام الحكومة القيصرية - فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلقي القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤثر به الى الامام فان أنتهى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين . كذلك صدر الامر باقفال الخانات أيام عيدرمضان وقتئذ بطلب علماء الدين . وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ورسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيعاد حاة أو ماخور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك - دع عن مطالبهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب ؟ قد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يملكون ان مكاتبتهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى

لاخبر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ وقد ضلها كل مافل حتى من كان ولوماً بها وهانحن اولاء نذكر أم اضرارها :-
اضرار الحر الجسدية

(١) منها الخمول والمهبط الاذان يحدث منهما زيادة التنبيه في الاعصاب ويهبان بالسكر فيتناول شيئاً من الحر فينهض به من خموله ويرفع من مهبط الجسدي والعصي لسان حاله ينشد قول أبي نواس (ودواني بالتي كانت هم الهاء) ولكنه لا يلبث ان يمود فيتولاه الخمول والانحطاط ثانية بحكم رد العمل ومحاكمه ان بعض المدمنين من الفرنسيين قال من نفسه ان أول كأس فسر

انما كانت ليزيل بها مما عراه وكل ماثريه بعدها كان ليزيل به ما اسارته الكاس الاولى من الموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بذاء فأقتل ما أهلك ما شفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القاتل

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضا مهلكة وادواء ممضلة (منها) السل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان ستين في المئة من أموات أبناء العشرين من المصلولين ، وكذا أمراض الكبد والرئتين والكلبتين . وقد قال أحد الأطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكرى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والمغضلات الدهوية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكر يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر للعقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعادة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالاعتلالات من كل قديم فيدور الوقاء والحكمة .

وما أحسن ما أجاب به جنون دماء سلطان الذي شرب الخمر ليشربها معه فقال : « انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لاكون مثل من »

بلوحي جنون . قال ابن الوردي :

واصبر الخمرة ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها التهور المصبي والنوبات المستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النمل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيرا ما يصابون بالعم ومن يلد منهم فانما يلد نملأ ضعيفا دميأ أو أبله ممتوها

وقد تبدأ النملأ ... ١٢ : ١٠ ... ١١ : ١٠ ... ١٢ : ١٠ ... ١١ : ١٠

ان اقراص الامم المتوحشة سيكون بفنك الاثرية الروحية بهم
(٢) ومنها فساد التربة المبرية لان السكر لا يلتصق الى تربة أولاده واذ
وكل امر تربة الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً
في بلاد كهده البلاد التي يقصد بتربة فاشتها الى تربة خاصة تمسح الامة مسخاً
ونجملها اينين فلاهي باهلة ولاهي متعلمة ونجملها اوراراً من زينة الاوريين
وازياتهم تكون هي الداهية بمحاصلهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاختراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكر
لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكر من ارباب المصانع فسد نظام
معنمه وان كان من أصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من
أهل الثراء الذين لا يعرف السكر منهم موسم أرضه ولا ماذا أصليح فيها الزراع
أو أقصدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئاً أو بكل ذلك الى مدير
العمل والكتاب والجاني، وكثيراً ما ترى أمثال هؤلاء من غفلة أولئك الذين
اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروهم الا ما تمودوه من السكر الذي يلجئهم
الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسيماهم نرى أمثال هؤلاء وهم على
ما وصفنا

(٤) ومنها ايقاع العداوة والبغضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة
بما يفنك روابطها ويفت في عضدها ويجعل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع
الاخوان وتفرق الزوجان وانقطع عقد الاخوان وعق الوالدان واحمل امر
الولدان بسبب بنت الحان ؟

اضرار الحجر الاقتصادية

حقاً ان داه مصر في المسكرات لدوي اذ ان معدل ما يشربه المصري يزيد
على ضعف ما يشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الحجر ما يشربه ويشجبه
في الخارج ولكن مصر لا تصدر خراً خارج حدودها ولا تنتج ما يستهلكه اهالها
مصر الحجر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في الممور لذلك يترى الحمار
في مصر بسرعة، من اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتضرب
اموال الامة الى البلاد الاجنبية سبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريم والانتاج
فحسب ولكنه تعدى الى رقعة الارض فكم من المزارع - والتفاليش -

والضياع - والعزوب - والاباعد تحولت الى الحمرين والقوادين من ادميون (٢) ان المقدّر ان تحريم الخمر في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائلها ، اذا ما يقدر ان يوفر تحريم السكرات لاهل مصر ، انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر اكثر من اربع جنيهات في السنة وان ارجح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضا لاهاليها ١٢٢ مليون جنيه في السنة .

تعاف الى رأس مال الامة

(٢) اتقاس رأس المال ، والتماذي في استهلاك رأس المال هو الاتجار الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة ظهر أثرها في مصر ظهوراً بيّناً . نعم اذا نجحت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال انثابتة الى الاجانب فلا ترى الا سبباً واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته - اذ قد اترى سكيراً غير متقاصر - فظهر مصداق قوله تعالى (فيها اثم كبير) وأي اثم اكبر من هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين (٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبمضى رأس المال وتسربه الى الخارج البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لا قيمة له بين أهله وولده وحشمه وجيرانه

(٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالى الشراب وذلك مما يذهب بالاحترام الشخصي ويحل بالمسكنة الادبية .

(٣) ٤ - ذهاب الحياء والصدق عن ذكر الله وعن الصلاة . ولا حياء لمن لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلالة القلوب ونور الروح ومصلح المدخل ما

لم أورد بهذه المجالة أن أضيف الى المدار بحثاً أعمله فقد اتخى المنار على المهلكات - ومنها الخمر - من أول نشأته وأبعد ما أذكره ما في اتجه ربيع في ص ٨٨١ - ٨٩٠ وفي ص ٨٩٧ وأفر ٩٠٠ في الجرة الثاني من التفسير

صالح مخلص رضا

شذرات أدبية

١ - آداب الكتابة

أو المداغة والثناء

كان محمد بن حازم الشاعر جارسعيد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاه
لامر كان بينهما فبلغ سعيد مجوه فأغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله
فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعث اليه عشرة آلاف درهم ونحويت
نياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه ذو الادب يحمله ظرفه على نعت
الشيء بغير هيئة، وتبعته قدرته على وصفه بغير حليته، ولم يكن ما شاع من
هجائك في جاريك الا هذا المجري. وقد باغني من سوء حالك وشدة خلثك ما لا
غضاضة به عليك مع كبر همك وعظم نفسك، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون
فيما نحت أيدينا، وقد بعث اليك بما حملته وان قل، استغناحا لما بعده وان جل،
فرد ابن حازم حريمه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل الملهب اذ غمر الفرزدق بالندى والندى
فبعثت بالاموال ترغبني كلا ورب الشفعم والوزر
لا أقبل النماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ - آداب المعاشرة

اني لهجرني الصديق نخبيا فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف ان عاتبته أغمرته فأرى له ترك العتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متغافل يدعو الحال من الامور صوابا

(١) سمعنا السيد صالح مخلص رضا

(١) سعيد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان، يدعي أنه من أولاد ملوك
الفرس له من الكتب اضعاف المجمع من العرب ويعرف بالتسوية، ودويان رسائل
ودويان شعر صغير وهو شاعر أدب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته
جيد السرقة حتى قال بعض الفضلاء: لو قيل لكللام سعيد وشعره ارجع الى
أهلكت لما هو منه شوه.

أوليته مني السكوت وربما كان السكوت من الجواب جوابا
الناشئ الأصغر (١)

٣ - التمجيد المعجب

لمح كوكبا وأبدعنا والتفت ربما فان عدلك اسألتها لم تمدك السبا
وجه أهر وجيد زانه جيد وقامه نخجل الخطى تقويما
يا من تجل من التشبيه صورته أأنت مثلت روح الحسن نجسبا
لو شاهدتلك النصارى في مابدها بمثلا ربمت فيك الاقانبها
حبوبي (٢)

٤ - ومنه في وصف من

رفا ظليا وغنى عندليبيا ولاح شقائقا ومضى قضيبا
بعض الشعراء في عصر الثمالي (٣)

٥ - ومنه

بدت قرأ ومالت خطوط بان وفاحت عنبراً ورنث غزالا
المنهي (٤)

٦ - ومن الابداع في هذا

ويض بالمناظر الميوز كأنما هززن سبوقاً وأستلطن خناجرا
تصددين لي يوما بمنعرج الهوى فنادون قلبي بالتصير غادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومن غصوناً والتفتن جاذرا
وأطلعن في الاجياد بالدرأنجما جعلن لحبات القلوب خرائر
الزاهي (٥)

٧ - الانحياز الى المدوعداوة

اذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عادلك خدنا مصافيا

(١) هو ابو الحسن اعلي بن عبد الله بن وصيف المبروف الناشئ الأصغر الشاعر
المشهور وهو من الشعراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٦
(٢) محمد سعيد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل النيسابوري الثمالي صاحب القيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن
الحسين المنهي قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلفه
البغدادي المبروف بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

فلا نساأل عما لديه فإنه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا
مصممة بن ناجية

واحد منهم فقال

٨ - اذا صافى صديق من تمادى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ - رثاء بردوب

كأنني لمحمد بن عبد الملك رذون اشهب لم ير مثله فراحة وحسنا فسمي ساع
الى المعتصم ووصف له فراحته فبعت المعتصم اليه فأحده منه فقال ابن عبد
الملك يرثيه

كيف المزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب
ومنها فالآن اذ كنت اذاتك كلها ودعا العيون اليك لون معجب
واختير من سر الحداثد خيرها لك خالصا ومن الحلي الاغرب
وغدوت طنان الحديد كأنما في كل عضو منك صنح يضرب
وكأن سرجك اذ علاك غمامة وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلالة وغدا المدو وصدره يتلعب
ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبالني من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ - توافق الخاطرين ، بين الشاعرين .

خرج جرير والفرزدق مرتدين على ناقة الى هشام بن عبد الملك الاموي
وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فحملت الناقة تلتفت فضربها
الفرزدق وقال :-

الام تلتفتين وانت تحتي وخبر الناس كلهم أمانني
متى زدي الرصافة تبترعني من التهجير والدبر الدوامي
ثم قال : الآن يأتيني جرير فأنشده مدين البيتين فيقول :

تلتفت انما تحت ابن قين الى الكبيرين والفاأس الكهام
متى زدت الرصافة تحز فيها تكزيك في المواسم كل عام
جاء جرير والفرزدق بشحك ؛ فقال : ما يضحكك ياها فراس ؟ فأنشده
البيتين الاولين فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد
قلت هذا . فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (ينظر)

باب انتقاد المنار

رد جريدة القبلة

على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب أحد المتعلقين لامراء مكة في جريدة الأهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعمزعة الثقة بمن اتخذهم هو وأمثاله زعماء الغرب مشايمة للسياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح أكبر دولة اسلامية يعتز بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها والتأمر الملك الانكليز قلب الأسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستلموا سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب أن ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آله بيده... ولوصح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والصلة العربية

وقد كان من جنابة ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدافع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فعرفوا جنابة أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتتها المنار شيئاً .

ثم اتناطلطنا على العدد ٥١٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بانشاءه القريب فرأيناها كما كتب اليها بعض من اطلع عليها قلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربية اذ قال: «وجدتها بمكان صحيح من السخانة يكتفي في الرد عليها فنشرها» فرأينا ان تنشرها وزود عليها وأن كان رأي صاحب هذه العبارة صحيحاً لأن سائر حجة بقية القصة مشروطة

مفتون بكل ما يكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار » وهذا نصها :

أعجمي أم صربي ٢١

تحقق لدينا في هذا الاسبوع - احتدام غيظ وغضب وعداوة وبغضاء مولانا... ومصباح ظلامنا... وشيد رضا - على سيدنا مولانا المنتقد وأنجاله بما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغرم من كثرته بالتهديد المعلوم الشكل والماعية !

وعليه فلا يسعنا أن تأتي بشيء في الموضوع الا يائنا بأن الروابط التي يرممها حضرة نجمنا نسترحم مواطن مدارك ارشادات كلالته المغفور والصفيح : .. ولا نظن أن عظم جريمة .. سيدنا المنتقد وأنجاله في نظره - ينسبه : هوالكاظمين الغيظ والمافين عن الناس » أنه ان المعظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواء بتلك الفضائل ... والجلال ... تأتي شهادتها المبادأة بأبسط من ذلك التمريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجاب فضلا عن تزعم أنك من عنصرهم وهذا لانك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجاياء والزياء ...

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الأمة الأوحدة ... وهاديا الفرد الابد ...) أولا : أهو صربي أم أعجمي ؟ وإذا كان الاول فليس اسئل وثاقته الى الفخيدة التي يريد أن ينتمي اليها - وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره ... وتترادف كبرياء

عظمته . . . لدينا ليس الا

ولا بأس أن نشفع طالبنا هذا بقرنا : ان نجابة شعور ذلك الدسوس
تقضي علينا أيضا بأن نكتفي من البحث في الموضوع بما أوردنا أحد قرائنا
الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل المدد الثاني للنضم
الرد على عداه مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله :

(يمرض الاستاذ بأرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له :
عساه ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الفاتحة باخراجهم « بقدره الباري »
للجنرال ليمان فون سندرس وما ادرالك ما سندرس من سورية ويطبقها
على نتائج مواقف حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو .
ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن يشكر هذا وهو القائل بأنه كان الأمر
الناهي في دمشق بولي من يشاء ويمزل من يشاء من الوزراء . ويقرب
من يشاء ويمد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هائين التيجتين اللتين جمعنا
فأومنا القضية من مبدأها الى منتهاها بعد تطبيقها ومما يستلزمها على ما ذكر
— تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدنا الشيخ رشيد بقوله :
(الحقائق الجلية في تاريخ القضية المربية) : عنوان مقالة تنديده بإسادتنا
فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم
لسندرس وألمانيته ، وادخال مولانا الاستاذ وهياتة كما ذكر لغورو
وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريقتنا وحوادثها ؟ أو هل يقتضي
بحث أي مؤرخ فيها ؟ ربنا لا فضلنا بمداد هديتنا

لاندرني وأبيكم كيف فات على تلك المظنة وكبرياتها بأن الكثير حتى

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك العظمة والانانية لهذا العداء والبغضاء ومصارحتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقتنا غورو وجعلهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتحريض والنيل من أشبالنا^(١) وسرابتنا هو فصل من تلك النصول وبقلة من تلك الحقول... فليتناملوا!! أما بحمته عن عدائنا للترك فقد أجاب عنه طليعنا في عدد (١٣٥٠٤) من امرنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلاله ملك الحجاز بحسب تعرجيك الأخير ، وبمداوة ، الاتحاديين التي أدت الى عاريتهم وهذه أدت لحاربه الاتراك لكون الامة الترككية كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن بالامكان سوى ذلك فهل لايسد الاستاذ ان يرى من عما اذا كانت المداوة لا تؤدي الى الخصومة والخصومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين منصرين وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب العامة وما حمل جلاله ملك الحجاز لمناوئتهم الا ما كان يسمعه عن ظلم جمال وقته خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض ضد الاتحاديين بمد عودتكم من الاستماتة وما كان يذكره في الجرائد العربية طلاب الاصلاح في سورية . فلما فعل ولكن الظروف الاخيرة عاكسته وتغلى عنه حلفاؤه بمد ان داسوا حقوق الشوب الضعيفة ولم يراعوا عودا وعودا فالتقوة القاهرة اليوم لاتمنع امة بأمرها من المطالبة بحقوقها المشروع والدود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا أيضا : انه يعز علينا أن

(١) ليتأمل القاري، كلمة أشبالنا ومن قالها

أثانية تلك العظمة والكبرياء تنقض اليوم ما دلت بالأمس فان منارنا... ومظهر تخارنا... كما أنه موجود لدينا - ضروري أنه موجود أيضاً لدى كثير من تراثه فانه مشتمل على الفارات الشواء التي شها مولانا على الترك بما هو معلوم

ومع ذلك فلا بد أن هناك دواعي... وأسبابها... لهذا التخليط والتخبط والتقليط لا تدركها الا أثانية تلك العظمة والكبرياء... غير اننا والحالة هذه نلتصق احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن: أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية؟ والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتألمين والمدققين - الى ما نقله البرقيات الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكمالين على اخلاء انقرة وانتقالهم الى قيصريه - ليطبقوا هذا البناء على استعجال الشيخ رشيد بصر به المثل ثم في مباحثه التدبيرة بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نلظن (ان صنع نركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك يامولانا لدمشق ، اذ كلام جريدة القبلة بنصه السليم وعاطفتها المعروفة (المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخلل الشرعي والاخري والسياسي لشفطنا قراء المنار زمناً طويلاً بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار عليها فنكتفي اذاً بما نراه مفيداً من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئاً من « الحقائق الجلية » التي أثبتناها في مقالنا التاريخي لحصره الانكار والرد علينا بما أورد في مقالته يتضمن الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لتدبره الذي رد علينا في الاهرام، فما أورد به بنحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

اما المسألتان اللتان جادت بهما قريحة سائس القبلة وقلمها يصدر مثلها الا من ذلك الفكر القريب ، والدماع الخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة : أعجمي ام عربي !

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه بأخراجنا من الامة العربية والحق نسبنا بالاجم والظاهر ~~بأنهم~~ بهم الترك الذين أنكرنا عليه عدوانه لم ومحاربهم إياهم تولايا للانكيز ولنا في هذه المسألة بحجت :

(١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فأكثر مسلمي الارض من عرب وعجم أتراك لانهم يشاركون صاحب المنار في رأيه وشموه في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقد علمنا بالخبر وخبر الثقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكمهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يتقون بأنه لا يفشي لحاكمهم المطلق (٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا

من المشاركين لهم في نسبهم فاقول فيمن ينتصر لقوم بالسنان، والسيف والسنان، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاول بأن يمد منهم ان لم يكن بالنسب فيقوله تعالى (ومن يتولم منكم فانه منهم) (٣) بعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من

عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تمجيز : أهو عربي ام عجمي ؟ (قال) « وان كان الاول فليس لسلسل وثائقه الى الفخيزة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها : فيا ليت شعري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملكة العرب الا يمتدوا بعربية احد الا اذا جاءهم بوثائق سلسلة الى الفخذ او الفخيزة التي ينتمون اليها او يريدون الاتهام اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والعراق وامثالها كصر والمغرب الأدنى والاقصى ؟

(٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطعن في نسبنا طعنًا بليغًا بأخراجنا من الامة العربية بأسرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس ما بهم كثر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحه. والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية. ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ما هو مشهور فيها ان بعض كبار أمرائها... قد ثبت بطلان نسبة في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن امه - وهي مملوكة بالطريقة المرووفة اليوم وهي غير شرعية غالباً - دخلت بيت ابيه وهي حامل به ووضعت قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك. فقلنا لكنه يدعي للنسب العلوي وحكم الشرع أن للناس بأمرؤن على أنسابهم وإن الطعن في النسب من حمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكره، فأين هذا إلا دب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاة بالشرع والدين؟

(٥) يقول سائس القبلة متهمًا كعادته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة ليتضاعف قدره... وتترادف كبرياء عظمته... لديه أي بالتفضيذة الحقيقية التي يريد الانهاء اليها. وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وجميع أهل قريته (القبليون) ماعدا الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرفاء ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال: سيد شريف من القبليون - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب «السيد» عند أهل العلم والادب والوجاعة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يقتصر يوماً من الايام بنسبه لا قولاً ولا كتابة (٥) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الدانية فلم يمدوا لهم مفخراً يتكبرون به على الناس الا الانهاء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب، فأبولهب أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما. وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (٥) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي نظمناها كاشر شعرتا في الهدانة زمن طلب العلم

مملقات غول الشر قاصرة عنها كقصورة الشهم الدريدي
تطوى قصائدهم طي السجل اذا ما ساجلت شعر كندي وعبيدي
برئت من فصحاء الهاشمية ان تنشر ومن لسن النسل الحسيني
والجواب ان هذا نثر بالمصاحبة لم يقمده التخرى بالنسب بل تم بمصداق من
النثر الا أسلوبه، على اننا نستغفر الله منه ومن مثله في قصيدة المجاذبية

ان انكروكم عند الله انكم ان الله عالم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغير من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركاذ بمحجته فلما خرج لم يحمد مئاعا فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها بآياتها، النار وتجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ونجعلناكم شعوبا الى قوله -خير) والا حاديت في هذا الباب كثيرة

لعمري ان صاحب المنار لا يعد شرف النسب سببا للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سببا واحدا وهو شعور المتكبر بهمة يحاول اخفاءها بتكلف اظهار همته كبريا على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يحفل بأن يكون من المطاه في نظر سائس القبة بعد أن علم من حاله ومن المطاه في نظره ما علم. الكبير غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد المرفاء (ص) وصاحب المنار يحمده الله تعالى ان وفقه للخصوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطالب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرحم اليه. ولم يجمعه كن لا يتجرا أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه تحرف بعض آيات القرآن لفظا ومعنى وكذب على الرسول فباعزاه اليه من المقتضوات وقد أرشدنا بعض محرري القبة الى تفسيه فلم يتجرؤا بعد ان جربوا النصيح والتنبية فأهينوا وهو يحتقر العلم والملاء ومن فوقه من السادة والامراء (٦) لو صدق سائس جريدة القبة ومحاميه الدكتور طليم في زعمهما أن صاحب المنار قد اقتضرت بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان يعد عن الضوابط وأحق بالنقد من جريدة القبة وسائسها بما نشر فيها من القصر والتبجح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا ابدالا ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة. فجعل سائس القبة هذا القول نفرا للعرب الذين اتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله «ان على مثل هذا يناس المتنافسون، لئلا يعمل العلماء انهم فجعل قول التيمس بالمكانة التي خضع بها كتاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بعسيفة الحصر فقال مشيرا الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعم والقيم والامن الدائم

من المذاب (ان هذا هو الفوز العظيم • لمثل هذا فليعمل العالمون) يخالف سائس القبة كتاب الله تعالى وجعل رضاء الانكليز المستنبت من اشراكهم للعرب أو للحجاز مع اليهود الصهيونيين والارمن في لوث ملك الدولة العثمانية هو الفوز العظيم الذي يجب أن يعمل له العالمون دون سواء كما يعمل المؤمنون المثقون لنيل رضاء الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ما هو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ما قاله ملك الحجاز نفسه في كتاب لثائب ملك الانكليز بمصر ونشره مرارا في جريدة القبة افتخارا وتبجيحا به لحسانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى باخلاصه واخلاص اولاده « الذين لا تغيرهم الطوارئ والاهواء » لبريطانية المظلي وطالبها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه بالخروج على دولته وقتالها معها أو تعيين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة اليه . — وبعد أن صرح بأنه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من دونها . قال ما نصه « ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه ينصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويخزي لخلق يحمل المبردية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان الله ونعيمه في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة من تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والحفاظة عليها في داخلتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعدد بأي شكل حتى الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه « مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخلتها وحماية حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال المنظمة البريطانية » كما اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية لفرنيس كما

لو قرر له، وقرر الساج على هذا بدون واسطة «المظلة البريطانية» وقبله يكون مطروداً من رحمة الله تعالى ليس له منة الله ومن المعلوم أن «المظلة البريطانية» لم تنفذ تلك المقررات التي جعلت لها سبباً وجباً لخروجه مع أولاده من الحجاز أو بلاد العرب إلى حيث تختار لهم المظلة البريطانية، وهي لا تختار لهم إلا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها.

شبهة سائس الحجاز الكالبيين

والسؤال الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من صاحب المنار «ارشاد العالم إلى من يجب أن يتبعوه الآن : أم يقتدون بأقربة أم القسطنطينية؟» وقضى على هذا القول بالذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكالبيين على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتنبؤهم بهم، ونفضيهم على زعماء الحجاز يعني أنهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وطالما أظهرت جريدة القبلة الشكامة بهم، وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه الشكامة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الحلال كسروره من قبل بفتح القدس وبغداد ودهشق إلا بعد أن نصر الله الكالبيين على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مذهومين مدحورين، ولعلم سائس القبلة أن العالم الاسلامي لا يحتاج إلى مرشد يرشده إلى من يقتدي به من فريق القسطنطينية وأنقرة، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم إلى ضد ما تفهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة، وهم يعلمون أنه لا خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وإنما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل ابقاء بلادهم لهم وسلمان خايفتهم من السيطرة الاجنبية التي يتخبر سائس القبلة وحكومته الحجازية بالخنوع لها طوعاً واختياراً بمثل ما نقلناه عنها آنفاً. نعم ان الاستانة خدعت أولاً بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكالبيين عصاة ولم يكن ذلك تميلاً للعالم الاسلامي إلى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم ان يكونوا آلات لا ولت الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت ان ثابت المرشدها وعرفت للكالبيين فضلمهم عليها وعانق مندوبيها في لندن مندوب أنقرة. أليس صاحب المنار صادقاً في حكمه بان زعماء أنقرة سجلوا أنفسهم الاسلامية لالتصميم التركي وحده العنصري والمخار وزعماء الحجاز سجلوا على انفسهم وأعوامهم.....؟

هل اخراج الترك من سورية مخيرة للحداد

وأما المسألان السابقان فالأولى منهما نقلت جريدة القبلة عن نصير عاروي اذ زعماء الحجاز ثم الذين أخرجوا القائد الألماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية من سورية الخ وجوابنا عنها على فرض التسليم أننا لم ندها من أعظم التكبيلات التي أصابت العرب والاسلام بفؤمهم بسلبهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي جعلت لأهلها من الحقوق في الدولة مثلاً لترك فيها ليحل محلهم فيها الانكليز واليهود المسيحيون والفرنسيون وحالة أهل البلاد بهم مروفة. ولكن سائس القنلة ودكتوراه من طائفة الدروز ومن أيده كرايس أفندي الصباح من طائفة أهل السنة من المسلمين يقولون أخذ الافرنج للارض المقدسة والارض المباركة (سورية) على سلطان الترك عليها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد الأعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال البلاد ، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو رويير دو كيه ناموس الجبال غورو أخبرني رجل من أشهر أنصاركم وأعلمهم بحال البلاد انه لو خير أهل لبنان حتى المواطنة منهم ينسبك وبين الترك افضل الترك عليكم ثمانون في المئة من أنصاركم المواطنة فالقول بغيرهم فقال انا نعلم شيئاً من هذا ولكن دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة ما لا يتشاه فيه -ائها من انتصار الكيلين على اليونان وفيه الانكليز الى ما فيه من الخطر على سورية وبمعرض حكومته لتلافي هذا الخطر ، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة لقرة - وكنا في مدينة جنيف بسويسرا - أظهر دياس أفندي الصباح السرور وعلمه بأن انتصار الترك ربما يقضي الى زحفهم على سورية ، قلت وهل تفضل الفرنسيين على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيين واليونان ، وتفضيله للانكليز بالأولى ، ثم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال ؛ ولو أن سورية نالت الاستقلال بما يقتضون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في التفخر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه المأقبة السوءى لمامهم المبني على

الفساد من أول يوم

من سلم دمشق لفرنسية

هذا وان من الجلي البين أن تبجح سائس جريدة القنلة بقلاوا اقراراً باخراج

العثمانيين من سورية هو نصر صريح بأنهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيين الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنأهم ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبله الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنصو على إقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساً له وبعد ذلك وهو لم يستطع قبول أنذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه إلا بعد تمطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها إلى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الأمة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان أكبر ممثل للأمة لأنه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكاً باسم الأمة فإذا كان سائس القبلة ينكر هذا أو يماري فيه فالتنا نطش نصوص البرقيات التي أرسلها الملك فيصل إلى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للدؤتر بأنه قرر خيائته وقته وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها، اليس من غرائب شؤون البشر أن يقول المالمون بهذه الحقائق أن صاحب المنار هو الذي ادت مواقفه إلى تسليم البلاد إلى الجنرال غورو!! ثم يعللون ذلك بزعمهم نهكاً أنه ادعى أنه كان هو الأمر الناهي في دمشق بولي من يشاء ويعزل من يشاء، وهل يمكن أن يصل أحد إلى سفة نفسه بمثل هذا إلا بخذلان من الله؟

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة عن نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتضاها سائس القبلة - أن صاحب المنار أشار على ملك الحجاز بعداوة الاتحاديين فأفضت العداوة إلى قتال الترك لأن امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين - فهي تضليل ظاهر وافك بين فإن صاحب المنار انما ذهب إلى الحجاز حاجاً بعد خروج أمير مكة عن الدولة وقتاله إياها واستماتته عليها بالدولة البريطانية التي ايدته بأساسيها، وببعض الجود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بمكة ومكة والشائف وفي تلك الاثناء فصحناله بما اشرفنا إلى بعضه في بعض القتالات تحت اشرف المراقبة الثقيلة على المنار وصرحتنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهمه التحذير من عداة الأمة التركية وإن يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وإن يصر عداوته في خطة الاتحاديين العلورية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للملح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمعنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليهم ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استفربنا اقرار سائس القبة ما ذكر من سخط نصيره والحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لنا وثقتهم» (١) الا كذا وكذا. فلهي كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاته انكسرة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية ؟ أم كان ذلك بفعل الدسائس والمنهيات الانكليزية ؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مفيدة ونصرا لجمعية علماء الاستانة وللحزب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وقتن بالمصيبة الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على انترك ولا على الدولة بل كان انتصارا لها. وقد علت في أوروبا أن السواد الاعظم في الاستانة والانانول صار خصما لا أولئك الغلاة واثثروا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب . ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك المصيبة الجاهلية التي أنكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

تنبية افترى الدكتور طليم علينا ما شايسته عليه جريدة القبة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من أسباب خروج أمراء الحجاز عليهم وغرضهم ان ذلك معروف جلي. والا قلياً نوبت من المنار يؤيد زعمهما . كما افترى علينا الدكتور طليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب . والصواب اننا كنا في أول العهد بالنورة غير مطلعين على دخالها وأسبابها فظننا انه يمكننا أن نوقفها عند حد ما يسميه المناطقة فنية مانعة الخلو وهو اما ان تنفع واما ألا تضر وبذلنا ما استطعنا من الصبح في هذه السبيل ، وقد رابنا كلام الرجل في مكة وان سرخ في حفلة من العامة

جهرًا بأنه لم يبرأ أحد عن رايه من غير توافؤ قبل خطبتنا في تلك الحفلة. ونحن ننزيل هذا الرد بنص بلاغ حكومة الحجاز الرسمي بمنع المنار من الحجاز الذي سمعنا المراقبة من نشره في أيام الحرب . وهذا نصه منقولاً عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

« ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ : مجلد ١٩ ، العدد ١٩ في محرونية . عبر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بن قدم البناء ابنه الدوب والتعامل عليهم لا تعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحط والتبيل منها ، اذ ان الافضل النجباء المشايخ الهم اجل وارفع من ان تتهم شائبة بما رمتهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لا ذنب لهم في حياة الشيخ المروفة الا انضمامهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا — وهي لم يرض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الغيظ والغضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك العظيم الذي توجه الى مراجعته انظار الافضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الخطة نذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان مسلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمر واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح لخلق (٢) تقول بمناسبة هذه العبارة ان منع الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفته قدره وحطة قدرها وثمة الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دعوى كون كلامنا كان من اسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناجمة عن الاغراض التنفسية التي تأبأها شيخ قوميتنا وشهامته امتنا، فتلافيا لضرر ما صدر من حفرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب امام الامم والشعوب لاسيا في الآونة الحاضرة، ودروءا لما ينطوي تحت القادي في ذلك من المساويء المنيرة لشمار عنصرنا الشريفة قد تقرر منع دخول تلك المجلة الى الممالك الهامشية (١). وقد ابلغ ذلك لمدير صوم دوائر البرق والبريد ومديري الجمارك في الشفور. وهذا اول وآخر جواب تعده الحكومة لكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل اه

تقريظ المطبوعات (*)

مجلة علمية عراقية عراقية بحروما نخبه من افضل الكتاب ملحاتها ٢٤ بقطع الفجر فلتر تصدر في الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا وادلرهما (بنج اقلية عدد ٢٥٠ بنون بوقية الاشتراك بها سنون فرنسكا ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة المنار بعد

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة مقم بالمقالات النافعة والنبد المقيمة مما يرهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا الجزء ان المجلة فتحت لطلب الانتقاد والتقريظ وتقدم المؤلفات الحديثة وانها عزمت على ان تكون في

فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان لا يلا روى « و نلوا » كمنار الطريق —

٢٩ صفر ١٣٤٠ - ٧ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢١

فتاوى المنار

فصحت هذا الباب لاجابة أسئلة المتكررين خاصة اذ لا يسع الناس علما، ولعقود على السائل أن يبين اسمه وقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لحل هذا ، ولعن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

في أسئلة من جاوه

(س ١٥ - ١٧) من صبيس بالامضاء المبهم في ذيله

تتعلق بالربا في القراض المالية والقولس النحاسية وصندوق التوفير

حضرة مولاي الاستاذ العلامة الفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر زاده الله فضلا وكرما . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كلفني عدد من العقلاء أن ارفعهم الى حضرتكم أسئلة آتية ارجو من فضلكم الجواب عنها وهي :

- (١) اعطى رجل رجلا آخر ديناً قدره عشر روبيات هولندية من فضة وشرط عليه أن يدفع له خمس عشرة روبية من القراض المالية الهولندية، قال عالم من العلماء الجاويين (الملاويين) المدرسين في مكة المكرمة : هذا جائز فان يبيع القراض المالية بالروبيات القضية مع زيادة احدهما على الآخر جائز وليس في ذلك ربا - بخلاف ما اذا يبيع قراضا من هذه القراض بحنسه مع زيادة فانه لا يجوز كييم الدرهم بالدرهمين ، قبل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٢) عندنا قولس نحاسية هولندية تساوي مئة سنت منها روبية واحدة هولندية فهل يجوز لنا أن نبيع روبية من هذه الروبيات بمئة وعشرين من هذه القراض أم لا ؟ قال العالم الجاوي : انه يجوز وعليه يقاس بيع القراض المالية بالروبيات مع زيادة احدهما على الآخر وهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٣) يوجد عندنا ما يسمى « فوستر بتك » Posts parbank وضمته

الحكومة المولانية لا يدع أحده من الناس يريد توفير المال والمستربح لا يقبل أكثر من الفين وخمسين روية يودع فيه . وكل من أودع ماله فيه نحو سنة زاده عليه زيادة وله أن يتردد منه ما شاء ومتى شاء — فهل يجوز لنا أن نودع مالتنا فيه وتأخذ الزيادة أم يجوز لنا إيداع مالتنا فيه فقط وبحرم علينا أخذ الزيادة ؟ وهذه الزيادة ليست بكثيرة وإنما هي نحو اثنتين أو ثلاث في المائة هذه هي الاسئلة المرجو من علومكم الجواب عنها جواباً شافياً ولكم منا الشكر والثناء الجليل ، ومن الله التاجر الجزيل . (سائلون)

سببس محمراً ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

جواب المنار

قد سبق لنا فتاوى في هذه المسائل وأما هنا فتوى في الأوراق المالية المسماة بالانواط أو (بنك نوت) وبحت الزكاة والربا فيها (ص ٥١ م ٥) وفتوى في بيع الدين بالتقدي والأوراق المالية وهل هي تقود أم لا (٥٣٨ م ٩) وفتوى في صندوق التوفير (ص ٧١٧ م ٦ و ٢٨ م ٧) وغير ذلك . ومذهب المنار في أمثال هذه المسائل المدنية أن يراعى فيها أسس الشارع وحكمة التشريع والقواعد العامة ولا سيما التعليق منها كالبيع ودفع المخرج والعنت ونفي الضرر والضرار وجانب المصالح ودفع المفاسد ، فجميع هذه الدلائل تقى في الوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الأول ونكتفي في الجواب لأجل ما هنا الاحالة على ما تقدم

حكم الانواط في البيع والدين

(المسألة الأولى) استدامة عشر روبيات هولندية من الفضة بخمس عشرة روية من القراطيس المالية المولانية . هذه القراطيس سندات أو حوالات من الحكومة الهولندية بدين عليها لحاملها من الروبيات الفضية . فهي ليست عروض تجارة لها قيمة زمنية وإنما هي حاتم البنت بوت في البيع والدين لا لحاملها أخذها ما يقع فيه . من شأنه أن يفكر الدائن في الواقعة المسؤولة عنها قال للدائن حاتم البنت بوت في البيع والدين بشرط أن تعطيني بها حوالة على فلان الذي مالي أوي خمس عشرة . فهل يصح أن يقال في مثل هذه الصورة أن الدائن اشترى من المدين ورقة بعشر روبيات من الفضة ليدفعها بالورق غير

ربوي فلا يشترط أن يباع بثلاث غنل ولا يبدأ بيد لا اختلاف الجنس ؟ ما أعلن أن ذلك المدرس الجاوي يقول بجواز هذا فإذا صدق ظني فبماذا يفرق بين الجورين ؟ قد يقول هذه القرائن المالية الدولية قد تنقص قيمتها بالنقد النقضي والذهب مما التزم بها من روبيات أو قروش أو جنهات فتباع بما دربه كما هو واقع اليوم في القرائن (الأنواع) النسوية والامانية والفرنسية وغيرها فمنها ما يباع بنصف القيمة وما يباع بمجسها أو سبعة أو أدنى من ذلك أو أكثر فهذا صارت من قبيل عروض التجارة — ونقول ان هذا النقص في قيمة الأنواع لا يكون من الحكومة التي أصدرتها في بلادها وإنما يعرض في التعامل بين الأجانب وتبينه أن الثقة المالية بالدول تقوى وتضعف أحياناً كالثقة بالأفراد بما يرضى لها من المعجز عن دفع كل ما عليها من الدين فيفتد رضى من بيده سند أو حواله على مثل هذه الدولة أن يبيعه بما دون القيمة المرقومة في السند أو الحواله إذا لم يكن يستطيع معاملة هذه الدولة بها أو انتظار عودة الثقة المالية التي تمكنها من الوفاء بما أكرمه من دفع هذه القيمة وتحمل الناس على تداول قرائنها (أنواعها) بقيمتها كاملة ، ومثل هذه الحالة لا تصدق على مثل الحكومة المولاندية في بلادها ومستعمراتها فان قرائنها المالية لا تنقص عن القيمة المرقومة فيها من الروبيات النقضية ، فإذا أخذ الدائن من الدين في النازلة المسؤول عنها قرطاساً بخمس عشرة روية فانه يمكنه أن يأخذ من الحكومة هذا المبلغ من النقضة أو يدفعه لاي مصلحة من مصالحها بهذه القيمة فإذا كان عليه دين للحكومة قبضه منه خزيفتها وإذا دفعه لمصلحة البريد أو مصلحة الجمارك أو صندوق التوفير فانه لا يفرق بينه وبين النقضة البتة ، وإنما قد يفرق بينهما في البلاد الأجنبية التي لا تتعامل قرائن هذه الدولة ولا فئتها بحسب الأحوال التي أشرنا إليها آنفاً

وإذا سلم ان هذه القرائن من قبيل عروض التجارة امتنع فيها الربا في جميع مذاهب الفقهاء لانها ليست من النقد ولا من اصول الاقوات التي ورد بها النص ولا مما ألحق بها قياساً فتتمد روية عند اهل الحديث وفتحها ولا من المكيلات ولا من الموزونات فتتمد روية عند اهل الرأي ، فكيف منع زيادة أحد الموضين فيها بعمالها كبيع الذهب بالذهب والنقضة بالنقضة أو البر بالبر فظهر بهذا أن رأي ذلك المدرس على كونه غير مطابق للواقع يؤدي الى

إباحة الربا الذي لا شك فيه حق في دار الاسلام بين أهله وبذهب بمحكمة الشرع في تحريره وهو تماطفت الناس وزراهم ولما ونهم في اوقات العسرة كما أنه يتوسل به الى منع الزكاة أيضاً

بيع الفلوس النحاسية بالفضة

وأما المسألة الثانية وهي مسألة الفلوس النحاسية فقول العالم الجاوي فيها هو من مذهب الشافعية الذي يتقلده مسلمو جاوه فهو مصيب فيه ولكنه مخطئ في قياس القراطيس المالية عليه لأنها سندات أو حوالات بنقد ريوبي، ولو كانت هذه الفلوس عمدة في النقد لجعل لها حكم الذهب والفضة بالقياس الجلي أو لغوى النص، وليست كذلك بل جعلت لاجل ضبط كسورها والتعامل بها قليل ومحصور ما تضر به كل دولة منها في بلادها فلو نقل الى بلاد أخرى لا يتعامل به ولا يباع بقيمة النقد ولا بقيمة معدنه لو كان آتية بخلاف تقود النقطة فإنها تباع في كل قطر لا يتعامل أهلها بقيمة معدنه. وما قلناه في هذه الفلوس هو المتعين في القوت الغالب اذا لم يكن من الاقوات التي ورد بها النص صناديق التوفير والفرق بين دار الاسلام وغيرها

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة صندوق التوفير فهي عامة في جميع الممالك الاوربية وما على نسقها من البلاد كصر، وقد أجازها جماعة من علماء المذاهب الازهرية وأفنى به مفتي الديار المصرية بعد تطبيق استغلال مصلحة البريد المصرية للاموال الموفرة فيه على بعض احكام الشرقات الشرعية كما بيناه في المنار وراجعوا ذلك في المجلدين السادس والسابع

وزيدكم على ذلك أن علماء الازهر نظروا في ذلك وأقروا ما أقروه فيه يطلب أمير البلاد بناء على اعتبارهم أنها بحسب حالها الشرعية دار اسلام، وكان ذلك قبل الحرب الاخيرة ووضم مصر تحت الحماية الاجنبية التي لا يعترفون بها ببيعة عشر عاماً، وبلاد جاوه ليست دار اسلام ولا تجري فيها المعاملات المالية على الشريعة الاسلامية فلا يجب على المسلم فيها أن يلتزم في هذه المعاملات مع الحكومة الهولندية أو الشركات الهولندية أو الافراد احكام شريعتهم في الربا وعقد البيع والابارة والقروض وغيرها بل يحل له أن يأخذ من أموالهم ما تبيحه له شرائعهم وقوانينهم وما كان يتراض منه ومنهم دون ما كان بخيانة

ثم ان الربا انما يتحقق في عرف الفقهاء بالمقد الذي يشترط فيه من يعطي المال أن يأخذ عليه ربها مبيعا، فمن أقرض رجلا مالا بغير عقد ولا شرط فرده إليه وزاده من غير اشتراط زيادة كان ذلك حلالا، وقد ثبت في الحديث الصحيح استحباب ذلك كما بين في محله من صحيح البخاري وغيره، وحديث: كل قرض جر منفعة فهو ربا غير صحيح كما بينا ذلك من قبل.

فعلم بهذا أن لاجباوين واهناهم عدة وجوه لوضع شيء من أموالهم في صندوق التوفير الذي وضعته حكومتهم وأخذ الربح منها. ومثله وضع المال في مصارفهم المالية وأخذ الربح منها كما يفعل مسلمو الصين. ومما يستوجب من حال كثير من المسلمين أنهم قد اختاروا لأنفسهم بلبسهم الدين مقولوا بالثروة أن يقتضوا المال من الاوربيين بالربا ولا يقترضون ويودعوا أموالهم في مصارفهم (البنوك) ليستغلوها ولا يستيجون لأنفسهم ان يشاركوا في شيء من ربحها. ومعنى هذا أنهم يفهمون من دينهم أنه اباح لهم ان يتلقوا ثروتهم ويمطوها للاجانب حتى الفاحين منهم لبلادهم باسم التفتح والاستثمار او باسم آخر وحرم عليهم أن ينتفعوا بشيء منهم ولو كان رضاهم وبعض ثمرة ما أعطوهم من المال. وأعجب من هذا أن منهم من يشكو من شرع دينه ويزعم انه لا ينطبق على مصلحة الامة في هذا العصر وان تركه الى شرائع تلك الامة أقم لهم! وانما الامر بضد ذلك ففائدة الشرع الاسلامي أنه لا أحرام الا ما كان ضارا ومنه اضاعه المال، ولو عرف المسلمون حقيقة شرعهم والتمزوا أحكامه لكانوا أغنى الامة وأعزها ولما أضاعوا ملكهم وملكهم، وانما أضاعوها بجهل وترك العمل به، والظن الاكبر في هذا على علمائهم الجامدين، وحكامهم الجاهلين او المارقين.

هذا وان على المسلمين أن يراعوا في غير دار الاسلام أحكام دينهم وحكمه فيما بينهم حتى في المعاملات فلا يباح للموسر منهم أن يقسو على المحتاج اذا افترض منه فيستغل ضرورته أو حاجته بما يتبع له قوانين البلاد من الربا. والفرق بين هذا وبين ربح صندوق التوفير والمصارف المالية عظيم جداً فان الربا انما حرم في دار الاسلام لضرره كما علة تعالى بقوله (وان تبتم فلكم ربه ووس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وليس في أخذ الربح من صندوق التوفير والمصارف ظلم لاحد ولا قسوة على محتاج حتى في دار الاسلام. وقد فصلنا القول في الربا هذا في تفسير آية آل عمران فيه فليراجع.

بحث لغوي

في برادة القرآن الشريف عن بعض الالفاظ الاعجمية

تثمة مقالة احمد بك كمال

(١١) ذر الكتاب - افي كتبه وزاد في مفردات الراغب ثنابة غليظة والذير الكتاب جمه زبور والزبور الكتاب بمعنى المزبور افي المكتوب جمه ذير (بضمين) وغلب على مزامير داود النبي والملك والثريرة الخط والكتابة مصدر ذر قال الاصمعي سمعت أمراًياً يقول انا اعرف ذيرتي افي خطي وكتابي، والمزير القلم، وبما ان مادة ذر وذير وسفر كلها واحدة بمعنى كتب قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية ايضا فلا حاجة لخراجها من العربية وانتسابها الى المعجمة بدون مسوغ لغوي

(١٢) سفر الكتاب - كتبه والسافر الكتاب جمه سفرة (بفتحين بكسبة) يقال والسفرة السكرام افي الكسبة والسفر الكتاب الكبير وقيل هو جزء من اجزاء التوراة ، تقول (١) خطمي طول ممارسة الاسفار وكثرة بدارسة الاسفار

(١٣) ذر الكتاب ذراً كتبه ونقطه - وقراءه قراءة حقيقية وقيل سرية ومنه ما احسن ما يذر الكتاب أي يقرأه ولا يتمكث فيه والشئ علمه وفقه فيه وذير الكتاب تديراً قبل ذره والذير المنقن للعلم والذير الكتاب جمه ذار كقوله «على عرضات كالدبار نواطق» (٢) وثوب مذر منمنم يمانية - والكلمة مصرية قديمة دونها ارمان في مفرداته المصرية (الصنيفة ١٤) ونقرأ سبر والسين تقلب ذالا وزايا والباء فاء فيقال ذر وذير وسفر وهذا القلب والابدال له اصول متبعة في اللفتين المصرية والعربية والسبب فيه تعدد القبائل ولهجائها فاللغة المصرية وهي الاسل للغة العربية (٣) شاملة لالفاظ مختلفة اللهجة باختلاف لهجات القبائل

(١٤) سبط جمعها أسباط - ولد الولد ومن اليهود كالتبيلة من العرب (١) هذا من سجمات أساس البلاغة (٢) الصواب * على عرضات كالدبار النواطق * والبيت لدي الرمة وأوله : أقول لنفسني وإفهاماً عند مشرف (٣) هذا رأي الكاتب والصواب عندنا المكش فالعربية هي الاصل كما بينا ذلك من قبل

وفي القرآن الشريف (وقطعنا من اثنتي عشرة اسباطاً) (١) اي امة وجماعة وقد يستعمل للقبيلة من العرب . والسبط كلمة مصرية قديمة وجدت مذكورة في لمبائع پتساح حنب حيث قال ما تعريية : —

« ان المنذور لله الساكن سأوليس للاسباط فيه يد »

ومعنى ذلك ان الرجل النقي لله الساكن في موطن لا يحمل للاسباط يداً اليه اي سبباً لاذيته كما انها ذكرت في كتاب المولى وعلى جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به في العربية فهي اذن عربية لوجودها في المصرية ايضاً وقد خصصت في المصرية بإشارات مؤيدة لمعناها اي رسم بعدها رجل وامرأة مصعويان بعلامة الجمع مما يثبت معنى الكلمة فهي اذن عربية لا محالة

(١٥) يصبر — في قوله تعالى: (٢) يصبر به ما في بطونهم (الحج — ٢٢ : ٢٠) أي ينفخ بلسان اهل المغرب وقد بينا ان اهل المغرب هم (اعناء التحف) وان لفهم لغة الاعناء وهي اصل اللفظة العربية فالكلمة اذن عربية وقد وردت في القاموس المحيط من مادة صبر يقال صبرته الشمس أي صحرته بالحاء بمعنى طبخته وصهر الشيء أذابه فانصهر فهو صهر والصبر بالفتح الحار (٣) والاذابة كالاصطهار الخ : وقد وردت هذه المادة في المصرية بهذا المعنى فهي اذن عربية . (١٦) مجوس — في قوله تعالى : (والنصارى والمجوس) كلمة اعجمية فارسية تدل في الاصل على قبيلة من ميديا يظهر انها كانت على دين تلك البلاد ثم التي كانت تعبد النار فاشتهرت هذه الديانة بمدئذ باسم مجوس ثم اطلق اسم المجوس على كهنة الديانة المجوسية واطلقه من بعدهم العرب على الديانة المزدية وكان للمجوس مدن خاصة لهم منها اكنبان وهي مدينة في نهاية حدود القرس هذا وان اصحاب الاسكندر ادركوا المجوس وهم بوظائف كهنوتية — ومن المحتمل أن تكون مجوس من اصل طوراني دخلت في كلدة وعلى كل حال فهي اسم علم لا يتغير ذكر في القرآن الشريف بلفظه فتأمل

(١٧) بيع — بيع مفردا يعة ذكرت في قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع . الحج — ٢٢ : ٢٠) قال الشيخ رحمه الله البيعة فارسية معربة انه . أما البيعة فهي من بايحه مبايعة اذا شرط منه على شيء . (١) العمر الحديث (اسباط ائمة) فائما ينزل من اسباط (٢) ضبعت في المقتطف:

يصبروا في بطونهم (وهو غلط فاحش

أو اتفق معه على امر أو سلم له في امر أو اعترف له بالرئاسة والولاية فليجاء
محل الاعتراف بإداء الفرائض الدينية من عبادة وصلاة فهي كالمسجد أو الجامع
من حيث اداء الصلوات فيها . وقد ذكرت في المصيرية يوماً وذلك في ورق
ابوت (١٦١) المشر عليها بمدة ١٠٢٢١ وهي المحفوظة في متحف انكلتر
وفسرهما الاثريون بالجبانة ولكنني اصرفها الى معنى المبدع كما يفهم من سياق
الكلام في الورقة المذكورة
احمد كمال

القياس في العربية

المقالة الثانية في قياس التمثيل

ذكرت فيما سلف أنني اريد بقياس التمثيل الحاق نوع من الكلم بنوع آخر
في حكم . وهو ما يعنيه بمض النحاة في قولهم : ان اللغة لا تثبت بالقياس
ياخذ النحاة بقياس التمثيل لاثبات اصل الحكم ، وكثيراً ما يرجعون
اليه في تأييد المذهب بعد بناءه على السماع . وهذا ابو حيان الذي هو أشد
النحاة وقوفاً عند حد السماع وأسرعهم الى محاربة من يعول على هذا الفن من
القياس قد ينظر اليه في بعض الاحيان كما قال : ان الناصب اذا فعل شرط
قياساً على سائر ادوات الشرط . وقال في سياق الكلام على الجملة المنفية حين
تقم حالاً - والمنفية بان - لا أحفشه من كلام العرب والقياس يقتضي جواباً .
نحو جاء زيد ان يدري كيف الطريق ، قياساً على وقوعه خبراً في حديث فذل
ان يدري كم صل .

وبدور البحث في هذا المطلب على تحقيق المقتضي للقياس ثم شروط صحته

المقتضي للقياس

يقيس النحاة بعض أنواع الكلم على بعض اذا انعقد بينهما شبه في المعنى
أو في اللفظ أو في العمل أو اشتركا في اللة التي يقع في ظنهم أن الحكم قائم عليهم
والملل التي يقول الباحثون في العربية ان العرب راعيتها وبنيت عليهم
احكام القاطنات ترجم الى قسمين (احدهما) ما يقرب مأخذه ويتلقاه النظر بقبول
كما وجها تحريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين وعلو
حذف احد الحرفين المتماثلين بطلب الخفة

(ثانيهما) ما يكون من قبيل الفرضيات التي لا تستقيم ان ترددها على قائلا كما انك لا تضعها بحمل العلم او الفن القريب منه . وهذا كما قالوا في وجه بناء قبل وبعد اذا قطعنا عن الاضافة لفظا « انها شابهت الحرف في احتياجها الى معنى المحذوف فاذا قات ان الة عند ذكر المضاف اليه ثابتة فلماذا لم يرتبط بها أثرها وهو حكم البناء ؟ قالوا ظهور الاضافة التي هي من خواص الاسماء ابداها عن شبه الحرف فمادت الى اصلها الذي هو الاعراب . فان قلت ما بالهم بنوا « اي » الموصولة نيا اذا اضافوها في اللفظ وحذفوا صدر صلتها ، اجابوك بانهم انزلوا المضاف اليه منزلة صدر الة فعار في حكم المقطوع عن الاضافة . ولا يسلك بعد هذا الا ان تنفض ثوبك من غبار هذه المجادلة وتنفصل عنها وليس في يدك اثارة من علم . وقد ذكر ابو حيان ثماليلهم لاختصاص ضمير المتكلم بالضم وضمير المخاطب بالفتح وضمير المخاطبة بالكسرة ثم قال هذه التبايل لا يحتاج اليها لانها تمليل وضميات ، والوضميات لا تملل .
والذي ينبغي عليه البحث في هذا الباب ما كان من قبيل القسم الاول اذ هو الذي تستقيم معه الاقيسة الصحيحة

شروط صحة القياس

اذا تتبعنا ما ينشئ به القادحون في مسائل هذا الضرب من القياس رأينا انه يدور على ثلاثة وجوه (أحدها) بيان الفرق بين المقيس والمقيس عليه (ثانيها) الاختلاف في حكم المقيس عليه (ثالثها) مخالفة حكم المقيس عليه للاصول . فالقياس مع العاروق كما أجاز بعضهم تقديم الفعل المنفي بان قائلا ان لن اضرب نقي لسا ضرب فكما جاز زيدا سا ضرب جاز زيدا لن اضرب . وما كان من المنكرين لهذا القياس سوى أن تعرضوا للتفريق بين السين ولن بأن حرف النفي يقتضي المدارة في الجملة التي يدخلها وذلك معنى يمتاز به دون حرف التنفيس والقياس على المختلف فيه كما ألحق الكوفيون فعل التمتع بفعل التفضيل في جواز بناءه من لوني البياض والسواد . وقد رده البصريون بأنه قياس على مختلف فيه اذ لم لا يوافقون على صوغ اسم التفضيل من الالوان وكأنهم نحووا في هذا البحث منحنى القياس الفقهي ، وقد ذهب فريق من الأصوليين الى صحة القياس على المختلف فيه لانه - وان لم يكن دليلا مسلما عند المخالف -

يصلح أن يكون مستنداً لمن يتقرر عنده حكم الاصل بحجة راجعة
والقياس على ما خالف القياس كما قال الكسائي لا يقتصر في الظروف الواردة
اسماء افعال نحو عليك واليك على ما ورد في الرواية بل يجوز أن يقاس عليها
غيرها مما لم يرد به سماع . وطعن البصريون في هذا المذهب بأن تلك الظروف
وقعت موقع الاسماء على خلاف اصلها ، وما جاء على خلاف الاصول لا يصح
القياس عليه بحال . وأجاز ابن مالك جم جم بالواو والنون . مع اعترافه بأنه لم
يسمع فقال ابو حيان ان اجازته لذلك انما هو بالقياس على أب وينبغي أن
يحتج لان جم اب وارد على وجه الشذوذ فلا يصح القياس عليه
والتحقيق ان الاصول التي يجيء الحكم على خلافها تتفاوت في القوة
والضعف . فالاصل الذي يمنع من الزيادة — وهو ان الالتاظ انما وضعت لافادة
المعاني — أقوى من الاصل الذي يمنع من تقديم المفعول على العامل ولهذا كانت
مخالفة الرب لقانون تقديم العامل أكثر من مخالفتهم لقانون المنع من الزيادة ،
فيترجح امتناع زيادة كان في صدر الكلام او آخره قياساً على زيادتها في الوسط ،
وليس من البعيد جواز تقديم الخبر في باب زال النسخة قياساً على تقديم المفعول
الثابت على خلاف القياس

المقالة الثالثة في المباحث المشتركة

القياس في الاتصال

خصت العرب بمض الادوات بالدخول على انواع من الكلم لا تتجاوزها
مثل الاسماء تختص بحروف الجر والنداء ، والمضارع يختص بنحو لم وي ،
وأبقت بعضها دائراً بين نوعين نحو هل و همزة الاستفهام يوصلان بالاسماء
والافعال ، وان ولو الشرطيتين يدخلان على الافعال الماضية والمستقبلية . فاذا
وردت كلمة من امثال هذه الادوات مقرونة بنوع خاص من الكلم فليس لنا
ان نخرج به عن دائرة السماع ، ومثال هذا لما الحينية انما جاءت موصولة بالفعل
الماضي فلا يسوغ لنا ان نلصق بها فعلاً مضارعاً كما صنم ابن ابي حجة في قوله
والنبت يضبطها بشكل معرب لما يزيد الطير في التلحين

واذا دارت الكلمة في كلام العرب بصورة المضارع ولم تأت في الرواية
موصولة بال المعرفة قط فليس لنا أن نعلمها عن الاضافة ونصلها بأداة التعريف

مثل لفظ كل ويعني وغير

فان قال قائل أن هذا المحجر يقتضي أن لا تدخل آل على اسم الا اذا سمع اتصالها به في التصحيح من كلام العرب . ومن الممذر أن يتنوع واضح القاعدة جميع الاسماء العربية ليتحقق هل نطقوا بها مقرونة بال أم لا . فالجواب ان لا ندعي أن هذه الكلمات لم يستثنها النحاة الا بعد أن أتوا على جميع المفردات مفرداً مفرداً ، وانما جاء استثناءؤها من جهة انها دائرة على السنة الفصحاء بكثرة حتى لا تكاد تمر بقصيدة أو خطبة أو محاوراة دون أن يعترضك شيء منها ، فقدم استعمالها موصولة بأداة التثنية م م ايرادهم لها في جل مخاطبتهم دليل على أنهم التزموا قطعها عن هذه الاداة ، ولا يسوغ لنا الحاق الكلمة بأشباهها متى شهد الاستعمال بعدم اجرائها على القاعدة

وعلى هذا التحرير يجري القول في الاسماء التي فصروها على حالة كالالفاظ التي قال صاحب اصلاح المنطق وغيره انها لا تستعمل الا في سياق التثنية وهي احد وعرب وديار واخوانها . وينتظم في هذا العدد الاسماء المختصة بالاضافة الى المضمرات كوحده ولهمي ودوالي وسدي

وصفة المقال ان الكلمة اذا وردت مقرونة بلفظ معين أو نوع خاص فلا بد من النظر في حال استعمالها فان كثرت دورانها في اقوال الفصحاء وغيرهم ولم يبدلوا عن وصلها بذلك اللفظ المعين أو النوع الخاص وقفنا عند استعمالهم ، ولا يسعنا الخروج عن حالتها في الرواية . واذا لم تكن شائعة في فنون المخاطبات فانه يسوغ لنا أن نتصرف فيها فنقرنها بغير ذلك اللفظ ونتمدى بها مكان الرواية حيث لم يقيم الدليل وهو كثرة تقلبها في السنتهم على قصد اختصاصها بهذا الاقتران ومن امثلة هذا انه ورد اتصال هاء التنبيه بالضمير المخبر عنه باسم اشارة فرأى ابن هشام ان الامثلة الواردة بهذا الاسلوب قد بلغت في الكثرة الى أن يؤخذ منها التزامهم في خبر الضمير ان يكون اسم اشارة فوجب في خبر الضمير المتروك بحرف التنبيه أن يكون اسم اشارة اتباعاً للاستعمال

ويدخل في هذا القبول قولهم « ليس غير » قال ابن هشام ان غير المبنية على الضم انما تستعمل متصلة بليس وقولهم « لا غير لحن » . ومن عد هذا الاستعمال في جملة الصحيح فقد ظهر في كلام العرب بما يشهد بمحتته وهو قول الشاعر

جواباً به تنجو اعتماد فوربنا لمن عمل اسفلت لا غير تسأل
واذا وردت الكلمة متصلة بنوع من الاسماء ووداً لا يجرط به استعلاء
صح أن يكون اتصالها بذلك النوع مقيساً ، كثناء التأنيث متصل باسم الفاعل
واسم المفعول والعفة المشبهة والمنسوب على وجه القياس ، ولم يبلغ اتصالها
بالاسماء الجامدة هذا المبلغ فوقوا فيها عند حد السماع كطهي وطيبة وامرئ
وامرأة . فلا تقول انشاء في مؤن انسان الا اذا قل ليك لفظه في شاهد
صحيح ، كما تنجم القوة للمؤن من القروود ولا يقال في مذكرها التي حيث لم
يتمروا على قل يشهد بصحة استعمالها

ولهذا الاصل انكر الصنفي قولهم لطيبة غزالة مع ورود غزال للمذكر
لانه لم يثبت عنده برواية ، وما خالفه النمامي في ذلك الا بعد وقوفه على
شواهد من كلام العرب تقتضي صحة استعمالها

القياس في الترتيب

اذا كانت احدى الكلمتين تابعة للآخرى من جهة المعنى فالتناسب الطبيعي
يقتضي ان تذكر عقبها في التلظظ ، ومن ثم قررنا في أصولهم أن التبعوع يتقدم
على السابغ ، والمستثنى منه يتقدم على المستثنى ، والمميز يتقدم على التمييز
وماحب الحال يتقدم على ضم الحال

فن أباح تقديم الكلمة التابعة فأما قبل دعواه متى كانت مصحوبة بدليل ،
فالكوفيون مثلاً أجازوا تقديم المطلق على المطلق عليه والكسائي والمبرد
سوفنا تقديم التمييز على عامله ، والقراء والاختش ذهبوا الى صحة تقديم الحال
على عاملها الطرف أو الجار والمجرور ، وابن رهاق وابن كيسان أباحا تقديم الحال
على صاحبها المجرور بحرف ، وما أجازوا هذه القضايا التي يحكم الاصل بمنعها الا
باحتتامهم الى شواهد وأوها كافية في تقرير ما ذهبوا اليه

ومن فروع هذا الاصل أن لا يتقدم الضمير على معاده ويستثنى من ذلك
مواضع ، بعضها عقدوا عليه الاتفاق كضمير الشأن ، ومنها ما اختلفوا فيه
كالضمير السائد على المفعول به ، والاصل في محل الاختلاف بيد من لا يجيز
عوده على المتأخر عنه في نظم العبارة الى أن يقيم الخالف شاهداً الصحيح
أجاز الاختش وأبو الفتح عود الضمير المتصل بفاعل مقدم الى مفعول

تأخر وأما على ذلك شواهد من قول حسان
ولأن مجدداً أخذ الدهر صاحباً من الناس أبقي عبده الدهر مطماً
ومنه الجمهور في حال السعة وحلوا تلك الشواهد على الشذوذ أو الضرورة
ومترعهم في عدم قبول هذه الشواهد أنها جاءت على خلاف الأصل ، وما يرد
على خلاف الأصل لا يحمل مقيساً إلا حيث تكثر شواهد حتى تدل على قصد
العرب لا طراد

ومما يقتضيه الأصل الموماً إليه أن المستثنى أخرج من المستثنى منه ثم
نسب الحكم إلى بقية الأفراد فكان المستثنى في الظاهر مخرجاً من الحكم أيضاً
وصريته المخرج متأخرة عن رتبة المخرج منه فكان موقع المستثنى بعد اللفظ
بالحكم والمستثنى منه ، ولكن كثر في الاستعمال تقدمه على المستثنى منه نحو
جاءني الأزيد القوم ، أو على الحكم فقط نحو القوم الأزيداً أخوتك فبقيت
مسألة تقدمه عليها مما على أصل المنع ، وقد جوزها الكوفيون قياساً ،
والحق أن مخالفة الأصل بكل واحد من أمره على أفراد لا تدل على جواز
مخالفته بالأمرين كليهما في تركيب واحد

يتفاوت ارتباط بعض الكلم ببعض من جهة المعنى في القوة والضعف ،
وهذا التفاوت له مدخل في باب القياس ، ألا ترى ابن جني كيف أجاز تقديم
المفعول معه على صاحبه ومنه تقديم المفعول على المفعول عليه . والامثلة
الشاذة الواردة في تقديم المفعول معه ليست بأكثر من الامثلة الواردة في
تقديم المفعول ولكنه يرى أن تبعية المفعول للمفعول عليه أشد من
تبعية المفعول معه لمصاحبه

القياس في الفصل

الأصل في الاقفاط المربوط بعضها ببعض من جهة المعنى أن لا يلقى بينها
بفواصل ، وقد خالفوا هذا الأصل في مواضع شتى حتى عد بعضها في فنون
البلاغة كالفصل بين مفعولي رأيت في مثل قول الشاعر

وبتمتع الدنيا امتحان عجب يرى كل ما فيها وحاشاك غانيا

أو بين النعم والمنعم كما قال تعالى « وانه لاقسم لو تملسون عظيم »
ويجب النظر في قوة الارتباط وضعفه في هذا المقام أيضاً فيمكن من الشواهد

الواردة في الفصل بين ما ضمف ارتباطهما ما لا يكني في الفصل بين ما كان الارتباط بينهما قويا ، ولهذا تلقوا ما سموه من الفصل بين التابع والمتبوع بالقياس واختلقوا فيما ورد من الفصل بين المضاف والمضاف اليه فاجاز بعض الفصل بينهما بالقسم والظرف والمفعول على وجه القياس ومنعه آخرون بدعوى أن الفصل الوارد في السماع محمول على الشذوذ أو الضرورة . ولا منشأ لهذا الاختلاف وعدم اكتفائهم بما وصل اليهم من الشواهد فيها أحسب الاعتقاد بأن كلتي المضاف والمضاف اليه قد بلغت في شدة ارتباطهما الى أن صار بمنزلة الكلمة الواحدة وربما اختلفوا بمقدار هذه الشواهد في الفصل بين التاب والمتبوع لان الارتباط بينهما لا ينتهي الى هذه الدرجة وبذلك على رأيهم لفظة الارتباط أنهم أطبقوا على من الفصل بين الموصول الحرفي وصلته من كان الموصول عاملا مثل «ان» واختلفوا حيث يكون الموصول غير عامل من «ما» فاجاز كثير منهم الفصل بينها وبين صلتها ، وذلك لان الموصول العام أشد اتصالا بصلته من غير العامل اذ الاول طالب للصلة من جهة المعنى واللفظ وأما الثاني فطلبه لها من جهة واحدة وهو الموصولية

القياس في الحذف

من الجلي أن حذف أحد أجزاء الجملة يغير أسلوبها ويحدث فيها حياة جديدة والمحافظة على الأسلوب العربي تقتضي أن لا يلفظ الانسان بمباراة الا أن رنجي ، مطابقة لهجة العربية . وهذا الاصل هو الذي يتمسك به من لا يجر حذف لفظة حيث لم يثبت عنده بدليل يعتد به ، كما منم الجمهور وحذف الفاء والبصريون حذف الموصول ، وابن ملكون حذف أحد مفعولي ظننت ولو مع قيام القرينة على المحذوف

قد يقال ان العرب أكثر من حذف ما تقوم عليه القرينة كالضفاف والمضافة اليه والمبتدأ والخبر والمفعول به والمملوف والمملوف عليه والحال والتميم وفعل الشرط وجوابه ، واستقرأ هذه المواضع يتقرر أصل يمكن اطراد وهو صحة الحذف لدليل . والجواب أن ورود السماع بالحذف في باب كالتنصير أو المنصوت انما يسرغ القياس في ذلك الباب خاصة اذ قصارى ما تدل عليه شواهد أن الحذف هنالك لا يخالف الأسلوب ، واجازة الكسائي لحذف

الفاعل ، والكسوفيين لحذف الموصول ، والجمهور لحذف أحد مفعولي شئت
انما اعتدوا فيها على شواهد مبسوسة في كتب الفروع

• واذا وضعت الفاظ للدلالة على غرض وانتظمت في منجج وممع في أحدهما
حذف بمض متعلقاته فهل يجري الحذف في متعلقات ما يشاركه في المعنى على
طريقة قياس التمثيل ، ومثال هذا أنه ثبت حذف صدر الصلة مع أي الموصولة
في نحو قولك « زارني أيهم أكتب » فوقف أكثر النحاة عند هذا الموضع
واستضعفوا حذفه مع غير أي من الموصولات ، ولم يستضعفه ابن مالك .
فالقائل يمنع القياس ناظر الى أن حذف متعلق الكلمة وهو صدر الصلة جرى
على غير أصل فلا تتجاوز فيه حد السماع حتى نلحق به ما يشارك تلك الكلمة
في مساقها ونحذف متعلقة . والقائل يجوز الالحاق ناظر الى أن اتحاد الكلمتين
في المعنى يجعلهما في حال الكلمة الواحدة فثبت لأحدهما من الأحكام يصح
اعطاؤه للأخرى حيث أن الأسلوب معهما متماثل

• واذا ورد السماع بحذف حرف في موضع من التركيب على سبيل الاطراد
فهل يقاس عليه ما يرافقه من الحروف فيسوغ حذفه ولو لم ترده الرواية؟ هذا
من مواقع اختلافهم أيضاً ومن امثلته أنهم أجازوا حذف (لا) النافية في جواب
القسم كما ورد في قوله تعالى « تالله تفتئ تذكر يوسف » وقول الشاعر
آليت حب الرماق الدهر أطمعه والحب يأكله في القرية السوس

واختلفوا في حذف (ما) النافية في نحو هذا التركيب . ومن أبي حذفها قد
يتسك بأن لا وضعت للدلالة على السلب ، وحذفها يوم إرادة الانبئات الذي
هو ضد مدلولها فكان ذكرها على ما يقتضيه ضمها ضربة لازب ولكنهم حذفوها
في جواب القسم لكثرة استعمالها ، ولا يصح الحاق لفظ (ما) بها وإن كانت
مرادفة لها في المعنى لأنها لا تشاركها في الوجه الذي اقتضى المدول بها عن
القياس وهو كثرة الاستعمال

ولا ترى طائفة منهم الكافيحي الوقوف في الأساليب على ما ورد عن العرب
فأجازوا لك أن تقول في الدرس علي والمسجد خالد . ونحو كان تالياً الخليفة بكر
والقصيدة محمود . وهذا ما يعبر عنه النحاة بمسألة الملف على مفعولي عاملين
مختلفين ، ثم قال الفيض الكافيحي عقب هذا ان جرئيات الكلام اذا أغادت
المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لا يحتاج الى النقل والسماع والا لزم

توقف تراكب العلم في تعابيهم على ذلك
وهذه العبارة مطابقة للمعان ولا بد من رد صاحبها فنقول ان أراد الكافيجي
بقوله « أفادت المعنى على وجه الاستقامة » انها أوصلت المعنى الى ذهن
المخاطب كاملا ، فهذا لا يكفي في صحة الكلام عند علماء العربية قطعاً فان من
التراكيب ما يؤدي المعنى وافياً ويكون المتكلم قد خالف فيه بعض القواعد
المجتم عليها . وان قصد بوجه الاستقامة المطابقة لصحة الاسلوب عربية فهذا
هو محل النزاع بينه وبين من لا يميز أمثال ذينك التركيبين حيث ان المانم
يراهما غير مطابقين للاسلوب الصحيح ، فلا يحس الكافيجي وغيره من اقامة
دليل على الصحة اما سمع يوثق به أو قياس تمثيل لا يتطرق اليه قاصح

القياس في موقع الاعراب

اذا وردت الكلمة بمكان من الاعراب لم يسم استعمالها في غيره فأصولهم
تقتضي انها انما تلرّد فيما سمعت ولا يقاس عليه غيره من المواقع ، ومن هذا
تخصيصهم فل ولومان ونومان بالنداء ، وقيل وعوض بالترفية أو الجر بمن
ومن فروع هذا قول ابن الحاجب وسعد الدين التفتازاني أن لفظة كل اذا
اضيفت الى الضمير لم تستعمل في كلامهم الا توكيداً فيمتنع ايرادها منعولاً به
أو فاعلاً . ومن أباز ايرادها منعولاً به كبن هشام اعتمد على ما وقع في يده
من الشواهد التي منها قول الشاعر

« فيصدر عنها كلها وهو ناعل »

وبما يجري على هذا الاصل قولهم ان كافة وقابلة وطرا لا تخرج عن الحالية
وعن ابن هشام في أوهام الزمخشري يخرج قوله تعالى « وما ارسلناك الا كافة
للناس » على أن كافة نعت لمصدر محذوف ، والتقدير رسالة كافة . ومن نازع
في اختصاصها بالحالية يستشهد بمثل قول عمر بن الخطاب « قد جمعت لأك بني
كاهلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام منتهي مثقال ذهباً » وحاول الشهاب
الحنفاجي هدم هذا الاصل فقال في شرح لدرة ان كافة وردت عن العرب بمعنى
جميع لكنهم استعملوه متكرراً نحو يأتوني الناس خاصة ، وقد نفى الوضمانه
لا يزمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميع ممرافاً ومتكرراً بوجه الاعراب
وفي الناس وغيرهم لانا لو اقتصرنا في الالتناظ على ما استعملته العرب الماربة

والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التعليل بالمرية عنى من بعدهم وهذا الرأي لا يترد به على الإطلاق ويستضاء به في كل حال فإنه لا يطابق ما قاله أساتيد المرية من أن معرفة الوضغ غير كافية ما لم ينضم اليه العلم بحال الاستعمال . قال ابن خلدون في المقدمة ليس معرفة الوضغ الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك ، واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمته ونثره حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات القوية في مفرداتها وتراكيبها وهو شر من اللحن في الاعراب والغش

ولو اقتدينا بالشهاب وسرنا على أثر مقالته التي لم يرسم لها حداً لعمدنا الى مثل قط' وقبل وعند وأخرجناها عن الظرفية الى الابتداء أو الفاعلية ولا أحسبه يرضى للغة هذه القوضى فيفصم نظامها وهو يريد توسيع نطاقها والتحقيق في هذا المطلب أن ما يصلح أن نجريه على القاعدة في الاعراب نوان (أحدها) ما يدور على السنة الفصحاء وغيرهم ويجري في خطاباتهم بحالة خاصة من الاعراب مثل عند وقبل وبعد وقابلة وطرا ، وهذا هو الذي تقف فيه عند السماع فإن كثرة دورانه في مجاري كلامهم نظماً ونثراً وتقليبه في أساليبهم بحالة مخصوصة يشعر بقصد من الى تخصيصه بتلك الحالة الاعرابية وما كان ينبغي لنا في هذا القسم الا ان نتجرى الطريقة المألوفة في استعماله

ثانيهما ما لا يتردد في أغلب خطاباتهم وانما يرد نادراً أو كثيراً ولكن لم يصل الى مبلغ يدل على قصد من الى قصره على الحالة التي جاءت بها الرواية وهذا هو الذي يسوغ لنا ان نخرج به عن حاله الواردة ونستعمله في المواضع التي يساعدها عليها الوضغ ، فلولم نسمع لفظ الضرغام أو اللو ذعي أو التبيصل مثلاً الا فاعلاً أو مفعولاً كان لنا ابراده في تراكيب من عندنا مضافاً اليه أو مبتدأ أو خبراً . فيتضح بهذا التفصيل مذهب الجمهور ووجه مأخذه ويمكنك ان تقضى به على مقالة الشهاب حيث اباح خروج كافة عن الحالية بمجرد النظر الى حال الوضغ فإن هذه الكلمة من القسم الاول قطعاً فيجب على القائل بصحة استعمالها فاعلاً أو مفعولاً تلاقمة شاعداً على ذلك ولا يكتفيه التمسك بانها

من الخرافات الى الحقيقة*

- ١ -

مقدمة

سيدي قاذبة المسلمين !

دعاني الى ترجمة الكتاب المسمى (من الخرافات الى الحقيقة) الذي ألقته
من قبل (م . شمس الدين) باللغة التركية ! داعيان مستقلان
(١) قلة الاشغال

(٢) الآلام الذي يستولي علي حينما أرى حالة أمة محمد (ص) كأنها تدين
بدين غير الاسلام .

أما قلة الاشغال : فانه منذ زالت الحكومة الاسلامية من هذه البلاد
(فلسطين) زعت الوظائف السياسية والادارية من يدنا معشر الشبيبة (١) المتعلمين
من المسلمين الى النصارى ثم الى اليهود . وبقينا بغير احوال ، فاشتغل بعضنا بالتجارة
وبعضنا بغيرها واشتغل هذا العاجز بالترجمة والتأليف - هذا هو الداعي الاول .
وأما حالة المسلمين وما تحدثه من الآلام فاني لا أتصور مسلماً يرى الهوة
السحيقة التي يتدحرج فيها المسلمون ويسمع أنين هذه الكتلة البشرية ويسمع
السكوت على ما يرى ويسمع . بل لابد أن يتفجر في دماغه الذي هو معكس
لصوت ذلك الانين طوفان آلام يدفعه الى عمل شيء ينقم به هذه الامة .

ان المسلمين الذين قضوا وقتاً طويلاً وهم يحكمون في العالم فيطاعون ،
ويسودون الامم ادارة وعلماء واقتصاداً فيتبعون ، هم الآن ذليلون مهانون ،
يثنون تحت ضربات حكامهم الغرباء ولنا ولغة وديننا .

ان العالم الاسلامي الذي كان يحطر على المسكوة مهابة وشرفا قد انحى

(٥) مترجم الكتاب حسني بك عبد الهادي من بيوتات نابلس الشهيرة
وقد خص به مجلة المنار فنحن ننشره شاكرين غيرته وحمته مع اصلاح للترجمة
لا يغير المعنى بل يجليه

(١) الشبيبة بوزن فصيحة هم شباب والشبيبة مصدر ضب الغلام اذا صار شاباً

وازوى وغاب عن الابصار ، ان المسلمين الذين كان العالم يتر طرباً أو اضطراباً من صوتهم أمسوا اليوم مسودين مسوقين اسراء .

ان المدن الاسلامية التي كانت مرايا للرفي والحضارة بات اليوم يمش فيها . والمسلمون الذين كانوا يبارزون القوى الطبيعية أصبحوا اليوم يخافون من ظلمهم . واخذوا يتدحرجون في مهاوي الاوهام . بل أقول ان ديار الاسلام أمست مقابر ، والمسلمون فيها جناز . ولابد لهذا السقوط العام من مؤثر عام . ان هذا المرض المستولي على مسلمي آسيا وأوربة وأفريقية والافيقاوسية يبدى للناس أعراضاً متشابهة وهذا ما جعل العقلاء على أن يقولوا ان منشأ المرض شيء واحد ما دامت الامة المسودة التي تشبهت عوامل السيادة الاجنبية هي امة واحدة — امة محمد صلى الله عليه وسلم

عجيباً ما ذاك العامل الذي رفع امة عيسى وهبط بامة محمد ؟ ما ذلك الدرج الذي صعدت عليه امة عيسى حتى استوت على عرش الحكم ؟ وما ذلك الدرك التي تحدرت فيه امة محمد حتى وصلت الى هذا المكان الحقيق مكان المستبد الخانع ، مكان المسود التائب ، مكان الاسير الخاضع ؟

ان الرابطة التي تربط ثلاثمائة مليون ونيما من المسلمين هي (الدين) وبهذه الرابطة ملك المسلمون — اسراء اليوم سادة الامس — اقاليم مختلفة . ثم عفت سلطنتهم في تلك الاقاليم شيئاً فشيئاً حتى انحصرت اليوم في الاناضول . الا يوجد اليوم اقليم غير الاناضول لا يدين ويخضع لهؤلاء القرنجة بل يسن قوانينه بدون استشارتهم وينفذها بنجوة من سيطرتهم ؟ (١)

لا اسراء في ان الدين الاسلامي قد كان هو السبب لتعالي المسلمين . فهل يمكن أن يكون سبب الرقي والصحود ، هو بعينه سبب التدهور والسقوط ؟ لا لا (٢) بل الدين الذي كان سبباً لتعالي المسلمين هو غير الدين الذي هبط بهم

(١) المنار ان جزيرة العرب وبلاد الافغان لا تدينان لاجنبي عنهما ولكن يموزما من العلوم والفنون والصناعات ما تحفظ بها قوتها من اللطامعين فيهما ، وينسي ثروتها فتفنيهما عن الاجاب . ويموزما زعماء عقلاء يجمعون الكلمة ، وقد بدأ الافغان قى بيداً للرب ، الذين فضحوا أنفسهم بين الامم ؟

(٢) المنار قد سبقنا الى مثل هذا السؤال وجوابه في المقصورة الرشيدة ثم في المنار ، وهذه آيات من المقصورة في ذلك =

اليوم الى العبودية والدل . نعم ان ينهى — على الاشتراك في الاسم — فرفا
جلياً وبونا بعبدا .

كان المسلمون يحترمون الحقائق ، وأما نحن فأسرى الخرافات .

كان المسلمون اصحاب عقائد مستندة الى العلم والنور وأما عقائدنا اليوم
فبنية على البدع والاوهام

ان هذا الكتاب لم يكتب ولم يجمع (ولم يترجم) الا لارادة الفرق بين
أجدادنا وبيننا ولأجل تصوير منشأ الخرافات الحاضرة

لا يسع عقلا مسلما يرى العالم الاسلامي يتدحرج في مهاوي الهلاك الا
أن يسعى لاقتاده ، وأول ما يخطر على باله هدم الخرافات واقامة الحقائق محلها .
وهذا لا يكون الا باحياء قواعد الدين الحقيقية التي رفعت المسلمين في القرون
الاولى الى سماء المجد . لان الخرافات لا تحمي بل تذلل ثم تميت .

المسلمون اليوم أذلاء ، لا جيش ، لا أسطول ، لا طيارات ، لا معامل
صناعة ، لا مصارف مالية ، لا سكك حديدية ، لا علم ولا اختراع ، لا سفراء
ولا قناصل ، وجملة القول انهم مجردون من كل ما يرفع النفس ويكون مدعاة
الاقتدار . لماذا ؟ لانهم غارقون في بحر من الخرافات .

ربما كان هذا الكتاب سبباً لغضب الكثيرين الذين يصطادون في الماء
المكر . ولكن المسلم الذي يرى الدين في تهلكة والامة على شفير القبر ، لا
يقدر أن يسكت ومن سكت فهو أسفط من مسببي هذا السقوط .
فهذا هو السبب الثاني الذي دعاني الى ترجمة الكتاب .

== لكننا أبكي لمجد أمة نلت عروشه وحلت العرى
ووطن ذل فماد حوضه (مدعتر الاعضاء مهدوم الحبي)
وملة حكيمة رحيمة قد تركت للجهل كالشيء القفا
وقال فيها الاخسرون انها علة هذا الانحطاط والشتا
فكيف كانت علة السمادة في وقت قبل وذاك الارتفاع
أما سبب الملك والحكمة والالم توحد انما تفرقت
فكيف عذمت وانتم اخوة لم تتركتم هديها من المدى

وستكون مطالعتنا مؤيدة بآراء شريفة وبأحاديث منيفة
الجامع الصغير
ان من سنن الاجتماع التي لا تقبل ولا تتغير ان الامم التي تراءى
سواء الاقبال الى حضيض الادبار ترى جميع حركات الامم الحاكمة و...
حسنة معتدلة .

مثال ذلك ان العالم المسيحي اليوم يجلس على عرش السطة والعالم الاسلامي
يجلس على الارض تحت كرمي ذلك الحاكم . وكل ما يخرج من ملك الملل يدخل
في ملك الصليب ، والمسلمون لاهون يقطن الجاهلون قعير والنظر منهم ان سبب
سقوطهم هو (الدين) والقعد من تأليف هذا الكتاب اباد هذا العالم الباطل .
لان الاسلام من اسباب الرفعة والملاء ، لا السقوط والاستخذاء ، واما سبب
اغلال مسلمي اليوم فهو خلط الاسلام النقي الصافي بخرافات الاولين
فاذا رجح المسلمون الى (الدين الحق) كما هو فانه يتفخ فيهم روح حواء جديدة
ويتجهزون من الاحتضار الواقع . وهذا لا يمكن الا بترك الخرافات والفلك
بالحقائق ، وهو موضوع هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ٢٢ فصلا (١)

- (١) المستوى الفكري والاجتماعي في المحيط الذي ظهر الاسلام فيه
- (٢) الطور الاول للاسلام
- (٣) الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها
- (٤) المؤثرات التي زلزلت الوحدة الاسلامية
- (٥) تغلب روح الفرس على روح الاسلام
- (٦) كيف طرأ الفساد على الاسلام ومن أحدث ذلك
- (٧) الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وحزب القرامطة
- (٨) عصاة الدراويش الفوضويين الحشاشين
- (٩) عبدة الامام علي
- (١٠) مذهب الاسماعيلية

(١) المنار : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدرو ، والتصيرية
والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالمصوفية والروافض فمذاهبهما
الى بث دعوتهم فتقسيم الكتاب غير ظاهر لنا الآن

- (١١) الدروز والنصيرية
 - (١٢) الباطنية : الروافض والصوفية والبكتاشية
 - (١٣) اخوة المسلمين تحتاج لرفع النفور المذهبي
 - (١٤) الاحاديث الموضوعة
 - (١٥) كتب المواعظ
 - (١٦) عبادة الاموات
 - (١٧) الاعتقادات الباطلة
 - (١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
 - (١٩) أساس الاسلام الاول النظر التعملي
 - (٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
 - (٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
 - (٢٢) النتيجة
- هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفاً لخب
المرض ومحتوياً على العلاج النافع وبالله المستعان
- نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

-٧-

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل ما يعلم يكتب في مثل هذا الزمان الذي يله التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان الان في السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يقر التمازض فيها فيرجع كل ناظر المتمازضات باجتهاده

قد اشترطت علينا السلطة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى سـ شروماً ثقيلاً أشرنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص ٢١٨٤٢٨) خلا أن نتحامي احداث تهيج سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالشرط واک من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول ما نرى أنه الحق

ن لاد هم الصبح لباس بنجيبه من النور والافق ،
أما أهل البلاد فقد تان الفاي بين المسلمين والنصارى منهم في السواحل
بالنأ أشده فالنصارى كانوا يرون أن ملك البلاد سلب من المسلمين وصار لهم
بقوة فرتة وحمايتها والمسلمون سيكون أسمى وحزنا على الدولة العثمانية ويمتقون
آمالهم بالامير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة
بريطانية العظمى ، فلهذا كانوا في منتهى النور من الفرنسيين وكان من هؤلاء
من يتودد اليهم ويحتهد في استماله زعمائهم واصحاب المسكاة منهم فلا يزيدم ذلك
الانفورا منهم ومبالغة في التعلق بفيصل فيضطرهم ذلك الى حصر تقههم بالنصارى
ومن يتقرب اليهم ويتناق لهم من طلاب المنفعة من المسلمين وان كانوا لا نفوذ
لهم ولا تأثير في أهل ملتهم . وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة
ما أخطأ فيه كل من المسلمين والنصارى في هذا الامر وما كان يجب على كل
منهم من السمي الى الاتفاق والانحد على مصلحة الوطن المشتركة وما سمينا
اليه قولا وعملا وكتابة في هذه السبيل وقد كان هذا السمي كاه بعد اضطرار
السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت ولي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت
عازما على أن اقيم فيها عشرة ايام فقط .

ذلك بانني غلب المايي بيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكة
معبية فتاخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى
بيروت عرض لي تعدي السلطة لاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجنامي في
بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكو

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم - ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩) شرطي يروني
وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القومير السامي (مسيو جورج بيكو) فهو مستعد
لقائنا بك بين الساعة التاسعة صباحا والظهر في الدار التي كانت لارالي فوعدت
بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فكننت معه من الساعة الحادية عشرة
الى ما بعد الظهر فاحتفى بي وتلطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل
(المسألة الاولى) ما يتكره المسلمون من السلطة الفرنسية . سأني عن عهدي
برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم ؟ فقلت له ان المسلمين على كونهم
لم ينسوا ما انتابهم في آخر زمن الترك من الرزايا والمسابب سيكون عليهم وان

لم تقيف دموعهم من الداء بهم لاسم . في هذا الوقت حتى في ديبهم .
فاجاب بأنه وقع من رجالهم اغلاط كثيرة كبروتها ولكنهم سيتلافونها ،
وأنة على ما يتوبه من المساواة بين جميع الذوات والمثل في الوظائف وغيرها
سيجهد في مراعاة شعور المسلمين الذي له عناية تامة ، وذكر له أن أم
بهايم المسلمين (كمايهم غيرهم أيضا) جميعهم باللغة العربية وجعلها هي الرسمية
وعدم تعرض السلطة للاوقات وللتعليم الذي فوعد بذلك وعدا مؤكدا ، وانما
ذكرت له هذا لاسمع منه مايقوله فيه لا لاقتراح شيء عليه .

(المسألة الثانية) ما ينزرون عمله في المنطقة الشرقية ، سألته هل تظل على حالها ؟
فقال لابد من توحيد الادارة في البلاد كلها ومن وجود المستشارين الفرنسيين
في الداخل كالساحل الا أن الاحتلال العسكري يبق في الساحل حسب . قلت
وهل يكون لسورية كلها حاكم واحد كالامير فيصل أم تجمل قسمين لكل منها
اميراو حاكم وطني عام ؟ قال لابد من قسمه البلاد الى عدة ولايات او مقاطعات ،
ولا يعلم الآن كيف يكون ذلك لانه يتوقف على ما يكون عليه الصلح مع الترك
لان البلاد لا تزال لهم (بلاد العدو المحتلة)

هذا ما قاله وهو اعلم بنرض حكومتنا على انهم قسموا البلاد قبل الصلح
مع الدولة لجمالوها بضع دول اكبرها واسمها ما سموه (لبنان الكبير)

(المسألة الثالثة) المقابلة والتنظير بين الفرنسيين والانكليز والسياسة الحاضرة

وما ينتظر من التحول والاقبال فيها . قلت أملت فيها ما لم تطل فيما قبلها

قال هو ان الفرنسي ارق شيا عاوا المتفرقة مباشرة من الانكليز فهم يحترمون
الشرقيين وغيرهم ويقابلون أهل القتل والمكينة بما هم أهل له من الحفاوة
والاكرام وأما الانكليز فتكبرون يزرون بأفكار الناس . أو ما هذا مناه

قلت ان لطف الفرنسي وحسن منهم وقربهم من الشرقيين في ذلك

مشهور ككثرة الانكليز بالجفوة والانكسار العجيب بانفسهم واتفاق اختيارنا

في مصر فالتيناهم كما يقال عنهم الآن آدابا في مباشرة من يرضون مباشرة

ولقاء من يودون لقاءه ، ولكن ما ج . عليه من الترفن والعجب والاثرة ،

والطمع ومحاولة الانفراد بالسيادة سيئة . . . الى جميع الامم والشعوب وبشلبها

عليهم . وذكرت طمعيهم في بلاد العرب والاسنانة وما يقصدون من

مبطل سلسلتهم (أمير اطوريتهم) من الاثري من افريقية والغربي

من أسية إلى حدود نسين وميادته اثر البحار وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوردية عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا توقع مجيء يوم يكون فيه من مصلحتكم مخالفة الالمان على الانكليز - فوافقتني على رأيي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الخلفاء انه محال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكرتي التي أرسلتها إلى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كنيته لأعظم رجال الانكليز لانني أعتقد وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وأنه سيفضي إلى عداوة الامم لهم والخلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم إلى مخالفتهم اخطر الالمان في المهدي للفرقيين الشئ إلى تعاديهما في بطون التاريخ وقد تجددت بينهما عداوة حمدة المهضوم حق في هذه المخالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضعافاً ولم يروغليل ملامه أعني عداوة الالمان للانكليز. وقد صرحت بهذا في مذكرتي لتوزير البريطاني التي أنوخت بذكرها في مقالة (الحقائق المالية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قسمة تراث الاسلام لأنه لم يمت والاعتناء باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا تزال الأيام تصدق بأحد ما كتبت في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبت لم فيما قبلها، ولكن جورج لاورد كرزون على سياسة الطمع القديمة والنمط الديني والجنسي الذي يشتهر فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تنهك من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستعداد أقول أنني لم أكن أسأل اقتناع مسيو جورج بكون رأيي لاجل عمل رجائي أن يأتي منه كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها هو مع مدتيه السير مارك هايكنس بين العنولين وكانت الجنود البريطانية تخرج بدمعها وسلاحها من سورية الشمالية إلى بلادهم كما للجنش الفرنسي بعد تنازلهم وقهرهم فيها في سبيل تنفيذها ظهر أثره في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قالوا انهم قد اتفقوا على السياسة التي تقضت قضاها ومنهم

موسيو كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرنسا يومئذ تريد أن تتخذ اتفاق الاحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسيلة لجمعها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب للحكومة الولايات المتحدة وبحمل الامير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لا تكثره وحدها فان لم يمكن فلها ثم للحكومة الولايات المتحدة الامريكية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الاكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الامريكي بالاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ أكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوما طلبت في اثنتي عشرة من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الذي اذكنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت امره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبة اياها باعادته الي كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير اوقاف الولاية في بيروت فأرسلت الذهاب الى بيروت لانتماء هذا الامر الذي جرى لي فيه من العبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق أن يفرده فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تعرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (٢٨ أكتوبر) أخذت ورقة السفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلا وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقبل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر — وهذا لم يكن من قبل — وكان من التمهيل غير المنتظر أن الشرط وقعت على الجواز اذ عرضه عليهما من تبرع لذلك من معارفنا ومعارفهم ولا أدري أكان في ذلك دخل متوخي أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزور، مع منافع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطة ففتحوا جميع صناديقهم

الاسقاط وخدمة الورق ومحمد بن محمد... وسبق زيارة وفوضوا على ذلك
مباشرة دقيقا لم يعمل فيه طيات الشيب ولا حروبهم ففوضوا جيوبني وأحمد
شرطي جيمع الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المسكن (الجرمك) فذهبت
واعيد المتاع الى حيث كان وطبقوا هناك يسطرون في الاوراق نظرا دقيقا
وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بمجهلهم وغباوتهم ان فيه اضرارا سياسية
ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند السلطنة القردية وهو فخرس وعخته لاجره
الثامن من تفسير الترانراعتهم أرقامه فظنوا فيها الشئون على أنني أخبرت الباحث
فيه بأنه فهرس لكليات في التفسير... فقال يمكن أن يكون كتب في أثناءه
شيء سياسي (!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرطي في الذهاب الى دار بسبي الشيخ
حسن الصفدي لاجل المشاء وصلاتي المشاءين وتغيير الشيب فأتى وقال إن
رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم إلى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء
ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرطي (أو فوه شير) اسمه (حما)
على ما أتذكر وقال إن لبنان بك أرسله بالتيبة عنه ليأخذني الى دار الخلدوة في
المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس المؤقت)
فاستأذنت بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبت الى المدينة بزوجي فوضوني
في حجرة من حجرة الشرطة نوافذها مكسرة الزجاج وكان فيها مصباح صغير
فيه قليل من زيت البترول قد فاقطأ ولم يجد من في الخلدوة من الشرطة غيره
وكان الماء مقطوعا عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق لاستنجاء
فكان التخلي فيها متفردا على أمثالنا كما كان اليوم متفردا من هواءه في
طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يعلوه الثلج فيكون باردا جدا فيكون
هواء النهار حارا بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من هذا الخريف

ثم جاءنا الشرطة بفانوس كانوا يتفوه من حجرة الى حجرة ثم مالوا الى
الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الفانوس وأضواء حتى يروا الى حجرة
وتركوه له فيها وقد يلقي بعد ذلك من حجرة الى حجرة ثم مالوا الى
بعض المقرين اليه من الوضوء فوضوا بمسألة توقيفي فوضوه ذلك ذلك
الوم وأندروه اذ بقي هذا الرجل موقود في جهاز وعلمنا ان ذلك من
ان يثوروا ووجدوا في دار الحكومة لاجل حدة عوة وتكون مدة كبيرة

وقد غل الحاكم ترجمته يشار في لاف في سنة ١٣٥٠ و١٣٥١ م صبي
وبلغني ترجمته عنه مايلي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس السري يتعقبك ولما زلت الى البحر
أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشغل بالسياسة وفيها ما يدل
أيضا على انك رجل مهم غير مادي (١) فانا لا أريد أن أوقفك عناداً كنت تريد
السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الإداري
ليرى رأيه فيها .

قلت أحسنت صنعا فجالكم في بيروت أجدر بمعرفتي وانصافي منك وانني
لا أشعر بما تدل عليه الاوراق . كل انك لم تزني لاهرفك .

ثم قال التريمان الشرطي (أو القومسيه حنا) الذي صحبني خذ هذه
الاوراق (وكانت قد وضعت في ظرفين كبيرين ختاً بالشمع الاحمر ولا يزالان
عندي) وهذا المكتوب وأعطوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى
دار الحكومة فيها وبجبان تقوموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بضية الادب
لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكمون فيه
ويهيئون . وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صاغت الحاكم وزات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركبت عربية
وركب معي لسيي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم آدم وهما لم يشارفا دار
الحكومة منذ جاءا معي وركب معنا شرطي يحمل الورق وفصدنا لبناء فأتقينا
لبنان في الطريق مائدا منها فأعطاه الشرطي رقعة الحاكم له فأرجعت الى دار
الحكومة ولم يرض أن يسافر في البحر وأمر حنا بأن يستأجر لي عربية من مولي
ويرسلني في البر وكان يتكلم بلغة وخشونة وعظمة الحاكم القاهر المستبد ،
ووصل الى هنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأجبرتها
٤٥٠ قرشاً مصرياً صاحبها كما زعموا وليس لي أن أسأله أو أشرطي تنقي يمين
الورق فأوصاه حساباً مايلي .

إذا صادفت في الطريق أحداً يريد أخذ الاوراق منك فطابق عليه "رسم"
(١) كان في تلك الاوراق قوانين وقرارات بعض الجمعيات ومكتوبات من
بعض المشهورين في سورية والشرق حتى عند الغرب حتى مرأش في امره .

وإذا أراد أحد أخذ الشيخ منك فاطلق الرصاص على رجل الشيخ (أو قال
رجليه) وعلى من يحاول أخذه.

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح الى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لثلا يكون أحد من الاهالي علم بأمرنا وكنوا بين الاشجار ليأخذوني عنوة وهو يجهل أن مثلي لو كان جانيا لترفع عن الحرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في أرواقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضعفها على المسلمين شديدا في ذلك الوقت مقاومة لفكرة العربية والتماق بفيصل ولو عاقبته لما زاده عقابها الا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي ارسل معي كان مسلما فلم يكن محتاجا الى التوسية بالتأدب معي بل كان من اولياء بيتنا ويشمى لو يكون في خدمتي طول عمره وكان ارساله معي مما أثار عجبه وهجي فكيف وقد اوصي بذلك الوصية الحقا التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتمصبون من اوشاب القبايين الذين يمتدنون أن فرقة حكمتهم في أشرف المسلمين وعلمائهم - بل هاتهم - تقربا الى يسوع المسيح والرسول والتدبيرين فكانوا حجة على فرقة بأنها اما ظالمة سيئة الادارة واما متعصبة سيئة النية، وسببا لشدة نفور المسلمين واستيائهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرأ على وطنهم بإلقاء البغضاء والتفريق بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم مما سر في هذه الرحلة ومن بقية هذا الفصل منها، على ان هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث انه قوى فيهم نزعة الجنسية العربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعوانها ولا يحبون أن تحسن الادارة لثلا عميل اليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنان من اصطفاهم الفرنسي من بيوتات لبنان المعروفة أو من الأفراد الذين تربوا تربية ترفه من خسة المنبت وورثة السوء لما كانوا يعاملون مثلي بهذه المماثلة وإن اصروا بها أسراً بل كانوا يتصحون للأجنبي الذي يأمرهم به بمثل ما يصح لحاكم طرابلس المصري من حملته على خروجه من داره إلا لثلاثي بنفسه ما كان أمره . فأما أبناء البيوتات فاهم ورتوا الأدب الشرقي في احترام الأسر الشريفة والعشائر المحترمة . وأما أبناء التربية الحسنة فيعرفون قيمة العلم والأدب ويحترمونهم بالطبع فيزهون أنفسهم معهم

عن سوء الادب

وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا إليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاسداه فارأى أحدهم معنا إليها وانتظر آخرون ما يورد به من الخبر لينبأ على ما يقيم لنا ما يجب أن يعمل لتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لقيت فيها لدى الباب الشيخ عبد الكريم اليافي تقيب أشرف بيروت من أصدقائنا الاولين (١) وهو موال لسلطة الفرنسية فنألتني بعد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبر حاكم بيروت أو نائبه بخبري مقرونا بالنساء والتركية والغبان غير الرسمي، فرضي بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينهتوني فيها بشرط أن لا أعمل أمملا سياسية مضادا لهم فيها

تقرير لعمدوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقرير لامعتمد الفرنسي بدأت به بالتذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجعله في الحديث معه يوم لقائنا من اضطهاد المسلمين بما لم كن أعلمه يومئذ لتقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار القنوب السياسية مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسا قد صرخوا بانهم يريدون احياء الجنسية العربية ولفتها ومددتها ... ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسيين على الانكليز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب وقيمت على ذلك بإعلامه بأنني كنت في مصر أتتقد سياسة الانكليز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبمدها مذكرات في نخططة سياستهم في المسائل العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم - سر لويد جورج - وأنذرت فيها بمداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علت

(١) لآل اليافي مودة لآل بيتنا منذ قرن ونصف على عهد أشهرهم الشيخ عمر اليافي الشير الادب صاحب الديوان المعروف فقي ديوانه بعض القصاصات التي مدحها السيد والدي السيد الشيخ محمد الكبير وله فيه قصائد أخرى ومنها تاريخ داره في القاموس وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدته وبات التاريخ قبل كل من قد حلها . أوشى يراها خير داره سنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية بأسراء العرب وزعمائهم وجميعاتهم، بل عثروا على رسالة تمد تحريضا للعرب على الجانب وقيل لهم أنني أنا الذي طبعتها ووزعتها - ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مبلعة ولا أهانوني بقول ولا عمل ولم يقابني أحد من كبار رجالهم إلا بالاجترام اللائق - فأين هذا مما عاملتني به السلطة الفرنسية في طرابلس؟

فذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي إلى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الإنكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وباتني في الهند أن جواسيسهم كانت تتبعني كما فعلت وتعمل جواسيس فرنسة بطرابلس وبيروت ولكن لم يتعرض أحد لحرثي الشخصية ولا فتحوا جنائدي ولا يفتشوا أوراقتي. وختمت هذه المسألة بقولي له وليس هذا بكثير على حرية الإنكليز التي قسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تعذيبهم على جميع الشعوب الاوربية في الحرية ومعرفة أقدار الناس»

قلت بل كان الغرب ما عاملني به أحمد جمال باشا الاتحادي الشهير في بغداد وكان يومئذ جمال بك - اذ ألمت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهداً بالعلم في الاتحاديين والتفتير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الآستانة تنشر بقلم الشيخ عبد الميرز شاورش أنني أقصد العراق لأجل تأليب العرب واتارهم على الدولة - ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام بفضية مبلعة بل سأل تقيي السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (رئيسي وزارة بغداد لهذا العهد) وبعض كبار العلماء عني فبالقوا في الشناء (وكان هو يعرف عني شيئاً وكتب الي قبل سفري ذلك) فأكرموني وزارني ودعاني إلى طعامه - فأين هذه المعاملة من أقسى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيين لي في بلدي وأنا لم أقبل شيئاً يخالف القانون ولا يخل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسية الخ

ونختمت المذكرة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتعجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرنسا وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن الترك أعداء وأرحم وأبعد عن التمسك وأحسن إدارة من الفرنسيين، فصاروا يسألون عن سبب سوء صيت الترك وحسن صيت الدول الاوربية الخ

اعتذار المندوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المندوب (القومسيه) السامي فلم ألبث أن دعت الى مقره الرسمي (القومسيه) وكان ذلك في ٨ نوفمبر (قنابلتي فيها) مسير (روبريكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو الترحيم بيني وبين المندوب عند تلاقينا منذ شهر فرجب في أجل الترحيب وبلغني شدة أسف المندوب السامي لوقوع الحادثة وأنه كان يود لو يلقاني ليعتذر لي بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام بإسعال تحول الى دوستطارية وأنه كلفه الاعتذار باسمه وأن يجبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويعاقب المسيئين وأنه سيمزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلفه أن يجبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لتتياهم بكل ما يطلبه من التمويضات المالية والادبية — وكرر علي ذلك قائلا مهيا طلب من التمويض يؤد بكل لوتيلح .

قلت انني لا أطلب تمويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما سابقة المسيئين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم تهمة تعدد اهانة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم ايدي بل ذلك مما يرفع مقامي في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا أن حاكم طرابلس أمسك منده اوراقا وهتفا قائما اطلبها لاسمي في أنجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا قائما أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتستقل بإصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا القعر ... نريد انشاء مجمع لتعوي وان تكون أنت العضو الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى بإصلاحها أو إدارتها ونود أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لها على الوجه المرخي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أشق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتضادة فربها (وذكر أكثرها وأطال في استأثني والثناء علي بلسنته وبشاشته)

فشكرت له هذه العناية والثناء واعتذرت عن الانتقال من مصر الى سوريا

بما لا حاجة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

المشار : ج ١٠ ص ٢٢ الحكم علي بالنفي واعتذر حاكم الولاية العسكري ٧٧٩

أكبر وجهاء المسلمين المعارضين لتأليفهم وجماع ١٠ يتكروون على السلطة الفرنسية وما ينعمون منها فكان أشد ما ذكر له مما تقدموا وأنكروا حدثنا هذه، تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء من قبة الولاية الشيخ مصطفى نجبا والشيخ أحمد عباس وأيدهما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالمرحوم أحمد مختار بينهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن فخل ذلك الحاكم على ان يطلني لسمع تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حددته لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقا وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغتني من مصادر مختلفة فأحب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فأخبرتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتحقيق ومماقة المسيئين فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكتم علي بالنفي من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاسي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ؟ وأنا لم أتهمني عقاب احد بعزل ولا غيره لاجلي ، فان هذه الاساءة رفعت من قدرتي في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقتي ماعدا الاوراق الرسمية المتناقضة بالوقف — ولخصت له خبرها — فأنا لا اطلب الا استرجاعها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء على وجهه وكتب امرأ بالفناء حكم الذي ممتدرا عنه واما اوراق الوقف واعدت ان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس ويحث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بأن البوليس فعل ما تقتضيه وظيفته الاساءة المعاملة ، واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسي في شيء — وقد صدق في هذا — وبلغني انه ورجع لبيان ومراحه حنا وهددنا . وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية بسوء اختيار المومنين ، تقع في المشكلات والاضطرابات ولا تفسد ، ثم تعود الى حالها من حيث كانت . ثم لم يبق لي شيء وعددت على ان اوراقه كانت ليس بالخطيب السهل ولا عن لبنان ذلك هنالكتنا لاننا كنا نعلم انهم لم يأتوا ليعلموا انهم لم يأتوا ليعلموا انهم لم يأتوا ليعلموا

تعلق مسلمي الساحل بفصيل وتأثيره

قد كان استغرابي لاغترار المسلمين بالانكليز وفيصل عظيما جدا ولا سيما بعد تنفيذ الانكليز لماهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسا، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخلفتي ايام في ذلك واعلامهم عالم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وطعم الانكليز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية، ولجزري بأنها لن تعود الى منازلها فيها وانزعاعها منها لتعطينا اياها، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيما جوبلا من البلاد، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكثرة مع فرنسا في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستانا أو دارا منها لرجل كان مساعدا له فأى الرجلين أولى بخصام اصحاب النعمة؟ آلهي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ دارا واحدة أو بستانا منه ولولاه لم يأخذ شيئا؟ وهل يلحق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتأذى وتتنازع في تفصيل احسد الفاصلين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المصوب؟

تقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مزلزلا أو مزبلا لما كانوا يمتنون به أنفسهم ويسلمون به محمومهم وزاد ثقله على تلك الاجتماع ووقعه في تلك القلوب ان كان بمن يوثق بعلمه، ولا يتهم في اخلاسه وحسن قصده، وأنه لا سبيل الى نقضه أو رده، فمنهم من كان يقول وكيف العمل، وإذا لم يعمل لنا فيصل ووالده فن؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والصدقة أن اكتم هذا لئلا يأس الراجون، ويشمت المخالفون،

ذلك بأن أعرض امراضنا الاجتماعية أننا تمودنا التواكل بيننا، والانكسار على غيرنا، ولا تزال الاحزاب والجمعيات السياسية في سن الطفولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الاديان والمذاهب، واذ كان النصارى معتزليين بالترئيس لم ير المسلمون بدا من الاعتراف بالامير فيصل وبأنصاره الانكليز، وكنت أرى هذا التناظر ضارا في الحال، وسيء العاقبة في المستقبل. وأن الاولى بالترييقين ان يتركوه ويرجعوا الى أنفسهم فيعطوها حقها ولا يمتنعوها ويحملوا

جل اعتمادهم أو كفة على غيرهم ، وأزيمهم ، في وشهه عليهم ، وأنه يستحيل أن يعمرو ويعتروا به مآذوا ومناظرين مهابرين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الأجانب ، وتنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق بفيصل — وإن كان له مالا أنكر من الباعث الطبيعي — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، ونفورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسيين على اتخاذ عدوا مبيتا وتوطين أنفسهم على مقاومة نفوذهم في البلاد السورية وفي أوربة معاً ، وإنما كان يتنازع فيصل على وجه الوطن السوري في السعي السيامي لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالقبول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بعضهم بالولاء وبمعضهم بالعداء ، وأن لا يحمل الأنصار من المسلمين ما كانوا يظنون من التعلق به والاحتفال بقدومه وزواجه اغاظة للنصارى المعتزين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يقتز المسلمون به ويتكلموا عليه ، وأن لا يخاف النصارى منه ، فصرت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصل لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد إذا كانوا متفقين على القيام بشؤون بلادهم لأنه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بها ، وجندهما على جبل سورية تابعة لها إذا هو ولي أمارتها بل يكون هو تابعا لها حتى إذا فرض أن عادت بلاده الأصلية أو حاربتها لا يسهل إلا مجاراتها أو الاستقالة من أمارتها والخروج منها ، وضربت لذلك مثلاً ملك البلاد الرومانية إذ اضطر إلى قتال أبناء جنسه النسي وحم الألمان اتباعاً لأرادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لخصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم يعلم أن الأمر كذلك ، بل كانوا يقولون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وإن ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالبابا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بتخطئهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المهديون بما كتبت في هذا المقال وسرهم سدم اعتماد النصارى له ولو جروا على هذه الخطة قولاً وكتابة وكثروا عن ذلك الملك النسي الكره في شأنه لوقعت الممارسة له من الفرنسيين وأعوانهم عند حد ولم تنته إلى ما انتهت إليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين الجاهل شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يعم فظل الدواد الاعظم من النصارى يمتد الى اليوم ان فيصلا كان يريد جعل سورية تابعة للحجاز وانه كان قادرا على ذلك لو تم له الاستواء عليها، وكل من الامرين خطأ . ولم أكن أريد بهذه الخطة تأييد فيصل لداته أو مشايعة لحزبه وأكثر من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أقصد أن لا يعتمدى أهل وطني بسببه وان أدلم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجملة القول انني كنت أتحري في كل ما كنت أقوله واكتبه النصح لجيم أهل وطني مع المحافظة على ما أُرثني اياه السلطة البريطانية بمصر وجملته شرطاً في الاذن لي بالسفر وان كان ظلاً واعتداء على حربي الشخصية في بلادي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم اكن أنفيع لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متعاملاً على واحدة منهم تحيزاً لخصيبتها، ولا مهيجاً على السلطة الاحتلالية،
الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربة

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لاهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جيم ما قلته في فرنسا وانكثرة والحجاز هو الحق وان جيم ما اقترحته هو المصلحة ، وان لم يذكروا أقوالي ، فن لم يكن ظهر له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فيظهر له عن قريب فيعلم السوريون وهم شعب غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجم الكلمة ، وأن الشعوب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول أوربة وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الأدنى على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو اتقاذم من ساطة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمارضها وان نصف الدين وأهله في اليم نصفاً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية حامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن ببيان القاعدة الاساسية للسياسة الاوربية في الشرق - أعني قاعدة التنازع بين الملل والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الاقوياء في الاناضول وصرحت بأن لهم الحق في الاستقلال التام واستمادة ما أخذهم الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تنجلي لهم من جميع كتابكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفع صوتها

مكر منها في سبيل إعادة المردة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ،
 وإذا رأيت أن هذا من مصلحتها لم يصدها عن تنفيذه حماية المسيحيين في تلك
 البلاد ، ولا قاعدة مأخذ الصليب من الحلال لا يعود الى الحلال
 وإن الدولة البريطانية ترجع المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصيغة
 المسيحية الرسمية والملك الحامي للإيمان وواضحة قاعدة الصليب والحلال التي
 ملأت الدنيا عنفا وتثريا على فرنسا لاتفاقها مع مصاعني كمال باشا ناسخة
 للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقاً عليها وتاركة حماية الاقليات
 المسيحية في كايكية قائما قد كانت سبقت الى خطبة مودة السكاليين فلم تظفر بها ،
 وضخت الارمن الذين دفعتهم الى عداوة دولتهم ، وتركتمهم يدوقون جزاء
 ثوراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل أن تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اترفت به
 من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تسيّد سلطان اليهود القوي الى مدينة المسيح
 (عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه
 حق من شعبيها نفسه الا يفضل الجنيه عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وإن كل
 ما يفكوه منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تقوّد أمراته لانه مهد
 الاسلام ولحسابهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانيا
 العظمى وإنما الحجاز مسجد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس
 به قوة جندية ولا مالية يفتح بها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربت هي أو غيرها .
 وهذه الدولة مهتمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في
 بلادهم واحترام سلطة الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسا اذا
 هم عبرت عن إقناعها مع ايطالية ثانية بالاتفاق مما على الاجهاز على هذا الاستقلال
 وأما أمراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لانياء الوطن السوري فيهم
 وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لانهم لا حول
 لهم ولا قوة بأنفسهم وإنما هم مخرون لخدمة بريطانيا العظمى ينال كل منهم
 من الحظوة عندها بمقدار خدمته لها وتمكين نفوذها في بلاده وسائر البلاد
 العربية كدأبهم في جيم البلاد التي مدوا اليها أيدي مطامعهم .
 فلما كان فيصل أكثر مواناة لهم جعلوه ملكا لمستعمرة الرابح الجديدة
 وهم لديهم من السلاطين والأمراء والاقاب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي
 هي أوسع من العراق استقلالا ، وتقوّد فيهم فيها أنصف وإن لم يسم انتدابا .

ولو واتهم أخوه الأمير عبد الله من قبل لسبقه إلى ملك العراق، ولينه إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لأنه بغير ملك، لم يقبل ما دونه في شرق الأردن، وباليث... وباليث، وليت وهل ينفع شيئاً لي؟ ليت شباباً يبيعوا شترت!!

... فقصي أنني بثوب أهل سورية عامة إلى وشهد من قريته وفسلوا عنهم ما لحقهم من عار التمصب وعدم الوطنية، لا يتحدثوا اتحاداً يضطر الانحياز إلى احترامهم والرغبة في صداقتهم بدلاً من الاستعباد، ولا يأتي المليون حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لا سلطان لغيرها عليها، وإنا نضمن ذلك لمن شاء بما يقتضيه ان شاء الله.

نصيحي للرئيس بتغيير سياستهم في سورية بان، كان...

قلت أنني قد اضطررت بسبب حادثة طرابلس لأطالة المكث في بيروت واشغلت بمسألة الوقف بعد أن كنت وكنت من يقوم بذلك، وفي أثناء هذه المدة جمعتي بعض معارفهم في بيروت (عزسيه لوي) وهو يجمع الجزية وكان قد زارني بمصر فكانت كما ذكرته لي أنه يلتمهم عني غلوا عظيم في الشهادة بالممارسة والمقاومة لم يولكنهم لا يأخذون الكلام على علاقته بل يترددون ويحققون إلى أن يقفوا على الحقيقة، فقلت له إن عندي قاعدة أخرى تطبق على علينا هي أن الرجل من لا يقول قولاً يحتاج إلى إنكاره، وأنا أعنيك وعداً مؤكداً بشرفي بأنك لو سألتني عن كل ما نقل اليك عني لصدقتك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عداه لتعلموا مقدار غش الجواسيسكم، والا فأنني أخبرك أجلاً بسيرتي في البلاد، إنني لست قائماً بدعوة إلى مقاومة ولا إلى تأييد بنفسكم ولكنني من رجال الاستقلال ومما رضي السلطة الأجنبية ومشهوراً بهذا فأنا أصرح برأيي ومشرقي إذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقدكم باكراً، بما أقصد به الإنكيز والشريف حسين والشريف فيصل، وأنني معتقد أن مجاولكم استثمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استثماركم لها خير لها لما كنت لي أن أصرح بهذا الاعتقاد المخالف لما يعلم كل الناس من مشربي وثباتي عليه إذ يكون التصريح مظنة رغبة في كونه اعتقاداً مرضياً. قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقتسام سورية والعراق بينهما وبين الإنكيز فها لم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الإسلامي لها وكون غيبتهم في

هذه القسمة أعظم من شين حلفائهم بفسخ حلفهم وعدم التصرف في أهلها وما يتوقع من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره ، وإن الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالاً صحيحاً وجعلها صديقة لهم وحينئذ يلتفهمون منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الأمة العربية كلها ويؤمنون ضرر عدائهم وجعلها آلة بأيدي الإنكليز . وذكرت له أنني نصحت للإنكليز بمثل هذه التضيعة (١) فمنهم القرو والطمع والتعصب الديني من الاصفاء . ولخصت له معنى مذكري لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المنار غير مرة . فأعجبه كلامي واقترح علي أن يكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يرجمها له ليرسلها إلى باريس فامتنعت عن الكتابة وقلت له بلفه أنت ذلك

بعد هذا ذهبت إلى دمشق لإجابة طلب الأمير فيصل ثم عدت إلى بيروت في أول مارس سنة ١٩٢٠ لارتفاع وجياها بيروت المنتخبين المؤتمر السوري بالذهاب إلى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التأسيسية التي تعلن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسيه لوي) يقول فيه بعد رسوم الخطاب « إن سمادة الجنرال غورو قد عين لكم ٥ آذار الساعة ٦ أفركي مساء ميملا استقبالكم في السراي » ... وكان هذا الطلب بسبب محادثته إياه بموضوع حديثي لا يطلب مني ولا علم ليثبت في الموعد فبلغت أن موسيو مرسيه الذي سيترجم بيني وبين الجنرال فذهب إلى قنصل أميركة في عمل رسمي أبطأ فيه فانتظارناه بتوقعين مجيئه في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فتلقانا أمين سره (السكرتير موسيو روير دو كيه) وبلغنا بعد التحية أن ميملا الجنرال ذهب بيده (موسيو مرسيه) فهو ينتظر عنه بأسه ويحمل مجله فيما ظنني لاجله إذا كان لدي سعة في الوقت . قلت ليس لدي مانع من البحث . وإنما ذكرت هذه القصة ولم أخص حديثي معه بدونه للاعلام بأن الجنرال ضيه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لفردسة من استثمارها بأهم الانتداب وقد يتعجب كثيرون من من نتيجة ما أقامه من حديثنا وروون فيه ذليلاً على تفسير السوريين في السمي المقول لدى الفرنسيين بأنهم وان رضاعهم استقلال سورية تحكم (لها بقية)

(١) النصح بقلب المنار والحداد ولا يتضمن استعلاء من الناصح

باب المراسلة والمناظرة

انتشار علم السنة ومدرسة الدعوة والارشاد

محلة مسير (غرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله (أحمد بن) أحمد سلامة إلى حضرة صاحب الفضيلة الامام الوارث
لعلوم المرسلين ، الباذل جهده في ابلاغ دين الله حليم العالين ولم يدخر وسعا
في السعي وراء تحقيق اصلاح حال المسلمين ، السيد محمد رشيد رضا الحسيني
بلفه الله ما يشاء وتتمناه لهذه الامة المحمدية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وعلى كل من والاكم في دار الله . وبعد فاننا محمد
الله اليكم الذي ايدكم بروح منه ووفقكم لقيام بتحريض منار الدين ، حتى يبلغ صوت
الحق منه اذان القريبين والبعيد ، فأحيا الله به هنا وهناك قلوب المستعدين ،
وأقام به الحجة على المتخلفين والمعارضين ، بمن سموا بالعلماء والمتعلمين ، ولقد فطن
كثير من اخواننا في هذه الايام الى أن حال المعاهد الدينية الحاضرة في سدا
القطر لا تقضي اولادهم من التربية الحق شيئا ، ولا تعجدهم تملأ ، ان لم تكن ضارة
ومفسدة لاستعدادهم ، ومن ثم نشأ لتور المطرعة المودع في قلوبهم ، فعمدوا من
أجل ذلك الى توليهم بآدابهم بحفظ ما دون احاديث الاسلام بعد تمام حفظ
القرآن بدلا من تدريس الفقه التي وضعتها المأخرون حتى بلغ أن بعض التلاميذ
من بلدنا الآن يحفظون مائة لاف حديث من بلوغ المرام وشروحه وبعضهم
يحفظ طائفة من المعاني لا يخرجون الى بيته فيها ، وتوجيه اذهانهم
الى ما اودع الله في كتابه من الوعد ، أقام من الايات البيئات عليه
وأحكام العبادات وأمرها المثبتة له في القلوب وقد تبينا بالبحث ان كثيرا
من العلماء في كل مهة قد ولوا وجوههم شغل السنة ماركين التقاليد جانباً بعد
أن علموا انهم لا يقدرون على التكوير من الكوى مما عليه المعاهد غير
أن هذا كله وان كان ارامشياً لا يشفي من ولا يروي غيلاً من الاصلاح
العلمي الذي لا يفي به سنة الدعوة والارشاد من قبل وكاتب أو من هذه
الجهة القائمة بدعوة الدعوة والارشاد فتجربوا بها ، طالبين فاجاب دعوتها
فبين من الناس ساء الله في كل ديرة الى الحق ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . غير

أن هؤلاء الطالبين على قلتهم وقصر مدة شغل المدرسة قد أفادوا الناس فائدة
كبرى لا يستهان بها فقد سمع نداءهم والحمد لله على اختلاف جهاتهم وتناني
ديارهم جماعاتهم الآن متعارفون متزاورون ولقد وعدتم حفظكم الله تعالى
المرّة بعد المرّة أو ففهم من كلامكم في المنار هذا الوعد بإعادة مدرسة الدعوة
والارشاد فكان ما فهمناه من هذا الوعد طمأنينة تموسنا على مستقبل أولادنا
ولكن طال المهدي على هذا وأيامه من آجالهم وأجالنا حتى يصاحب الفضيلة يكون
يوم تحقيقه؟ ولقد يغلب على ظننا أن أهل هذه البلاد ما عدوا ولا شمروا
بفائدة هذه المدرسة إلا بعد وقوف عملها وتعرف اخبار الثلاثة أو الاربعة
الذين أخرجتهم هذه المدرسة كالاستاذ الشيخ ابي زيد والشيخ عبد الظاهر
وبعد أن عقد الحق صلّة بينهم وبين كثير من المستعدين من العلماء والمتعلمين ،
فان صبح رأينا هذا قوي الامل في تنبيه هذا المشروع من فترته ، واقلته من
عثرته ، فتناشدك الله والدين ، والميثاق المأخوذ على المرسلين ، والوارثين ان تقبوا
انتم ومن تبكم باحسان وتؤذوا في الناس الامراء وغير الامراء ، من أهل الخير
والثراء ، بوجوب إحياء هذا المشروع الذي لا غنى للمسلمين في جميع اقطار
الارض عنه ، وإن في ذلك لنصرة لدين الله وقد وعد الله ووعده الحق بنصر
من ينصره ^{لدينا} بهذا الجهاد في الله وقد وعد الله الجاعدين فيه ان يهديهم
السبيل ^{والتي} ^{يكونون} بهم ، وان هذا لا يفاء بهم بغيره ولقد وعد الله الموفين
بهمده الايفاء بهمدهم ولنا نملك بشيء انت تجهل نموذ بغيره . او نذكرك بما
غاب عنك لتستغفر الله ، وانما هي فتنة المصدور وتروح المرحون لما عليه المسامحة ،
وان كان لدى قبيلتكم ما ييسر بتحقيق الامل قريباً فتفعلوا به علينا انناكم
الله وجزاكم عن المسلمين خير الجزاء ، ويسلم عليكم ونحي عن تبكم باحسان تليذككم
العارف لكم حقاك الشاعبة فضلكم شيخنا الاستاذ الشيخ سيده مصطفى اشرف فدا
٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ هـ

احمد احمد سلاطین

(المنار) نحمد الله تعالى على توفيق المذنبين لآحياء علم السنة وحفظ الحديث
والتفقه فيه حتى في غرى السفيرة ، ونسبهم على أحياء الكتاب الضعيف ، واستأذنه
المعصني لإيضاة نور السنة في ذلك المنحور
أما مدرسة لدعوة والإرشاد فهي كما قال أبو حنيفة النخعي أول الوسائل نخل

اصلاح اسلامي بحسب ما وصي به اجتهاد او واقفا عليه ارقم من غيره .
 عقلاء المسلمين واهل الرأي ميهج في الاقطار المختلفة حتى انهم
 بعض كبراء الدولة العثمانية من رجال جميعه الامم والديار
 معتقدين بما كان رجحى للدولة وللإسلام من هذه المدرسة له اجل
 تأسيسها في الآستانة وأسفين لعدم التوفيق لذلك

واما إعادة المدرسة فاني عازم عليه ساع له ولو بأن استأجر متنا من
 واعيد فيه تلك الدروس التي كنت الق بها واكثف بعض الفضلاء من اخواني
 مساعدتي على ذلك بدروس اخرى ولو ليلا ، وان اجعل فيها قسما اسمه دار
 الحديث للمساعدة على حفظ السنة والاستماع بها في مداية التمرآن . أنتظر
 بذلك الميسرة المرجوة ولست يئأس من إعادة الحكومة المصرية لاعادة المدرسة
 من أوقاف المسلمين الخيرية ولا سيما اذا زالت السيطرة الاجنبية عنها او ضعفت
 ولعل لو طلبت ذلك في هذه السنة لأجبت ولكنني رأيت البلاد كلها في شغل شاغل
 بقضية البلاد السياسية عن كل شيء ولكل شيء اجل لا يدوم وسيصرف اهل النيرة
 الاسلامية بمد ذلك قدر هذه المدرسة فيساعدونها من كل قطر ولا سيما الهند ونجد
 وليس الشيخ عبد الناهر والشيخ محمد ابو زيد الذي كاف اصلاح مدارس
 جمعية الاصلاح والارشاد في جاوه مما اللذان قد أخرجا من المدرسة وعنيا
 بالدعوة الى الاصلاح والارشاد مع اثنين آخرين كما قلتم بل نشر صلاحها الاصلاح
 في أقطار مختلفة وقد نشر في الجزء التاسع من الممار ترجمة واحد منهم من اهل
 جاوه توفي فيها بقلم أخيه وكلاهما من تلاميذها . واني أنشر هنا جملا من مکتوبات
 بعض تلاميذها من مسلمي الهند

﴿ كتاب من تلميذين من تلاميذ المدرسة بنصه ﴾

وذلك عقب سفرهما من مصر منذ سنين

استاذنا ومرشدنا السيد الامام حجة الدين وغير الاسلام حفظه الله
 بعد أداء واجبات التحية والاحترام وصلنا بحمد الله الى وطننا العزيز
 واسكننا لم نفرح كل الفرح لاننا من الاله لم نوفق لتقبل يدك عند مفارقتنا
 مصر وذلك ليس الا تعصائب التي أحاطت بنا ذلك الحين وأقلقنا بالناس
 واضطرتنا أن نساقر عن ذلك الحال

وبلغ وصولنا الى الهند بقينا في بلدنا وقدرنا أعمالنا على المواعظ في الاجتماعات الدينية لتسريح حيننا من وعاء السفر - وهانحن (أولاء) تلاميذكم الثلاثة قد اجتمعنا لنخرج الى ميدان العمل ونسير على طريقكم المثل التي اقتبسناها من دروسكم ومحاضراتكم الثمينة في مدة قيامنا بـدرستكم الفراء . وقد شرعنا في ترجمة بعض الكتب والمقالات النافعة ونحن مسمون على أن لا نفتعل الا في الاممال العملية الحرة فأردنا أن نفتح مدرسة لتعليم اللغة الدرية على طريقة العملية (١) ونصدر أيضا مجلة عربية غير الهندية ... الخ

ولم نقر وصيتكم الاخيرة بجمع الكتب الاثرية القديمة وقد عرضنا هذه الفكرة على المولى عبد الحلي مدير مدرسة ندوة العلماء فاستحسنها. ووعدا بالمساعدة - دتم

الخاضعان

محمد عثمان - عبد الله بخداير -

﴿ كتاب من تلميذ آخر من تلاميذ المدرسة بنصه ﴾

هو الآن محرر جريدة (ينغام) أي البلاغ في كلكتة

استاذي وشرشي حجة الاسلام غفر الله له السيد الامام متنا الله بطول بقائكم بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : فاني قد كنت كتبت الى جنابكم العالي كتابين بعد مفادوني من الحجاز (٢) ولعلها وصلا اليكم . ثم سكت طول هذه المدة لانفلة بل لاسباب لانحني على احد، وكيف أرتكب جرم النقلة والذهول أو نال أعقل ولم أعرف شيئا الا منكم ، قدمت مصر وأنا في غياهب من الجهل فاقبست من نوركم فصرت بصيرا والحمد لله والمنة لكم !

واكبر شكر يستطيع التلميذ والمريد أن يشكر به استاذه هو أن يحذو حذوه في الخير ويحوي طريقته وينشر آراءه ويبردي اهته بالهداية التي اهتمدى بها ، واني يا مولاي ما برحت أسير على هذه الخطوة منذ فقتولي الى الهند فالت اكتب المقالات العملية والدينية في اكبر الجرائد الهندية ومجلاتنا ، وألقي الخطب في المجالس العامة ، وبحمد الله يكون لها اكبر وقع عند الخاص والعام لان تلك الأفكار ، غريبة عنهم ! مكبا في دماغنا علم الحديث (٣) وقد قرأت

(١) اوجه أن يقال الطريقة العملية (٢) الصواب حذف من لان غادر كفارق يسمى بنفسه لا بمن (٣) يريد : وما زلت مكبا على مطالعة علم الحديث فتمتف الا من المفرد على الجملة العملية

المصحح والمؤلف في الحاشية. ومقدمة ابن الصلاح في اصوله على اكبر محدث في
الحمد الاستاذ السيد أمير علي الذي ... (١) الى رحمة ربه رضي
الله عنه وقد كان رحمه الله كثيراً ما يني عليكم وعلى تفسيركم ؛ وانا الآن مجد
في اتقان فن الرجال واداء لم يعد الله سبحانه يد المودة الي لا أنجح فيه لانه فن
صعب بعيد المرام كما هو واضح لديكم ؛ ومشتغل بالتأليف فقد ألفت الى الآن ثلاثة
كتب كتبها في سياحتي المعر يحتوي على أكثر من ثمانمائة صحيفة وبعد أن يتم
طبعه أقدمه الى عنايتكم العالية وبأليت لو انالتم على ما فيه ؛ (لكنه بالهندية)
— وكتابا في المولد النوري وسينفع الناس ان شاء الله ؛ وكتابا جمعت فيه
الاحاديث الصحيحة من الصحاح والموطأ للمالك والمسند لابن حنبل بعد مطالعة
هذه الكتب والبحث في الاسانيد — وانا مرسل اليكم فهرست عناوينه
لتطلعوا عليه وترشدوني في امر الكتاب (٢) وسأفهره مع الترجمة او كذلك شرعت
في كتاب رايم أجمع فيه الاتفاظ الحديثة التي تستعمل في الجرائد العربية ومجلاتها
حتى يفهمها اهل الهند حق الفهم فانهم الى الآن لا يستفيدون من المطبوعات
الحديثة لتلك الكلمات الدخيلة (٣) وقد كنت استأذنت منكم ترجمة تفسير المنار
ثم لم أغيراً عليها لعدم انكم لي بها. وانا راجيتكم ثانيا لاني منتظر صدور تفسير
(بالهندية) لابي الكلام آزاد مدني الحلال لا اعتقادي انه إما أن يكون ترجمة
لتفسيركم أو مقتباسه ؛ الخ الخ

تلميذكم
عبد الرزاق عبد الحميد الهندي

٨ شوال سنة ١٣٧ هـ

(١) المنار تعريف الاعلام فالأيد منه عالم أعجمي حتى كان يجري على لسان
السيد جمال الدين الذي احيا من الاموات والخطابة بعصر (٢) أبواب الكتاب ٨
وهي في الاخلاق والمباشرة والمصارفة والنساء والسياسة والامور الروحية
والآداب فذهب سبعة من الثمانية متفرقة كالآمن والدمر والايمان والنذور وجوامع
الكلام (٣) رارنا منذ بضع عشرة سنة سألنا القوقاس فكان مما قاله انه يسل
اليهم المنار والمؤيد والارواء وانهم يقومون على ما يكتب في المنار واذا خفي عليهم
بعض الانعام يمدون في ... لانهم لا يفهمون المؤيد والارواء حق
الفهم ...
له ...
ومن ...

الانتقاد على المنار

نطلب في أول جزء من كل مجلد من فراء المنار إتحافنا بما يروونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو مخالفة المصلحة العامة التي تنوعها في خدمتنا، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين إلى ما لم نشره من النقد الشفوي أو غير الموجهة إلى المنار

فنقول الآن في خاتمة هذا المجلد أننا قد نشرنا كل ما كتب البنا من النقد كالد على ما نقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والخلود فيها ومنه ولم يعمل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب إليه . وأما النوع الآخر من النقد فليس له نيامنه إلا ما قاله بعض السورين أو نشره في بعض الجرائد ولم يرسلوه إلى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجلية في المسألة المربية) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسنها الجماهير في الاقطار الاسلامية المختلفة حتى ان محرر جريدة (بينام) الهندية الاسلامية التي تصدر في (كلكتة) كتب اليها بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

اتقد ساطع بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مظم على ما جرى لانه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل إلى الجنرال غورو في أثناء المناقشة بينهما في أمر الانفاز المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط الخزية ليدفروا لاحتلال عن دمشق وبيقوا فيها متمعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم قبولنا ما قالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود مملومة لا تخفى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا رجون ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيها طلبه من يعمل آيتم حكومة موالية لفرنسة . وقد تناقشنا في المسألتين ورغبت إليه ان يكتب انتقاده كتابة لا يين حقه من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فإني لا أكتب لغرض ولا هوى بل لبيان الحق وخدمة الأمة فإذا ظهر لي أن فيها كتبت ما يخالف ذلك اعترفت به ورجعت إلى الصواب الذي أقتنع به . ولكنه لم يكتب .
وجوابي عن المسألة الأولى أن الجرنال غورو هو الذي قيد الوصاية في انذاره بما عنده ساطع بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من الانذار .

٣ - قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يسحق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتهضها الأمة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية خالياً من كل غرض استعماري .
وأما المسألة الثانية فالذي أعلمه فيها أن انذار الجرنال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وأما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجرنال يتهم الحكومة بأنها تساعد المصالحات التي تناوئ الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته مما كتبه إليه فيحصل بعد قبول الانذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطالب التي تجددت بعد قبول الانذار وكان ساطع بك المصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان ممدوداً من المبادئ لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة ولدكتور شاهيندر وبعضهم كان موالياً لها كلاء الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة .

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سعيد طليح كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة رد بل نهكم يقال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على إثر كلام أغضبته في في الاسكندرية فان خطأً فنياً قصدت إهانتها فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منمنته من الكلام في بعض المائل منماً قانونياً فقلن أنني قدمت التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أظن أنه نسبها لاتي وكنت له القول بأن ذلك كان من الائم على أنه من شيعة الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب إلى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يجيئه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خطية سرية يبينون فيها رأيهم في انذار الجرنال غورو لأن الدعوة بنت ليلاً وصباحاً بأن لا يكتب إليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليع هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق . وكان من أكثر الاعضاء مودة لي . وأخبرني أنه كان عند الملك وأنه وجدته محتاجة جدا لانه كان منتظرا من أول النهار لإقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بأرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليع إنه ينتظر ذهابك اليه فيحسن أن تذهب وتسلمه ، فقلت حقا اني بعد اشتغالي برئاسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والاحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

وأذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظرك فذهبت اليه فرأيتني واجما مندوما وسألني ما بال أعضاء المؤتمر قد أغلقوا موعدي ولم يأتوني بأرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظلت منتظرا لهم النهار بطوله ، قلت لأنني جلبت منذ خرجنا من هنا أنهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءم جدا لانه عدوه متضنا للطعن فيهم بالجبن والمداينة للعامة فيما يبدوونه في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استحسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكنوا واهين وانما صفق واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ابقاعهم بها ويتواصلون بعدم الوقوع في شركها . والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سعيد بك طليع وأنه لم يذهب اليه الا وقد كتب اليه ما يجب وهو إجابة الجنرال غورو بقبول إنذاره !!

لم يكن ما كتبه الدكتور طليع بالذي يستحق أن يبنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشي غيظ الكاتب من التهم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

وانني مع ذلك قد وددت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لقرئين أهمها إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي هم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب يأمرها . ولذلك نشرت مقالنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية والوثنية . وثانيهما إعلام من فكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على انني ألخص تلك الدعاوي والاكاذيب فأقول (أولها) إنكار قد
 إنه لم يوجد في الامة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء بجمهورية كد
 وبحدود قواها لحفظ استقلالها كما وجد في الترك معطى كمال باشا وأند
 من كبار القواد والسياسيين ودعواه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلالة الم
 حسين» الخ (ثانيها) افتراؤه على بانني قلت انني أشرت على الملك حسين بأن يحار
 الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه القرية في الرد على جريدة القبلة من ا
 التامع بمدارد عليها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة نبي عليها إستت
 تصرح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر
 اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصا
 النفوذ الأعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعزهم — استنبط هذا بما ذ
 في مسألة المرحوم يوسف العظمة وجعله حقيقة واقعة لأجل التهم الذي أر
 وقراء المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله «ويقول أيضا أنه هو الذ
 أقنع المؤتمر السوري بأن يقلم عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور» و
 المنار يعلمون أنني لم أقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امته
 أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضح
 هذا في الاهرام ببيان أن بعض اعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والخط
 بعد تلاوة أمر الملك المذكور فلم آذن لاحد منهم وزلت عن كرسي الريا
 تنفيذاً للأمر وعدم جملة موضوعاً للنقاش. وان بعض هؤلاء كلموني
 غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امثال الامر فأقنعتهم بما ذكرت. وأزيد الا
 أنني لو سمحت لاعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الامر ويلقوا فيه الخط
 لكنت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدوها قبل ذلك اذ
 التوبيخ والخط على الحكومة والملك فيصل بالفن حد الافراط وكان الشبه
 أشد نهجاً وهو مستمد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر، وإذا لوقعت ثورة داخ
 تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه هو المضيع لاستقلال البلاد
 (سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأنني أننت مرة
 الملك فيصل. وقد أبهم هذا الشاء بما يومهم أنه ثناء بالكفاءة للزعامة وإفاد الا
 العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان رداً على ثناء الملك على اعضاء المؤ
 بابايتهم دعوتهم الى أدبه ويريدان بأنه هو المحسن في الدعوة وفي التبر على قيو

فهو أحق بأن يثنى عليه وهو جل عن شكر السليم بحسن لا جللناه كما قال ابن الجهم (سابها) انكاره ما سماه دعوة للفرنسيس بأن لا يمدادوا الامة العربية في بيت ملك الحجاز : وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كما زعم وانما بينت لهم خطائم والمطلب سهل (ثامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافق على معاهدة سايكس وبيكس . واستدل على رد هذا بعدم تصديقه على معاهدة فرساي قال : «تضمنها المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم» وقد رددت عليه في الاهرام ، وقرأ المنار يلهون أنني لم أقل من عندي إنه صدق على معاهدة ١٩١٦ وانما رويت زوايات فيها عمن سمعوا بأذانهم من السير مارك سايكس وراو بأعينهم كتاب جلالة الملك الى نجله الامير فيصل وأطلت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لاقتنا زيد لمقتال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والمخرج منه

علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليعلم القراء أنني لم اكتب قط كتابة من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من الناس ويؤلمه وأنا متألم وخجل من مساهة كالذي كتبته في المسألة العربية علماً بأنه يؤلم الملك حسيناً واولاده لاني عرفت منهم الامير عبد الله أولاً والامير زيداً والامير فالحك فيعمل اخيراً والدم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي قولاً ولا فعلاً بل كنت متعجباً أشد الاعجاب بأدبهم العاليه وقد اكرم مشواي الكبير في الحجاز وأنساني مع من كان معي من نساء ورجال أحسن الضيافة كما يعلم من تنويعي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار ، والتي لا أعلم أن منع المنار بتلك العبارة الخشنة قد كان بدسيه

وكان سهل علي تلافي ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا ، ولكنني قد سبرت بذلك المنم لاني كنت قد علمت أن الامر جار على ما ينافي مصلحة العرب والاسلام ، وقد كنت صرحت له عند توديعي اياه بتجديته في الحرم الشريف بأنني لا أعمل الا ما أعتقد أنه لمصلحة الملة والامة فادمت أعتقد أن الحركة العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي — قلت هذا بعد أن تلمذت كل التلطف في الثناء ووجاء المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرسالة حتى كان من تواضعه ولطفه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في مباحثه أنه أعلم منا بكل شيء لنحن محتاج الى علمه وسمة اختباره بأقامته بقمم قل هذه السنين في كل عمل ويده في حكمومتنا ... وفصل ذلك تفصيلاً أحسن

ومرت الامير عيد الله في الآسنة وكان أول كلامي معه ترميماً شديداً بأمرنا تأمله قبله بناية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف تواسمه معي اقتداء بادبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المسكاة . طلبت الخلوته به على ضيق الوقت فسمح بها ليلاً فكان أول حديثي معه في السياسة بعد مجاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في نورهم ومضارها من مبدئها إذ بنيت على الانكسار على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا هم السكسة الى ما كان لها من سوء الماقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات؛ قلت له انني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينفع بهنكم الى تلاني هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلوته بكم لاقف على خطكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعداً لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوماً لها على ضمني ، ولا أراكم تستكبرون مني كلمة المقاومة لانني لست أميراً فقد قاومت السياسة الجديدة على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً ، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي على خشونته الذي أوجبه المصاحبة والاخلاص في النصيحة بالطف والنشاء والرجاء في التعاون والاتفاق ، ثم انه ألح علي بالذهاب معي الى الشام لاجل التعاون على العمل فوعده بأن أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالأمور اول مر يخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة العربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة العربية فولا نم كتابة فاستحسن جد الاستحسان ووعده بأن يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن ينفوذ الى أخذ المال والتحف لكنت أقدر على استدراار تلك الكفا لوالا كفة كالسحاب بغير حساب ؛ ولا تفرقة بين المستحق وغيره من العفاة والطلاب ، واذ كان بما أنني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحتال لتقديم هدية بخلق له مناسبة فألح علي بأن أستأجر داراً لان طول الإقامة في الفندق غير لائق وقار سراراً عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت داراً واستحضرت لها فرنساً من بلد (طرابلس الشام) بعد أن بلغته بنفسي وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختارنا غير مرة في المسائل السورية حتى تفاضنا وكاز

كل منا سريع اليأس لا نلبث أن نودد الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان يفضلي فيها وبفضل اكثر الناس أديا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الأخير الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تعطيل المؤتمر ، على اني لما علمت أن التورليس آذنه بوجود الخروج من دمشق لم أبدأ من توديعه وقد أعرض عنه المتعلقون فكنت آخر من ودعه ليلا على قلتهم ، وأفضل ما أذكره من ولاء بعد جفاء أنه كاشفني بكل ما في نفسه وما ينويه من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سواك ولا لخي زيد ! أفلبست هذه الثقة منه يجب أن أعدها له ان لم يعدها أو عنها هو علي ؟ بل ولاجلها لقيت وكررت الزيارة اذ جاء معبر مائدا من أوربة راجيا أن استفيد نيا منه ، وأتوصل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمع نبأ يمت الاوتياح في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطلبني الى العراق للعمل معه ، ولو كنت أحمل لمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت مجازاة الملك فيصل في ظل بريطانيا العظمى أو سم أبوابها لدي هناك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق إنه يمدني حجر الزاوية في كل ما يشئ من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني أعتقد أنه لن يستطيع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلا لما ولدني من العلم الذي استغفته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد من أهله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبق خفية على أحد .

وجله القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك الكبير على شمه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولا أو كتابة يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب بمنفعة شخصية ، وعلى الخدمة لئلا مضمون لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون خليقا بالغجل الطبيعي من الطعن بخطتهم وسيرهم ؟ بل والله وان كان بعض مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي تركب في سبيلها كل صعب ، ويستهل كل خطب ، وما أنا بآمن على نفسي من الضرر ، والذي لا أعد منه ما كان من طعن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، وعند العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة العراق التي يفتري بها الاغرار ، ويستغلها عبدة الدينار ، لا اعتقادي أنه واجب علي شرعا ووضعية . وقد ظهر اني لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكان ذلك خزيا وعارا على

خاتمة المجلد الثاني والعشرين

باسم الله وبمحمده أختتم المجلد الثاني والعشرين من المنار كما افتتحت باسمه وبمحمده فهو به وله منه واليه ، ولا حول ولا قوة الا به

بفضله تعالى أعدنا اجزاء المنار الى حجبها السابق الذي انتقلت منه رزايا الحرب وطبعا على ورق اقوى وانفاد واغلى من ورقه الاول فتمنه يزيد على الثمن الذي كان قبل الحرب خمسة أضعاف وتوسعا في مباحته ومسايله ، مملنا كل ما أفردنا الله تعالى عليه فمسيح الله أن يوفق سبحانه قراءه الى أن يقوبوا بما يجب عليهم من اداء حقه فلا يزال الكثيرون من اهل الوفاء منهم يرجئون دفع النقيصة الى انتهاء السنة واستيفاء أجزاء كل مجلد كاملة ولا يزال الكثيرون من غيرهم مدينين باشتراك عدة سنين ، يلون ويمطون ، وهم أغنياء واجدون وبشدر أذن يوجد فيهم من يستبيع هذا الجرم ، ويستحل أن يصدق عليه قول الرسول (ص) « مطل الثني ظلم » (متفق عليه) ولكنهم غافلون حتى عن أنفسهم ، فلا يفكرون في ثغرات العدل من أين تأتي اذا كان جميع المشتركين أو اكثرهم شامرين ، لا يرضون لانفسهم أن يكون غيرهم خيرا منهم ، ولا يحاسبونها ، لا ياب وهم الحق الصراح ، ولا سيما اذا كان صاحبه مهلا أو مقصرا في الامور الدينية ، لان الامور الدينية قد يحاسب نفسه عاجيا في الامم المريضة الا الا افراد من الفضلاء ، وأوالدهاء فقلما يفكرون في جنائياتهم العملية ، أو يفتنزون الى سوء عواقبها فيها وفيهم ، واذا ذكر احد من رجعت اليه لائمة بادر الى تبرئة نفسه ، وتحويل اللائمة الى غيره ، فلا ينبه اللوم والتذكير منه الا غريزة الدفاع عن النفس ، والحفاظة على كرامتها بما يسبق الى ذهنه بادي الرأي ، وقد يقضي بما يقول عليها ، وهو يحب أنه قد قف ، لها يراها ، وما هي الا الثغلة عن النفس تصل الى درجة السهو والنسيان ، كما ارجع الى ذلك القرآن ، فقد قال في قوم (نسوا الله فأنساهم انفسهم) ووصف قوما بأنهم (في غمرة ساهون)

لا يبالي الملم بما يدفع به اللوم اكان حقا ام باطلا ولا يقول ما يقول دانا عن اعتقاد وقد يقول كلمة حق يريد بها باطلا أو لا يريد بها الا مقابلة اللوم بمثله كن بمنذر عن تأخير اداء الحق الذي عليه للصحيفة بتأخر بعض الاجزاء

عنه ، وقيل فيمن يعتذرون مثل هذا الاعتذار من قصد جعل الارزاء أو ترك الوفاء عقابا على تأخير بعض الاجزاء أو الاعداد والاصل في الاشتراك أن تدفع القيمة كل سنة سلفا للاستعانة بها على العمل فيكون باذلهامشاركاً لصاحبها فيه فان لم يفعل المشترك ذلك وعد مدير العمل مديناً بتأخير اصدار الصحيفة بإساءته تكون متأخرة عن إساءة مرجىء الدفع - سلفا بل تكون معلولة لها في الأكثر ، وإذا كان كل مشترك لا يدفع إلا بعد استيفاء أجزاء السنة كلها في موافقتها وكان اصدار الأجزاء في موافقتها أو مطلقاً متوقفاً على دفع القيمة قبله لأجل النفقة تكون المسألة من قبيل ما يسمى في اصطلاح المنطق بالدور فيقال لو لا تأخير المشتركين لقيمة الاشتراك لما تأخر صدور شيء من أجزاء المجلة ولولا تأخير أجزاء المجلة لما تأخر المشتركون عن أداء القيمة - انظر هذا

والحق إن الارزاء والتسويق لا يكون من جميع المشتركين في المصحف وإن من المرجحين من يرجى كسلاوتها وتأني في الوفاء ، ومنهم من يرجى لأن أداء الحق ثقيل على طبعه وليس له من باعث الدين ولا الترية على الوفاء والنظام في المعيشة ما يرجع على البخل وهضم الحقوق ، ومنهم الممر الذي ينتظر الميسرة ، ومنهم الحرص الذي يخشى أن يعجز صاحب المجلة أو المريدة الاستمرار على إصدارها ، واكثر الناس في هذه البلاد وأماها لا يتقون بأكثر ما يتجدد من الصحف لكثرة ما يصدر منها أياماً وأسابيع أو أشهراً قليلة ثم ينقطع وتضيع قيمة الاشتراك التي دفعت لأصحابها سلفاً ولكن قالوا يترك أحد في النفقة بنبات الصحف التي طالت أعمارها وصيرت على لا واء الزمان ولا سيما لا واء هذه الحرب ألا إن كل من أنصف من نفسه وأعطى التفكير في المسألة حقاً يظهر له الحق فيها ويجتهد في المسارعة الى دفع قيمة الاشتراك في الصحيفة التي ارتضاها سلفاً فان لم يكن قضي أثناء السنة ، وأنه يظلم صاحبها بالتأخير الى نهاية السنة . فكيف بمن يرجى اشتراكه فكثر وصاحب الصحيفة يظل يرسلها اليه ثقة به وحسن ظن فيه ؟ وجملة القول إن الناس في هذه المسألة كما قال تعالى في الذين أوتوا الكتاب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفوز الكبير) وكل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه

مسألة (الخلافة الإسلامية) لأحد أركان النهضة الإسلامية في الهند ،
المولى (أبو الكلام محمد الدين آزاد) صاحب مجلة (الهلال) المعنية بالإصلاح
وجريدة بينام - أي البلاغ - السياسية في (كلكتة) الذي قد كنى
الكلام بالألمام فإنه من أفصح أهل مصر كلاماً وأقدم على الخطابة والكتابة
وهو يجيد فهم اللغة العربية بحيث إنه أعاد الخطاب الذي اختتمت به مؤتمر ندوة
العلماء في (لكهنؤ) بطريق الخطابة باللغة الاوردية في جلسة خاصة عقدت لأجل
ذلك وكانت خطبتي ارنجالية استغرق إلقاؤها زهاء ساعتين ، وقد سمعت ممن
يفهم اللغتين أنه لم يفرط في أداء معانيها من شيء .

وهذا البحث في الخلافة يؤلف كتاباً جليلاً ذا أبواب وفصول تاريخية
وشعرية واجتماعية وسياسية نهم جميع المسلمين وجميع الذين يعنون بمعرفة تاريخهم
الديني والسياسي ، ومن مباحثه الفرق بين خلافة النبوة الراشدة وما بعدها من خلافة
الملك وأحكامها واحوال المسلمين فيها ومسائل الجماعة وما ورد في رومها وفي
النهي عن التفرق ... واسباب ضعف المسلمين وطاعة الخليفة والزام الجماعة وتفسير
أولي الامر وأحكام الجهاد والهجرة وشروط الامامة والخلافة في حال الاختيار
وحال التغلب وكون الخليفة لا يتعدد والتعارض والترجيح بين طاعة الخليفة
وبين وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالته ، ومن أم مباحثه
خلافة آل عثمان وغير ذلك مما لم يصل إلينا بعد . وسنعلق على بعض المسائل حواشي
مختصرة لإيضاحها أو استدراكها أو انتقاداً وترك للقراء الحكم فيه

ولدينا أيضاً (كتاب من الخرافات الى الحقيقة) وهو كتاب إصلاحي عظيم
كما علم من مقدمته وأبراه التي نشرناها في هذا الجزء ، وسنعلق عليه بما ذكرنا آنفاً
- وبلي ذلك رحلتنا الاوردية - فهذا أوسع مالدينا الآن من الزيادة في
المواد على المهود لإجمالاً من أبواب المجلة كالتفسير والفتاوى وغيرهما أو تمصلاً
كفصول بحث القياس في اللغة العربية والرحلة السورية ووراء ذلك ما يتجدد
من المقالات والرسائل في أثناء السنة

ونسأله تعالى أن يقر أعيننا بحياة أمتنا ويوفقها الى تغيير ما بأنفسها من
أفكار فاسدة وخرافات كاسدة وأخلاق سيئة ، ليغير ما بها من ذلة ومهانة وضعف
واستكانة ، وان يجعلنا فيها وفي سائر العالم من الهدى الناصحين ، والصالحين
المصلحين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



Bibliotheca Alexandrina



0551745